
جون ريد
عشرة ايام
هزت العالم

جون ريد (١٨٨٧-١٩٢٠)
مؤسس الحزب الشيوعى الامريكى ، كاتب سياسى . صدر كتابه هذا فــى اميركــا سنــة ١٩١٩ وفى الاتحاد السوفييتى باللغــة الروسية سنة ١٩٢٣ ، ومن ثم اعيــد اصداره عدة مرات فى الاتحاد السوفييتى .

كانت جميع الاصدارات باللغة الروسيــة بدءا من الطبعة الاولى تحتــــوى على مقدمتين للينين وكروبسكايا .

اعتبر جون ريد لينين قائدا فذا يملك «قدرة عظيمة لكشف اعقد الافكار باسلوب بسيط جدا ، واعطاء تحليل عميق لاوضاع معينة جامعا بذلك بين مرونة الفكر وحدة الذكاء» .

ان مؤلف جون ريد هذا هو اول انتاج فى الادب العالمى ينقل الى الاوساط الاجتماعية العالميــة الحقيقة عن الثورة الاشتراكيــة المظفرة فى روسيــا التى دشنت عصرا جديدا فى تاريخ البشرية .



جون ريد

جون ريد

عشرة ايام هزت العالم

دار التقدم

موسكو

Джон Рид

10 ДНЕЙ, КОТОРЫЕ ПОТРЯСЛИ МИР

На арабском языке

طبع فى الاتحاد السوفييتى

Р $\frac{0505030101-239}{014(01)-87}$ 207—87

مقدمتان

بقلم

لينين

وكـــروبسكايا

مقدمة للطبعة الاميركية

بعد ان قرأت كتاب جون ريد «عشرة ايام هزت العالم» باهتمام بالغ وانتباه لا يعتريه الكلل ، اوصى من صميم القلب بهذا المؤلف لعمال جميع البلدان . واود ان ارى هذا الكتاب منشورا بملايين النسخ ومترجما الى جميع اللغات ، ذلك لأنه يقدم عرضا صادقا وحيا الى درجة خارقة عن احداث هى ذات اهمية قصوى لفهم كنه الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا . ان هذين الموضوعين يناقشان فى الوقت الحاضر على نطاق واسع ، ولكن على المرء قبل الاخذ بهذه الافكار او رفضها ، ان يعى المغزى الكامل لقراره . وما من شك فى ان كتاب جون ريد يساعد على توضيح هذه المسألة التى هى القضية الاساسية لحركة العمال العالمية .

١٩١٩

ن . لينين

مقدمة للطبعة الروسية

«عشرة ايام هزت العالـــم» — هذا هو العنوان الذى اتخذه جون ريد لكتابه الرائع . ان فيه تصويرا فائق الجلاء والقوة للايام الاولى من ثورة اكتوبر . ومـــا هو بمجرد سرد للوقائـــع ، ولا مجموعة من الوثائق ، انما هو جملة من المشاهد الحية بالغة من النموذجية درجـــة لا بد معهـــا لكل من المشتركين بالثورة ان يتذكر المشاهد المماثلة التى كان شاهدا لها . وهذه اللوحات جميعا ، المأخوذة من الحياة ، تصور احسن ما يمكن التصوير ، الحالة النفسية لدى الجماهير ، والتى على اساسها يصبح مفهوما بصورة خاصة كل عمل من اعمال الثورة العظمى .

وللوهلة الاولى يبدو من المستغرب كيف استطاع ان يكتب هذا الكتـــاب اجنبى ، اميركى غير عارف بلغة الشعب وبنمط حياته . . . وقد يخيل انه لا بد واقع فى كل خطوة باخطاء مضحكة ، ولا بد غافل عن كثير مما هو جوهرى .

فما هكذا يكتب الاجانب عن روسيا السوفييتية . فهم امـــا غير فاهمين اطلاقا للاحداث التى جرت واما متناولون وقائع منعزلة ، ليست دائما بنموذجية ، ومعممون لها .

وفى الحق ، لقد كان شهود العيان للثورة قليلين جدا .

وما كان جون ريد مراقبا عديم المبالاة ، انمـــا كان ثوريا متحمسا ، شيوعيا ، مدركا معنى الاحداث ، معنى النضال العظيم . وهذا الادراك قد اعطاه تلك النظرة الثاقبة التى مـــا كان يمكن بدونها تاليف مثل هذا الكتاب .

والروس ايضا يكتبون على غير هذا النحو عن ثورة اكتوبر : فهم اما يقدرونها تقديرا او يصفون الاحداث التى كانوا مشتركين فيهـــا . وكتاب ريد يعطى لوحة شاملة عن الثورة الجماهيرية الشعبية الحقة ، ولهذا فستكون له اهمية كبيرة خاصة للشبيبة ،

وللاجيال القادمـة ، لاولئك الذين ستكون ثورة اكتوبر بالنسبة لهم قد اصبحت من التاريخ . ان كتاب ريد هو من قبيل الملحمة .

لقـد ارتبط جون ريد كليـــا بالثورة الروسية . واصبحت روسيا السوفييتية عزيزة عليه وقريبة اليه . وقد توفى فيهـــا بالتيفوس ودفن عند سور الكرملين . وان من صور مآتم شهداء الثورة تصوير جون ريد لجدير بهذا الشرف .

ن . كروبسكايا

جون ريد

عشرة ايـــام هزت العالم

مقدمة

هذا الكتاب نبذة مكثفة من التاريخ ، التاريخ كما شاهدته . وهو لا يدعى باكثر من ان يكون تقريرا مسهبا عن ثورة نوفمبر * ، حين قام البلاشفة على رأس العمال والجنود بالاستيلاء على سلطة الدولة فى روسيا ووضعوها فى يد السوفييتات .

وطبيعى ان القسم الاكبر من الكتـــاب مكرس لـ«بتروغـراد الحمراء» ، عاصمة الثورة وقلبهـا . ولكن ليذكر القارئ ان كل ما جرى فى بتروغراد قد تكرر بحذافيره تقريبا فى اوقات مختلفة فى جميع انحاء روسيا بنسبة اقل او اكثر حدة .

وانى لاجد نفسى مضطرا فى هذا الكتاب ، الاول من مجموعة كتب اقوم بتأليفهـــا ، الى الاقتصار على تسجيل الاحداث التى شهدتها وعايشتها شخصيا او التى اكدها شهود موثوق بهـم ؛ والفصلان الاولان منه يصوران باقتضاب الظرف الذى جرت فيه ثورة نوفمبر واسبابها . وانى لادرك ان قراءة هذين الفصلين ليست سهلة ، ولكنهما جوهريان لفهم ما يلى ذلك .

وطبيعى ان ستتبادر للقارئ اسئلة كثيرة . ما هى البلشفية ؟ واى نوع من النظام السياسى اقام البلاشفـــة ؟ وما دام البلاشفة قد ناضلوا قبـــل ثورة نوفمبر فى سبيل الجمعية التأسيسيـة ، فلماذا فضوها فيمـا بعد بقوة السلاح ؟ وما دامت البرجوازيـة ، بعد ان بات الخطر البلشفى جليـــا ، قد وقفت ضد الجمعيــــة التأسيسية ، فلماذا اصبحت فيما بعد حاملة لوائها ؟

لا يمكن اعطاء الجواب هنا على هذه الاسئلة وكثير غيرهـا . فانا اتتبع سير الثورة ، حتى عقد الصلح مع المانيا ، فى الكتاب

---

* التواريخ كلها لدى جون ريد حسب التقويم الجديد . وفى هذه الطبعة يشار بين هلالين الى التواريخ حسب التقويم القديم . **المحرر** .

الآخر «من كورنيلوف حتى بريست-ليتوفسك» * . ففيه ابين منشأ وطابع نشاط المنظمات الثورية ، وتطور وتبدل الامزجة الشعبية ، وحل الجمعية التأسيسية ، وبنيان الدولة السوفييتية ، وسير مفاوضات بريست ونتائجها .

لا بد ، عند بحث شعبية البلاشفة المتعاظمة ، من ادراك ان اختلال الحياة الاقتصادية الروسية والجيش الروسى قد حدث لا فى ٧ نوفمبر (٢٥ اكتوبر) ١٩١٧ ، بل قبل ذلك بكثير من الاشهر ، بوصفه نتيجة حتمية منطقية لسير تطور بدأ منذ عام ١٩١٥ . فقد كان الرجعيون الفسقة المتحكمون بالبلاط القيصرى يسيرون بالامور قصدا نحو هزيمة روسيا ، بغية تمهيد التربة لصلح منفرد مع المانيا . وانا لنعلم الآن ان نقص السلاح فى الجبهة الذى ادى الى الانسحاب الكارثى الكبير فى صيف ١٩١٥ ، ونقص المؤن فى الجيش وفى المدن الكبرى ، والخراب فى الصناعة وفى النقليات سنة ١٩١٦ ، – نعلم الآن ان هذا كله انما كان جزءا من حملة تخريبية هائلة اوقفتها ثورة آذار ** فى اللحظة الحاسمة .

وفى الاشهر الاولى من النظام الجديد طرأ تحسن مؤكد سواء أعلى الوضع الداخلى فى البلد ام على قدرة جيشه القتالية ، برغم الاضطراب الذى لا مفر منه لدى حدوث ثورة عظمى اعطت فجأة الحرية لشعب من مئة وستين مليونا كان من اكثر الشعوب فى العالم موضعا للاضطهاد .

ولكن «شهر العسل» لم يدم طويلا . فقد كانت الطبقات المالكة تريد ثورة محض سياسية تنزع السلطة من القيصر وتضعها بين ايديها . كانت تريد اقامة جمهورية دستورية فى روسيا على غرار ما هو موجود فى فرنسا والولايات المتحدة ، او ملكية دستورية مثل انكلترا . اما الجماهير الشعبية فقد كانت راغبة فى ديموقراطية حقة عمالية وفلاحية .

---

* «From Kornilov to Brest-Litovsk» – **جون ريد** .
لم يصدر هذا الكتاب . فان جون ريد لم يتمكن من اكماله . **المحرر** .
** ثورة شباط (بالتقويم القديم) . **المحرر** .

ان وليام انكليش وولنغ * يعطى فى كتابه «رسالة روسيا» ، الذى يؤلف دراسة لثورة ١٩٠٥ ، وصفا رائعـا للحالة النفسية لدى العمال الروس الذين وقفوا فيما بعد وقفة تكاد تكون اجماعية الى جانب البلاشفة :

«لقد كانوا (اى العمـــال) يرون انـــه من الممكن ، حتى فى ظل اكثر الحكومات حرية ، ان يبقوا في حالة المجاعة التى يعانون منها اذا ما سيطرت على الحكم طبقات اخرى غير طبقتهم . . .

ان العامل الروسى ثورى ، ولكنه ليس عنيفـــا ، ولا عقائديا جامدا ، ولا يخلو من الذكـــاء . انه مستعد لمعارك المتاريس ، على انه قد درسها وهو الوحيد بين عمال العالم الذى الم باستخدامها وتعلم عنها من خلال تجربته الخاصة . انـه مستعد ويتحرق رغبة فى النضال حتى النهاية ضد الطبقة الرأسمالية التى تضطهده . ولكنه لا ينسى وجود الطبقات الاخرى . وهو لا يطلب منها الا ان تقف اما الى هذا الجانب واما الى ذاك فى النزاع الضارى المقبل .

انهم (العمال) يقرون جميعا بان مؤسساتنا السياسية (الاميركية) افضل من مؤسساتهم ، الا انهم لا يتعطشون اطلاقا لاحلال طاغية بآخر (اى بطبقة الرأسماليين) .

ان عمال روسيا استشهدوا بالمئات رميا بالرصاص واعدامـا فى موسكو وريغا واوديسا ، وتعرض الالوف منهم للاعتقال فى سجون روسيا وللنفى الى الصحارى والمناطق القطبية ، ليس فى سبيل الحصول على امتيـــازات عمال غولدفيلدس وكريبل كريك الوهمية . . .» .

ذلك هو السبب فى ان الثورة السياسية فى روسيا قد تحولت فى اوج الحرب الخارجيـــة الى ثورة اجتماعيـــة تكللت بانتصار البلشفية .

ان ا . ج . ساك ، مدير مكتب الانباء الروسى المعادى للحكومة السوفييتية فى الولايات المتحدة ، يقول مـا يلى فى كتابه «ولادة الديموقراطية الروسية» :

---

* وليام انكليش وولنغ (١٨٧٧-١٩٣٦) عالم اميركى للاقتصـــاد والاجتماع ، واضع عدة مؤلفات عن الحركة العمالية وعن الاشتراكية . والكتاب الذى يشير اليه جون ريد ، صدر فى الولايات المتحدة سنـــــة ١٩٠٨ . **المحرر** .

«لقد الف البلاشفة وزارة لهم برئاسة لينين ، يتولى فيها ليون تروتسكى وزارة الخارجية . وقد تجلت حتمية استلامهم السلطة عقب ثورة آذار (مارس) مباشرة تقريبا . ان تاريخ البلاشفة بعد الثورة هو تاريخ تناميهم المستمر» .

غالبا ما يشير الاجانب ، وبخاصة الاميركيون ، الى «جهالة» العمال الروس . لا شك انهم يفتقرون الى التجربة السياسية التى اكتسبتها الشعوب الغربية الا انهم مقابل ذلك قد اجتازوا مدرسة رائعة فى منظماتهم الطوعية . ففى ١٩١٧ كان عدد اعضاء جمعيات الاستهلاك (التعاونيات) الروسية يزيد على ١٢ مليون عضو ، وما السوفييتات نفسها الا دليل رائع على العبقرية التنظيمية لدى الجماهير الكادحة الروسية . وفضلا عن ذلك ، فلا يكاد يوجد فى العالم كله شعب بلغ ذلك المستوى من الثقافة الاشتراكية النظرية والم بتطبيقها العملى كالذى بلغه الشعب الروسى .

واليكم كيف يصف وليام انكليش وولنغ هؤلاء الناس :

«ان العمال الروس ، باكثريتهم ، يحسنون القراءة والكتابة . ومنذ سنوات كثيرة والبلاد فى وضع بالغ من القلق حدا كانوا معه يتمتعون ليس فقط بقيادة الناس المتطورين من اوساطهم الخاصة ، بل وكذلك بقيادة عناصر ثورية عديدة من فئات المجتمع المثقفة التى توجهت الى الطبقة العاملة حاملة معها مثلها العليا لبعث روسيا سياسيا واجتماعيا . . .» .

ان كثيرا من المؤلفين يعللون عداوتهم للنظام السوفييتى بان المرحلة الاخيرة من الثورة الروسية كانت مجرد صراع تخوضه عناصر المجتمع «الشريفة» ضد قساوة البلاشفة . اما الواقع فهو ان الطبقات المالكة بالذات ، اذ رأت قدرة المنظمات الشعبية الثورية تتعاظم ، قد قررت تدميرها وايقاف الثورة . وفى سبيل بلوغ هذا الهدف لجأت البرجوازية فى آخر المطاف الى تدابير يائسة . وبغية الاطاحة بحكومة كيرنسكى وبالسوفييتات شوشت عمل النقليات واثيرت الاضطرابات الداخلية ؛ وبغية القضاء على لجان المعامل والمصانع ، اغلقوا المؤسسات واخفوا الوقود والمواد الاولية ؛ وبقصد سحق لجان الجيش اعادوا عقوبة الاعدام ومهدوا للهزائم فى الجبهة .

وكان كل هذا غذاء رائعا للنار البلشفية . فقد اجاب البلاشفة بالدعوة الى الكفاح الطبقي واعلان سيادة السوفييتات .

وبين هذين الاتجاهين المتطرفين كانت توجد مجموعات مؤيدة لاحد منهما كليا او جزئيا ، وفى عدادها من يسمون بالاشتراكيين «المعتدلين» ، اى المناشفة ، والاشتراكيون-الثوريون وكذلك بضعة احزاب صغيرة . وكانت هذه الجماعات هى ايضا موضع الهجمات من جانب الطبقات المالكة ، ولكن قوة مقاومتها قد قوضتها نظرياتها نفسها .

وبصورة عامة ، كان المناشفة والاشتراكيون-الثوريون يعتقدون ان روسيا لم تكن ناضجة اقتصاديا للقيام بالثورة الاجتماعية وان الثورة **السياسية** وحدها هى التى يمكن تحقيقها . وكانوا يرون ان الجماهير الروسية لم تكن على قدر كاف من الثقافة الضرورية لاستلام الحكم ، وان كل محاولة من هذا النوع ستحتم قيام رجعية تتيح لمغامر صفيق اعادة النظام القديم . وهذا ما يفسر خوف الاشتراكيين «المعتدلين» من ممارسة السلطة بعد ان اضطروا لاستلامها .

فقد كانوا يعتقدون ان على روسيا ان تمر خلال تطورها السياسى والاقتصادى بنفس المراحل التى اجتازتها اوروبا الغربية ، وبعد هذا فقط تصل مع سائر العالم الى الاشتراكية المتطورة كامل التطور . وطبيعى انهم لهذا السبب كانوا متفقين مع الطبقات المالكة فى ان على روسيا قبل كل شىء ان تصبح دولة برلمانية ، وان يكن ذلك مع بعض التعديلات بالنسبة للديموقراطيات الغربية . ونتيجة لذلك كانوا يصرون على اشتراك الطبقات المالكة فى الحكومة .

ومن هنا لم تكن تفصلهم عن مساندتها غير خطوة واحدة . فقد كان الاشتراكيون «المعتدلون» فى حاجة للبرجوازية ، ولكن البرجوازية لم تكن فى حاجة للاشتراكيين «المعتدلين» . وهكذا فقد حدث ان اضطر الوزراء-الاشتراكيون شيئا فشيئا للتنازل عن مجمل برنامجهم ، بينما ازداد اكثر فاكثر ضغط الطبقات المالكة .

وفى آخر الامر ، حين احال البلاشفة الى هباء جميع الحلول الوسط الفارغة ، وقف المناشفة والاشتراكيون-الثوريون يشاركون فى الصراع الى جانب الطبقات المالكة . . . وفى الوقت الحاضر ،

يمكن رؤية الظاهرة نفسها فى اى بلد من بلدان العالم على وجه التقريب .

ليس البلاشفة ، على ما يبدو لى ، قوة هدامة ، بل هم الحزب الوحيد فى روسيا الذى لديه برنامج بنّاء ولديه السلطة الكافية لوضعه موضع التنفيذ . ولو لم يوفقوا فى هذه الآونة الى الاحتفاظ بالسلطة ، لما كان هناك ، فى رأيى ، ادنى شك فى ان قوات المانيا الامبراطورية كانت قد استطاعت احتلال بتروغراد وموسكو فى كانون الاول (ديسمبر) ولكانت روسيا قد وقعت من جديد تحت حكم قيصر ما .

ما تزال دارجة ، بعد عام كامل من وجود السلطة السوفييتية ، تسمية ثورة البلاشفة بـ«المغامرة» . اجل ، لقد كانت تلك مغامرة ، وانها بالاضافة الى هذا لاحدى اروع المغامرات التى سبق للانسانية ان اقدمت عليها ، مغامرة اقتحمت التاريخ اعصارا على رأس الجماهير الكادحة وراهنت بكل شىء فى سبيل تحقيق رغباتها الواسعة والبسيطة . فقد كان معدّا جهاز توزيع اراضى كبار الملاكين بين الفلاحين . وكانت قد الفت لجان المعامل والمصانع والاتحادات النقابية لتحقيق رقابة العمال على الانتاج . وفي كل قرية ، وكل مدينة ، وكل ناحية ، وكل مقاطعة ، كانت تقوم سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ، على اهبة لتولى الادارة المحلية .

ومهما يكن رأى بعض الناس بالبلشفية فلا جدال فى ان الثورة الروسية هى من اعظم الاحداث فى تاريخ البشرية ، اما استعلاء البلاشفة فظاهرة ذات اهمية عالمية . وكما ان المؤرخين يبحثون عن ادق التفاصيل عن كومونة باريس ، فهم كذلك سيودون معرفة كل ما جرى فى بتروغراد فى نوفمبر ١٩١٧ ، وما هى الروح التى غمرت الشعب فى ذلك الحين ، وكيف كان ينظر القادة ويقولون ويعملون . هذا بالضبط ما كنت افكر به عند تأليفى هذا الكتاب .

لم تكن عواطفى على الحياد اثناء الصراع . ولكننى حاولت ، وانا اصف تاريخ تلك الايام العظام ، ان انظر الى الاحداث بعين الراوية الامين المهتم بتسجيل الحقيقة .

ج . ر .

نيويورك
١ كانون الثانى (يناير) ١٩١٩

ملاحظات افتتاحية وتوضيحات *

ان تعدد المنظمات الروسية من جماعات سياسية ، ولجان ، ولجان مركزية ، ومجالس الدوما واتحادات سيولد كثيرا من الالتباس لدى القارئ العادى ولذا فانى مقدم هنا بضعة تعريفات وتوضيحات موجزة .

الاحزاب السياسية

كان فى انتخابات الجمعية التأسيسية فى بتروغراد تسع عشرة قائمة من قوائم المرشحين ، واما فى بعض مدن المقاطعات فقد بلغ هذا الرقم الاربعين ؛ ولكن هذا العرض المقتضب لاهداف وتركيب الاحزاب السياسية ، الوارد ادناه ، لا يتضمن غير الجماعات والتكتلات المذكورة فى هذا الكتاب . وليس يمكن هنا غير الاشارة الى اهم ما فى برامجها والى السمة العامة للفئات الاجتماعية التى كانت تمثلها .

١ – **الملكيون** على اختلاف نزعاتهم ، **والاكتوبريون** ، وهلم جرا . هذه التكتلات التى كانت فيما مضى قوية لم يعد لها وجود علنى ؛ فهى اما مارست العمل فى الخفاء ، واما ان اعضاءها قد انتسبوا الى حزب الكاديت اذ تبنى الكاديت شيئا فشيئا برنامجهم السياسى . ومن بين ممثلى هذه الجماعات يشار فى الكتاب الى رودزيانكو وشولغين .

* ان «الملاحظات الافتتاحية والتوضيحات» الموضوعة من قبل ج . ريد لها اهمية كبيرة ، برغم بعض ما فيها من عدم الدقة . وهى تبين كيف درس بعناية العلاقات السياسية التى تكونت فى روسيا فى العهد الذى سبق ثورة اكتوبر ، والامر الرئيسى هو انها تمكن من الحكم على استلطافات المؤلف واستنكاراته السياسية ، وعلى تقديراته الخاصة للاحزاب والمجموعات المتصارعة فيما بينها . **المحرر** .

٢ – **الكاديت** . يطلق عليهم هذا الاسم حسب الاحرف الاولى لحزب «الديموقراطيين الدستوريين» . والاسم الرسمى للحزب (بعد الثورة) هو «حزب حرية الشعب» . وفى ظل الحكم القيصرى كان هذا الحزب المؤلف من الليبيراليين ، ممثلى الطبقات المالكة ، اضخم الاحزاب التى تنادى بالاصلاحات السياسية ، وهو بسماته العامة مماثل للحزب التقدمى فى اميركا . وحين اندلعت الثورة فى آذار (مارس) ١٩١٧ ، شكل الكاديت الحكومة الموقتة الاولى . وفى نيسان (ابريل) اطيح بحكومة الكاديت ، لانها ايدت جهارا اهداف دول الحلفاء الامبريالية ، بما فى ذلك الاهداف الامبريالية للحكومة القيصرية . وبمقدار ما كانت الثورة تتخذ طابعا اجتماعيا متزايد الجلاء كان الكاديت يصبحون اكثر فاكثر محافظين . ومن بين ممثليهم يشار فى هذا الكتاب الى ميليوكوف وفينافير وشاتزكى .

٢ – أ – **«جماعة المتنفذين فى المجتمع»** . بعد ان خسر الكاديت شعبيتهم من جراء ارتباطهم بحركة كورنيلوف المعادية للثورة ، تشكلت فى موسكو «جماعة المتنفذين فى المجتمع» . وشغل ممثلو هذه الجماعة مناصب وزارية فى حكومة كيرنسكى الاخيرة . واعلنت الجماعة انها غير حزبية ، رغم ان زعماءها الروحيين كانوا اناسا من شاكلة رودزيانكو وشولغين . وقد انتسب اليها «احدث» رجال البنوك والتجار والصناعيين الذين كانوا على جانب كاف من الذكاء ، يجعلهم يدركون ضرورة محاربة السوفييتات بسلاحها الخاص اى بالتنظيم الاقتصادى . والممثلان النموذجيان لهذه الجماعة هما ليانوزوف وكونوفالوف .

٣ – **الاشتراكيون الشعبيون** او **الترودوفيك** . – حزب غير كبير عدديا ، مؤلف من مثقفين حذرين ، ورؤساء جمعيات تعاونية وفلاحين ذوى نزعة محافظة . وقد كان الترودوفيك يسمون انفسهم اشتراكيين ، وفى الواقع يدافعون عن مصالح البرجوازية الصغيرة – من موظفين وصغار تجار وهلم جرا . وقد كانوا ورثة مباشرين لـ«جماعة الشغيلة» فى دوما الدولة الرابع ، المؤلفة فى اكثريتها من ممثلى الفلاحين ، ومتابعين لتقاليد هذه الجماعة القائمة على المصالحة . وكان كيرنسكى زعيما للترودوفيك فى دوما الدولة ، حين انفجرت الثورة فى آذار (مارس) ١٩١٧ . وحزب

الاشتراكيين الشعبيين هو حزب قومي . ويمثله في الكتاب بيشيخونوف وتشايكوفسكي .

٤ - **حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الروسي .**

كان منذ تشكيله حزب الاشتراكيين الماركسيين . واثناء المؤتمر المنعقد سنة ١٩٠٣ انقسم الحزب ، بسبب الخلاف على المسائل التاكتيكية ، الى جناحين - الاكثرية والاقلية . وهكذا نشأت التسمية «**البلاشفة**» (انصار الاكثرية) و«**المناشفة**» (انصار الاقلية) . وتحول الجناحان الى حزبين متمايزين . وكان كل منهما يسمى نفسه حزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي ، ويعلن تمسكه بالماركسية . وبعد ثورة ١٩٠٥ ، كان البلاشفة فعليا اقلية ، واصبحوا اكثرية من جديد في ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ .

أ - **المناشفة** . يضم هذا الحزب الاشتراكيين من جميع الالوان ، يعتقدون ان المجتمع يجب ان يسير الى الاشتراكية عن طريق التطور الطبيعي وان الطبقة العاملة يجب في اول الامر ان تتوصل الى السلطة السياسية . وهو ايضا حزب قومي . وقد كان هذا حزب المثقفين الاشتراكيين ، ولما كانت جميع وسائل التعليم في يد الطبقات المالكة ، فقد كان طبيعيا ان المثقفين كانوا ينجذبون نحو نمط تفكيرها ويغدون الى جانب هذه الطبقات . ومن بين زعمائهم يشار في هذا الكتاب الى دان وليبر وتسيريتيلي .

ب - **المناشفة الامميون** . جناح راديكالي من المناشفة ، امميون ، معارضون لكل تحالف مع الطبقات المالكة ؛ وفي الوقت نفسه لم يكونوا راغبين في قطع الصلة مع المناشفة المحافظين ، وكانوا يناهضون ديكتاتورية الطبقة العاملة ، التي كان البلاشفة ينادون بها . وقد كان تروتسكي وقتا طويلا عضوا في هذه الفئة . ومن زعمائها مارتوف ومارتينوف .

ج - **البلاشفة** . ويطلقون على انفسهم الآن اسم **الحزب الشيوعي** ، تأكيدا لتخليهم التام عن تقاليد الاشتراكية «المعتدلة» او «البرلمانية» السائدة بين المناشفة ومن يسمون بـ«اشتركيي الاكثرية» في جميع البلدان . وكان البلاشفة ينادون بالانتفاضة البروليتارية الفورية وبالاستيلاء على سلطة الدولة للتعجيل بتحقيق الاشتراكية عن طريق التحويل القسري لملكية الصناعة والارض والثروات الطبيعية والمؤسسات المالية الى ملكية جماعية . وهذا

الحزب يعبر عن مطامح عمال الصناعة ، بصورة رئيسية ، وكذلك عن مطامح جـــزء كبير من الفلاحين الفقراء . وكلمة «**بلشفى**» لا ينبغى ترجمتها كـ«**ماكسيمالى**» . فالماكسيماليـــون جماعة خاصة (انظر الفقرة ٥–ب) .

د – **الاشتراكيـون-الديموقراطيـون الامميـــون المتحدون** او جماعة «الحياة الجديدة» ، على اسم الجريدة ذات النفوذ الواسع التى كانت لسان حالهم . وهم جماعة صغيرة من المثقفين كان لهم عدد صغير جدا من الانصار بين العمال ، فيما عدا الاتباع الشخصيين لمكسيم غوركى ، زعيم الجماعة . وهؤلاء مثقفون لهم برنامج يكاد يكون مطابقا لبرنامج المناشفة الامميين ، بفرق وحيد هو ان جماعة «الحيـــاة الجديدة» كانت ترفض الارتبـاط بأيـــة من الجناحين الاساسيين . وكان اعضاء الجماعة غير موافقين على تاكتيك البلاشفة ، الا انهم لم ينسحبـــوا من الاجهزة السوفييتيـة . وممثلا الجماعة الآخران اللذان يشار اليهما فى هذا الكتاب هما افيلوف وكراماروف .

هـ – «**الوحدة**» . جماعة لا اهمية لهـــا متضائلة باطراد كانت مؤلفة بصورة حصرية تقريبا من اتباع بليخانوف الشخصيين ، احد رواد الحركة الاشتراكية-الديموقراطية الروسية فى العقد التاسع من القرن التاسع عشر وكبير نظرييها . وقد كان بليخانوف ، اذ بات شيخا فى ذلك الحين ، اشتراكيا وطنيا متطرفا ومفرطا فى المحافظة اكثر من المناشفة انفسهم . وبعد الانقلاب البلشفى لم يعد لجماعة «الوحدة» وجود .

٥ – **حزب الاشتراكيين الثوريين** . يسمـــون بـ«ايسير» حسب الاحرف الاولى من اسم حزبهم . وقد كانوا فى بادئ الامر حزبـا فلاحيا ثوريا ، حزب «المنظمـــات الكفاحية» – الارهابيين . وبعد ثـــورة آذار (مارس) ضمت اليـــه عناصر كثيرة بعيـــدة عن الاشتراكية . وكان الاشتراكيون-الثوريون فى ذلك الوقت ينادون بالغاء الملكية الخاصة للارض فقط ، على ان ينال اصحابها تعويضا معينا . وفى آخر الامر ، حين كانت النزعة الثورية لدى الفلاحين قد تعاظمت ، اضطـــر الاشتراكيـــون-الثوريـــون للتخلى عن شرط «التعويض» فى برنامجهم . وفيما بعد انشق المثقفون الاكثر شبابا وحماســـا عن المجموعة الاساسية فى الحزب فى خريف ١٩١٧ ، والّفوا حزبا جديدا ، هو حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين .

واما الاشتراكيون-الثوريون الذين كانت الجماعات الراديكالية فيما بعد تسميهم دائما بـ«**الاشتراكيين-الثوريين اليمينيين**» فقد تبنوا موقف المناشفة السياسى وراحوا يعملون بالاشتراك معهم . وفى النتيجة ظهروا بوصفهم ممثلين عن الفلاحين الاغنياء والمثقفين والفئات المتخلفة سياسيا من سكان المناطق الريفية النائية . ومع ذلك فقد كانت بينهم جماعات ذات وجهات نظر متباينة فى المسائل السياسية والاقتصادية اكثر الى حد بعيد مما بين المناشفة . ومن بين زعمائهم المشار اليهم فى الكتاب افكسنتييف ، وغوتز ، وكيرنسكى ، وتشرنوف ، و«الجدة» بريشكوفسكايا .

أ – **الاشتراكيون-الثوريون اليساريون** . رغم تبنيهم نظريا لبرنامج البلاشفة حول ديكتاتورية الطبقة العاملة ، فقد كانوا فى اول الامر يتبعون بغير طيبة خاطر تاكتيك البلاشفة الحازم . بيد ان الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ظلوا فى الحكومة السوفييتية ، شاغلين مناصب وزارية ، وبخاصة منصب وزير الزراعة . وقد انسحبوا من الحكومة عدة مرات ، ولكنهم كانوا على الدوام يعودون اليها . وبمقدار ما كان الفلاحون يتركون صفوف الاشتراكيين-الثوريين (اليمينيين) باعداد متزايدة ، كانوا ينضمون الى حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين الذى تحول الى حزب فلاحى كبير مؤيد للسلطة السوفييتية . وكان هذا الحزب ينادى بمصادرة الممتلكات العقارية الكبيرة بدون تعويض ووضعها تحت تصرف الفلاحين انفسهم . ومن زعمائهم سبيريدونوفا ، وكاريلين ، وكامكوف ، وكوليغايف .

ب – **الماكسيماليون** . انفصلوا عن حزب الاشتراكيين-الثوريين اثناء ثورة ١٩٠٥ ، حين كانوا يمثلون حركة فلاحية جبارة ، مطالبة بان يطبق على الفور البرنامج الاشتراكى الاقصى . وهم الآن جماعة ليست ذات بال من الفلاحين الفوضويين .

الاصول البرلمانية

الاجتماعات والمؤتمرات منظمة فى روسيا على النسق الاوروبى اكثر مما هى منظمة على نسقنا (الاميركى) . فاول ما يقومون به عادة هو انتخاب الرئيس وامين السر وهيئة الرئاسة .

هيئة الرئاسة هى لجنة رئاسة مؤلفة مـــن ممثلى الجماعات والكتل السياسية ، الممثلة فى الاجتماع بنسبـة قوتها العددية . وتضع هيئة الرئاسة جدول الاعمال ، ويحق للرئيس تكليـف اعضائها لترؤس الاجتماع بصورة دورية .

وفى البداية يقدم تقرير عام حول كـل مسألة ، ثم تجرى المناقشة ، وبعد المناقشة تقدم مختلف الكتل مشاريع قراراتهـا ويجرى التصويت على كل مشروع على حدة . وبالامكان تجاوز جدول الاعمال وهذا ما يحدث عادة فى نصف الساعة الاول من الاجتماع . وبحجة طارئة وهى امر يوافق عليـه الحضور عادة ، يستطيع اى كان فى القاعة ان يقول ما يشاء فى اى موضوع يطرقه . والجمهور يسيطر على نظام الاجتماع ، والوظيفة الفعلية الوحيدة التى يمارسها الرئيس هى قرع الجرس للمحافظـة على النظام واعطاء الكلام لطالبه . ويكاد يجرى كل عمل الجلسة الفعلى فى الاجتماعات السرية لمختلف الجماعات والكتل السياسية التى تصوت دائما تقريبـا بشكل اجماعى وهى ممثلة من قبـل زعمائها . على انه يحدث فى النتيجة ، عند بحث كل مسألة جديدة وهامـة او عند التصويت ان يعلن وقف الجلسة لاتاحة الفرصـة لمختلف الجماعات والكتـل السياسية ان تعقد اجتماعا سريا .

والنظارة صاخبون الى درجة خارقة . فهم يشجعون الخطيـب بصيحات الاستحسان او يقاطعونه بالملاحظات الانتقادية ، معدلين خطط هيئة الرئاسة حسـب اهوائهم . والصيحات المألوفة : «نرجوكم !» ، «مضبوط !» ، «هذا صحيـح !» ، «يكفى !» ، «ليسقط !» ، «ياللعار !» ، «اسكت !» .

اهم المنظمات

١ — **السوفييت** . كلمة روسية قديمة وهى تطابق بالانكليزية كلمة «Council» (بالعربية : مجلس *) . ففـى ظل القيصرية ، مثلا ، كان يوجد سوفييت الدولة . بيـد ان كلمة «سوفييت» اصبحت منذ عهد الثورة مرتبطة بنوع معين من المجالس التمثيلية

* ملاحظة من قلم الترجمة .

المنتخبة من قبل الشغيلة الاعضاء فى المجموعات الانتاجية ، هى سوفييتات نواب العمال او الجنود او الفلاحين . ولذلك فانى لم استخدم كلمة «سوفييت» الا فيما يتعلق بهذه الاجهزة . والى جانب السوفييتات المحلية ، التى تنتخب فى كل مدينة وقرية – وفى المدن الكبيرة تنتخب ايضا سوفييتات للاحياء – توجد ايضا السوفييتات للمقاطعات او المحافظات ، واللجنة التنفيذية لسوفييتات عامة روسيا (تسمى اختصارا «**تسيك**» – انظر ادناه اللجان المركزية) ومقرها العاصمة . وفى كل مكان تقريبا اتحدت سوفييتات نواب العمال وسوفييتات نواب الجنود بكثير من السرعة ، بعد ثورة آذار (مارس) ببعض الوقت . اما فيما يتعلق بالمصالح الخاصة لكل من الفرق المذكورة فقد ظلت تجتمع على انفراد للبت فيها . ولم تتحد سوفييتات نواب الفلاحين مع سائر السوفييتات الا بعد انقلاب البلاشفة . وكانت سوفييتات نواب الفلاحين منظمة على غرار تنظيم سوفييتات العمال والجنود ، وكانت العاصمة مقر اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين لعامة روسيا .

٢ – **الاتحادات المهنية** (النقابات) . رغم ان الاتحادات المهنية فى روسيا كانت فى معظم الحالات صناعية من حيث الشكل ، فقد كانت مع ذلك تسمى اتحادات مهنية ، ولدى قيام الثورة البلشفية كانت تعد من ثلاثة الى اربعة ملايين عضو . كما كانت هذه الاتحادات منضمة الى منظمة لعامة روسيا ، هى عبارة عن النموذج الروسى للاتحاد النقابى العام ، وكانت العاصمة مقر لجنته التنفيذية المركزية .

٣ – **لجان المعامل والمصانع** . كانت هذه اللجان قد ألفها العمال بشكل عفوى فى المؤسسات بغية تحقيق الرقابة على الانتاج مستغلين فوضى الادارة بعد الثورة . وقد استولت هذه اللجان على المؤسسات بالطريق الثورية وشرعت تقوم بادارتها . وكذلك كانت للجان المعامل والمصانع منظمتها لعامة روسيا ولجنتها المركزية فى بتروغراد ، وكانت هذه اللجنة تتعاون مع النقابات .

٤ – **مجالس الدوما** . كلمة «**دوما**» تعنى تقريبيا «الهيئة الاستشارية» . ودوما الدولة القديم ، الذى كان يقوم بشكل ديموقراطى بعد الثورة بستة شهور ، قد انتهى نهاية طبيعية فى ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ . والدوما البلدى ، الذى يشار اليه فى

هذا الكتاب ، كان قد انشئ نتيجة لاعادة تنظيم المجلس البلدى ، او الادارة الذاتية كما كان يسمى غالبا . وكان الدوما البلدى قد انتخب بالاقتراع المباشر السرى ، ويعود السبب الوحيد لفشله فى جذب الجماهير الى جانبه خلال الثورة البلشفية الى ضعف نفوذ كل منظمة سياسية محضة ازاء تعاظم نفوذ المنظمات القائمة على اساس الانقسام الطبقى للمجتمع .

٥ ــ **الزيمستفوات** . هذه الكلمة يمكن ان تترجم تقريبيا الى عبارة «المجالس الريفية» . وقد كانت هذه فى ظل القيصرية منظمات شبه سياسية ، وشبه اجتماعية ، ذات صلاحيات ادارية محدودة وقد كانت تقام وتدار بصورة رئيسية من قبل مثقفين ذوى نزعات ليبيرالية ، منحدرين من طبقة الملاكين العقاريين . وكان التعليم العام وتقديم الخدمات الاجتماعية لاوساط الفلاحين ، اهم جانب من نشاط الزيمستفوات . واثناء الحرب اخذت الزيمستفوات على كاهلها كل مهمة تموين الجيش الروسى بالمواد الغذائية واللباس ، كما كانت تجرى المشتريات من الخارج وتقوم بعمل تثقيفى بين الجنود ، مشابه للعمل الذى كانت تقوم به جمعية الشبان المسيحية فى الجيش الاميركى . وبعد ثورة آذار (مارس) تم صبغ الزيمستفوات بالصبغة الديموقراطية بقصد تحويلها الى اجهزة للسلطة المحلية فى المناطق الريفية . الا انها ، شأنها فى ذلك شأن مجالس الدوما البلدية ، لم تكن فى حال تستطيع معها منافسة السوفييتات .

٦ ــ **التعاونيات** . كانت هذه جمعيات تعاونية استهلاكية للعمال والفلاحين ، وكانت تضم قبل الثورة ملايين الاعضاء في روسيا كلها . وكان قد اسس الحركة التعاونية الراديكاليون والاشتراكيون «المعتدلون» فلم تتمتع بتأييد الجماعات الاشتراكية الثورية ، على اعتبار ان هذه الطريق انما كانت تمثل بديلا عن انتقال وسائل الانتاج والتوزيع انتقالا كاملا الى ايدى العمال . وبعد ثورة آذار (مارس) اخذت التعاونيات تتوسع بسرعة ؛ وكان يهيمن عليها الاشتراكيون الشعبيون والمناشفة والاشتراكيون ـ الثوريون ، وكانت هذه التعاونيات الى ما قبل الثورة البلشفية تعمل كقوة محافظة بيد ان هذه التعاونيات هى بالذات التى قدمت الغذاء لروسيا بعد انهيار البنيان القديم للتجارة والنقليات .

٧ — **لجان الجيش** . كانت لجان الجيش قد اسسها الجنود فـــى الجبهة لمكافحة النفوذ الرجعى لضباط النظام القديم . وكانت لكل سرية وفوج ولواء وفرقة وفيلق لجانه ، تشرف عليها جميعها لجنة منتخبة للجيش (الفلانى) . وكانــــت لجنة الجيش المركزية (فى بتروغراد) تتعاون مع الاركان العامة . وكان تدهور القيادة فـــى الجيش ، نتيجة للثورة ، قد القى على كاهل لجان الجيش معظم عمل مصلحة التمويـــن ، حتى انها تولت قيادة القـــوات ، فى بعض الحالات .

٨ — **لجان الاسطول** . هى الهيئات المماثلة للجان الجيش فى الاسطول الحربى .

اللجان المركزية

خلال ربيع وصيف ١٩١٧ عقدت فـــى بتروغراد مؤتمرات على نطاق روسيا كلها لمختلف انواع المنظمات . فقد عقدت مؤتمرات سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحيـــن ، والنقابات ، ولجان المعامل والمصانع ، ولجان الجيش والاسطول (الى جانب مؤتمرات ممثلى مختلـــف الاسلحة فـــى الجيش والاسطول) والتعاونيات ، والقوميات ، الخ . . وانتخب كل مؤتمر من هذه المؤتمرات لجنته المركزية او لجنته التنفيذية المركزية لرعاية مصالحه الخاصة فى المركز . وبمقدار ما كانت الحكومة الموقتة تزداد ضعفا باطراد ، كانت هذه اللجان المركزية تضطر لأن تأخذ فى ايديها سلطـــة ادارية متزايدة باطراد .

واهم اللجان المركزية المنوه بها فى هذا الكتاب هى :

اتحاد الاتحادات . اثناء ثورة ١٩٠٥ قام البروفسور ميليوكوف وغيره من الليبيراليين بتنظيم اتحـادات للاختصاصيين ، من اطباء وحقوقيين وهلم جرا . واتحدت فى منظمة مركزية واحدة هى **اتحاد الاتحـــادات** . وفى عام ١٩٠٥ تعـــاون اتحـاد الاتحادات مـــع الديموقراطية الثورية ؛ الا ان اتحاد الاتحادات وقف فى عام ١٩١٧ ضد الثورة البلشفية وجمع الموظفين الحكوميين الذيـــن اعلنوا الاضراب وقاموا باعمال تخريب ضد اوامر السلطة السوفييتية .

تسيك . اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا لسوفييتات نواب العمال والجنود . والكلمة مركبة من الاحرف الاولى لهذا الاسم الكامل .

تسنتروفلوت . لجنة الاسطول المركزية .

فيكجل . اللجنة التنفيذية لعامة روسيا لعمال السكك الحديدية . والكلمة مركبة من الاحرف الاولى لهذا الاسم الكامل .

المنظمات الاخرى

الحرس الاحمر . يضم عمال المعامل والمصانع المسلحين فى روسيا . وكان الحرس الاحمر قد تشكل للمرة الاولى اثناء ثورة ١٩٠٥ ، وعاد الى الظهور من جديد فى ايام آذار (مارس) ١٩١٧ ، حين اقتضى الامر وجود قوة للمحافظة على النظام فى المدينة . وفى ذلك الحين كان رجال الحرس الاحمر مسلحين ، وباءت بالفشل جميع المحاولات التى قامت بها الحكومة الموقتة لتجريدهم من السلاح . وعند كل ازمة فى سير الثورة كانت فصائل الحرس الاحمر تظهر فى الشوارع ، غير مدربة ولا منظمة عسكريا ، الا انها ممتلئة بالحماسة الثورية .

الحرس الابيض . متطوعون برجوازيون ظهروا فى المراحل الاخيرة من الثورة للدفاع عن الملكية الخاصة ضد محاولات البلاشفة للقضاء عليها . وكان فى فصائل الحرس الابيض عدد كبير جدا من الطلاب .

التيكنتسيون . انهم يؤلفون ما يسمى بـ«الفرقة الوحشية» التى تضم رجال القبائل الاسلامية فى آسيا الوسطى ، الذين يدينون بالولاء الشخصى للجنرال كورنيلوف . وقد كان التيكنتسيون يتميزون بالطاعة العمياء وقسوتهم الوحشية فى الاعمال الحربية .

«كتائب الموت» او «كتائب الصدام» . لقد اشتهرت «كتيبة الموت» النسائية ، ولكن كانت ثمة «كتائب موت» كثيرة مؤلفة من الرجال . وكان كيرنسكى قد شكل هذه الكتائب فى صيف ١٩١٧ لكى تساعد بمثالها «البطولى» على تعزيز الانضباط ورفع مستوى الروح القتالية فى الجيش . وكانت «كتائب الموت» مؤلفة بصورة

رئيسية من الشباب ذوى النزعــــة القومية ، ومعظمهم من ابناء العائلات الغنية .

اتحاد الضباط . منظمة انشئت فى صفوف الضباط الرجعيين لمكافحة النفوذ المتعاظم للجان الجيش .

الحائزون على صليب القديس جورجيوس . كان صليب القديس جورجيوس * يمنح للمبرزين فى القتال . وكان الحائز على الصليب يغدو اوتوماتيكيا «فارسا للقديس جورجيوس» . وكـــان لانصار الروح العسكرية نفوذ فى منظمة فرسان القديس جورجيوس .

اتحاد الفلاحين . كان اتحاد الفلاحين فى عام ١٩٠٥ منظمـــة ثورية للفلاحين . ولكنه بات فى عام ١٩١٧ يعبر عن المصالـــح السياسية للفلاحين الميسورين وكان يكافح ضد نفـوذ سوفييتات نواب الفلاحين المتعاظم وضد اهدافها الثورية .

التواريخ والكتابة

اعتمدت فى هذا الكتاب على تقويمنا «الغربى» بدلا من التقويم الروسى القديم ، المتأخر ثلاثة عشر يوما .

ولم احاول ، فى كتابة الاسماء والكلمات الروسية ، ان انهـج اى نهج علمى ، بل حاولت التمسك بالكتابـــة التى تمكن القارئ بالانكليزية من ان يتمثل لفظها باكثر ما يكون من البساطة ومـــن الدقة .

المصادر

كانت ملاحظاتى الخاصة المادة الاساسية لهذا الكتاب . بيـــد انى ، بالاضافة الى هذا ، اعتمدت على المئات من مختلف الصحـــف الروسية التى جمعتها خصيصا والتى تنعكس فيها احداث كـل يوم تقريبا من ايام الفترة الزمنية التـــــى اصورها ، ومجموعات من

---

* صليب القديس جورجيوس ، وسام تاسس فى عام ١٧٦٩ . كان يمنح للجنرالات والضباط لقاء المآثر القتالية . **المحرر** .

الجريدة الانكليزية «راشن ديلى نيوز» («الاخبار الروسية اليومية») ومن الصحيفتين الفرنسيتين «جورنال دو روسى» («الجريدة الروسية») و«انتانت» («الوفاق») – (وقد كانت هذه الجرائد تصدر فى بتروغراد) . وقد افادتنى اكثر من اى مصدر آخر نشرة «بولتان دو لا بريس» («النشرة الصحافية») التى كان يصدرها يوميا مكتب الانباء الفرنسى فى بتروغراد . فقد كانت تحتوى على انباء عن جميع الاحداث ذات الاهمية القصوى ، وعلى الخطب وتعليقات الصحافة الروسية . وفى حوزتى مجموعة تكاد تكون كاملة من هذه الجريدة منذ ربيع ١٩١٧ حتى نهاية كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ .

وقد جمعت ، بالاضافة الى ذلك ، جميع النداءات والمراسيم والبيانات تقريبا ، التى كانت تلصق فى شوارع بتروغراد منذ اواسط ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ حتى نهاية كانون الثانى (يناير) ١٩١٨ ، وكذلك المطبوعات الرسمية لجميع المراسيم والاوامر الحكومية والنشرة الحكومية الرسمية للمعاهدات السرية وغيرها من الوثائق التى اكتشفت فى وزارة الخارجية حين انتقلت الى ايدى البلاشفة .



الفصل الاول

الاوضاع العامة

فى اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ جاء الىّ فى بتروغراد استاذ اجنبى فى علم الاجتماع كان موجودا فى روسيا . وكان قد سمع فى اوساط رجال الاعمال والمثقفين ان الثورة باتت فى انحسار . وكتب الاستاذ مقالا عن الموضوع وراح يجوب ارجاء البلاد ، فزار المدن الصناعية والقرى حيث ادهشه ان يلاحظ بان الثورة فى تقدم مطرد واضح الجلاء . وعلى الدوام كانت تسمع من العمال والفلاحين احاديث عن مطلب واحد عينه : «الارض للفلاحين ، والمعامل للعمال» . ولو ان الاستاذ كان قد زار الجبهة لسمع الجيش بأسره يتحدث عن السلام .

ولقد كان الاستاذ فى حيرة من الامر مع انه لا مبرر لها : فالملاحظتان كلتاهما كانتا صحيحتين كل الصحة . ذلك ان الطبقات المالكة كانت تزداد محافظة باطراد ، اما الجماهير فكانت تزداد راديكالية باطراد . ومن وجهة نظر اوساط رجال الاعمال والمثقفين الروس ، كانت الثورة قد تعدت حدودها وطال امدها اكثر مما كان مقدرا لها . وان الوقت قد حان لعودة النظام . وكانت تشاطرهم فى هذا الشعور الفئات الرئيسية من الاشتراكيين «المعتدلين» اى المناشفة-الدفاعيون [١]* والاشتراكيون-الثوريون ، الذين كانوا يدعمون حكومة كيرنسكى الموقتة .

وفى ٢٧ (١٤) تشرين الاول (اكتوبر) كتبت الصحيفة الناطقة باسم الاشتراكيين «المعتدلين» ** :

---

* الاشارات المرقمة فى نص الكتاب تحيل القارئ الى الملحق الموضوع من قبل جون ريد . وقد وضع المؤلف لكل فصل من الكتاب نظاما مستقلا من الترقيم . **المحرر** .

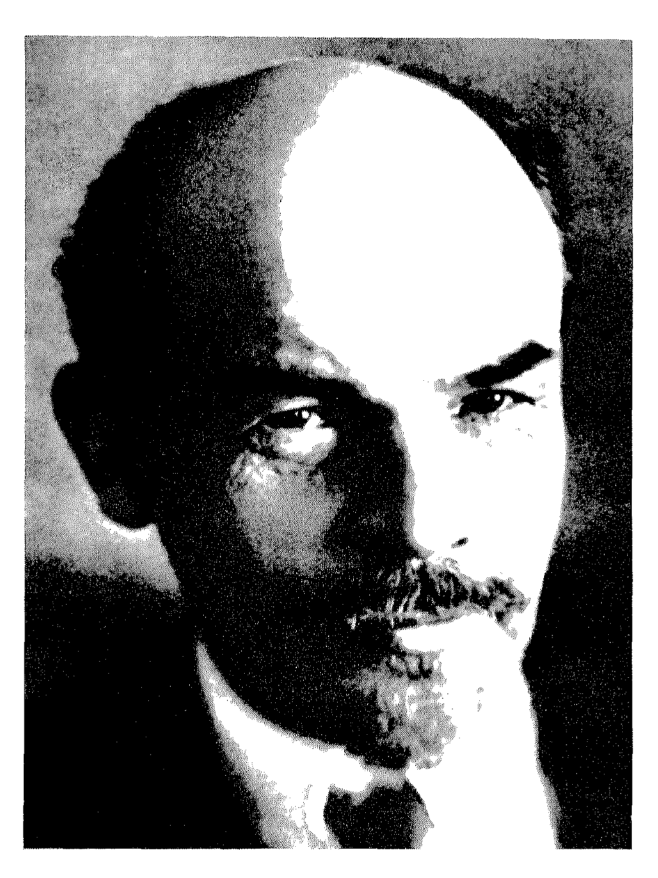
** يقصد جون ريد جريدة «اخبار التسيك» التى كانت اذ ذاك فى قبضة المناشفة والاشتراكيين-الثوريين . **المحرر** .

«. . . ان الثورة تتألف من فصلين : هدم النظام القديم واقامة نظام للحياة جديد . وقد طال الفصل الاول كثيرا الى ما فيه الكفاية . وحان وقت الشروع فى الثانى ، وينبغى القيام به باسرع ما يمكن ، فان ثوريا عظيما كان يقول : «لنعجل ، ايها الاصدقاء ، فى انهاء الثورة : فمن يفرط باطالة الثورة لا يقطف ثمارها . . .»» .

بيد ان جماهير العمال والجنود والفلاحين كانت على يقين راسخ من ان الفصل الاول ما يزال بعيدا عن ان يكون قد انتهى . وعلى الجبهة كانت لجان الجيش تصطدم على الدوام بالضباط الذين لم يكن فى وسعهم قط ان يألفوا معاملة الجنود ككائنات بشرية ؛ وفى المؤخرة كانت اللجان الزراعية التى انتخبها الفلاحون تتعرض للاعتقال بسبب محاولتها تنفيذ قرار الحكومة بشأن الارض ؛ وفى المعامل كان على العمال [2] ان يناضلوا ضد القوائم السود وضد اغلاق المعامل . يضاف الى هذا ان اللاجئين السياسيين العائدين لم يسمح لهم بدخول البلاد باعتبارهم مواطنين «غير مرغوب فيهم» . بل لقد حدث ان اناسا عادوا من الخارج الى قراهم فاوقفوا وسجنوا عقابا لهم على اعمال ثورية كانوا قد قاموا بها سنة ١٩٠٥ .

وقد كان لدى الاشتراكيين «المعتدلين» جواب واحد ازاء الاستياء الشعبى المتعدد الجوانب والصور : «انتظروا الجمعية التأسيسية التى ستنعقد فى كانون الاول (ديسمبر)» . ولكن هذا لم يكن يبعث الارتياح فى نفوس الجماهير . فالجمعية التأسيسية شىء حسن ، طبعا . ولكن كان ثمة امر معين فى سبيله جرت الثورة الروسية ، وفى سبيله رقد شهداء الثورة فى قبر اخوتهم المطلقة في ساحة مارس * ، وانه يجب ان يتحقق ، مهما يكن الامر بصرف النظر عما اذا كانت الجمعية التأسيسية ستدعى للانعقاد ام لا ، الا وهو : السلام ، والارض للفلاحين ، ورقابة العمال على الانتاج . كانت دعوة الجمعية التأسيسية قد تأجلت وتأجلت

* ساحة مارس هى احدى ساحات بتروغراد (لينينغراد حاليا) حيث دفن فى ٥ نيسان (ابريل) (٢٣ آذار - مارس) المناضلون الذين استشهدوا فى الكفاح ضد السلطة الاستبدادية ايام ثورة شباط (فبراير) الديموقراطية البرجوازية . **المحرر** .



لينين ـ عام ١٩١٧

باستمرار ، ولعلها سوف تتأجل الى ان يهدأ الشعب الى حد قـد يخفّف معه من مطالبه ! ومهما يكن الامر فالثورة مستمرة منذ ثمانية شهور واما النتائج فليست تبدو للعيان . . .

وفى تلك الاثناء كان الجنود قـد اخذوا هم انفسهم يحلون مسألة السلام بالفرار من الجيش ؛ وراح الفلاحـون يحرقون بيوت الاسياد ويستولون على العقارات الضخمة ؛ والعمـال يشقون عصا الطاعة ويضربون عن العمل . . . وطبيعى تمامـا ان ارباب العمل وكبار الملاكين العقاريين والضباط كانوا يبذلون كل الجهود فـى سبيل الحيلولة دون اى تنازل للجماهير على اساس ديموقراطى .

وكانت سياسة الحكومة الموقتة تتأرجح بيـن الاصلاحات الصغيرة والتدابير القمعية القاسيـة . فبأمر من وزير العمـل الاشتراكى حظر على لجان العمال الاجتماع اثناء العمل . وفـى الجبهة كان يجرى اعتقال «آلمحرضين» من ممثلى الاحزاب السياسية المعارضة ، وكانت الصحف الراديكالية تغلق واصبحت عقوبـة الاعدام تطبق ضد دعاة الثـورة . وجرت محاولات لنزع سلاح الحرس الاحمر . وارسل القوزاق الى الارياف للمحافظة على النظام .

وقد كانت هـذه التدابير تلقى المساندة والتأييد مـن الاشتراكيين «المعتدلين» وزعمائهم – الوزراء الذين كانوا يعتقدون بضرورة التعاون مع الطبقات المالكة . فكانت الجماهير تنفضّ عنهم وتنتقل الى جانب البلاشفة الذين كانوا يناضلون بصلابة فى سبيل السلام وفى سبيل تسليم الارض للفلاحين واقامة رقابة العمال على الانتاج ، وفى سبيل تأليف حكومة عمـال . وفى ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ احتدمت الازمة . فبرغم ارادة الاكثرية الساحقة من الاهلين ألف كيرنسكى والاشتراكيون المعتدلون حكومـة ائتلافية اشترك فيها ممثلو الطبقات المالكـة . ونتيجة لذلك خسر المناشفـة والاشتراكيون-الثوريون ثقة الشعب الى الابد .

فحوالى منتصف تشرين الاول – اكتوبـر – (نهاية ايلول – سبتمبر) نشرت جريدة «رابوتشى بوت» (« طريـق العمال») مقالا تحت عنوان «الوزراء-الاشتراكيون» ، كان تعبيرا لاذعا عن موقـف الجماهير الشعبية من الاشتراكيين «المعتدلين» [٣] .

«هاكم قائمة خدماتهم :

تشيريتيلى – جرد العمال مـن سلاحهم ، و«قلّم اظفار» الجنود

الثوريين وذلك بالتعاون مع الجنرال بولوفتسيف واقر عقوبة الاعدام للجنود .

سكوبيليف – بدأ بيان وعد بانتزاع ١٠٠٪ من ارباح الرأسماليين ، ولكنه انتهى . . . بمحاولة حل لجان العمال فى المعامل والمصانع .

افكسنتييف – سجن عدة مئات من الفلاحين الاعضاء فى اللجان الزراعية ، واغلق عدة جرائد للعمال والجنود .

تشيرنوف – وقع البيان القيصرى القاضى بحل الدييت الفنلندى .

سافينكوف – عمل بالتحالف المباشر مع الجنرال كورنيلوف واذا كان لم يسلم بتروغراد لـ«منقذ» الوطن هذا ، فما ذلك الا لظروف لا علاقة له بها .

زارودنى – اقدم بالاشتراك مع أليكسنسكى وكيرنسكى على سجن الالوف من العمال والبحارة والجنود الثوريين ، وساعد على تلفيق «دعوى» ضد البلاشفة مهينة للقضاء الروسى بقدر ما كانت دعوى بيليس * .

نيكيتين – قام بدور دركى مبتذل ضد عمال السكك الحديدية .

كيرنسكى – ولكن من الخير عدم الكلام عنه . فان قائمة خدماته مفرطة فى الطول . . .» .

وقد عقد فى هلسنكى مؤتمر لمندوبى اسطول البلطيق واقر توصية وهذا مطلعها :

«. . . نطالب من لجان السوفييتات لعامة روسيا للنواب العمال والجنود والفلاحين ومن اللجنة المركزية للاسطول بان يطرد على الفور من صفوف الحكومة الموقتة الاشتراكى بين هلالين وبدون هلالين ، المغامر السياسى كيرنسكى ، بوصفه شخصا يمتهن كرامة الثورة العظمى ، ويخربها ومعها الشعب الثورى كله ، بما يقوم به

* دعوى بيليس – دعوى قضائية دبرتها الحكومة القيصرية سنة ١٩١٣ ضد اليهودى بيليس الذى اتهم زورا بقتل صبى مسيحى بقصد دينى مزعوم . وقد ألف المثقفون الروس الطليعيون برئاسة الكاتبين كورولنكو وغوركى لجنة لمكافحة سياسة القيصرية المعادية للسامية ونظموا الدفاع عن بيليس امام القضاء . وحكم ببراءة بيليس . **المحرر** .

من اعمال دجل سياسى صفيق لصالح البرجوازية . . .» .

وكانت النتيجة المباشرة لهذه الاحداث كلها نهوض شعبية البلاشفة . . .

ومنذ ذلك الوقت الذى تدفقت فيه السيول الهادرة من العمال والجنود فى آذار (مارس) ١٩١٧ على قصر تافريتشيسكى ، وارغمت مجلس دوما الدولة المتردد على تولى زمام السلطة العليا فى روسيا ، كانت الجماهير الشعبية — عمالا وجنودا وفلاحين ، هى بالذات التى تحدد كل انعطاف فى مسرى الثورة . فقد اطاحوا بوزارة ميليوكوف ؛ وسوفييتهم هو الذى اعلن على العالم اجمع شروط الصلح الروسية — «لا الحاقات ، ولا غرامات ، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها» . وفى تموز (يوليو) كانوا هم بالذات ، جماهير البروليتاريا غير المنظمة والثائرة عفويا ، الذين تدفقوا من جديد على قصر تافريتشيسكى للمطالبة بانتقال السلطة فى روسيا الى السوفييتات .

وكان البلاشفة ، وهم ما يزالون اذ ذاك طائفة * سياسية صغيرة ، على رأس الحركة . وعلى اثر الاخفاق الكارثى الذى منيت به هذه الانتفاضة نقم عليهم الرأى العام ، وتراجعت الجماهير التى كانت تسير وراءهم بعد ان فقدت زعماءها مرتدة الى حى فيبورغسكى — ضاحية سانت انطوان فى بتروغراد ** . واذ ذاك جرت المطاردة الوحشية للبلاشفة : فقد القى فى السجون بالمئات منهم ، وفى عدادهم تروتسكى ***

* يستخدم جون ريد هنا كلمة «طائفة» ، رغبة منه فى التنويه بان حزب البلاشفة الذى خرج لتوه من العمل السرى ، بعد ثورة آذار (مارس) ١٩١٧ الديموقراطية-البرجوازية مباشرة ، كان آنذاك قليل العدد نسبيا . **المحرر** .

** **«ضاحية سانت انطوان»** — اسم لاحدى ضواحى باريس التى تميز سكانها الشغيلة بالروح الكفاحية الخاصة اثناء العصيان الثورى فى فرنسا فى اواخر القرن الثامن عشر وفى القرن التاسع عشر . وجون ريد يقارن بها حى فيبورغسكى العمالى الشهير فى بتروغراد . **المحرر** .

*** **تروتسكى** (برونشتاين) ل . د . عضو حزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى الروسى منذ عام ١٨٩٧ ، من المناشفة . وفى صيف ١٩١٧ انتسب الى حزب البلاشفة . الا ان تروتسكى لم ينتقل الى مواقع البلشفية وخاض نضالا خفيا وجليا ضد اللينينية ، ضد سياسة الحزب ، الامر الذى ادى الى طرده من الحزب فى عام ١٩٢٧ . **المحرر** .

وكولونتاى * وكامينيف ؛ واضطـر لينين وزينوفييف * * للاختفاء تفاديا للاعتقال ؛ وكانت الجرائـــــد البلشفية تلاحق وتغلق . وراح الاستفزازيون والرجعيون ينبحون نباحا مسعورا متهميـــن البلاشفة بانهم عمـــــلاء للالمان ، ووجد فى العالم اجمـع اناس يصدقون هذا .

بيد ان الحكومة الموقتة وجدت نفسها عاجزة عن اثبـــات اتهاماتها ؛ واكتشف ان الوثائق التى تثبت وجود مؤامرة مواليـــة لالمانيا ، كانت مزورة * * * ؛ واطلق سراح البلاشفة مـن السجن الواحد بعد الآخر بدون محاكمة ، بكفالة وهمية او بدون كفالة ، باستثناء ستة منهم . وكان عجز وتردد الحكومة الموقتة ، التى كانت موضع تعديلات مستمرة ، جليين كل الجلاء فى نظر الجميع . ومن جديد نادى البلاشفة بالشعار العزيز جدا على الجماهير «كل السلطة للسوفييتات !» ، وما كانوا قط ينطلقون فى هذا من مصالحهم الحزبية الضيقة ، ففى ذلك الحين كانت الاكثريـــة فى السوفييتات للاشتراكيين «المعتدلين» ، اعدائهم الالداء .

---

* **كولونتاى ، الكسندرا ميخائيلوفنا** (١٨٧٢-١٩٥٢) - عضوة فى الحزب منذ عام ١٩١٥ . وبعد ثورة اكتوبر كانت مفوضة الشعب (وزيرة) للاسعاف العام . وفى عام ١٩٢٠ كانت على رأس قسم الشؤون النسائية فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) . وفى عامـــى ١٩٢١-١٩٢٢ كانت سكرتيرة للامانة النسائية الدولية لدى الكومنترن . ومنذ عام ١٩٢٣ كانت تقوم بعمل ديبلوماسى مسؤول . **المحرر** .

* * **زينوفييف غ . ا .** (رادوميسلسكى) انحرف مرارا عن البلشفيـــة وتخلى فى آخر الامر عن الماركسية-اللينينية . وفى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ارتكب بالاشتراك مع كامينيف خيانة ، اذ ناهضا قرار اللجنـــــة المركزية بشأن الثورة فى جريدة «نوفايا جيزن» («الحياة الجديـــدة») المنشفية ؛ وهكذا كشفا للعدو عن خطة الثورة . وفى رسالـــة الى اعضاء حزب البلاشفة دمغ لينين تصرف زينوفييف وكامينيف هذا بانه عمل كاسرى الاضراب وطالب بطردهما من الحزب . وبعد انتصار ثورة اكتوبر كان زينوفييف يؤيد تشكيل حكومة ائتلافية مع ممثلى المناشفة والاشتراكيين-الثوريين و«الاشتراكيين الشعبيين» . وفى آخر المطاف ، طرد من الحزب لعدم كفه عن النشاط التكتلى المعادى للحزب . **المحرر** .

* * * قسم من «وثائق سيسون» الذائعة الصيت . **ج . ريد** .

سيسون هو صحافى اميركى رجعى ، اصدر فـــى الولايات المتحدة مجموعة من الوثائق المزورة للنيل من سمعة القادة البلاشفة . **المحرر** .

والامر الاشد اثرا من ذلك انهم اخذوا رغبات العمال والجنود والفلاحين البسيطة وغير المصوغة وبنوا عليها برنامج اعمالهم القريبة . وهكذا ففي الوقت الذى كان فيه المناشفة-الدفاعيون والاشتراكيون-الثوريون يتخبطون بالاتفاقات مع البرجوازية ، كان البلاشفة يسيطرون سريعا على الجماهير . وفى تموز (يوليو) كانوا موضع المطاردة والاحتقار ؛ وفى ايلول (سبتمبر) هب الى جانبهم عمال العاصمة وبحارة اسطول البلطيق والجنود بكليتهم تقريبا . وكانت للانتخابات البلدية التى جرت فى ايلول * فى المدن الكبيرة [4] دلالة عميقة : فقد بلغت نسبة نجاح المناشفة والاشتراكيين-الثوريين فيها ١٨٪ مقابل ٧٠٪ فى انتخابات حزيران (يونيو) . . .

فى ذلك الحين كان المراقب الاجنبى فى حيرة فهو امام ظاهرة غير قابلة للتفسير : ذلك ان اللجنة التنفيذية المركزية للسوفييتات ، واللجنتين المركزيتين للجيش والاسطول ** ، واللجان المركزية لعدة اتحادات نقابية – وبخاصة شغيلة البريد والبرق والسكك الحديدية – كانت تقف موقفا عدائيا متطرفا من البلاشفة . وكانت جميع هذه اللجان المركزية قد انتخبت منذ اواسط الصيف بل وقبل ذلك ، حين كان للمناشفة وللاشتراكيين-الثوريين عدد ضخم من الانصار ، اما الآن فكانوا يعملون بكل قواهم على ارجاء ونسف اية انتخابات جديدة . فبناء على النظام الداخلى لسوفييتات نواب العمال والجنود ، كان ينبغى ان ينعقد مؤتمر عامة روسيا فى ايلول (سبتمبر) ولكن التسيك لم تشأ ان تدعوه على اساس انه لم يكن قد بقى لافتتاح الجمعية التأسيسية غير شهرين وانه كان على السوفييتات حتى ذلك الحين ، كما ألمحت ، ان تتنازل عموما عن صلاحياتها . وفى هذه الاثناء كان البلاشفة يستولون فى البلاد كلها على السوفييتات المحلية الواحد اثر الآخر وفروع الاتحادات النقابية ويعززون نفوذهم فى صفوف الجنود والبحارة . وكانت سوفييتات الفلاحين ما تزال محافظة وذلك لأن الوعى السياسى فى الريف الجاهل كان يتطور ببطء ، بينما

* آب (حسب التقويم القديم) . وقد جرت الانتخابات فى بتروغراد فى ٢٠ آب (اغسطس) . **المحرر** .

** راجع «ملاحظات افتتاحية وتوضيحات» . ج . ريد .

ظل حزب الاشتراكيين-الثوريين يقوم بالتحريض بين الفلاحين طوال جيل كامل . . . ولكن حتى فى الوسط الفلاحى كانت قـــد بدأت تتكون نواة ثورية . وبات هذا جليـــا فى تشرين الاول (اكتوبر) حين انفصل الجناح اليسارى من الاشتراكيين-الثوريين والف جماعة سياسية جديدة ، هى حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين .

وفى الوقت نفسه اخذت تظهر فى كل مكان اشـــارات تؤكد انتعاش القوى الرجعية[٥] . ففى مسرح ترويتسكى فى بتروغراد ، مثلا ، قامت جماعة من الملكيين بوقف تمثيل هزلية «جريمـــــة القيصر» ، مهددة بالاقتصاص من الممثلين على «اهانة الامبراطور» . واخذت بعض الجرائد تتلهف على «نابليون الروسى» . واصبح مألوفا فى وسط المثقفين البرجوازيين تسمية سوفييت نواب العمـــال بـ «سوفييت نواب الكلاب» .

وفى ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) اجريت حديثا مع الرأسمالى الروسى الكبير ستيفـــــان غيورغييفيتش ليانوزوف ، «روكفلر الروسى» ، وهو من الكاديت من حيث العقيدة السياسيـــة . وقد قال لى :

«الثورة – مرض . وعاجلا او آجلا سيكون على الدول الاجنبية ان تتدخل فى شؤوننا ، وذلك بالضبط مثلما يتدخل الاطباء لمعالجة طفل مريض وجعله يقوم على قدميـــه . اكيد ان من شأن هذا ان يكون غير مناسب بعض الشيء ، ولكن على الامم كافة ان تعى درجة خطر البلشفية بالنسبة لبلدانها ، المتمثل بافكار ساريـــة مثل «ديكتاتورية البروليتاريا» و«الثورة الاجتماعية العالمية» . . . على ان مثل هذا التدخل ربما لن يكون ضروريا . فالنقليات قد شلت ، والمعامل تغلق ، والالمان يهاجمون . ولعل المجاعة والهزيمـــة ستوقظان لدى الشعب الروسى التفكير السليم . . .»

وباصرار كان السيد ليانوزوف يؤكد ان التجار والصناعيين لا يمكن باية حال ان يسمحوا بوجود لجان المعامل والمصانع او يوافقوا على مساهمة للعمال فى ادارة الانتاج .

«اما البلاشفة فلا بد من القضاء عليهم باحدى طريقتين . فى وسع الحكومة ان تجلى عن بتروغراد معلنة اذ ذاك حالة الحصـــار فيقضى قائد الدائرة العسكرية على هؤلاء السادة بمعزل عن شكليات

قانونية . . . **واما ان تبدى الجمعية التأسيسية ، مثلا ، اية ميول طوباوية ، فيكون فى الوسع تفريقها بقوة السلاح . . .»** .

وحل الشتاء ، شتاء روسيا الرهيب . وكنت اسمع فى الاوساط التجارية والصناعية مثل هذه الاحاديث : «لقد كان الشتاء دائما خير صديق لروسيا ؛ ولعله هو الذى سيخلصنا الآن من الثورة» . وعلى الجبهة المتجلدة كانت الجيوش البائسة تجوع وتموت ، وقد فقدت كل حماسة . وكانت السكك الحديدية معطلة ، والمواد الغذائية فى تناقص مطرد ، والمعامل مغلقة . وكانت الجماهير اليائسة تصرخ عاليا بان البرجوازية تتآمر على حياة الشعب وتمهد للهزيمة على الجبهة . وكانت مدينة ريغا قد سلّمت ، وذلك مباشرة بعد ان اعلن الجنرال كورنيلوف جهارا : «اليس يجدر بنا ان نضحى بريغا من اجل اعادة البلاد الى الشعور بواجبها ؟» .

قد لا يصدق الاميركيون ان يصل الصراع الطبقى الى هذا الحد . ولكنى التقيت شخصيا بضباط على الجبهة الشمالية كانوا بصراحة يفضلون الهزيمة العسكرية على التعاون مع لجان الجنود . وقد قال لى سكرتير فرع حزب الكاديت فى بتروغراد ان الخراب الاقتصادى هو جزء من حملة جارية من اجل النيل من سمعة الثورة . واكد لى هذا الامر ، بناء على معلومات خاصة ، ديبلوماسى من الحلفاء وعدته بعدم ذكر اسمه . وانا اعرف ان بضعة مناجم للفحم ، بالقرب من خاركوف ، قد احرقها اصحابها او اغرقوها بالماء ، وان المهندسين فى معامل النسيج بموسكو قد عمدوا الى تعطيل الآلات قبل ان يتركوا العمل ، وان موظفى السكك الحديدية قد فاجأهم العمال فى حالة الجرم المشهود ، وهم يعطلون القاطرات . . .

وكان قسم كبير من الطبقات المالكة يفضل الالمان على الثورة – وحتى على الحكومة الموقتة – ولم يكن يحجم عن قول هذا . وفى الاسرة الروسية ، التى كنت اسكن لديها ، كان الحديث على المائدة يدور باستمرار تقريبا حول وشك قدوم الالمان حاملين معهم «حكم القانون والنظام . . .» . واتفق لى ذات مرة ان قضيت امسية فى بيت تاجر موسكوفى ؛ واثناء شرب الشاى سألنا احد عشر شخصا كانوا جالسين حول المائدة من يفضلون – «غليوم

ام البلاشفة» . فكان ان ابدى عشرة مقابل واحد تحبيذهم لغليوم .
وكان المضاربون يستغلون الفوضى العامة ، فيكدسون ثروات طائلة وينفقونها فى ضروب اسراف منقطعة النظير او فى رشوة الموظفين . وكانوا يخفون المواد الغذائية والوقود او يصدرونها سرا الى السويد . ففى الاشهر الاربعة الاولى من الثورة ، مثلا ، نهبت على المكشوف تقريبا احتياطيات المواد الغذائية من المستودعات البلدية فى بتروغراد ، بحيث هبط احتياطى عامين من القمح الى درجة بدا معها غير كاف لتغذية المدينة خلال شهر واحد . . . وبناء على التقرير الرسمى الصادر عن آخر وزير للتموين فى الحكومة الموقتة ، كان البن يشترى فى فلاديفوستوك بسعر روبلين لليبرة بالجملة ، فى حين ان المستهلك فى بتروغراد كان يدفع ١٣ روبلا ثمنا للفونت * . وكانت تتكدس فى جميع مخازن المدن الكبرى اطنان من المواد الغذائية والالبسة ، ولكن الحصول عليها لم يكن يستطيعه غير الاغنياء .
كنت اعرف فى احدى مدن المقاطعات عائلة من التجار مؤلفة من المضاربين – المارودوريين * * ، كما يسميهم الروس . وكان الاولاد الثلاثة قد تخلصوا بواسطة الرشوة من الخدمة العسكرية . وكان احدهم يضارب بالمواد الغذائية . والآخر كان يبيع خلسة الذهب المسروق من مناجم حوض لينا لمشترين فنلنديين مجهولين . اما الثالث فقد اشترى قسما كبيرا من اسهم احد معامل الشوكولاتة ، وكان يبيع الشوكولاتة للتعاونيات المحلية على اساس ان تزوده مقابل ذلك بكل ما يحتاج اليه . وهكذا ، ففى الوقت الذى كانت فيه جماهير الشعب تتناول ربع فونت من الخبز الاسود للفرد الواحد فى اليوم بموجب بطاقة الخبز ، كان لديه هو فيض من الخبز الابيض والسكر والشاى والحلويات والبسكويت والزبدة . . . ومع ذلك ، فحين لم يعد فى وسع الجنود فى الجبهة ان يحاربوا من جراء البرد والجوع وانهاك قواهم ، كان اعضاء هذه الاسرة يصيحون باستنكار : «جبناء !» ، وكانوا «يستحون من كونهم روسا» . . . اما البلاشفة ، الذين وجدوا وصادروا المؤن

* الفونت – ٤١٠ غرامات . **المترجم** .
* * الجنود الذين ينهبون المدنيين والموتى فى الجبهة . **المترجم** .

الضخمة من المواد الغذائية المخفية لديهم ، فكانوا بالنسبة لهم «نهابين» حقيقيين .

وتحت هذا التفسخ الخارجي كانت تتحرك سرا وبكثير من النشاط قوى النظام القديم السوداء ، التى لم تتغير منذ سقوط القيصر نيقولاى الثانى . وكان عملاء «الاوخرانكا» (خدمة الامن الداخلى) الذائعة الصيت ما يزالون يعملون مع القيصر وضده ، مع كيرنسكى وضده ، وبالاختصار مع كل من يدفع . . . وفى الظلام كانت تعمل شتى انواع المنظمات السرية ، كالمئة السود ، مثلا ، ساعية لاعادة الرجعية بهذا الشكل او ذاك .

وفى هذا الجو من الفساد الشامل وانصاف الحقائق الفظيعة ، كانت تسمع كل يوم نغمة واحدة جلية من جوقة البلاشفة المتوطدة باطراد : «كل السلطة للسوفييتات ! كل السلطة للممثلين الحقيقيين لملايين العمال والجنود والفلاحين . الخبز ، الارض ، ونهاية الحرب الخرقاء ، ونهاية الديبلوماسية السرية والمضاربة والخيانة . . . الثورة فى خطر ، ومعها قضية الشعب المشتركة فى العالم بأسره !» .

وكان الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية ، بين السوفييتات والحكومة ، الذى بدأ فى الايام الاولى من اذار (مارس) ، يقترب من ذروته . وكانت روسيا ، التى قفزت بوثبة واحدة من القرون الوسطى الى القرن العشرين ، تقدم للعالم المشدوه صورة ثورتين — سياسية واجتماعية — فى اشتباك حتى الموت .

ويا لها من حيوية مدهشة اظهرتها الثورة الروسية بعد كل تلك الاشهر من الجوع وخيبة الامل ! لقد كان يجدر بالبرجوازية ان تكون اكثر معرفة بروسيتها . فاذ ذاك لم تكن تفصل روسيا غير ايام قليلة عن كامل اوج «المرض» الثورى . . .

واذا ما عاد المرء بنظره الى وراء ، فان روسيا ما قبل ثورة تشرين الثانى (نوفمبر) تبدو وكأنها بلد يعود الى قرن آخر ، محافظ الى درجة تكاد تكون غير معقولة . فكان على المرء ان يألف بمثل هذا الحد من السرعة وتيرة الحياة الجديدة المتسارعة . فالعلاقات السياسية الروسية قد تحولت فورا وكليا الى اليسار الى حد ان الكاديت اعتبروا خارج القانون بوصفهم «اعداء الشعب» ، واصبح كيرنسكى «معاديا للثورة» ، والزعماء الاشتراكيون

«المعتدلون» – تسيريتيلي ودان وليبير وغوتز وافكسينتييف بدوا مفرطين في الرجعية بالنسبة لانصارهم بالذات ، بل ان رجلين كفيكتور تشيرنوف ومكسيم غوركي قد وجدا نفسيهما في الجناح اليميني . . .

وحوالي منتصف كانون الاول ١٩١٧ (ديسمبر) قام فريق من الزعماء الاشتراكيين-الثوريين ، بزيارة خاصة للسفير الانكليزي السير جورج بيوكينين ورجوه بان لا يخبر احدا عن هذه الزيارة ، لانهم معتبرون «مفرطين في اليمينية» . وقد قال السير جورج :

«تصوروا ان حكومتي كانت ، لعام مضى ، توصيني بعدم استقبال ميليوكوف ، لأنه كان مشهورا بكونه يساريا خطرا ! . .»

ان شهري ايلول وتشرين الاول (سبتمبر واكتوبر) هما اسوأ شهور السنة الروسية ، وبخاصة في بتروغراد . فتحت سماء كالحة رمادية ، اثناء النهار المتزايد القصر باطراد ، يتساقط بدون انقطاع مطر واخز . وفي كل مكان ، تحت الاقدام ، وحول عميقة دبقة لزجة ، عليها اثار الجزمات الثقيلة ، وكانت اكثر من العادة بسبب الانهيار التام في الادارة البلدية . ومن خليج فنلندا تهب رياح شديدة رطبة ، والشوارع يغمرها ضباب ندي . وفي الليالي – لم تكن تضيء غير مصابيح الشوارع النادرة الضعيفة بعض الاوقات بدافع التوفير وبعضها خوفا من مناطيد زبلين ؛ وفي المنازل الخاصة لم تكن الكهرباء تقدم الا في المساء ، من الساعة السادسة حتى الثانية عشرة ، وكانت الشموع تساوي اربعين سنتا * للقطعة الواحدة ، واما الكاز فكان لا يكاد يمكن الحصول عليه . فكانت العتمة تخيم من الساعة الثالثة نهارا حتى العاشرة صباحا . وكان ثمة المزيد من حوادث النهب . فكان الرجال في البيوت يتولون الحراسة في الليل بالتناوب ، متسلحين ببنادق معبأة . هكذا كانت الحال في ظل الحكومة الموقتة .

ومن اسبوع لآخر كانت المواد الغذائية تتضاءل باطراد . فالجراية اليومية من الخبز نقصت من ١,٥ فونت الى فونت واحد ، ثم الى ثلاثة ارباع ، فالى نصف ، فالى ربع . واخيرا مر اسبوع كامل لم يوزع فيه الخبز على الاطلاق . وكان يحق للشخص تناول فونتين من السكر شهريا ، ولكن كان ينبغي ايجاد هذين الفونتين ،

* كان السنت في ذلك الحين يساوي ٣–٥ كوبيكات . **المحرر** .

وهذا ما كان يندر ان يتمكن منه احد . وكان لوح الشوكولاتة او فونت الكراميلا غير الطيبة المذاق يكلفان من ٧ الى ١٠ روبلات ، اى دولارا على الاقل . وكان نصف اطفال بتروغراد محرومين من الحليب . وفى الكثير من الفنادق والبيوت الخاصة لم ير الحليب فيها خلال شهور بكاملها . ومع ان الوقت كان موسم الفواكه ، فقد كان التفاح والاجاص يباعان فى منعطف الشارع بروبل تقريبا للقطعة الواحدة . . .

وكان ينبغى للمرء ، من اجل الحصول على الحليب والخبز والسكر والتبغ ان يقف فى الصف ساعات تحت المطر الواخز . وكنت ذات مرة عائدا الى البيت من اجتماع حاشد استمر طول الليل ، فرأيت كيف كان الصف قد اخذ يتكوّن قبل الفجر امام ابواب المخزن ، وقد كان مؤلفا بصورة رئيسية من النساء . وكانت الكثيرات منهن يحملن اطفالا رضعا على سواعدهن . . . يقول كارليل ، فى كتابه «الثورة الفرنسية» ، ان الفرنسيين يتميزون عن سائر شعوب العالم بكفاءتهم على الوقوف فى «الاذناب». اما روسيا فكانت قد بدأت تكتسب هذه الكفاءة ايام حكم نيقولا «المبارك» فى عام ١٩١٥ ، — ومنذ ذلك الحين كانت «الاذناب» تظهر من وقت لآخر ، الى ان اصبحت نهائيا من طبيعة الامور فى صيف ١٩١٧ . وليتصور المرء هؤلاء الناس ، اللابسين كيفما اتفق ، يظلون واقفين اياما بكاملها فى شوارع بتروغراد المتجلدة المبيضّة بالصقيع فى الشتاء الروسى الرهيب ! لقد كنت اتسمع الى الاحاديث فى صفوف الانتظار للحصول على الخبز . فمن حين لآخر كانت تتسرب من خلال طيبة الجمهور الروسى المدهشة تعابير مريرة غضبية عن عدم الارتياح . . .

من المؤكد ان المسارح كانت مفتوحة يوميا ، بما فى ذلك ايام الآحاد . ففى مسرح مارييسنسكى كان يقدم باليه جديد ترقص فيه كارسافينا ، وكان هواة الباليه من كل روسيا يجيؤون لمشاهدتها . وكان شاليابين يغنى وفى مسرح الكسندرينسكى ، كانت تعرض دراما «موت ايفان الرهيب» للمؤلف ألكسى تولستوي ، من اخراج ميرهولد * . وانى لاذكر بصورة خاصة طالبا من «مدرسة

* **ميرهولد ، ف . ا .** (١٨٧٤–١٩٤٠) — مخرج وممثل سوفييتى . **المحرر .**

الحاشية الامبراطورية * لابسيا بزة الاستعراض ، كـــان يقف فى جميع فترات الاستراحة خلال هذه المسرحية وقفة الاستعداد مديرا وجهه صوب المقصورة الامبراطورية الخالية التى كانت قد نزعت منها شعارات النسور القيصريـــــة . . . وكان مسرح «كريفوى زيركالو» يقدم اخراجا فخما لمسرحية شنيتزلر * * «خوروفود» .

كانت لوحات الارميتاج والمتاحف الاخرى جميعا قد نقلت الى موسكو ؛ الا انه كانت تفتتح فى بتروغراد ، كل اسبوع ، معارض فنية . فكانت جموع النسوة من اوساط المثقفين تتردد بحماسة على المحاضرات عن الفن والادب والفلسفة المبسطة . وكان الموســـم غنيا الى درجة غير مألوفة لدى الصوفيين . فان جيش الخلاص ، الذى سمح به فى روسيا للمرة الاولى فى التاريخ ، كان يغطى جميع الجدران باعلانات عن الاجتماعات الانجيلية ، التى كانت فى الوقت نفسه تدهش المستمعين الروس وتسليهم . . .

وكما يصادف دائما فى مثل هذه الحالات ، كانت الحياة اليومية التافهة فى المدينة تجرى فى مسراها متجاهلة الثورة بقدر الامكان . فكان الشعراء ينظمون القصائد ، ولكن لا عن الثورة . والرسامون الواقعيون يرسمون لوحات عن الحياة الروسية القديمة ، عن كل ما يخطر فى البال ، اللهم الا عن الثورة . والاوانس من المقاطعات يجئن الى بتروغراد لتعلم اللغة الفرنسية والغناء . وفى اروقـــة الفنادق وصالاتها يتمشى ضباط شبان رشقاء مرحون ، عارضين برانسهم القرمزية الموشاة بالذهب وسيوفهم القفقاسية المرصعة . وفى منتصف النهار كانت السيدات من اوساط موظفى المرتبـــة الثانية يذهبن بعضهن الى بيوت بعض لتناول الشاى ، حاملات معهن فى حقائبهن علبا صغيرة للسكر من الفضة او الذهب وقطعة من الخبز ، واثناء تناول الشاى كن يتمنين بصوت مسموع ان يعود القيصر او ان يجىء الالمان او ان يحدث شىء آخر يمكن ان يحل مشكلة الخادمات الملحة . . . وذات مرة عادت بنت احد اصدقائى الى البيت فى منتصف النهار فى حالة هستيرية : ذلك ان قاطعة التذاكر فى عربة الترام دعتها بـ«الرفيقة» !

---

* «مدرسة الحاشية الامبراطورية» ـ مؤسسة تعليمية عسكريـــة متميزة فى روسيا القيصرية لاولاد الجنرالات وكبار النبلاء . **المحرر** .

* * **ارثور شنيتزلر** (١٨٦٢ـ١٩٣١) ـ كاتب نمساوى . **المحرر** .

واما من حولهم فكانت روسيا الكبرى تتمخض بعالم جديد . فالخادمة التى كانت من قبل تعامل معاملة البهيمة ، وما كان يدفع لها اى اجر تقريبا ، اصبحت تشعر بكرامتها الخاصة . ولما كان زوج الاحذية يكلف اكثر من مئة روبل ، وكانت الاجرة الشهرية لا تزيد وسطيا عن خمسة وثلاثين روبلا ، فقد كانت الخادمة ترفض الوقوف فى صفوف الانتظار واتلاف حذائها . ولكن ليس هذا هو المهم . ففى روسيا الجديدة حصل كل انسان – رجلا كان ام امرأة – على حق الاقتراع . وقد ظهرت جرائد عمالية تتحدث عن اشياء جديدة مدهشة ؛ وظهرت السوفييتات ؛ وظهرت الاتحادات النقابية . حتى الحوذية كانت لهم نقابتهم وممثلهم فى سوفييت بتروغراد . وتنظم مستخدمو الفنادق والمطاعم وباتوا يرفضون تناول الاكرامية . وفى جميع المطاعم علقت على الجدران لافتات تقول : «هنا لا تقبل الاكرامية» او «اذ كان الانسان مضطرا للخدمة على المائدة لكسب خبزه ، فهذا ليس مبررا لاهانته بتقديم الاكرامية له» .

وفى الجبهة كان الجنود يناضلون ضد الضباط ويتعلمون فى لجانهم التسيير الذاتى . وفى المعامل كانت تلك المنظمات الروسية الفريدة من نوعها ، الا وهى لجان المعامل والمصانع * تكتسب الخبرة والقوة وتدرك رسالتها التاريخية فى النضال ضد النظام القديم . وكانت روسيا كلها تتعلم القراءة ، وكانت بالفعل **تقرأ** الكتب فى السياسة والاقتصاد والتاريخ ، وذلك لأن الناس كانوا راغبين فى **المعرفة** . . . وفى كل مدينة ، وفى معظم المدن القريبة من الجبهة ، كان كل حزب سياسى يصدر جريدته ، واحيانا عدة جرائد . وكانت الالوف من المنظمات تنشر مئات الالوف من الكراريس السياسية ، تغرق بها الخنادق والقرى والمصانع وشوارع المدن . فان التعطش الى التعلم الذى ظل مكبوتا وقتا طويلا قد اندفع مع الثورة بقوة عفوية . واثناء الستة اشهر الاولى من الثورة كانت تصدر يوميا من معهد سمولنى وحده اطنان من

---

* راجع «ملاحظات افتتاحية وتوضيحات» . ج . ريد .

من ٣٠ ايار (مايو) – (١٢ حزيران – يونيو) الى ٣ (١٦) حزيران (يونيو) انعقد مؤتمر بتروغراد للجان المعامل والمصانع وايد البلاشفة باكثريته الساحقة (ثلاثة ارباع المندوبين) . **المحرر** .

المطبوعات وترسل الى كافة انحاء البلاد بالشاحنات والقطارات . وقد كانت روسيا تلتهم المواد المطبوعـــة بظمأ لا يروى له غليل مثلما تمتص الرمال الجافة الماء . وما كان هذا كله اساطير ، ولا تاريخا مزورا ، ولا دينا مميعا ، ولا ادبا رخيصـــا مفسدا ، بل نظريات اجتماعية واقتصادية ، وفلسفة ، ومؤلفـــات لتولستوى وغوغول وغوركى . . .

ثم كانت الكلمة . لقد كان يغمر روسيا سيل من الكلام الحى يبدو ، بالمقارنة معه ، «طوفان البلاغة الفرنسية» الذى يتحدث عنه كارليل ، ساقية صغيرة . محاضرات ، مناقشـــات ، خطب ، فى المسارح ، وملاعب السيرك ، والمدارس ، والاندية ، وقاعـــات السوفييتات ، ومبانى النقابات ، والثكنات . . . واجتماعات حاشدة فى الخنادق على الجبهة ، وفى ساحات القرى ، وفى فسحـــات المعامل . . . وياله من مشهد مدهش يقدمه مصنع بوتيلوف ، حين يخرج من جدرانه سيل عارم مؤلف من اربعين الف عامل ، يخرجون للاستمـــاع الى الاشتراكيين-الديموقراطيين ، والى الاشتراكيين-الثوريين ، والى الفوضويين ، الى اىّ كان وفى اى موضوع كان ، ومهما اطالوا فى الكلام . واثناء اشهر بكاملهـــا كان كل ملتقى شوارع فى بتروغراد وسائر المدن الروسية منبرا عاما على الدوام . وكانت تنبثق مناقشات واجتماعات عامة عفوية فى القطارات ايضا ، وعربات الترام ، وفى كل مكان . . .

اما الجمعيات العامة والمؤتمرات على نطاق روسيا ، التى كان يأتى اليها اناس من القارتين ، فكانت مؤتمرات السوفييتـــات ، والتعاونيات ، والزمستفوات * ، والقوميـــات ، ورجال الدين ، والفلاحين ، والاحزاب السياسية ، والجمعية الديموقراطيـــة ، والجمعية الوطنية الموسكوفية ، ومجلس الجمهورية الروسية . . . وفى بتروغراد كانت تنعقد فى آن واحد ثلاثة الى اربعة مؤتمرات . وكانت محاولات الحد من وقت كلام الخطباء تفشل بصورة حازمة فى جميع الاجتماعات الحاشدة ، فكان فى وسع كل واحد ان يعبر عن جميع مشاعره وافكاره اية كانت لديه . . .

وقد ذهبنا الى الجبهة ، الى مواقع الجيش الثانى عشر ، الموجود وراء ريغا ، حيث كان الرجال الحفاة المنهوكون يموتون فى وحول

* راجع «ملاحظات افتتاحية وتوضيحات» . ج . ريد .

الخنادق جوعا ومرضا . وكانوا حين يروننا يهبون لملاقاتنـــا . وجوههم مهزولة ؛ ومن خلال الخروق فى الثياب يبدو جسمهم العارى مزرقا . وكان السؤال الاول : «هل جئتم معكم بشىء **للقراءة ؟**» .

كانت المظاهر الخارجية المرئية للتغير الذى حدث كثيرة ، على انه برغم بروز راية صغيرة حمراء من بين يـــدى تمثال يكاترينا العظمى القائم مقابل مسرح الكسندرينسكـــى ، وبرغم ان الاعلام الحمراء كانت تخفق ايضا فوق جميع الابنية العمومية ، وهى فى بعض الاحيان باهتة اللون ، واما الرموز والنسور الامبراطوريـــة فقد كانت فى كل مكان منزوعة او مغطاة ؛ وبرغم ان الشـــوارع باتت تحرسها ، بدلا من رجال الشرطة الرهيبين ، الميليشيـــا الشعبية الطيبة غير المسلحة ، فقد كان الكثير جدا من بقايا الماضى الغريبة ما يزال موجودا .

فقد بقى مثلا جدول المراتب الذى كان بطرس الاكبر قـــد فرضه على روسيا كلها بيده الحديدية . فالناس جميعا تقريبا ، ابتداء من التلامذة ، كانوا يرتدون البزة النظامية وعلى ازرارهـــا وياقاتها النسور الامبراطورية . وحوالى الساعة الخامسة مســـاء كانت الشوارع تمتلئ باشخاص معمرين يرتدون اللباس النظامى ، متأبطين حقائبهم . انهم عائدون الى بيوتهم من عملهـــم فى تلك الوزارات الضخمة الشبيهة بالثكنات وفى المؤسسات الحكوميـــة الاخرى ، ولعلهم كانوا يحسبون مقدار السرعة التى توصلهم بهـــا الوفيات بين رؤسائهم الى الرتبة المنتظرة منذ وقت بعيد ، رتبة معاون قاض او مستشار سرى او اقتراب موعد تقاعد شرفى بكامل الراتب ، وربما مع صليب القديسة حنة فى الرقبة * . . .

وقد وقع حادث طريف لعضو مجلس الشيوخ سوكولوف الذى ظهر فى مبنى المجلس ببدلته المدنيـــة ، فى اوج الثورة . فلم يسمح له بالاشتراك فى الاجتماع لانه لم يكن يلبس الثيـــاب الرسمية لخدم القيصر !

على هذا المهاد – مهاد امة بكاملها فى حالة من الاختمـــار والتفسخ – ارتسمت اللوحة العامة لثورة الجماهير الشعبيـــة الروسية . . .

---

* وسام القديسة حنة ـ واحد من النياشين القيصرية . **المحرر** .

الفصل الثانى

مجىء العاصفة

فى شهر ايلول (سبتمبر) * ، كان الجنرال كورنيلوف يزحف على بتروغراد ليعلن نفسه ديكتاتورا عسكريا على روسيا . وسرعان ما تكشفت من ورائه قبضة البرجوازية المدرعة محاولة بوقاحة سحق الثورة . وكان لبعض الوزراء الاشتراكيين ضلع فى مؤامرة كورنيلوف . وكيرنسكى نفسه كان موضع الشبهة[1] . اما سافينكوف ، الذى كانت اللجنة المركزية لحزبه ، حزب الاشتراكيين-الثوريين ، قد طلبت منه ايضاحا ، فقد اجاب بالرفض وطرد من الحزب . واوقفت لجان الجنود كورنيلوف . واقيل الكثير من الجنرالات ، وجرد بعض الوزراء من مناصبهم ، وسقطت الوزارة .

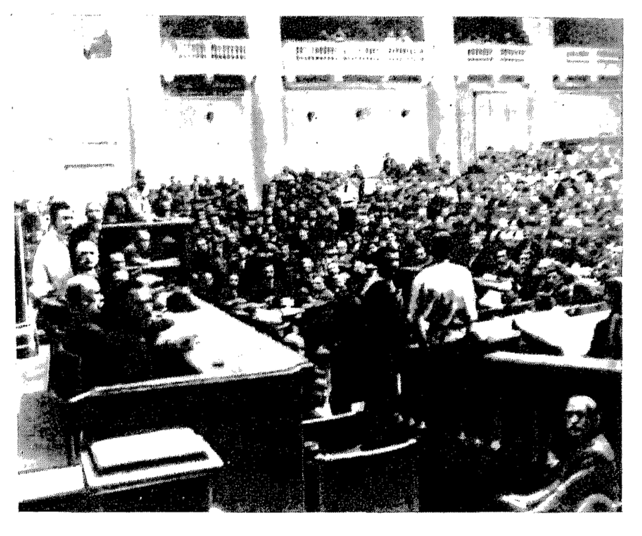
وحاول كيرنسكى تشكيل حكومة جديدة باشتراك ممثلى حزب البرجوازية – الكاديت . فامره حزب الاشتراكيين-الثوريين ، الذى كان ينتمى اليه ، باخراج الكاديت . فلم يذعن كيرنسكى وهدد بانه سيقدم استقالته اذا كان الاشتراكيون سيصرون على موقفهم . بيد ان الشعور الشعبى كان من العنف والجلاء بحيث لم يجسر كيرنسكى فى ذلك الحين على مجابهته . فتألفت حكومة مديرين موقتة من خمسة وزراء ** برئاسة كيرنسكى تولت السلطة بانتظار الحل النهائى لمسألة تركيب الحكومة .

وقد جمعت فتنة كورنيلوف جميع الفئات الاشتراكية – «المعتدلة» منها والثورية على حد سواء – فى اندفاعة حماسية للدفاع عن النفس . يجب الاّ يظهر بعد كورنيلوفيون . ولا بد من تأليف حكومة جديدة مسؤولة امام العناصر المؤيدة للثورة . ولذلك

---

* فى آب (اغسطس) – حسب التقويم القديم . **المحرر** .

** كانت حكومة المديرين تضم : كيرنسكى ونيكيتين وتيريشنكو وفيرخوفسكى وفيرديريفسكى . **المحرر** .



مؤتمر بتروغراد للجان المصانع والمعامل . (٣٠ ايـــار (مايو) ـ ٣ حزيران (يونيو) ١٩١٧) .

(الفصل الاول)



اجتماع حاشد للجنود فى ثكنات الغرينادير . يخطب بحار من اسطول البلطيق . تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ .

(الفصل الثانى)

فقد اقترحت اللجنة التنفيذية المركزية (التسيك) على جميع المنظمات الديموقراطية ان تبعث بوفود الى المؤتمر الديموقراطى الذى سيعقد فى بتروغراد فى ايلول (سبتمبر) .

وفى الحال تكونت فى التسيك ثلاثة اتجاهات . فقد كان البلاشفة يطالبون بدعوة مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا فى الحال وانتقال السلطة بكاملها له . وكان الاشتراكيون-الثوريون الوسط ، بقيادة تشيرنوف ، مع الجناح اليسارى منهم برئاسة كامكوف وسبيريدونوفا ، والمناشفة-الامميون بقيادة مارتوف ، والمناشفة-الوسط * ، الذين يمثلهم بوغدانوف وسكوبيليف ، يطالبون بتشكيل حكومة اشتراكية متجانسة . وكان المناشفة اليمينيون ، برئاسة تسيريتيلى ودان وليبير ، وكذلك الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون ، بقيادة افكسنتييف وغوتز ، يصرون على اشتراك ممثلى الطبقات المالكة فى الحكومة .

وعقب هذا تقريبا استولى البلاشفة على الاكثرية فى سوفييت بتروغراد ، ثم فى سوفييتات موسكو وكييف واوديسا وغيرها من المدن .

فاستولى القلق على المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، المسيطرين فى التسيك ، وتقرر لديهم ان لينين هو ، فى آخر الامر ، ارهب عليهم من كورنيلوف . فعدلوا نظام التمثيل فى المؤتمر الديموقراطى[2] ، مقدمين مقاعد اضافية الى التعاونيات وغيرها من المنظمات المحافظة . ولكن حتى هذا المؤتمر المرتب ترتيبا مقصودا قد صوّت اول الامر الى جانب **حكومة ائتلافية بدون الكاديت** . الا ان تهديد كيرنسكى السافر بالاستقالة وصيحات الاشتراكيين «المعتدلين» اليائسة بان «الجمهورية فى خطر» ، قد ارغمت المؤتمر على ان يتبنى ، باكثرية ضئيلة ، مبدأ الائتلاف مع البرجوازية والتصديق على تشكيل نوع من البرلمان الاستشارى بدون اية سلطة تشريعية باسم «المجلس الموقت للجمهورية الروسية» . وكان ممثلو الطبقات المالكة فى الحكومة الجديدة هم عمليا الموجهون لكل شىء ، واما فى مجلس الجمهورية الروسية فقد حصلوا على عدد كبير من المقاعد اكثر مما يحق لهم .

---

* راجع «ملاحظات افتتاحية وتوضيحات» . ج . ريد .

وكانت التسيك قد باتت لا تمثل ، عمليا ، الجمهور العادى فى السوفييتات وقد رفضت بدون اى اساس قانونى دعوة المؤتمر الثانى لعامة روسيا الذى كان ينبغى ان ينعقد فى ايلول (سبتمبر). وما كانت لدى التسيك اية نية فى ان تدعو الى المؤتمر او تسمح بدعوته . وكانت جريدتها الرسمية «الازفستيا» قد اخذت تلمح الى ان مهمة السوفييتات قد قاربت نهايتها[3] وانه ربما سيجرى حلها قريبا . . . وفى الوقت نفسه اعلنت الحكومة الجديدة ايضا ان برنامجها يتضمن تصفية «المنظمات غير المسؤولة» ، اى السوفييتات .

وردا على هذا دعا البلاشفة السوفييتات للاجتماع فى مؤتمر فى ٢ تشرين الثانى – نوفمبر (٢٠ تشرين الاول – اكتوبر) فى بتروغراد والى اخذ السلطة بيدها فى روسيا . وفى الوقت نفسه ، انسحبوا من مجلس الجمهورية الروسية معلنين انهم يأبون الاشتراك فى «حكومة الخيانة للشعب»[4] .

بيد ان انسحاب البلاشفة لم يجلب الطمأنينة لمجلس الجمهورية المنكود . فالطبقات المالكة ، القائمة اذ ذاك على السلطة ، كانت تتواقح بصورة سافرة . فقد اعلن الكاديت ان الحكومة لا تملك الحق الشرعى فى اعلان روسيا جمهورية . وكانوا يطالبون باتخاذ تدابير صارمة فى الجيش والاسطول لحل لجان الجنود والبحارة ويشنون الهجوم على السوفييتات . واما فى الجناح اليسارى من مجلس الجمهورية فقد كان المناشفة-الامميون والاشتراكيون-الثوريون اليساريون ينادون بعقد الصلح على الفور وتسليم الارض للفلاحين وممارسة الرقابة العمالية على الانتاج – فكانوا بذلك ، عمليا ، يؤيدون برنامج البلاشفة .

وقد اتيح لى الاستماع الى خطاب مارتوف ضد الكاديت . كان منحنيا على المنبر ، كأنه مريض مشرف على الموت ، وكان هو بالتأكيد ، يشير باصبعه الى اليمينيين ، ويقول بصوت ابح بالكاد يميزه السمع :

«انكم تسموننا بالانهزاميين . ولكن الانهزاميين الحقيقيين انما هم اولئك الناس الذين ينتظرون الفرصة المؤاتية لعقد الصلح ، والذين يرجئون الصلح ويؤجلونه الى ما لا نهاية ، الى الوقت الذى لن يبقى فيه من الجيش الروسى شىء ، الى الوقت الذى تصبح فيه

روسيا مادة للمساومة بين الكتل الامبريالية . . . انكم تحاولون فرض سياسة تمليها مصالح البرجوازية على الشعب الروسى . ان قضية الصلح يجب ان يبت فيها على الفور . . . واذ ذاك سترون انه لم يكن عبثا عمل اولئك الناس الذين تدعونهم بالعملاء الالمان ، اولئك الزيميرفالديين * الذين هيأوا ليقظة وعى الجماهير الديموقراطية فى العالم اجمع . . .» .

وبين هاتين الفئتين كان يتأرجح المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ، متعرضين من اليسار الى ضغط استياء الجماهير المتعاظم . وكانت ثمة عداوة عميقة تقسم مجلس الجمهورية الى جماعات لا مجال للمصالحة بينها .

هكذا كان الوضع حين وصل نبأ منتظر منذ وقت بعيد عن مؤتمر الحلفاء فى باريس ، فطرح مسائل السياسة الخارجية الملحة بكامل ابعادها . . .

كانت جميع الاحزاب الاشتراكية الروسية تنادى ، نظريا ، بالاسراع بمنتهى السرعة فى عقد الصلح على اسس ديموقراطية . ففى ايار – مايو (نيسان – ابريل) ١٩١٧ كان سوفييت بتروغراد ، الذى كان المناشفة والاشتراكيون-الثوريون مسيطرين عليه فى ذلك الحين ، قد اعلن شروط الصلح الروسية المشهورة . وقد كانت تنطوى على المطالبة بان يعقد الحلفاء مؤتمرا لبحث اهداف الحرب . وكان المؤتمر موعودا بعقده فى آب (اغسطس) ، ثم اجّل الى ايلول (سبتمبر) ، ثم الى تشرين الاول (اكتوبر) ، واذ ذاك كان قد حدد موعده فى ١٠ تشرين الثانى – نوفمبر (٢٨ تشرين الاول – اكتوبر) ** .

وكانت الحكومة الموقتة تعتزم ارسال مندوبين الى هذا المؤتمر ، هما الجنرال الكسييف ، وهو شديد الرجعية ، ووزير الخارجية تيريشنكو . وكانت السوفييتات من جهتها قد اختارت سكوبيليف ممثلا عنها ووضعت بيانا ، هو «الناكاز» («التوصيات») المشهور ، الذى كان ينبغى ان يسترشد به ٥ . ولم تعترف

---

* اعضاء الجناح الثورى-الاممى للاشتراكية الاوروبية . وكانوا يسمون هكذا نسبة لمؤتمرهم الدولى الذى عقد سنة ١٩١٥ فى زيميرفالد (سويسرا) . ج . ريد .

** لم يعقد المؤتمر بسبب سقوط الحكومة الموقتة . المحرر .

الحكومة الموقتة لا بسكوبيليف ولا بناكازه ؛ وكذلك احتجت ديبلوماسية الحلفاء . وانتهى الامر بان اعلن بونار لوو * ببرودة ، جوابا على سؤال فى مجلس العموم البريطانى : «ان مؤتمر باريس ، على حد علمى ، سيبحث لا اهداف الحرب بل طرق خوضها . . .» .

وقد ابتهجت الصحافة المحافظة الروسية ، اما البلاشفة فراحوا يصيحون : «هو ذا ما ادى اليه تاكتيك المناشفة والاشتراكيين-الثوريين القائم على الحلول الوسط !»

وعلى طول الجبهة كله ، البالغ الوف الاميال ** كان الجيش الروسى ، بملايينه العديدة ، يصطخب اصطخاب المد فى البحر ، مرسلا الى العاصمة بالمئات اثر المئات من الوفود مطالبة بـ«السلم ! السلم !» .

وقد قطعت النهر قاصدا سيرك «مودرن» لحضور احد الاجتماعات الشعبية الضخمة التى كانت تجرى فى جميع ارجاء المدينة ، حاشدة كل مساء جمهورا متزايدا باطراد . كان المدرّج العارى الكئيب ، المضاء بخمسة مصابيح صغيرة ضعيفة راجفة ، معلقة بسلك رفيع ، مكتظا من الحلبة صعودا حتى السقف ، بالجنود والبحارة والعمال والنساء ، وكان الجميع يستمعون فى حالة من التوتر يبدو معها كأن حياتهم كانت متعلقة بما يقال . وكان المتكلم جنديا من الفرقة رقم ٥٤٨ . كان يصيح قائلا ، ووجهه المرهق وحركاته اليائسة تعبر عن الالم الحقيقى :

«ايها الرفاق ! ان الذين يحتلون المناصب العليا يدعوننا دائما الى تضحيات جديدة فجديدة ابدا ، ولكنهم فى الوقت نفسه لا يمسون من يملكون كل شىء .

اننا فى حرب مع المانيا . فهل ترانا ندعو الجنرالات الالمان للعمل فى هيئة اركاننا ؟ ونحن فى حرب مع الرأسماليين ايضا ، ومع ذلك فاننا ندعوهم الى حكومتنا . . .

ان الجندى يقول : «بينوا لى لماذا احارب . افى سبيل

---

* اندريو بونار لوو (١٨٥٨-١٩٢٣) رجل دولة انكليزى ، زعيم المحافظين ، كان فى عام ١٩١٧ وزيرا للخزانة فى حكومة لويد جورج الائتلافية ورئيسا لمجلس العموم . **المحرر** .

** الميل ١،٦ كيلومتر . **المحرر** .

القسطنطينية ام فى سبيل روسيا الحرة ؟ افى سبيل الديموقراطية ام فى سبيل الرأسماليين قطاع الطرق ؟ اذا ما اثبتوا لى انى ادافع عن الثورة فلسوف امشي واحارب ، ولن تكون ثمة حاجة لتشجيعي على المحاربة بالتهديد بالاعدام .

حين ستكون الارض للفلاحين ، والمصانع للعمال ، والسلطة للسوفييتات ، فسنعلم اذ ذاك ان لدينا ما نحارب فى سبيله ، واذ ذاك سنحارب !» .

وفى الثكنات ، وفى المصانع ، وفى زوايا الشوارع ، وفى كل مكان كان يخطب جنود لا عد لهم ، مطالبين بالصلح على الفور ، ومعلنين ان الجيش سيترك الخنادق ويعود الى البيوت اذا لم تقم الحكومة بخطوات نشيطة من اجل عقد الصلح .

وكان ممثل الجيش الثامن يقول :

«اننا ضعفاء ، ولم يبق لدينا غير بضعة رجال فى كل سرية . واذا لم تقدم لنا الاغذية والاحذية والامدادات فلن يبقى فى الجبهة عما قريب غير الخنادق الخالية . فاما الصلح واما التموين . . . فلتبادر الحكومة اما الى انهاء الحرب واما الى تموين الجيش . . .» .

وقال آخر من لواء المدفعية السيبيرى السادس والاربعين :

«ان الضباط يأبون التعاون مع لجاننا ، انهم يبيعوننا للعدو ، ويعدمون محرضينا ، والحكومة المعادية للثورة تساندهم . كنا نعتقد ان الثورة ستحمل لنا السلام . ولكن الحكومة ، بدلا من هذا ، تحظر علينا حتى الكلام عن مثل هذه الامور ، وهى نفسها لا تقدم لنا الكفاية من الطعام والكفاية من الذخائر للاستمرار فى القتال . . .» .

وكانت تصل من اوروبا شائعات عن صلح على حساب روسيا[٦] . . .

وكانت تزيد الاستياء اخبار عن وضع القوات الروسية فى فرنسا . فقد حاول اللواء الاول احلال لجان الجنود محل ضباطه مثلما فعل رفاقهم فى روسيا ، ورفض التوجه الى سالونيك ، مطالبا بالعودة الى الوطن . فجرى تطويقه وتجويعه ، واخيرا قصف بنيران المدفعية ، فادى ذلك الى مقتل الكثيرين [٧] . . .

وفي ٢٦ (١٣) تشرين الاول (اكتوبر) ذهبت الى قاعة قصر

مارى المبنية بالرخام الابيض – الاحمر ، حيث كانت تعقد جلسات مجلس الجمهورية . وكنت راغبا فى الاستماع الى تيريشنكو : فقد كان من المنتظر ان يتلو البيان الحكومى عن السياسة الخارجية الذى كانت البلاد المنهكة بالحرب والمتعطشة الى السلم تنتظره منذ وقت طويل وبفراغ صبر شديد .

كان شاب طويل القامة حسن الهندام حليق الوجه ناتئ الوجنتين يلقى بصوت هادئ خطابه المعتنى به والخالى من اى التزام بشيء[8] . لا شيء . . . انها العبارات العامة ذاتها عن تحطيم العسكرية الالمانية بالاتحاد الوثيق مع الحلفاء الامجاد وعن «مصالح روسيا القومية» وعن «الاحراج» الناجم عن التوصيات الموجهة الى سكوبيليف . وختم تيريشنكو خطابه بالكلمات التالية التى كانت تؤلف جوهر هذا الخطاب :

«ان روسيا دولة عظمى . ومهما يحدث ، فستظل روسيا دولة عظمى . فعلينا جميعا ان ندافع عنها ، علينا ان نظهر انفسنا مدافعين عن مثل اعلى عظيم وابناء لدولة عظمى» .

وما كان هذا الخطاب مبعثا لارتياح احد . فقد كان الرجعيون يطالبون بسياسة امبريالية «صارمة» ، واما الاحزاب الديموقراطية فكانت تريد الحصول على ضمانة تؤكد ان الحكومة ستسعى للتوصل الى الصلح . وانى استشهد بالمقال الافتتاحى لجريدة «رابوتشى اى سولدات» («العامل والجندى») ، الناطقة بلسان سوفييت بتروغراد البلشفى :

«جواب الحكومة على الخنادق

القى وزير الخارجية السيد تيرشنكو خطابا كبيرا فى مجلس الجمهورية بشأن الحرب والسلم . فماذا قال للجيش وللشعب اكثر وزرائنا صمتا ؟

اولا ، نحن مرتبطون وثيق الارتباط بحلفائنا (لا بالشعوب بل بحكوماتها) .

ثانيا ، ليس للقوى الديموقراطية ان تناقش امكان او استحالة القيام بحملة الشتاء : فالحكومات الحليفة هى التى ستقرر ذلك .

ثالثا ، كان هجوم ١٨ حزيران (يونيو) عملا مفيدا وموفقا (وصمت تيريشنكو عن عواقب الهجوم) .

رابعا ، غير صحيح ان الحكومات الحليفة غير مهتمة بنـا . «فلدينـا تصريحات قاطعة منهـا» . . . تصريحات ؟ وامـا الاعمال ؟ واما مسلك الاسطول الانكليزي؟ ؟ واما مباحثات ملك انكلترا مع المنفى المعادى للثورة غوركـو ؟ لقد صمت الوزير عن هذا .

خامسـا ، ان التوصيات لسكوبيليف سيئة ، فهى لم ترق للحلفاء ولا للديبلوماسية الروسية ، وامـا «فى مؤتمر الحلفاء فينبغى لنا ان نتكلم كلاما واحدا» .

وهل هذا كل ما فى الامر ؟ اجل كـل شىء . فاين اذن طرق الخلاص ؟ انها الايمان بالحلفاء وبتيريشنكو . ومتى يتحقق السلام ؟ حين سيسمح الحلفاء .

ذلك هو جواب الحكومة الموقتـة على الخنادق بشأن مسألة الصلح» .

وفى ذلك الحين اخذت ترتسم على خلفيـة السياسة الروسية الخطوط الغامضة لقوة مشوومة ، هى القوزاق . وقد لفتت جريدة غوركى «نوفايا جيزن» انظار القراء الى النشاط الذى كانت تقوم به هذه القوة :

«. . . اثناء حوادث شباط لم يطلق القوزاق النار على الشعب ، وفى زمن كورنيلوف لم ينضموا الى الخائن . . .

وفى الآونة الاخيرة يطرأ شىء من التبدل على دورهـم : فهم ينتقلون من الحياد السلبى الى الهجوم السياسى النشيط . . .» .

فان زعيم قوات قوزاق الدون كاليدين كان قد اقالته الحكومة الموقتة من منصبه بسبب اشتراكـه بمؤامرة كورنيلوف . فرفض بصورة قاطعة التخلى عن منصبه واستقر فى نوفوتشيركاسك ، ومن حوله ثلاثة جيوش ضخمة من القوزاق ، واخذ يحيك المؤامرات ويهدد بالعمل . وكانت قوته من الضخامة بحيث اضطرت الحكومة لاغماض عينها على عصيانه . بل لقد اضطرت للاعتراف شكليـا بمجلس اتحاد القوات القوزاقيـة والاعلان عن عدم شرعية الفرع القوزاقى للسوفييتات ، الذى كان قد شكل حديثا .

وفى اوائل تشرين الاول (اكتوبر) جـاء الى كيرنسكى وفد من القوزاق كان من الوقاحة بحيث طالب بوقف الاتهامات الموجهة الى كاليدين ولام رئيس الحكومة على انه يتسامح مع السوفييتات .

فوافق كيرنسكي على ترك كاليدين وشأنه ، وجاء في الاخبار انه قال عند ذلك : «ان قادة المجلس يعتبرونني مستبدا وطاغية . . . اما الحكومة الموقتة فلا تقتصر على عدم الاعتماد على السوفييتات بل هي تأسف كل الاسف لمجرد وجودها» .

وفي الوقت نفسه جاء وفد قوزاقي آخر الى السفير الانكليزي واثناء الحديث معه دعا نفسه بصراحة ممثلا لـ«الشعب القوزاقي الحر» .

وعلى الدون انشيء ما يشبه جمهورية القوزاق .

واعلنت منطقة الكوبان نفسها دولة قوزاقية مستقلة . وفي روستوف على الدون ويكاترينوسلاف حل القوزاق المسلحون السوفييتات ، وفي خاركوف دمروا مقر نقابة عمال المناجم . وفي كل هذه التظاهرات كانت حركة القوزاق تبرز نفسها مناهضة للاشتراكية وذات نزعة عسكرية . وكان زعماؤها من النبلاء وكبار الملاكين العقاريين ، من امثال كاليدين ، وكورنيلوف ، والجنرالات دوتوف وكاراؤلوف وبارديجي ، وكان يساندها كبار التجار واصحاب البنوك الموسكوفيون .

كانت روسيا القديمة تتفسخ بسرعة . ففي اوكرانيا وفنلندا ، وفي بولونيا وبيلوروسيا ، كانت الحركة القومية تشتد على نحو متزايد السفور . وكانت الاجهزة المحلية للسلطة ، بقيادة الطبقات المالكة ، تسعى الى الحكم الذاتي وترفض الخضوع للاوامر الصادرة من بتروغراد . وفي هلسنكي رفض البرلمان الفنلندي استلام المال من الحكومة الموقتة ، واعلن فنلندا ذات حكم ذاتي وطالب بانسحاب القوات الروسية . وفي كييف وسع مجلس الرادا البرجوازي حدود اوكرانيا وقد ضم اليها اغنى الاراضي الزراعية في روسيا الجنوبية ، وقد امتدت شرقا حتى الاورال ، وقام بتنظيم جيش وطني . وتكلم رئيس الرادا فينيتشنكو عن صلح منفرد مع المانيا ، ووقفت الحكومة الموقتة عاجزة حيال كل ذلك . وكانت سيبيريا والقفقاس تطالبان بجمعيتين تأسيسيتين خاصتين بهما . وفي جميع هذه الاقاليم كان قد اخذ يحتدم صراع شديد بين السلطات المحلية وبين سوفييتات نواب العمال والجنود .

ومن يوم لآخر كانت الفوضى في اشتداد . فقد كان المئات والالوف من الجنود يفرون من الجبهة ويروحون يتحركون في

ارجاء البلاد موجات هائلة بغير نظام . وفي مقاطعتي تامبوف وتفير ، كان الفلاحون ، وقد كلوا من انتظار الحصول على الارض ، واوصلتهم تدابير العسف الحكومية الى اليأس ، يقومون باحراق العقارات وقتل ملاكي الاراضي . وكانت تهز موسكو واوديسا وحوض الفحم على الدونيتز الاضرابات الضخمة واغلاق المعامل . وكانت النقليات مشلولة ، والجيش جائعا ، والمدن الكبرى محرومة من الخبز .

وكانت الحكومة ، وقد مزقها الصراع بين الاحزاب الديموقراطية والرجعية ، عاجزة عن فعل اى شيء . وحين كانت مع ذلك تضطر لاتخاذ تدبير ما ، كان عملها على الدوام يأتي مستجيبا لمصالح الطبقات المالكة . فقد كان القوزاق يرسلون لاحلال النظام في القرى ولسحق الاضرابات . وقامت السلطات الحكومية بحل السوفييت في طشقند . وانتهى المجلس الاقتصادى ، الذى كان قد شكل في بتروغراد للنهوض باقتصاد البلاد المنهار ، الى الوقوع في مأزق : فما كان في وسعه ان يحل التناقض المستعصي بين العمل ورأس المال ، فحله كيرنسكي في آخر الامر . وكان الضباط والجنرالات من النظام القديم ، بتأييد من الكاديت ، يطالبون باتخاذ تدابير قاسية لاعادة الانضباط الى الجيش والاسطول . وعبثا كان وزير البحرية المحترم من الجميع الاميرال فيديريفسكي ووزير الحربية الجنرال فرخوفسكي يكرران ان انقاذ الجيش والاسطول لا يمكن ان يكون الا بانضباط جديد طوعي ديموقراطي ، قائم على تعاون هيئة القيادة مع لجان الجنود والبحارة . فما كان يصغي اليهما احد .

وكان يبدو ان الرجعيين عازمون عمدا على اثارة غضب الشعب . كان يوم محاكمة كورنيلوف يقترب . وكانت الصحافة البرجوازية تدافع عنه دفاعا متزايد الصراحة ، متحدثة عنه بوصفه «وطنيا روسيا كبيرا» . وكانت جريدة بورتسيف *

---

* بورتسيف ف . ل . — ناشر ليبيرالي-برجوازى . كانت جريدته «اوبشييه ديلو» (١٩١٧) تناهض البلاشفة . وبعد الثورة بقليل هاجر بورتسيف الى باريس حيث استأنف اصدار الجريدة وجعلها ذات اتجاه ملكي . **المحرر** .

«اوبشييه ديلو» تطالب باقامة ديكتاتورية كورنيلوف وكاليدين وكيرنسكي .

وقد تحدثت ذات مرة مع بورتسيف ، في مقصورة الصحافة بمجلس الجمهورية . انه رجل قصير القامة محدودب الظهر ، متغضن الوجه ، حسير النظر ، على عينيه نظارتان سميكتا الزجاج ، اشعث شعر الرأس ، اشيب اللحية .

«تذكر كلامي ايها الشاب ! ان روسيا في حاجة الى شخصية قوية . وقد آن الوقت لان ننبذ جميع الافكار عن الثورة وان نتكاتف ضد الالمان . الحمقى ، الحمقى ! سمحوا بان يقهر كورنيلوف ؛ ووراء الحمقى يقف العملاء الالمان . كان ينبغي ان ينتصر كورنيلوف . . .» .

كان اقصى اليمين ممثلا بصحف ملكية قليلة التستر هي : «نارودني تريبون» لبوريشكيفيتش ، و«نوفايا روس» و«جيفويه سلوفو» ، الداعية جهارا الى اجتثاث الديموقراطية الثورية .

وفي ٢٣ (١٠) تشرين الاول (اكتوبر) جرت في خليج ريغا معركة بحرية مع عمارة المانية . وبحجة ان بتروغراد في خطر ، اعدت الحكومة خطة للجلاء عن العاصمة . وكان ينبغي ، اول الامر ، ان تنقل وتوزع في جميع ارجاء روسيا المصانع الضخمة العاملة في مجال الدفاع ، وكانت الحكومة نفسها تعتزم الانتقال الى موسكو . وفي الحال اعلن البلاشفة ان الحكومة ستتخلى عن العاصمة الحمراء لمجرد اضعاف الثورة . فقد باعوا ريغا للالمان ، وهم الآن يخونون بتروغراد !

وكانت الصحافة البرجوازية في انشراح واستبشار . وقد قالت جريدة الكاديت «ريتش» : «سيكون في وسع الحكومة ، وهي في موسكو ، ان تعمل في جو هادئ ، دون ازعاج من جانب الفوضويين» . وفي جريدة «اوترو روسيي» ، اعلن رودزيانكو زعيم الجناح اليميني في حزب الكاديت بان استيلاء الالمان على بتروغراد من شأنه ان يكون توفيقا عظيما ، لانه يؤدي الى القضاء على السوفييتات وانقاذ روسيا من اسطول البلطيق الثوري .

وقال ايضا : «ان بتروغراد في خطر . . . وفي اعتقادي ان الله معها ، مع بتروغراد ! يخشون ان تهلك في بتروغراد المؤسسات المركزية (اي السوفييتات وهلم جرا) . وعلى هذا اجيب

بانى ساغتبط شديد الاغتباط اذا ما هلكت هذه المؤسسات لانها لم تجلب لروسيا غير الشر .

ومع الاستيلاء على بتروغراد سيحطم اسطول البلطيق . . . ولكن لا مجال للاسف على هذا : فان اكثرية طواقم السفن الحربية فاسدة كل الفساد» .

وقد كانت عاصفة الاستنكار الشعبى من الشدة بحيث اضطر المسؤولون لترك خطط الجلاء .

وفى ذلك الحين كان مؤتمر السوفييتات مخيما على روسيا كأنه سحابة منذرة بالعاصفة يتخللها البرق . وقد كانت الدعوة لعقده تلقى المقاومة لا من الحكومة وحسب بل وكذلك من جميع الاشتراكيين «المعتدلين» . وكانت اللجنتان المركزيتان للجيش والاسطول ، واللجان المركزية لبعض النقابات ، وسوفييتات نواب الفلاحين ، وبخاصة التسيك ، تسعى بكل قواها للحيلولة دون انعقاد المؤتمر . وكانت جريدتا «الازفستيا» و«غولوس سولداتا» ، اللتان اسسهما سوفييت بتروغراد ، واللتان استولت عليهما التسيك ، تناهضان المؤتمر مناهضة ضارية . وكانت تساندهما كل المدفعية الثقيلة المتمثلة فى صحافة الاشتراكيين-الثوريين : «ديلو نارودا» و«فوليا نارودا» .

وقد ارسل المندوبون الى جميع انحاء البلاد وحملت جميع اسلاك البرق تعليمات تطلب من السوفييتات المحلية ولجان الجيش ان تلغى او تؤجل الانتخابات للمؤتمر . وكانت ثمة قرارات متنفخة ضد المؤتمر ، وتصريحات تقول ان الديموقراطية لا تسمح بافتتاحه عشية انعقاد الجمعية التأسيسية ، واحتجاجات مندوبين من الجبهات ومن اتحاد الزيمستفوات ، ومن اتحاد الفلاحين ، ومن اتحاد القوات القوزاقية ، ومن اتحاد الضباط ، ومن اتحاد الحائزين على وسام القديس جورجيوس ومن «كتائب الموت» * . . . وكذلك اجمع مجلس الجمهورية الروسية على الاحتجاج . فقد كان كل الجهاز الضخم ، الذى اقامته ثورة اذار (مارس) فى روسيا ، يعمل بكل قواه على الحيلولة دون انعقاد مؤتمر السوفييتات .

ولكن كانت من الجهة الاخرى الرغبات غير المحددة بعد لدى البروليتاريا - عمالا وجنودا بسطاء وفلاحين فقراء . وكانت

* راجع «ملاحظات افتتاحية وايضاحات» . ج . ريد .

كثرة من السوفييتات المحليـــة قد اصبحت بلشفية . وبالاضافة الى هذا ، كانت ثمة منظمات البروليتاريا الصناعية ولجان المعامل والمصانع ، ومنظمات الجيش والاسطول الثورية المتأهبة للانتفاضة . وفي الكثير من الاماكن كان الشعب ، الذى لم يكن يسمح له بانتخاب ممثليه انتخابا صحيحا ، يجتمع فى حشود مرتجلة كان ينتخب فيهـــا المندوبين الى بتروغراد . وفى اماكن اخرى كان الشعب يحل اللجان القديمة المعترضة طريقه وينتخب لجانـــا جديدة . فكانت نار الانتفاضة الكامنة تحت الارض تشق القشرة التى كانت تتصلب ببطء على سطح حمم الثورة ، التى كانت خامدة طوال هذه الاشهر . فكان يمكن لمؤتمر السوفييتات لعامة روسيا ان ينعقد فقط نتيجة لحركة الجماهير العفوية . . .

ويوما اثر يوم كان الخطباء البلاشفــة يجولون على الثكنات والورشات ، حاملين بعنف على «حكومـة الحرب الاهلية» . وقد ذهبنا ذات مرة ، فى يـوم احد ، فى عربة ترام بخارية شديدة الازدحام بالنـــاس ، تتجرجر فى بحر من الوحل الى جانب معامل عابسة وكنائس ضخمة ، الى مصنـــع اوبوخوف الحربى التابـــع للدولة ، بالقرب من جادة شليسلبورغ .

كان ثمة اجتماع حاشد منعقد فى مبنى ضخم لم ينجز تشييده بعد ذى جدران عارية من الآجر . وحول منصة مجللـــة بالاحمر ، يتكدس جمهور مؤلف من عشرة آلاف شخص . الجميـع يلبسون السواد . والنـاس مزدحمون على اعمدة الخشب واكوام الآجر ، ومتسلقون عاليـــا على عضادات كالحـــة السواد . وكان جمهور المستمعين متوتر الانتباه صاخب الصوت . ومن حين لآخر كانت الشمس تخترق السحب الثقيلة الدكناء غامرة بنور حمراوى ثقوب النوافذ الخالية وذلك البحر من الوجوه البشرية البسيطة المتوجهة الينا .

كان لوناتشارسكى — وهو نحيل ، اشبه بالطالب ، له وجه فنان رقيق — يوضح السبب فى ان السوفييتات يجب ان تستلم السلطة . فهى وحدها القادرة على حماية الثورة من اعدائها الذين يتعمدون تخريب البلاد وتدمير الجيش وتمهيد الطريق لكورنيلوف جديد .

وخطب جندى من الجبهة الرومانيـــة ، وهو رجل نحيل ذو وجه مؤثر لاهب التعابير . وقد صاح قائلا : «ايها الرفاق ! اننا فى جوع وصقيع على الجبهـــة . اننا نموت بدون داع . فلينقل الرفاق الاميركيون الى اميركا اننا ، نحن الروس ، سنقاتل حتى الموت فى سبيل ثورتنا . اننـــا سنصمد بكل قوانـا الى ان تهب لمساعدتنا جميع شعوب العالم! قولوا للعمال الاميركيين ان يهبوا ويناضلوا فى سبيل الثورة الاجتماعية !»

ثم نهض بتروفسكى ، وهو رقيق البنيـة ، بطىء ، صارم : «كفى كلاما ، فقد آن وقت الانتقـــال الى العمل ! ان الوضع الاقتصادى سيىء جدا ، ولكن سيكون علينـــا ان نتكيف معه . انهم يحاولون القضاء علينـــا بالبرد والجوع ، انهـــم يريدون استفزازنا . ولكن على الاعداء ان يعلموا انهم قد يذهبون بعيدا الى درجة مفرطة ؛ فاذا مـــا تجاسروا على المساس بمنظماتنـــا البروليتارية فلسوف نكنسهـــم من على وجـــه الارض تكنيس القاذورات !» .

وتوسعت الصحافة البلشفية بسرعة مفاجئـة . فبالاضافة الى الجريدتين الحزبيتين «رابوتشي بـــوت» و«سولدات» ، اخـــذت تصدر «ديريفنسكايا بدنوتا» ، وهى جريدة يومية جديدة للفلاحين بلغ عدد نسخها نصف مليون نسخـــة ، وفى ٣٠ (١٧) تشرين الاول (اكتوبر) صدرت جريدة «رابوتشى اى سولدات» . وكانت افتتاحيتها توجز وجهة النظر البلشفية :

«لقد كان من شأن حملة شتاء رابعـــة ان تكون قاضية على الجيش والبلاد . وفى الوقت نفسه خطر الاستسلام مخيـــم على بتروغراد الثوريـــة . ان المعادين للثورة يتهللون لنكبـــات الشعب . . . والفلاحون ، وقد استولى عليهم اليأس ، انطلقوا فى طريق الانتفاضة المكشوفـة . والملاكون والموظفون يسحقـون الفلاحين بالحملات التأديبية . والمعامل والمصانع تغلق ابوابها . انهم يريدون اخضاع العمال عن طريق تجويعهم . والبرجوازيـــة وجنرالاتها يطالبون باتخاذ تدابير لا رحمة فيها لاقامة الانضباط الاعمى فى الجيش . وانصار كورنيلوف ساهرون . وهم ، بمساندة البرجوازية كلها ، يتأهبون لتعطيل الجمعية التأسيسية .

ان حكومة كيرنسكى . . . مناهضة للعمال والجنود والفلاحين . ان هذه الحكومة تخرب البلاد . . .

ان جريدتنا تصدر فى ايام تنذر بالاخطار . وستكون «رابوتشى اى سولدات» صوت البروليتاريا البتروغرادية والحامية البتروغرادية . ان «رابوتشى اى سولدات» ستكون المدافع الذى لا يعرف الكلل عن مصالح الفلاحين الفقراء . . .

ينبغى انقاذ الشعب من الهلاك . ينبغى المضى بالثورة حتى النهاية . ينبغى انتزاع السلطة من الايدى المجرمة ، ايدى البرجوازية ، وتسليمها لايدى منظمات العمال والجنود والفلاحين الثوريين . . .

ان برنامج جريدتنا هو برنامج سوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود .

كل السلطة للسوفييتات – فى المركز وفى الاقاليم !

هدنة على الفور فى جميع الجبهات ! صلح ديموقراطى شريف للشعوب !

ارض الملاكين ، بدون تعويض ، للفلاحين !

رقابة العمال على الانتاج !

جمعية تأسيسية منتخبة بشرف ! . .» .

ومن الطريف ان نورد هنا مقطعا آخر من هذه الجريدة ذاتها ، جريدة البلاشفة ذاتهم الذين يعرفهم العالم اجمع جيدا بصفتهم عملاء للالمان :

«ان قيصر المانيا ، الملطخ بدماء الملايين ، يريد ان يزحف بقواته الى بتروغراد . فلندع العمال والجنود والبحارة والفلاحين الالمان الذين يتوقون مثلنا الى السلام الى الوقوف الى جانبنا ضد القيصر الالمانى . . . «فلتسقط الحرب اللعينة !» . فكيف ينبغى التقدم بمثل هذا العرض ؟

سلطة ثورية ، حكومة ثورية حقا ، معتمدة على الجيش والاسطول والبروليتاريا والفلاحين . . .

مثل هذه الحكومة تتوجه من فوق رأس الديبلوماسيين ، الحلفاء والاعداء ، الى القوات الالمانية مباشرة . وتغمر الخنادق الالمانية بالملايين من النداءات باللغة الالمانية . . . ويقوم طيارونا بنشر هذه النداءات فى الارض الالمانية . . .» .

وفى مجلس الجمهورية كانت الهوة بين الطرفين تزداد عمقا من يوم لآخر .

كان الاشتراكى-الثورى اليسارى كاريلين يصيح قائلا :

«ان الطبقات المالكة تريد استغلال جهاز الدولة الثورى من اجل ان تكدن روسيا بعجلة الحلفاء الحربية ! والاحزاب الثورية تناهض مثل هذه السياسة مناهضة حازمة . . .» .

وعارض العجوز نيقولاى تشايكوفسكى ، ممثل الاشتراكيين -الشعبيين ، تسليم الارض للفلاحين ، ووقف الى جانب الكاديت :

«من الضرورى اعادة الانضباط الصارم الى الجيش فورا . . . فمنذ بداية الحرب لم اكف عن التأكيد بان من الجريمة القيام باصلاحات اجتماعية واقتصادية اثناء الحرب . ونحن نقترف هذه الجريمة ، مع انى لست عدوا لهذه الاصلاحات ، لانى اشتراكى . .» .

فكانت صيحات من اليسار : «لسنا نصدقك !» . وكان تصفيق عاصف من اليمين . . .

وباسم الكاديت يعلن ادجيموف ان ليست ثمة اية ضرورة تقضى بان يبيّن للجيش فى سبيل ماذا يحارب ، اذ ان كل جندى يجب ان يدرك ان الهدف المباشر انما هو تطهير الارض الروسية من العدو .

والقى كيرنسكى نفسه خطابين حماسيين عن الوحدة القومية ، وفوق ذلك راح يذرف الدمع فى نهاية احد هذين الخطابين . وكانت الجمعية تصغى اليه ببرودة وغالبا ما كانت تقاطعه بتعليقات ساخرة .

يقوم معهد سمولنى ، المقر العام للتسيك ولسوفييت بتروغراد ، على شاطئ النيفا العريض ، فى طرف المدينة . وقد ذهبت الى هناك راكبا عربة ترام غاصة بالركاب ، كانت تتجرجر بسرعة الحلزون مطنطنة بأنين فى شوارع غارقة بالوحول . ولدى الموقف الاخير كانت تنتصب القباب الزرقاوية الرائعة لدير سمولنى المزركشة بالذهب القاتم ، والى جانب ذلك واجهة معهد سمولنى الضخمة وهى تشبه الثكنة ، البالغ طولها مئتى ياردة وارتفاعها مقدار ثلاثة طوابق ، وعلى مدخلها الرئيسى الشعار الامبراطورى منحوتا فى الحجر . فكأنما كان يسخر من كل ما يجرى . . .

ايام النظام القديم كان يقوم هنا دير — معهد مشهور لبنات

النبلاء الروس ، تحت رعاية القيصرة نفسها . وقد استولت عليه الثورة وسلمته لمنظمات العمـال والجنود . وكان يحتوى على اكثر من مئة غرفة بيضاء ضخمة خالية ، الصقت على ابوابهـا لافتات من المينا كتب عليها : «سيدة الصف» ، «الصف الرابع» ، «غرفة المعلمين» . ولكن هذه اللافتات كانت قد باتت تظهر فوقها علائم الحياة الجديدة ، وهى لوحات مكتوب عليها بخطوط غير متقنة : «اللجنة التنفيذيـة لسوفييت بتروغراد» او «التسيك» او «مكتب الشؤون الخارجية» ، و«اتحاد الجنـود الاشتراكيين» ، و«المجلس المركزى للنقابات لعامة روسيا» و«لجان المعامل والمصانـع» ، و«لجنة الجيش المركزية» . . . وهنا ايضا كانت توجد اللجـان المركزية للاحزاب السياسية وغرف لاجتماعاتها .

وفى الممرات الطويلة المقببة ، المضاءة بالنادر من المصابيح الكهربائية الصغيرة ، كان يزدحم ويتمشى عدد لا يحصى من الجنود والعمال ، وكان الكثيرون منهم ينوءون تحت ثقل رزم من الجرائد والاعلانات وجميع انواع وسائل الدعاية المطبوعة . وعلى الارض الخشبية كانت الجزمات الثقيلة تقرع باستمرار وباصوات تدوّى كالرعد . . . وفى كل مكان كانت معلقة لافتات كتب عليها : «ايها الرفاق ، فى سبيل صحتكم ، حافظوا على النظافة» . وفى جميـع فسحات السلالم ومنعطفاتها كانت تقوم طاولات طويلـة تتكدس عليها مطبوعات لشتى الاحزاب السياسية ، معدة للبيع .

وكان المطعم ما يزال ، كما فى السابق ، قائما فى قاعة رحبة واطئة السقف فى الطابق الارضى . اشتريت بروبلين بطاقة للغداء ، ووقفت مع الف من الآخرين فى صف انتظـار يؤدى الى طاولات طويلة وراءها عشرون رجلا وامرأة يقدمـون لطالب الغداء حساء الملفوف من قدور ضخمـة ، وقطعا من اللحم واكواما مـن «الكاشا» * ، وكسرا من الخبز الاسود . وكـان يمكن للمرء ان يحصل على كأس شاى من الصفيح بخمسة كوبيكات . وكانت الملاعق الخشبية المغلفة بالدهن موضوعة فى سلة . وعلى مقاعد طويلـة قائمة الى جانب الموائد كان يزدحـم البروليتاريون الجياع ، يلتهمون اكلهم بنهم متحادثين فيما بينهم عبر القاعة كلها ومتبادلين نكاتا بسيطة .

* «الكاشا» — طعام روسى شبيه بالبرغل العربى . **المترجم** .



صورة لينين بمكياج في فترة اختبائه الاخير . كانت الصورة ملصقة على الجواز باسم العامل ايفانوف ؛ وبهذه الوثيقة عاش لينين في الظروف السرية بعد حوادث تموز (يوليو) ١٩١٧ .

(الفصل الاول)

1

Ц. К. признаетъ, что как между-
народное положенiе русской рево-
люцiи (возстанiе во флотѣ в Гер-
манiи, как крайнее проявленiе
нарастанiя всемiрной социалисти-
ческой революцiи, затѣм угроза
мiра империалистов с цѣлью
удушенiя революцiи в Россiи)
— так и военное положенiе
(несомнѣнное рѣшенiе русской
буржуазiи и Керенскаго с Ко сдать
Питер нѣмцам), — так и
прiобрѣтенiе большинства
пролетарской партiей в Совѣ-
тах, — все это в связи с
крестьянским возстанiем
и с поворотом народнаго

во всей Европѣ

صورة القرار حول الانتفاضة المسلحة الذى الفه لينين . لقد تم اقراره فى الجلسة التاريخية للجنة المركزية للحزب فى ١٠ (٢٣) تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . الصفحة الاولى من المخطوطة . (الفصل الثانى)

وكان فى الطابق الاعلى مطعم آخر لم يكن يتناول الغداء فيه غير اعضاء التسيك . على انه كان فى وسع اى راغب ان يدخل الى هناك . وقد كان يمكن للمرء ان يتناول خبزا مطليا بطبقة كثيفة من الزبدة ، واية كمية يشاء من كؤوس الشاى .

وفى الجناح الجنوبى من الطابق الثانى كانت توجد قاعة ضخمة للجلسات العامة . وفى ايام المعهد كانت تقام هنا الحفلات الراقصة . انها قاعة بيضاء عالية السقف ، مضاءة بشمعدانات بيضاء محلاة بالمينا ، عليها مئات من المصابيح الكهربائية ، وفى القاعة كذلك صفان من الاعمدة الضخمة . وفى آخر القاعة مكان مرتفع على جانبيه شمعدانات عالية متشعبة وخلف المكان المرتفع اطار مذهب فارغ نزعت منه صورة الامبراطور . وفى ايام الاحتفالات ، كان يجتمع فى المكان المرتفع حول الاميرات المعظمات الضباط اللابسون البزات الرسمية الزاهية ورجال الكهنوت فى حللهم الدينية الفخمة .

ومقابل القاعة كان يقوم مكتب لجنة الطعون لمؤتمر السوفييتات . وقد كنت واقفا فى هذه الغرفة اتطلع الى المندوبين القادمين ، وهم جنود اشداء ملتحون ، وعمال عليهم قمصان سوداء ، وفلاحون ذوو لحى طويلة . وكانت تشتغل فى اللجنة فتاة ، عضوة فى جماعة بليخانوف «يدينستفو» * ، تبتسم فى ازدراء . وقد كانت تلاحظ قائلة : «ليس هذا الجمهور شبيها قط بجمهور المؤتمر الاول . يالهذا الشعب الجلف المتخلف ! ناس جهلة . . .» وقد كان هذا الكلام ينطوى على الحقيقة . ذلك ان الثورة كانت قد هزّت روسيا حتى الاعماق ، واذ ذاك كان الادنون قد عاموا على السطح . كانت لجنة الطعون المعينة من التسيك القديمة تعلن بطلان انتداب مندوب اثر الآخر بحجة انهم منتخبون بصورة غير قانونية . ولكن ممثل اللجنة المركزية البلشفية كاراخان كان يكتفى بالابتسام ، قائلا : «لا بأس ، حين سيبدأ المؤتمر ستجلسون جميعا فى اماكنكم . . .»

وقد كتبت جريدة «رابوتشى اى سولدات» :

«اننا نلفت انتباه مندوبى المؤتمر الجديد لعامة روسيا الى المحاولات التى يقوم بها بعض اعضاء المكتب التنظيمى لنسف

* راجع «ملاحظات افتتاحية وتوضيحات» . ج . ريد .

المؤتمر عن طريق نشر شائعات تقول ان المؤتمر لن ينعقد ، وان من الافضل للمندوبين ان ينصرفوا من بتروغراد . لا تلتفتوا الى هذا الكذب . . . ان اياما عظمى تقترب . . .» .

كان جليا كل الجلاء ان النصاب القانونى لن يتم جمعه فى ٢ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٠ تشرين الاول - اكتوبر) . ولذلك فقد تأجل افتتاح المؤتمر حتى ٧ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٥ تشرين الاول - اكتوبر) ، ولكن البلاد كلها كانت قد باتت فى اضطراب ، وادرك المناشفة والاشتراكيون-الثوريون انهم مغلوبون على امرهم فغيروا تاكتيكهم على نحو مفاجىء . وقد بعثوا الى جميع منظماتهم الاقليمية ببرقيات يائسة يطلبون فيها من هذه المنظمات ان توفد الى المؤتمر اكبر عدد ممكن من المندوبين من الاشتراكيين «المعتدلين» . وفى الوقت نفسه وجهت اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين بدعوات عاجلة لعقد مؤتمر فلاحين فى ١٣ كانون الاول - ديسمبر (٣٠ تشرين الثانى - نوفمبر) ، بحيث يشل اى عمل يقوم به العمال والجنود .

فماذا كان يعتزم البلاشفة فعله ؟ كانت تنتشر فى المدينة شائعات تقول ان الجنود والعمال يعدون لعمل مسلح . وكانت الصحافة البرجوازية والرجعية تتنبأ بحدوث عصيان وتطالب الحكومة باعتقال سوفييت بتروغراد او بعدم السماح بافتتاح المؤتمر على الاقل . وكانت ثمة وريقات مثل «نوفايا روس» تدعو على المكشوف لتقتيل جميع البلاشفة .

وكانت جريدة غوركى «نوفايا جيزن» على وفاق تام مع البلاشفة فى ان الرجعيين يعتزمون خنق الثورة وان من الجدير عند الاقتضاء مواجهتهم بالمقاومة المسلحة . الا انها كانت ترى ان على جميع احزاب الديموقراطية الثورية ان تؤلف جبهة واحدة :

«. . . ما دامت الديموقراطية لم تجمّع قواها الرئيسية ، وما دامت المقاومة لنفوذها ما تزال شديدة الى حد ما ، فليس من مصلحتها ان تنتقل هى نفسها الى الهجوم . ولكن اذا ما انتقلت القوى المعادية لها الى الهجوم ، فسيكون على الديموقراطية الثورية ان تباشر الكفاح لاخذ السلطة فى ايديها . واذ ذاك سيلقى هذا الانتقال المساندة من جانب اوسع فئات الشعب» .

وقد كان غوركى يؤكد ان الجرائد ، الرجعية والحكومية على حد سواء ، تستفز البلاشفة الى العنف . ولكن العصيان ليس من شأنه الا ان يمهد الطريق لكورنيلوف جديد . وكان غوركى يطالب البلاشفة بدحض الشائعات . وقد نشر بوتريسوف مقالا مثيرا فى جريدة المناشفة «ديين» («اليوم») مرفقا بخارطة بزعم انها تكشف عن الخطة البلشفية السرية للعمليات .

وكأنما بضرب من السحر ، تغطت جميع جدران بتروغراد ببيانات تحذير ، واعلانات [١٠] ونداءات من اللجان المركزية للاحزاب «المعتدلة» والمحافظة ومن التسيك ، تندد بأية مظاهرات وتناشد العمال والجنود بعدم الاصغاء الى المحرضين . وهاكم ، مثلا ، نداء الفرع العسكرى لحزب الاشتراكيين-الثوريين :

«. . . تروج فى المدينة من جديد شائعات عن اعمال عنف تجرى التهيئة لها . فما مصدر هذه الشائعات ؟ فمن قبل من ، من قبل اية منظمة يكلف المحرضون المتحدثون عن اعمال العنف ؟ . . ان البلاشفة قد اجابوا بالانكار على الاستجواب الذى وجه اليهم فى التسيك . . .

ولكن هذه الشائعات تنطوى على خطر جسيم . انه لأمر يسير الحدوث ان تعمد بعض الرؤوس الحامية ، دون اكتراث بالحالة النفسية لدى اكثرية جماهير العمال والفلاحين والجنود ، لدعوة قسم من العمال والجنود للنزول الى الشارع دافعة اياهم الى العصيان .

ومن اليسير ، فى الوقت الرهيب الثقيل الذى تعانيه روسيا الثورية ، ان تصبح اعمال العنف هذه بداية للحرب الاهلية ولدمار جميع المنظمات التى اقيمت بعد كل هذا الجهد ، منظمات البروليتاريا والفلاحين الكادحين والجيش . . . انهم (المعادون للثورة . – **المحرر**) لن يتوانوا فى استغلال اعمال العنف من اجل البدء بمذابح معادية للثورة ونسف الانتخابات للجمعية التأسيسية فى حرب اهلية دامية . وفى هذه الاثناء يهيىء عدو الثورة الاوروبى غليوم الثانى ضربات جديدة . . .

لا مجال لاية اعمال عنف ! وليبق كل فى مركزه ! . .»

فى ٢٨ (١٥) تشرين الاول (اكتوبر) تحادثت فى احد اروقة سمولنى مع كامينيف ، وهو رجل قصير القامة ذو لحية صهباء حادة

الطرف نشيط الحركات فى كلامه . لم يكن واثقا كل الثقـة من ان عددا كافيا من المندوبين سيجتمع فى المؤتمر . وكان يقول : «اذا ما انعقد المؤتمر فلسوف يمثل الامزجة الاساسية للشعب . واذا ما حصل البلاشفة ، كما اعتقد ، على الاكثرية ، فسنطالب باستقالـة الحكومة الموقتة وتسليمها السلطة كلها للسوفييتات . . .»

اما فولودارسكى ، وهو شاب طويل القامة شاحب الوجـه عليل ، على عينيه نظارتان ، فقد اعرب عن رأيه على نحو اكثـر تحديدا : «ان ليبر ودان والتوفيقيين الآخرين يعملون على نسـف المؤتمر . ولكن اذا ما افلحوا فى منع اجتماعاته ، حسنا ، فاننا ، كسياسيين ، لدينا ما يكفى من الواقعية لكى لا نتوقف من جراء مثل هذه الامور . . .» .

توجد فى دفتر مذكراتى ، بتاريـخ ٢٩ (١٦) تشرين الاول (اكتوبر) المقتطفات التالية من اخبار الجرائد :

«موغيليف . (مقر القيادة العليا) . تحتشد هنا افواج الحرس التى يمكن الاعتماد عليها ، و«الفرقـة الوحشية» ، والوحدات القوزاقية و«كتائب الموت» .

اصدرت الحكومة امرا لليونكر * فـى مدارس بافلوفسك وتسارسكويه سيلو وبترهـوف بان يكونوا على استعداد للذهاب الى بتروغراد . يونكر اورانيينبوم يصلون الى المدينة .

يرابط فـى قصر الشتـاء قسم من فرقـة المصفحات البتروغرادية .

سلمت عدة الوف من البنادق لمندوبى عمال بتروغراد من قبل مصنع سستروريتسك للاسلحة ، بموجب امر موقع من تروتسكى .

اتخذ قرار فى اجتماع للميليشيا البلدية ، فـى حى نيجنى ليتينى ، يطالب بتسليم السلطة كلها للسوفييتات . . .» .

ليس هذا سوى نموذج من الاحداث المضطربة فى تلك الايام المحمومة . فقد كان الجميع يعلمون ان شيئا ما لا بد ان يحدث ، ولكن ما كان ثمة من يدرى ماذا بالضبط .

وفى ليلة ٣٠ (١٧) تشرين الاول (اكتوبر) ندد تروتسكى ، فى اجتماع سوفييت بتروغراد فى سمولنى ، بادعاءات الجرائـد

* اليونكر – تلاميذ المدارس الحربيـة التى كانت تخرّج الضباط للجيش القيصرى . **المحرر** .

البرجوازية الزاعمة ان السوفييت يعد لعصيان مسلح ، ناعتا اياها بانها محاولة معادية للثورة من أجل الاساءة الى سمعة مؤتمر السوفييتات ونسفه . وقال : «ان سوفييت بتروغراد لم يقرر القيام باية اعمال عنف . ولكن اذا كانت اعمال العنف ستكون امرا لا بد منه فلن نحجم عنها ، ولسوف تساندنا كل حامية بتروغراد . . . انهم (الحكومة) يعدّون لثورة مضادة ، وعلينا ان نرد على هذا بهجوم حاسم لا رحمة فيه . . .» .

وبالفعل لم يكن سوفييت بتروغراد قد قرر القيام بأية مظاهرة ، ولكن مسألة العصيان كانت تبحث فى اللجنة المركزية لحزب البلاشفة . وقد ظلت اللجنة مجتمعة طول ليل ٢٣ (١٠) تشرين الاول (اكتوبر) . وكان ممثلا فى هذا الاجتماع كل النخبة المثقفة فى الحزب وجميع زعمائه ، وكذلك مندوبون من عمال وحامية بتروغراد . وما كان يقول بالعصيان غير لينين وتروتسكى . حتى العسكريون كانوا معارضين . وجرى التصويت . فرفض العصيان !

واذ ذاك نهض عامل بسيط . كان وجهه محتدما بالغيظ . فاعلن قائلا بحدة : «انى اتكلم باسم بروليتاريا بتروغراد . نحن مؤيدون للعصيان . فافعلوا ما تشاؤون ، ولكنى اعلن لكم انكم اذا ما سمحتم بحل السوفييتات ، **فلن نماشيكم ابدا** !» وانضم اليه بضعة جنود . وبعد هذا جرى التصويت من جديد ، وتقرر العصيان . . . *

* ان سير المناقشة حول مسالة العصيان المسلح فى الجلسات التاريخية للجنة المركزية لحزب البلاشفة فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، معروض على نحو غير صحيح . فالقرار عن العصيان المسلح اتخذ فى جلسة سرية للجنة الحزب المركزية فى ٢٣ (١٠) تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، حضرها لينين وبوبنوف ودزيرجينسكى وزينوفييف وكامينيف وكولونتاى ولوموف وسفردلوف وسوكولنيكوف وستالين وتروتسكى واوريتسكى . وقد صوت ضد اقتراح لينين زينوفييف وكامينيف . وبعد ستة ايام ، فى ٢٩ (١٦) تشرين الاول (اكتوبر) عقد اجتماع موسع للجنة الحزب المركزية حضره ممثلو اللجنة التنفيذية للجنة الحزب الفرعية فى بتروغراد ، والمنظمة العسكرية ، وسوفييت بتروغراد ، والنقابات ، ولجان المعامل والمصانع ، وعمال السكك الحديدية ، ولجنة الحزب فى منطقة بتروغراد . وفى هذه الجلسة تلا لينين القرار المتخذ فى الجلسة السابقة

ومع ذلك فقد ظل جناح البلاشفة اليميني ، بقيادة ريازانوف وكامينيف وزينوفييف ، يتابع الحملة ضد العصيان المسلح . وصباح ٣١ (١٨) تشرين الاول (اكتوبر) * صدر في جريدة «رابوتشي بوت» القسم الاول من مقال لينين «رسالة الى الرفاق» ١١ – وهو من اجرأ ما عرف العالم من المواقف السياسية . فقد كان لينين يبرهن فيه بالادلة القاطعة على ضرورة العصيان داحضا باسهاب جميع اعتراضات كامينيف وريازانوف :

«إما الانتقال الى ليبر ودان والتخلي **السافر** عن شعار «كل السلطة للسوفييتات» ، وإما العصيان . وليس ثمة من وسط» .

وبعد ظهر ذلك اليوم بالذات القى زعيم الكاديت ميليوكوف خطابا راعدا في مجلس الجمهورية ١٢ وصم فيه توصيات سكوبيليف بالموالاة لالمانيا ، واعلن ان «الديموقراطية الثورية» تدمر روسيا ، وسخر من تيريشنكو واعلن بصراحة انه يفضل الديبلوماسية الالمانية على الروسية . . . وراحت مقاعد اليسار تصخب بالاستنكار . . .

وما كان في وسع الحكومة ، من جهتها ، تجاهل اهمية نجاحات الدعاية البلشفية . ففي ٢٩ (١٦) تشرين الاول (اكتوبر) صاغت اللجنة الموحدة للحكومة ومجلس الجمهورية مشروعي قانونين يعطي احدهما الارض للفلاحين موقتا ويقضي الآخر بانتهاج سياسة خارجية سلمية نشيطة . وفي اليوم التالي الغى كيرنسكي عقوبة الاعدام على الجبهة . وفي ذلك المساء بالذات افتتح بابهة الاجتماع الاول للجنة الجديدة ، «لجنة تعزيز النظام الجمهوري ومكافحة الفوضى والثورة المضادة» التي لم تترك ، مع ذلك ، ادنى اثر لها في التاريخ . وفي صباح اليوم التالي اجريت مع اثنين آخرين من

للجنة المركزية . ونوه لينين في كلمته بان الوضع السياسي الموضوعي ، سواء أفي روسيا ام في اوروبا ، يملي ضرورة انتهاج سياسة بالغة اقصى درجات الحزم والنشاط ، سياسة لا يمكن ان تكون غير العصيان المسلح . واقترح لينين على الاجتماع قرارا يرحب بقرار اللجنة المركزية عن العصيان ويؤيده (انظر المؤلفات ، المجلد ٢٦ ، ص ١٦٥) . واقر القرار بـ١٩ صوتا مقابل ٢ وامتناع ٤ . ومن جديد صوت زينوفييف وكامينيف ضد قرار اللجنة المركزية . **المحرر** .

* المؤلف على خطأ . فان هذا العدد قد صدر في ١ تشرين الثاني – نوفمبر (١٩ تشرين الاول – اكتوبر) . **المحرر** .

المراسلين مقابلة صحفية مع كيرنسكى [١٣] ، وكانت تلك آخر مرة استقبل فيها الصحافيين . وقد قال بمرارة :

«ان الشعب الروسى يعانـــــى الخراب الاقتصادى وخيبة الامل بالحلفاء . ان العالم اجمع يعتقد ان الثورة الروسية تدنو مـــــن نهايتها . فحذار من الخطــــــأ . ان الثورة الروسية ما هى الا فى بدايتها . . .» وقد كانت هذه الكلمات تنطوى على قدر من النبوءة ربما اكثر مما كان يعتقد .

وقد كان اجتماع سوفييت بتروغراد ليلــــة ٣٠ (١٧) تشرين الاول (اكتوبر) الذى حضرتـــــه انا اجتماعا عاصفا الى درجة خارقة للعادة . وقد حضره جميع الاشتراكيين – المثقفين «المعتدلين» ، والضباط ، واعضاء لجان الجيش واعضاء التسيـــــك . وقد كان يواجههم عمال وفلاحون وجنود عاديون ببساطة واندفاع .

وقد تحدث احد الفلاحين عن الاضطرابات فى مدينة تفير التى اثارها ، حسب قوله ، اعتقال اللجان الزراعيـــــة . وصاح قائلا : «ليس كيرنسكى سوى ستار للملاكين العقاريين ، فهم يعلمون ان الجمعية التأسيسية ستنزع منهم الارض على كل حال ، ولذلك فهم يريدون نسفها !» .

ووصف ميكانيكى من مصنع بوتيلوف كيـــــف كان المدراء يغلقون الورشة اثر الاخرى بحجة عدم توفر المحروقات والمـــواد الاولية . وكانت لجنة المصنع ، على حد قوله ، قد كشفت عــــن احتياطيات ضخمة مخبأة . واعلن قائلا :

«ان هذا استفزاز . انهم يريدون ان يميتونا جوعا او يدفعونا الى العنف !» .

وبدأ احد الجنود كلامه هكذا : «ايها الرفاق ! انى احمل اليكم التحية من ذلك المكان الذى يحفر فيه الرجال قبورا لهم ويسمونها خنادق !» .

ثم نهض جندى شاب طويل ذو عينين براقتين . فاستقبـــــل بتصفيق حماسى . وكان ذلك تشودنوفسكى الـــذى اشيع انه مات خلال القتال فى تموز (يوليو) وها هو الآن يبعث حيا .

«ان جمهور الجنود لـــم تعد لديه ثقة بضباطه . حتى لجـــان الجيش تخوننا اذ ترفض الدعوة لعقـــد سوفييتنا . . . ان جمهور الجنود يطالب بانعقاد الجمعية التأسيسية فى الموعد المحدد لهـــا

بالضبط ، واللعنات على من يحاول تأجيلها ، وليست هذه اللعنات افلاطونية وحسب ، فلا تزال لدى الجيش مدافع . . .» .

وتحدث عن حمى المعركة الانتخابية للجمعية التأسيسية في الجيش الخامس . «ان الضباط ، وبخاصة المناشفة والاشتراكيون ـالثوريون يسعون متعمدين لهلاك البلاشفة . انهم يمنعون نشر صحفنا في الخنادق ، ويعتقلون خطباءنا ! . .» .

وصاح احد الجنود : «لماذا لا تتكلم عن نقص الخبز ؟» فاجاب تشودنوفسكى بحدة : «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان !»

وخطب على اثره ضابط ، منشفي-دفاعى ، مندوب سوفييت فيتيبسك .

«القضية ليست قضية من يسيطر على السلطة . ان مصيبتنا ليست الحكومة ، بل الحرب . . . ولكنه لا بد من كسب الحرب قبل تحقيق اية تبديلات . . .» . فكانت صرخات وتصفيقات ساخرة . «هؤلاء المحرضون البلاشفة هم الديماغوجيون !» فهزت القهقهات القاعة . «فلننس الصراع الطبقى موقتا . . .» فلم يمكنوه من متابعة الكلام . وانطلقت صيحة تقول : «اجل ، هذا ما تشتهيه جدا !» .

كانت بتروغراد في تلك الايام تمثل مشهدا رائعا . فقد كانت مقرات اللجان في المصانع ملأى بالبنادق . رجال الارتباط يروحون ويجيئون ، والحرس الاحمر * يتدرب . . . وفي جميع الثكنات تجرى نهارا وليلا اجتماعات ومناقشات حامية لا نهاية لها . وفي الشوارع تحتشد جموع الشعب متراصة في عتمة المساء الكثيفة . انها تنتشر كامواج متدفقة على شارع نيفسكى صاعدة هابطة كأنها امواج البحر في المد . والصحف تتنازعها الايدى . . . وكانت اعمال النهب قد وصلت الى حد بات معه من الخطر الظهور في الازقة الجانبية . . . وقد رأيت ذات مرة في النهار في شارع سادوفايا كيف كان جمهور يضم المئات من الناس يضرب جنديا حتى الموت القى عليه القبض متلبسا بجريمة سرقة . . . وكان افراد خفيون يحومون حول النسوة المقرورات اللواتى ينتظرن في الصفوف ساعات طويلة باردة للحصول على الخبز والحليب ويهمسون بان اليهود يحتكرون كميات من المواد الغذائية في

* راجع «ملاحظات افتتاحية وتوضيحات» . ج . ريد .

الوقت الذى يموت فيه الشعب من الجوع وان اعضاء السوفييت يعيشون عيشة رخاء .

وفى المدخل الرئيسى فى سمولنى وعلى البوابات الخارجية كان يقف حراس صارمون يطلبون من جميع القادمين اذن الدخول . وكانت غرف اللجان تظل طول النهار والليل تعج كخلايا النحل ، والمئات من الجنود والعمال يناموون على الارض ، حيثما يجدون اماكن خالية . وفى الطابق الاعلى كان الالوف من الناس يتكدسون فى القاعة الضخمة اثناء الاجتماعات العاصفة لسوفييت بتروغراد .

وكانت اندية القمار تشتغل بصورة محمومة من الفجر حتى الفجر ؛ والشمبانيا تسيل انهارا ، والمراهنات فى القمار تصل حتى المئتى الف روبل . وفى الليل تتسكع المومسات وسط المدينة صعودا وهبوطا تملأن الشوارع والمقاهى متزينات بالماس ومرتديات ثمين الفراء . . .

وكانت ثمة مؤامرات ملكية ، وجواسيس المان ، وخطط مذهلة للمضاربين والمهربين . . .

وتحت المطر وفى غمرة البرد القارص ، وتحت السماء الكالحة الثقيلة ، كانت المدينة الضخمة المضطربة تحث خطاها اسرع فاسرع . . الى اين ؟

الفصل الثالث

عشية الاحداث

في مجال العلاقات بين حكومة ضعيفة وشعب ثائر يحل وقت ، عاجلا ام آجلا ، يغدو فيه كل عمل من اعمال الحكومة باعثا لغيظ الجماهير ، وكل امتناع منها عن العمل يثير احتقارها .

وقد اثار مشروع اخلاء بتروغراد عاصفة من الاستنكار . اما التصريح العلني الذي ادلى به كيرنسكي ، ومفاده ان الحكومة لم تكن لديها قط مثل هذه النية ، فقد استقبل بوابل من السخريات .

فقد ارعدت جريدة «رابوتشي بوت» تقول : «ان حكومة المحظيين البرجوازيين ، وقد ضيقت عليها الثورة الخناق ، تحاول ان تتخلص من ورطتها بنشر التأكيدات الكاذبة عن انها لم تكن تعتزم الفرار من بتروغراد وما كانت تريد تسليم العاصمة . . .»

وفي خاركوف * شكل ثلاثون الفا من عمال المناجم منظمة لهم ، وتبنوا المادة التمهيدية من نظام «عمال العالم الصناعيين» ** التي تقول : «ما من شيء مشترك بين طبقة العمال وطبقة ارباب العمل» . وقد شتت القوزاق المنظمة ، وطرد الكثيرون من العمال من العمل ، فاعلن الباقون الاضراب العام . واوكل وزير التجارة والصناعة كونوفالوف الى مساعده اورلوف مهمة انهاء الاضطرابات مزودا اياه بصلاحيات واسعة . وكان عمال المناجم يكرهون اورلوف . اما التسيك فلم تقتصر على تأييد هذا التعيين ، بل لقد رفضت المطالبة بسحب القوزاق من حوض الدونتز . . .

وعقب هذا حل سوفييت كالوغا . وكان البلاشفة ، اذ استولوا

* يبدو ان المؤلف يقصد حوض الفحم الحجري على نهر الدونتز . **المحرر** .

** «عمال العالم الصناعيون» هي احدى المنظمات النقابية الجماهيرية الثورية في الولايات المتحدة . وقد قامت سنة ١٩٠٥ تحت تاثير الاحداث الثورية في روسيا . وقد توقفت عن الوجود عمليا في الثلاثينيات ، اذ تحولت الى منظمة انعزالية ، وفقدت ما كان لها من صلة بالجماهير . واثناء ازدهار هذه المنظمة كان جون ريد يسهم بنشاط في اعمالها . **المحرر** .

على الاكثرية فى هذا السوفييت ، قد توصلوا لاطلاق سراح بعض المعتقلين السياسيين . فبادر الدوما البلدى ، بموافقة مفوض الحكومة ، الى استدعاء قوات من مينسك قصفت مبنى السوفييت بنيران المدفعية . فاستسلم البلاشفة ، وبينما كانوا يغادرون مبنى السوفييت ، انقض عليهم القوزاق صائحين : «هذا ما سيحدث لجميع سوفييتات البلاشفة الاخرى ، بما فيها سوفييتا موسكو وبتروغراد !» مما احدث موجة من الذعر جارفة اجتاحت روسيا كلها . . .

فى بتروغراد كان المؤتمر المنطقى لسوفييت الشمال يختتم جلساته برئاسة البلشفى كريلنكو . فقرر باغلبيته الساحقة ، ان يستلم مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا السلطة كلها وختم قراراته بارسال التحية للمعتقلين البلاشفة معلنا ان ساعة اطلاق سراحهم باتت فى متناول اليد . وفى الوقت نفسه اعلن المؤتمر الاول للجان المعامل والمصانع لعامة روسيا [1] تأييده القاطع للسوفييتات ، متخذا هذا القرار :

«. . . ان الطبقة العاملة ، بعد ان اطاحت بالحكم الاستبدادى فى المجال السياسى ، تسعى جاهدة لنصر النظام الديموقراطى فى مجال نشاطها الاقتصادى ايضا . وان هذا السعى ليجد التعبير عنه فى فكرة الرقابة العمالية التى نشأت بصورة طبيعية فى ظروف الخراب الاقتصادى الناجم عن السياسة الاجرامية للطبقات المسيطرة . . .» .

وكان اتحاد شغيلة السكك الحديدية يطالب باستقالة وزير المواصلات ليفيروفسكى .

وباسم التسيك كان سكوبيليف يلح على ان تقدم التوصيات الى مؤتمر الحلفاء ، ويحتج رسميا على ايفاد تيريشنكو الى باريس . وقدم تيريشنكو استقالته . . .

وكان الجنرال فيرخوفسكى ، وقد عجز عن تنفيذ ما ابتغاه من اعادة تنظيم الجيش ، نادرا ما يظهر فى اجتماعات مجلس الوزراء . . .

وفى ٣ تشرين الثانى – نوفمبر (٢١ تشرين الاول – اكتوبر) صدرت جريدة بورتسيف «اوبشيه ديلو» («القضية المشتركة») حاملة النداء التالى ، مطبوعا باحرف كبيرة :

«ايها المواطنون ! انقذوا روسيا !

عرفت للتو ان وزير الحربية الجنرال فيرخوفسكى ، احد المسؤولين الرئيسيين عن فشل الجنرال كورنيلوف ، قد اقترح امس فى اجتماع لجنة الدفاع لدى مجلس الجمهورية عقد صلح مع الالمان خفية عن الحلفاء . . .

هذه خيانة لروسيا !

وقد صرح تيريشنكو بان الحكومة الموقتة لم تقم حتى بدرس اقتراح الجنرال فيرخوفسكى .

وقال تيريشنكو : ان هذا لمستشفى مجانين .

وقد ذهل اعضاء اللجنة من كلمات الجنرال فيرخوفسكى . . .

وبكى الجنرال اليكسييف .

كلا ! ليس هذا مستشفى مجانين ! ان هذا لأسوأ من مستشفى المجانين ! هذه خيانة مباشرة لروسيا !

ان على كيرنسكى وتيريشنكو ونكراسوف ان يقدموا لنا الجواب فورا على اقوال فيرخوفسكى .

هبوا ايها المواطنون !

انهم يخونون روسيا !

فانقذوها!» .

ولكن فيرخوفسكى لم يكن يقول فى الواقع غير انه من الضرورى دفع الحلفاء للاستعجال بمقترحات الصلح ، لأن الجيش الروسى لم يعد فى وسعه ان يحارب .

ولقد كانت الضجة فى روسيا وخارجها هائلة . واعطى فيرخوفسكى «اجازة مرضية لاجل غير محدود» وانسحب من الحكومة . واغلقت جريدة «اوبشيه ديلو» . . .

وتقرر ان يكون يوم الاحد ٤ تشرين الثانى – نوفمبر (٢٢ تشرين الاول – اكتوبر) «يوم سوفييت بتروغراد» وان تعقد فيه اجتماعات حاشدة ضخمة فى جميع انحاء المدينة . وتقررت هذه الاجتماعات بحجة جمع الاموال للمنظمات والصحافة السوفييتية ؛ وفى الواقع كانت تهدف الى اظهار قوة السوفييت . وفجأة علم بان القوزاق قد قرروا القيام فى هذا اليوم بموكب دينى تكريما للايقونة العجائبية التى انقذت موسكو من نابليون سنة ١٨١٢ . فتكهرب الجو ؛ وكان يمكن لاقل شرارة ان تشعل حريق الحرب الاهلية .

فاصدر سوفييت بتروغراد النــــــداء التالى بعنوان «ايها الاخوة القوزاق !» .

«. . . يريدون ، ايها القوزاق ، ان يثيروكم علينا نحن العمال والجنود . وهذا العمـــل ، عمل قايين الرامى لأن يقتل الاخ اخاه صممه اعداؤنا المشتركون : النبلاء الطغـــاة واصحاب المصارف والملاكون العقاريــــون والموظفون السابقون وخـــــدم القيصر السابقون . . . اننا موضع كراهيـــــة المرابين والاثرياء والامراء والنبلاء والجنرالات بمن فيهـــم جنرالاتكم ، ايها القوزاق . انهـم مستعدون فى كل لحظة للقضاء على سوفييـــــت بتروغراد ولخنق الثورة . . .

فى ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) سيجرى موكب دينى قوزاقى . ان الاشتراك او عدم الاشتراك فى الموكب الدينى مسألـة تتعلق بضمير كل قوزاقى . فنحن لا نتدخل فى هذه المسألة ولا نقـــف عقبة فى طريق احد . . .» .

وسرعان ما الغى الموكب الدينى .

وفى الثكنات واحياء العمال كان البلاشفة ينشرون شعارهـــم «كل السلطة للسوفييتات !» ، فى حين ان عمـــلاء القوى السوداء كانوا يحرضون الشعب على تذبيـــــح اليهود واصحاب الحوانيت والزعماء الاشتراكيين . . .

فمن جهة كانت الصحافة الملكيـة تحض على المذابح الدامية ، ومن جهة اخرى كان صوت لينين يدوّى : «الى العصيان ! . . لـم يعد يمكن الانتظار !» .

حتى الصحافة البرجوازية اعتراها الارتباك [٢] . فقد كانــــت جريدة «بيرجيفى فيدوموستى» («انباء البورصة») تنعت الدعايـــة البلشفية بانها اعتداء على «مبادئ المجتمع الاساسية وعلى سلامـــة الفرد واحترام الملكية الخاصة» .

ولكن صحف الاشتراكيين «المعتدلين» كانت تنضح باوفـــى نصيب من الكراهية [٣] . فقد كانت جريدة «ديلو نارودا» («قضيـــة الشعب») تعلن قائلة : «ان البلاشفة هم اشد اعداء الثورة خطرا» . وكانت صحيفة «ديين» المنشفية تقول : «ان الحكومة ملزمـــــة بالدفاع عن نفسها وعنـا» . وكانت جريدة بليخانوف «يدينستفو» («الوحدة») [٤] تلفت انتبـــاه الحكومة الى ان عمال بتروغراد قـــد

باتوا مسلحين وتطالب بالتدابير الحازمة ضد البلاشفة .

ولكن الحكومة كانت تغدو كل يوم اعجز من ذى قبل فحتى الادارة البلدية كانت فى انهيار . وكانت اعمدة الجرائد تعج بانباء عن اجرأ حوادث السلب والقتل ، واما المجرمون فما كانت تطالهم يد العقاب . . .

ولكن ، من جهة اخرى ، كانت دوريات العمال المسلحين تقوم بحراسة الشوارع ليلا ، مطاردة اللصوص ومصادرة جميع الاسلحة التى تقع تحت ايديها .

وفى اول تشرين الثانى – نوفمبر (١٩ تشرين الاول – اكتوبر) اصدر القائد العسكرى الاعلى لبتروغراد ، العقيد بولكوفنيكوف الامر التالى :

«بالرغم من الايام الصعبة التى تعيشها البلاد ، ما تزال تنشر فى بتروغراد نداءات عديمة المسؤولية تدعو الى الاعمال المسلحة والى المذابح ، وفى الوقت نفسه تتزايد من يوم الى آخر اعمال السلب والتصرفات الفظيعة .

ان هذه الحال تخل بحياة المواطنين وتعيق الهيئات الحكومية والاجتماعية عن ممارسة عملها المنتظم .

فادراكا منى لما علىّ من مسؤولية وواجب حيال الوطن آمر :

١ – يتوجب على كل وحدة عسكرية ، بمقتضى التعليمات الخاصة فى حدود منطقة ترابطها ، ان تقدم للهيئات البلدية وللمفوضين والميليشيا كل ما تستطيع من المساعدة للمحافظة على المؤسسات الحكومية والاجتماعية .

٢ – ان تنظم دوريات بالاتفاق مع قيادة الناحية وممثل الميليشيا البلدية ، وان تتخذ التدابير لاعتقال العناصر المجرمة والهاربين .

٣ – كل شخص يدخل الى الثكنات ويحض على الاعمال المسلحة والمذابح ، يعتقل ويساق الى مقر القيادة الثانية فى المدينة .

٤ – لا يسمح بالمظاهرات فى الشوارع والاجتماعات العامة والمواكب .

٥ – التظاهرات المسلحة والمذابح تقمع على الفور بواسطة جميع القوات المسلحة المتوفرة .

٦ – تقديم المساعدة للمفوضيـــــن للحيلولة دون التحريات والاعتقالات التعسفية .

٧ – على الوحدات ان تبلغ هيئة الاركان على الفور بكل ما يجرى فى منطقة ترابطها .

ادعو لجان الوحدات وجميع منظمات الجيش لمساعدة القادة فى تنفيذ المهمات الملقاة على عاتقهم» .

وفى مجلس الجمهوريـــة صرح كيرنسكى ان الحكومة الموقتة مطلعة كل الاطلاع على الدعاية البلشفية وان لديها من القوة مـــا يكفى لمواجهة اية مظاهرات[5] . واتهـــم جريدتى «نوفايـــا روس» و«رابوتشى بوت» بارتكاب الاعمال الاجرامية ذاتها . واردف قائلا : «ولكن حرية الصحافة المطلقة لا تمكن الحكومة من اتخاذ التدابيـر ضد الاكاذيب المطبوعة . . .» * . وبعد ان اعلـــن ان البلشفية والملكية ليستا سوى ظاهرتين مختلفتين لدعاية واحدة بذاتها فى صالح الثورة المضادة ، التى شد ما تتوق اليها قوى الظلام ، تابع قائلا :

«انى امرؤ هالك ، فسواء لدىّ ما يجرى لى وان لدىّ الجرأة لأن اعلن ان كل غامض فى الاحداث رهن بما يقوم به البلاشفة فى المدينة من استفزاز لا يصدق» .

وفى ٢ تشرين الثانى –نوفمبر (٢٠ تشريـن الاول –اكتوبر) لم يكن قد جاء الى مؤتمر السوفييتات غير ١٥ مندوبا . وفى اليوم التالى بلغ عددهم المئة ، وبعد يـــــوم بلغوا ١٧٥ ، منهم ١٠٣ بلاشفة . . . وكان ينبغى لاكتمال النصاب ٤٠٠ شخص ، وما كان قد بقى حتى المؤتمر غير ثلاثة ايام . . .

كنت اقضى معظم الوقت تقريبا فـى سمولنى . وكان الوصول الى هناك قد بات عسيرا . فقد كان يقف صفان من الحرس عنـــد البوابات الخارجية ، واما مقابل المدخل الرئيسى فكان يمتد صـــف انتظار طويل من الناس المنتظرين الحصول على اجازات الدخول . وكان يسمح بالدخول الى سمولنى لكل اربعة اشخاص دفعة واحدة ، بعد التحقق مسبقا من هوية كل شخص ومعرفة المسألة التى جـــاء

* ليس هذا التصريح صادقا تمام الصدق . ففى تموز (يوليو) اغلقت الحكومة الموقتة الجرائد البلشفية ، وكانت اذ ذاك تعتزم القيام بالعمـــل نفسه . ج . ريد .

من اجلها . وكانت اجازات الدخول تعطى ، ولكن نماذجها كانت تتبدل عدة مرات فى اليوم ، وذلك لأن الجواسيس كانوا يتحايلون دائما للتسلل الى سمولنى . . .

وفيما كنت ذات مرة قادما الى سمولنى رأيت امامى تروتسكى مع زوجته لدى البوابة الخارجية . وكان الخفير قد اوقفهما . وكان تروتسكى يفتش فى جميع جيوبه ، ولكنه عبثا يعثر على اجازة الدخول . واخيرا قال :

«لا يهم . انك تعرفنى . كنيتى تروتسكى» .

فاجاب الجندى بعناد :

«اين اجازة الدخول ؟ لا تستطيع الدخول ، الاسماء لا تعنى شيئا بالنسبة لى» .

«ولكنى رئيس سوفييت بتروغراد» .

فاجاب الجندى :

«حسنا ، ما دمت شخصية فى مثل هذه الاهمية ، فقد كان ينبغى ان تكون معك ولو وثيقة ما» .

كان تروتسكى جد صبور . فقال : «دعنى اقابل القائد» . فتردد الجندى وتمتم بان لا مجال لازعاج القائد مرضاة لكل قادم . ولكنه اخيرا دعا صف ضابط باشارة من رأسه . فعرض عليه تروتسكى قضيته ، مكررا قوله : «كنيتى تروتسكى» .

«تروتسكى . . . — قال صف الضابط هذا وهو يحك قذاله . ثم دمدم قائلا : — سمعت هذا الاسم فى مكان ما . . . حسنا ، لا بأس ، ادخل يا رفيق» .

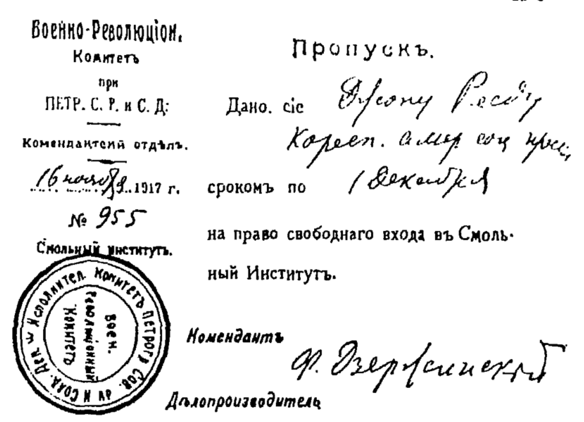
والتقيت فى الممشى بكاراخان ، عضو اللجنة المركزية البلشفية * . فاوضح لى ما ستكون عليه الحكومة الجديدة :

«منظمة مرنة ، تصغى لارادة الشعب المعبر عنها عن طريق السوفييتات ، تعطى الحرية الكبرى للمبادرة المحلية . ان الحكومة الموقتة تكبل الآن الديموقراطية المحلية ، مثلما كان يجرى فى ظل القيصر تماما . . . ان المبادرة فى المجتمع الجديد ستنطلق من الادنى . وستكون اشكال الحكم منظمة وفق النظام الداخلى للحزب الاشتراكى-الديموقراطى الروسى .

---

* لم يكن كاراخان عضوا فى اللجنة المركزية . **المحرر** .

وسيكون البرلمان هو التسيك الجديدة ، المسؤولة امام مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا التى غالبا ما ستدعى للانعقاد ، وسيقوم بادارة الوزارات لا وزراء على حدة ، بل هيئات مسؤولة مباشرة امام السوفييتات» .


Военно-Революціон. Комитетъ при ПЕТР. С. Р. и С. Д:

Комендантскій отдѣлъ.

16 ноября 1917 г.

№ 955

Смольный институтъ.

Пропускъ.

Дано. сіе Джону Риду Корресп. амер. соц. прес.

срокомъ по 1 Декабря

на право свободнаго входа въ Смольный Институтъ.

Комендантъ Ф. Дзержинский

Дѣлопроизводитель

اجازة الدخول الممنوحة الى جون ريد والتى تخوله حق الدخول الى مبنى سمولنى

وفى ٣٠ (١٧) تشرين الاول (اكتوبر) قمت بزيارة لتروتسكى ، بناء على موعد سابق ، فى غرفة صغيرة جرداء من الاثاث فى الطابق العلوى من سمولنى . كان جالسا على كرسى عادى خلف طاولة فارغة فى وسط الغرفة . وقد طرحت عليه قليلا جدا من الاسئلة . فراح يتكلم سريعا وبلهجة واثقة اكثر من ساعة . وانى لاورد هنا فحوى ما قاله مستعملا تعابيره نفسها :

«ان الحكومة الموقتة عاجزة تماما . والبرجوازية تتولى السلطة ، الا ان سلطتها مقنعة بائتلاف موهوم مع الاحزاب المؤيدة للحرب الدفاعية . وعلى مدى الثورة كلها نرى انتفاضة الفلاحين ، الذين كلوا من انتظار الارض التى وعدوا بها . وهذا الاستياء ذاتـــه يستولى بجلاء على جميع الطبقات الكادحة فى جميع انحاء البلاد .

وليس يمكن لسلطة البرجوازية ان تتحقق الا عن طريق الحرب الاهلية . فالبرجوازية لا يمكن ان تمارس الحكم الا بطريقـــة كورنيلوف ، ولكن القوة تعوزها . . . ان الجيش معنا . وقد خسر المساومون ودعـــاة المصالحة والاشتراكيون-الثوريون والمناشفة كل نفوذهم ، لأن الصراع بين الفلاحين والملاكين العقاريين ، بين العمال وارباب العمل ، بين الجنود والضباط ، قد بلغ درجة خارقة من الشدة انعدمت معها امكانية المصالحة . وليس يمكن انجاز الثورة وانقـــاذ الشعب الا بتركيز جهود الجماهير الشعبية ، الا بانتصار ديكتاتورية البروليتاريا . . .

ان السوفييتات هي اصدق تمثيــل للشعب ، اصدق من حيث تجربتها الثورية وافكارها واهدافها . وهي باعتمادها المباشر على الجنود في الخنادق وعلى العمال في المعامل وعلى الفلاحين في القرى ، انها بالفعل بمثابة العمود الفقري للثورة .

جرت هناك محاولات لاقامة السلطة بدون السوفييتات . فما نجم عن هذه المحاولات غير انعدام السلطة . وفي الوقت الحاضر تحاك في كواليس مجلس الجمهورية الروسية مختلف انواع الخطط المعادية للثورة . وحزب الكاديت يمثل الثورة المضادة النشيطة . اما السوفييتات فتمثل قضية الشعب . وليست بين هذين المعسكرين اية فئة ذات شأن . . . انهــا «lutte finale» -**المعركة النهائية الحاسمة** . ان الثورة البرجوازية المضادة تنظم جميـــع قواها ولا تنتظر غير اللحظة المؤاتية للهجوم . ولسوف يكون ردنا حاسما . اننا سننجز العمل الذي بالكاد بوشر به في شباط (فبراير) والذي تقدم الى امام اثناء حركة كورنيلوف . . .»

وانتقل الى السياسة الخارجية للحكومة المقبلة :

«سيكون اول عمل نقوم به هو الدعوة الى الهدنة الفورية على جميع الجبهات والى مؤتمر لجميع الشعوب لمناقشة شروط الصلح الديموقراطية . وسيكون مدى ديموقراطية معاهدة الصلح متوقفا على مدى الدعم الثوري الذي نلقاه في اوروبا ؛ واذا ألفنا هنا حكومة السوفييتات ، فسيكون ذلك عاملا قويا في سبيل الصلح الفوري في اوروبا لأن الحكومة ستتوجه باقتراح الهدنة الى جميع الشعوب مباشرة وبدون واسطة ، متخطيـــة الحكومات . وعند عقد الصلح ستصر روسيا الثورية على مبدأ «لا الحاق ولا غرامة ، على اساس

حق الشعوب فى تقرير مصيرها بحرية» واقامة **الجمهورية الاوروبية الاتحادية . . .**

وانى لارى اوروبا ، فى نهاية هذه الحرب ، يعيد تكوينها لا الديبلوماسيون بل البروليتاريا . الجمهورية الاوروبية الاتحادية او الولايات المتحدة الاوروبية – هذا ما يجب تحقيقه . ان الاستقلال الذاتى الوطنى لم يعد كافيـــا . فالتطور الاقتصادى يتطلب الغاء الحدود الوطنية . فاذا ما ظلت اوروبا مجزأة الى جماعات قومية ، فان الامبريالية ستواصل فعلها . وليس غير الجمهورية الاوروبية الاتحادية تستطيع منح السلام للعالم بأسره» ، وابتسم ابتسامته الرقيقـــة الساخرة بعض الشىء . – «ولكن هذه الاهداف لا يمكن بلوغها بدون عمل الجماهير الاوروبية . . .» .

كان الجميع يتوقعون ان يظهر البلاشفة فى الشوارع ذات يوم على نحو مفاجئ ويروحون يطلقون النار على جميـــع الناس ذوى الياقات الانيقة البيضاء . ولكن الانتفاضة جرت بمنتهى البساطة وعلى المكشوف تماما .

كانت الحكومة الموقتة تعتزم ارسال حامية بتروغراد الى الجبهة .

وكانت حامية بتروغراد تعدّ قرابة ٦٠ الف رجل وقد لعبت دورا بارزا فى الثورة . فهى بالذات التى حسمت الامر فى ايام شباط (فبراير) العظمى ، وهى التى انشأت سوفييتات نواب الجنود ، وهى التى صدت كورنيلوف عن مشارف بتروغراد .

وتضم الآن الكثير جدا من البلاشفة . وحين شرعت الحكومة تتحدث عن اخلاء المدينة ، كانت حامية بتروغراد بالذات هى التى ردت عليهـا قائلة : «واحد من اثنين . . . اذا كانت الحكومة غير قادرة على الدفاع عن العاصمة فان عليها إما ان تعقد الصلح فى الحال ، وإما ان تنصرف اذا لم تكن قادرة على عقد الصلح ، فتخلى المكان لحكومة شعبية حقا وصدقا . . .» .

فكان جليا ان اية محاولة عصيان انما تتوقف كليا على مسلك حامية بتروغراد . وكانت خطة الحكومة تقوم على احلال الوحدات «الموثوقة» من القوزاق و«كتائب الموت» محل افواج الحامية . وكانت لجان بعض الجيوش والاشتراكيون «المعتدلون» والتسيك تؤيـــد الحكومة . وكانت تجرى فى الجبهـــة وفى بتروغراد اعمال تحريض واسعة : فقد كان يقال ان حامية بتروغراد قد مضت عليها ثمانية

شهور وهى تتسكع وتعيش حياة دعة وهدوء فى ثكنات العاصمة ، فى حين ان رفاقهم المنهوكين فى الخنادق يجوعون ويموتون .

لا شك بان التهمة القائلة بان افواج الحامية كانت غير راغبة فى استبدال ارتياحها النسبى باهوال الحملة الشتوية ، تنطوى على قسط من الحقيقة . ولكن كانت ثمة اسباب اخرى لرفضها الذهاب الى الجبهة . فقد كان سوفييت بتروغراد يرتاب بنوايا الحكومة ، وفى الوقت نفسه كان يأتى من الجبهة مئات المندوبين من الجنود البسطاء يعلنون بصوت واحد : «صحيح اننا فى حاجة الى تعزيزات ، ولكن الاهم من ذلك هو ان نتأكد ان الثورة هنا ، فى بتروغراد ، فى حماية يركن اليها . . . فحافظوا على المؤخرة ، ايها الرفاق ، اما نحن فسنحافظ على الجبهة . . .» .

وفى ٢٥ (١٢) تشرين الاول (اكتوبر) عقدت اللجنة التنفيذية لسوفييت بتروغراد جلسة سرية بحثت فيها مسألة تشكيل لجنة عسكرية خاصة . وفى اليوم التالى انتخب فرع الجنود فى سوفييت بتروغراد لجنة اعلنت على الفور مقاطعة جميع الصحف البرجوازية ووجهت اللوم الى التسيك لمعارضتها مؤتمر السوفييتات . وفى ٢٩ (١٦) تشرين الاول (اكتوبر) اقترح تروتسكى فى اجتماع علنى لسوفييت بتروغراد الاعتراف الرسمى باللجنة الثورية العسكرية . وقال : «ان علينا ان نؤلف اللجنة الخاصة لكى نسير وراءها الى القتال ونموت اذا اقتضى الامر . . .» . وقد تقرر ايفاد وفدين الى الجبهة للتباحث مع لجان الجنود ومع الاركان العامة ، احدهما عن السوفييت والآخر عن الحامية .

وفى بسكوف استقبل وفد السوفييت قائد الجبهة الشمالية الجنرال تشيريميسوف فاعلن باقتضاب انه قد امر حامية بتروغراد بان تذهب الى الخنادق وان هذا كل ما فى الامر . اما وفد الحامية فلم يسمحوا له بمغادرة بتروغراد . . .

وطالب وفد من فرع الجنود فى سوفييت بتروغراد بان يكون له ممثل فى الاركان العامة لدائرة بتروغراد العسكرية . فلقى هذا الالتماس الرفض . وطالب سوفييت بتروغراد بان لا يصدر اى امر بدون موافقة فرع الجنود . وكان نصيب هذا الطلب الرفض . وقيل بفظاظة للموفدين : «نحن نعترف بالتسيك فقط . ولسنا نعترف بكم ، فسوف نعتقلكم اذا ما خرقتم القانون» .

وفى ۳۰ (۱۷) تشرين الاول (اكتوبر) * اتخذ اجتماع ممثلي جميع افواج بتروغراد القرار التالى : «ان حامية بتروغراد لم تعد تعترف بالحكومة الموقتة . ان حكومتنا هى سوفييت بتروغراد . ولن نخضع الا لاوامر سوفييت بتروغراد الصادرة عن لجنته العسكرية الثورية» . وصدرت الاوامر الى الوحدات العسكرية المحلية بانتظار التعليمات من فرع الجنود فى سوفييت بتروغراد .

وفى اليوم التالى عقدت التسيك اجتماعها الخاص وكان الضباط يمثلون اغلبية المشتركين فيه ، فالفت لجنة خاصة للعمل المشترك مع الاركان العامة وبعثت بمفوضيها الى جميع احياء بتروغراد .

وفى ۳ تشرين الثانى - نوفمبر (۲۱ تشرين الاول - اكتوبر) عقد فى سمولنى اجتماع عام حاشد للجنود ، اتخذ القرار التالى :

«ان حامية بتروغراد وضواحيها ، اذ ترحب بتشكيل اللجنة العسكرية الثورية لدى سوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود ، تعد اللجنة العسكرية الثورية بمساندتها التامة فى كل خطواتها الرامية الى وحدة اوثق بين الجبهة والمؤخرة لما فيه مصالح الثورة .

وعلاوة على هذا تعلن حامية بتروغراد انها تقف بكليتها مع البروليتاريا المنظمة على حراسة النظام الثورى فى بتروغراد . ان كل محاولة من جانب الكورنيلوفيين والبرجوازية لاحداث الاضطراب والخلل فى الصفوف الثورية ستلقى **مقاومة لا رحمة فيها**» .

وشعورا منها بقوتها ، طالبت اللجنة العسكرية الثورية بحزم بان تخضع الاركان العامة فى منطقة بتروغراد لتوجيهاتها . وبعثت الى جميع المطابع امرا يقضى بعدم طبع اية نداءات او بيانات بدون ترخيص منها . وجاء الى ترسانة كرونفرك مفوضون مسلحون فاستولوا على كمية ضخمة من الاسلحة والذخائر ، واوقفوا شحنة مؤلفة من عشرة آلاف حربة معدة للارسال الى نوفوتشيركاسك ، مقر اركان كاليدين . . .

وشعرت الحكومة فجأة بالخطر الذى تواجهه ، فوعدت اللجنة بالعفو اذا هى حلت نفسها من تلقاء نفسها . ولكن بعد فوات الأوان . ففى منتصف ليلة الخامس من تشرين الثانى - نوفمبر (۲۳ تشرين الاول - اكتوبر) ، بعث كيرنسكى نفسه بماليفسكى الى سوفييت

---

* هذا الاجتماع عقد فى ۳۱ (۱۸) تشرين الاول (اكتوبر) . **المحرر** .

بتروغراد يعرض عليه ان يبعث بممثل عنه الى الاركان العامـــة . فاجابت اللجنة العسكرية الثوريـــــة بالموافقة ، ولكن الجنرال مانيكوفسكى ، وزير الحربية بالوكالة ، سحب هذا العرض بعد ساعة . . .

وصباح الثلاثاء فى السادس من تشرين الثانى – نوفمبر (٢٤ تشرين الاول – اكتوبر) اضطربت المدينة كلها لظهور نداء فى الشوارع يحمل توقيع : «اللجنة العسكرية الثورية لدى سوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود» :

«الى سكان بتروغراد

ايها المواطنون ! لقد رفعت الثورة المضادة رأسها المجرم . فالكورنيلوفيون يعبئون القوى من اجل سحق مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا واحباط الجمعية التأسيسية . وفى الوقت نفسه قد يحاول الارهابيون اثارة الاضطراب والمذابح فى شوارع بتروغراد .

ان سوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود يأخذ على عاتقه المحافظـــة على النظام الثورى ضد محاولات المعاديـــن للثورة والارهابيين .

ان حامية بتروغراد لن تسمح باية اعمال عنف واخلال بالنظام . والاهلون مدعوون لوقف الاوباش والمحرضين من جماعة المئة السود وتسليمهم لمفوضى السوفييت فى اقرب وحدة عسكرية . ان المجرمين سيبادون من على وجه الارض لدى اول محاولـــة تقوم بها قوى الظلام لاثارة الاضطراب او النهب او الشجـــار او اطلاق النار فى شوارع بتروغراد .

ايها المواطنون ! اننا ندعوكم الى التزام الهدوء التام وضبط النفس . ان قضية النظام والثورة فى ايد قوية . . .» .

وفى ٣ تشرين الثانى – نوفمبر (٢١ تشرين الاول – اكتوبر) عقد زعماء البلاشفة اجتماعهم التاريخى . وقد جرى فى سرّية . وكان زالكند * قد ابلغنى عن ذلك ، فلبثت انتظر نتيجة الاجتماع وراء الباب فى الممشى . واذ خرج فولودارسكى من الغرفة ، اطلعنى عما يجرى فيها .

* زالكند ، مشترك نشيط فى انقلاب اكتوبر ، عضو المنظمـــة البلشفية فى بتروغراد . **المحرر** .

كان لينين يقول : «فى ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) سيكون العمل مبكرا جدا : فالانتفاضة بحاجة الى قاعدة تشمل روسيا بأسرها ، ويوم ٢٤ تشرين الاول لن يكون جميع المندوبين قد وصلوا الى المؤتمر . ومن جهة اخرى ، سيكون العمل فى ٢٦ تشرين الاول جد متأخر : ففى هذا الوقت سينتظم المؤتمر ، ومن الصعب على اجتماع منظم ضخم ان يتخذ تدابير عاجلة وحاسمة . فعلينا ان نعمل فى ٢٥ تشرين الاول ، يوم افتتاح المؤتمر ، بحيث يكون فى وسعنا ان نقول له : ها هى ذى السلطة ! فماذا ستفعلون بها ؟» .

كان يجلس فى احدى غرف الطابق العلوى رجل نحيل الوجه طويل الشعر ، عالم رياضيات ولاعب شطرنج ، كان فى الماضى ضابطا فى الجيش القيصرى ، ثم بات ثوريا ومنفيا ، يدعى اوفسيينكو واسمه المستعار انطونوف . وبوصفه عالم رياضيات ولاعب شطرنج ، كان منهمكا باعداد خطط الاستيلاء على العاصمة .

وكانت الحكومة من جهتها تستعد هى ايضا للمعركة . فقد كانت تحتشد خفية فى الطريق الى بتروغراد اكثر الافواج موضعا للثقة ، وقد اختيرت من الفرق المترامية على طول الجبهة . وفى قصر الشتاء اقيمت مدفعية اليونكر . وللمرة الاولى بعد ايام عصيان تموز (يوليو) ظهرت الدوريات القوزاقية فى الشوارع . وكان بولكوفنيكوف يصدر الامر اثر الامر ، مهددا بسحق ادنى تمرد «باشد وسائل القمع» . وجرى تعيين كيشكين ، وزير التعليم العام ، وهو اكثر اعضاء الحكومة كراهية ، مفوضا فوق العادة للمحافظة على النظام فى بتروغراد . وقد عين مساعدين له شخصين على قسط وافر من اللاشعبية ، هما روتنبرغ وبالتشنسكى . واعلن الحكم العرفى فى بتروغراد وكرونشتادت وفنلندا . وبهذا الصدد قالت صحيفة «نوفويه فريميا» («الازمنة الحديثة») البرجوازية بلهجة ساخرة :

«ما الداعى لحالة الحصار ؟ ان الحكومة لم تعد بذات سلطة ، انها لا تملك السيطرة المعنوية ولا الجهاز الضرورى الذى من شأنه ان يمكنها من استخدام القوة . . . وليس فى وسعها ، فى احسن الحالات ، الا اجراء مباحثات مع الذين يوافقون على التباحث معها . وسلطتها لا تتعدى ذلك . . .» .

صباح الاثنين ، فى ٥ تشرين الثانى – نوفمبر (٢٣ تشرين الاول – اكتوبر) قمت بزيارة قصيرة لقصر مارى لمعرفة ما يجرى

فى مجلس الجمهورية الروسية . كانت ثمة مناقشات عنيفة حول سياسة تيريشنكو الخارجية . وصدى قضية بورتسيف-فيرخوفسكى . وقد حضر جميع الديبلوماسيين ، خلا سفير ايطاليا الذى قيل انه منهوك القوى من جراء كارثة كارسو . . .

وحين دخلت كان كاريلين ، الاشتراكى-الثورى اليسارى ، يقرأ بصوت مسموع مقالا افتتاحيا فى جريدة «التايمس» اللندنيـــة جاء فيه : «بالرصاص ينبغى معالجة البلشفية» .

والتفت كاريلين صوب الكاديت ، فصاح : «هذا ما تفكرون به انتم ايضا» .

اصوات من اليمين : «نعم ! نعم !»

فاجاب كاريلين بحرارة : «اجل ، انا اعلم انكم هكذا تفكرون . ولكن هيا تجاسروا على محاولة ذلك بالفعل !» .

وبعد ذلك راح سكوبيليف ، وهو اشبه بمغازل نبيل ، ذو لحية شقراء انيقة وشعر صفراوى متموج ، يدافع عن توصية السوفييتات بلهجة اعتذار . وعلى اثره خطب تيريشنكو وقد استقبل بصيحات من اليسار : «استقل ! استقل !» وقد الح على ان من واجب مندوبى الحكومة والتسيك فى مؤتمر باريس ان يدافعوا عن وجهـــة نظر مشتركة – وعلى وجه الضبط وجهة نظره هو ، تيريشنكو . وقال بضـــع كلمات عن اعادة الانضباط الى الجيش ، وعن الحرب حتى النصر . . . ووسط ضجيج واحتجاجات صاخبة من اليسار ، انتقل مجلس الجمهورية الروسية الى جدول الاعمال .

كانت مقاعد البلاشفة خالية ، ولقد كانت خالية منذ يوم افتتاح المجلس حين انسحب منه البلاشفة آخذين معهم كل الحيوية . وفيما انا اهبط السلم ، كنت افكر فى ان هذه القاعة العالية الباردة لا يمكن ان يتسرب اليها ، برغم المناقشات العنيفة ، اى صوت حى من العالم الخارجى الحقيقى ، وان الحكومة الموقتة قد تحطمت على هذه الصخرة ذاتها ، صخرة الحرب والسلام ، التى تحطمت عليها حكومة ميليوكوف فى حينها . . . وقد تمتم البواب وهو يقدم لى معطفى : «لست ادرى ماذا حل بروسيا المنكودة ! . . مناشفة ، بلاشفة ، ترودوفيكيون . . . اوكرانيا ، فنلندا ، امبرياليو جرمانيـــــا ، امبرياليو انكلترا . . . مضت علىّ خمس واربعون سنة وانا اعيش فى الدنيا ، ولكنى لم اسمع قط كل هذا المقدار من الكلام» .

التقيت فى الممشى بالبروفسور شاتسكى ، وهو شخصية واسعة النفوذ فى اوساط الكاديت ، له وجه الجرذ ، يرتدى معطفا رسميا انيقا . فسألته رأيه فى الحركة البلشفية المسلحة التى طال اللغو حولها . فشال بكتفيه وابتسم بافتعال . واجابنى قائلا :

«انهم قطيع من السفلة . انهم لن يتجاسروا ، واما اذا تجاسروا فلسوف نريهم ! . . بل فى رأينا ان هذا ليس بالامر السيئ ، اذ انهم سيجلبون الكارثة على انفسهم من جراء حركتهم نفسها ولن تكون لهم اية قوة فى الجمعية التأسيسية . . .

ولكن اسمح لى ، ايها السيد العزيز ، ان ارسم لك مشروع تنظيم الحكومة الجديدة الذى سأقدمه الى الجمعية التأسيسية . فانا ، كما ترى ، رئيس اللجنة الفرعية التى شكلها مجلس الجمهورية بالاشتراك مع الحكومة الموقتة لاعداد مشروع للدستور . . . ستكون لدينا ندوة تشريعية مؤلفة من مجلسين ، على غرار ما هو عندكم فى الولايات المتحدة . ويضم المجلس الادنى ممثلى الاقاليم ، ويضم الاعلى ممثلى المهن الحرة ، والزيمستفوات ، والاتحادات التعاونية والنقابات . . .» .

وفى الشارع ، كانت تهب من الغرب رياح باردة رطبة . والوحول الجليدية تنفذ من نعلىّ . وكانت ثمة سريتان من اليونكر تسيران صعدا فى شارع مورسكايا بخطوات متوازنة . وكانت صفوفهما تتماوج فى المسير بانتظام . كانوا ينشدون اغنية عسكرية قديمة من العهد القيصرى . . . وفى اول ملتقى للشوارع لاحظت ان رجال الميليشيا يعتلون ظهور الخيل ، ويتمنطقون المسدسات فى قرابات جديدة لماعة . وكان ثمة جمع صغير من الناس ينظر اليهم فى صمت . وفى ملتقى شارع نيفسكى اشتريت كراس لينين «هل يحتفظ البلاشفة بالسلطة ؟» ودفعت ثمنه طابعا بريديا ؛ وقد كانت امثال هذه الطوابع تتداول اذ ذاك بدلا من القطع النقدية الصغيرة . كانت حافلات الترام تزحف على عهدها دائما ، وقد تعلق بها من الخارج مدنيون وعسكريون باوضاع يحسدهم عليها تيودور شونت * . . . وعلى طول الارصفة كانت تقف صفوف من الهاربين من الجندية ، بالبستهم العسكرية ، يبيعون السيكارات وبذور دوار الشمس .

* بهلوان مشهور فى تلك الايام . المحرر .

وعلى طول شارع نيفسكى ، وسط الضباب الكثيف ، كانت جموع الشعب تتنازع الطبعات الاخيرة من الصحف او تتجمع على الاعلانات ، وتحاول ان تتفهم النداءات والبيانات التى كانت ملصقة على جميع الجدران [٦] . وكانت هناك بيانات التسيك ، وسوفييتات الفلاحين ، واحزاب الاشتراكيين «المعتدلين» ، ولجان الجيش ، وجميعها تنذر العمال والجنود وتتضرع اليهم ان يلزموا بيوتهم وان يساندوا الحكومة . . .

وكانت ثمة مصفحة تتحرك طول الوقت الى وراء والى امام مطلقة زعيق صفارتها . وعند كل زاويـــة وفى كل مكان مكشوف كانت تتجمع حشود كثيفة من الناس . والجنود والطلاب فى نقاش حار . والليل يهبط ببطء ، والمصابيح القليلة تتلامح ، وامواج لا نهاية لها من الناس تتدفق . . . هكذا كانت حال بتروغراد على الدوام قبيل الاضطرابات .

كانت المدينة فى توتر عصبى ، ترهف مسامعها لدى كل ضجة حادة . ولكن لم تبد اية ظاهرة لنشاط البلاشفة ؛ فلازم الجنود الثكنات والعمال المعامل . . . ودخلنا قاعة للسينما قرب كاتدرائية قازان . كان يعرض فيلـــم ايطالى ، زاخر بالدمـــاء والشهوات والدسائس . وكان يجلس فى الصف الاول بعض البحارة والجنود ، ينظرون الى الشاشة بدهشة الاطفال ، غير مدركين قط ما الداعى لكل هذه المطاردات ولكل اعمال القتل هذه .

ومن قاعة السينما اسرعت الى سمولنى . كان ينعقد فى الغرفة العاشرة من الطابق العلوى اجتماع متواصل بدون انقطاع للجنـــة العسكرية الثورية . وكان يتولى الرئاسة شاب متوهج الشعر فى الثمانية عشرة من عمره ، كنيتـــه لازيمير . ولدى مروره بجانبى توقف وشد على يدى مصافحا بشىء من الحياء . وقال لى بابتسامـــة بهيجة :

«انضمت الينا قلعة بطرس وبولس ! تلقينا للتو اخبارا من فوج استدعته الحكومة الى بتروغراد لاعمال القمع . كان الجنود قد اخذوا يرتابون بان وراء الاكمة مـــا وراءها ، فاوقفوا القطار فى غاتشينا وبعثوا بمندوبين الينا . وقد سألونا : «ما الامر ؟ ماذا تقولون لنا ؟ لقد اتخذنا قرارا بان تكون «كل السلطة للسوفييتات» .

وقد اجابتهم اللجنة العسكرية الثورية : «نحييكم ، ايها الاخوان ، باسم الثورة ! الزموا اماكنكم وانتظروا الاوامر» .
وابلغنى قائلا : «جميع خطوطنا الهاتفية مقطوعة . الا ان رجال الهاتف العسكريين اقامـــوا خط ميدان للاتصال مع المصانـــع والثكنات . . .» .
وبدون انقطاع كان يدخل الى الغرفة ويخرج منها رجال ارتباط ومفوضون . وكان يتولى المناوبة وراء الباب اثنا عشر متطوعـــا ، مستعدين للانطلاق فى اية لحظة الى ابعد قسم من المدينة . وقد قال احدهم بالفرنسية ، وهو رجـــل ذو وجه غجرى يرتدى بزة ملازم : «الجميع مستعدون للعمل لدى اول اشارة» .
ومر امامى بودفويسكى ، وهو رجل مدنى نحيل ذو لحية ، كانت تختمر فى دماغه خطط العمليات للعصيان ؛ وانطونوف الذى طال شعر لحيته ، واتسخت قبة قميصه ، وهو يترنح من النعاس نتيجة عدم النوم ؛ وكريلنكو ، وهو جندى ربع القامة عريض الوجه دائم الابتسامة ، نشيط الحركات فى كلامه ، عنيف فى خطابه ؛ وديبنكو ، البحار الجسيم ذو اللحية والوجه الهادئ . هؤلاء كانوا رجال هذه المعركة فى سبيل السلطة للسوفييتات والمعارك المقبلة .
وفى مقر لجان المعامل والمصانع ، فى الطابق الارضى ، كان يجلس سيراتوف . كان يوقع على اوامر الى ادارة الترسانة الحكومية تقضى بتوزيع ١٥٠ بندقية على كل مصنع . . . وكان يقف امامـه اربعون مندوبا فى صف انتظار .
وقد التقيت فى القاعة ببعض القادة البلاشفة من الوجوه غير البارزة . فارانى احدهم مسدسا . وقال لى ، وقد كان شاحب الوجه : «لقد حلت البداية ! ان العدو ، سواء أباشرنا العمل ام لا ، يدرك ان وقت القضاء علينا قد حان والا قضى عليه هو بالذات» .
كان سوفييت بتروغراد يجتمع ليل نهار بدون انقطاع . وحين دخلت القاعة الكبرى ، كان تروتسكى يوشك ان ينهى كلمته . وقد كان يقول :
«يسألوننا هل نعتزم القيام بعمل . ان فى وسعى اعطاء جواب واضح على هذا السؤال . ان سوفييت بتروغراد يدرك انه قد حان اخيرا الوقت الذى ينبغى فيه انتقال السلطة كلها الى يد السوفييتات . وهذا ما سيحققه مؤتمر عامة روسيا . اما ضرورة القيام بعمل مسلح

فأمر يتعلق باولئك الراغبين فى احباط مؤتمر عامة روسيا .

من الواضح لنا ان حكومتنا ، الممثلة بالشخصيات التى تؤلف الوزارة الموقتة ، هى حكومة هزيلة عاجزة ، وانها لا تنتظر غير ضربة من مكنسة التاريخ لتخلى مكانها لسلطة شعبية حقا . ولكننا حتى الآن ، حتى اليوم نحاول تحاشى الاصطدام ونحن نأمل بان مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا سيأخذ السلطة بيده ، مستندا الى الحرية المنظّمة للشعب كله . ولكن اذا كانت الحكومة تريد ان تستغل ما تبقى لهـــــا من الحياة – الـ٢٤ او ٤٨ او الـ٧٢ ساعة – لتهاجمنا ، فلسوف نرد عليها الضربة بضربة ونفل الحديد بالفولاذ !» .

ووسط عاصفـــــة مدوّية من التصفيق ، يعلن تروتسكى ان الاشتراكيين-الثوريين اليساريين قد وافقوا على ارسال ممثليهم الى اللجنة العسكرية الثورية .

وفيما كنت منصرفا من سمولنى فى الساعة الثالثة صباحا ، لاحظت ان ثمة رشاشات قد نصبت على جانبى المدخل ، وان البوابة والمنعطفات القريبة مخفورة بدوريات معززة من الجنود . وكان بيل شاتوف * يصعد السلم الى الطابق العلوى مستعجلا . فصاح قائلا : «حسنا ، لقد بدأنا ! ارســـــل كيرنسكى قوة من اليونكر لاغلاق جريدتينا «سولدات» («الجندى») و«رابوتشى بوت» («طريق العمال») . ولكن جاءت اذ ذاك فصيلة من قواتنا فنزعت الشمع الاحمر الرسمى ، والآن سنرسل رجالا للاستيلاء على مكاتب الصحف البرجوازية !» . وربت على كتفى بنشوة ومضى مسرعا فى طريقه . . .

صباح ٦ تشرين الثانى – نوفمبر (٢٤ تشرين الاول – اكتوبر) كان لى شغل لدى مراقب المطبوعات ، وقد كان مكتبه فى وزارة الخارجية . كانت جميع الجدران فى الشوارع ملأى ببيانات تدعـــو الشعب بلهجة هستيرية الى «الهدوء» . فقد كان بولكوفنيكوف يصدر الامر تلو الامر :

* معروف جيدا لدى المشتركين فى الحركة العمالية الاميركية . ج . ريد .

يقصد المؤلف **فلاديمير سرغييفيتش شاتوف** وقد عاد من اميركا فى حزيران (يونيو) ١٩١٧ . وهو احد منظمى «العمال الصناعيون فى العالم» . كان فى عام ١٩١٧ عضو اللجنة العسكرية الثورية فى بتروغراد وعضوا فى هيئة رئاسة المجلس المركزى للجان المصانع والمعامل ، ثم اصبح شيوعيا . **المحرر** .

«آمر جميع الوحدات والفصائل بان تلازم ثكناتها بانتظار صدور الاوامر من هيئة اركان الدائرة العسكرية .

محظور القيام باى عمل تلقائى .

جميع الضباط الذين يقومون باعمال دون اوامر قادتهم سيقدمون الى المحاكمة بتهمة التمرد المسلح .

محظور قطعيا على القوات تنفيذ اية اوامر صادرة عن مختلف المنظمات . . .» .

وكانت الصحف الصباحية تعلن ان الحكومة قد عطلت جرائد «نوفايا روس» («روسيا الجديدة») و«جيفويى سلوفو» («الكلمة الحية») و«رابوتشى بوت» («طريق العمال») و«سولدات» («الجندى») وقررت اعتقال قادة سوفييت بتروغراد واعضاء اللجنة العسكرية الثورية .

وفيما كنت اجتاز ساحة القصر ، كانت بضعة بطاريات من مدفعية اليونكر تمر بصخب تحت قوس مبنى الاركان العامة وتتمركز امام القصر . وكان مبنى الاركان العامة الاحمر الضخم يبدو فى نشاط غير مألوف . وامام المدخل كانت تقف عدة سيارات ؛ وباستمرار كانت تجئ وتروح سيارات اثر سيارات حاملة الضباط . وكان مراقب المطبوعات فى انفعال كأنه طفل صغير جاؤوا به الى سيرك . وقد قال لى : «منذ لحظات ذهب كيرنسكى الى مجلس الجمهورية لتقديم استقالته !» فاسرعت الى قصر مارى وتمكنت من التقاط نهاية الخطاب العاطفى غير المترابط تقريبا ، الذى كان يلقيه كيرنسكى ، وقد كان يحوى بكامله تبرير نفسه والاتهامات المريرة ضد اعدائه .

وقد كان كيرنسكى يقول : «لكى لا اكون مطلقا للكلام جزافا ، سأورد لكم هنا اكثر المقاطع دلالة من سلسلة بيانات نشرها فى جريدة «رابوتشى بوت» المجرم بحق الدولة اوليانوف-لينين المختبئ والذى نحاول العثور عليه . ان هذا المجرم بحق الدولة يدعو بروليتاريا بتروغراد والقوات المسلحة ، فى سلسلة من البيانات تحت عنوان «رسالة الى الرفاق» ، الى تكرار تجربة ايام ٣-٥ تموز (يوليو) ويبرهن على ضرورة القيام بعصيان مسلح فورى . . .

والى جانب هذه الدعوات يلقى فى الوقت نفسه زعماء آخرون من حزب البلاشفة جملة من الخطب فى الاجتماعات والحشود يدعون فيها هم ايضا الى العصيان المسلح الفورى . وبهذا الصدد تنبغى

الاشارة بخاصة الى نشاط رئيس سوفييت نواب العمال والجنود فى بطرسبورغ برونشتين-تروتسكى . . .

ان مقالات «رابوتشى بوت» و«سولدات» فى عدد من المجالات تتطابق تعبيرا واسلوبا مع مقالات «نوفايا روس» .

ولسنا حيال حركة من هذا الحزب السياسى او ذاك بمقدار ما نحن حيال استغلال الجهل السياسى والغرائز الاجرامية لدى قسم من السكان ؛ اننا حيال منظمة خاصة ترمى مهما كلف الامر لأن تثير فى روسيا موجة غير واعية من التخريب والمذابح .

ونظرا للحالة النفسية الحاضرة لدى الجماهير ، لا بد لكل حركة فى بتروغراد ان تكون مصحوبة بافظع ظاهرات المذابح التى تدنس اسم روسيا الحرة بالعار الى الابد .

وانه لامر كثير الدلالة ان يعترف منظم العصيان نفسه اوليانوف-لينين بان «موقف الاجنحة الاشتراكية الديموقراطية الاقصى يسارا مؤات بصورة خاصة» . . .» .

وهنا تلا كيرنسكى المقطع التالى من مقال لينين :

«فكروا فقط فى ان الرفاق الالمان ، وهم فى ظروف هائلة الصعوبة ، وليس لديهم غير ليبكنخت **وحده** (وهو ايضا فى سجن الاشغال الشاقة) ، ومحرومون من الصحف ومن حرية الاجتماع ، ومن السوفييتات ، وفكرة الامية موضع عداوة لا يتصورها العقل من قبل **جميع** فئات السكان حتى آخر فلاح ميسور ، وفى ظروف تنظيم رائع للبرجوازية الامبريالية الكبرى والمتوسطة والصغيرة ، — تصوروا فقط ان الالمان ، واعنى العمال الالمان الثوريين-الامميين ، اللابسين سترات البحارة ، قد قاموا بعصيان فى الاسطول ، ونسبة حظهم من النجاح واحد من مئة .

اما نحن ، ولدينا عشرات الصحف ، وحرية الاجتماع ، ولنا **الاكثرية** فى السوفييتات ، اما نحن ، الامميين البروليتاريين المتمتعين باحسن وضع فى العالم بأسره ، فاننا نرفض مساندة الثوريين الالمان بعصياننا» .

وتابع كيرنسكى قائلا :

«وهكذا فمنظمو العصيان انفسهم يعترفون بان الظروف السياسية لنشاط جميع الاحزاب السياسية احسن ما تكون تحققا الآن فى روسيا ، فى ظل الحكومة الموقتة الحالية ، التى يرأسها ، حسب

رأى حزب البلاشفة ، شخص مغتصب ، بائع نفسه للبرجوازية ، هو رئيس الوزراء كيرنسكى . . .

ان منظمى العصيان لا يقدمون يد العون لبروليتاريا المانيــا بل يقدمون يد العون للطبقات الحاكمة فى المانيا ، ويفتحون جبهة الدولة الروسية لقبضة غليوم واصدقائه الحديدية . . . ان الحكومة الموقتة لا تهمها الدوافع ، وسواء لديها أكان هذا صادرا عن وعى ام لا ، ولكنى مع ادراكى على كل حال لما احمل من مسؤولية اصف من على هذا المنبر مثل هذه الاعمال الصادرة عن حزب سياسى روسى بانها خيانة للدولة الروسية وغدر بها . . .

انى آخذ بوجهة النظر الحقوقيـــة : فقد اقترحت المباشرة فورا بالتحقيقات القضائية اللازمة ، كما اقترحت القيام بالاعتقالات اللازمة (ضجة فى اليسار لا تمكن كيرنسكى من متابعة كلامه) . بلى ، اصغوا الىّ ! – صاح كيرنسكى بصوت راعد ، – ان الحكومة الموقتة ، وانا فى عدادها ، نفضل فى هذا الوقت الذى تتعرض فيه الدولـة الروسية للهلاك وتوشك على الهلاك من جراء خيانة متعمدة ام غير متعمدة ، – نفضل الموت والفناء على ان نخون حياة الدولة وشرفها واستقلالها . . .» .

وفى تلك اللحظة قدمت ورقة لكيرنسكى . فقال :

«لقد قدمت لى الآن نسخة من وثيقة توزع آلآن على الافواج» . وقرأ بصوت مسموع :

«ان سوفييت بتروغراد معرض للخطر . . . آمر بالتعبئة التامة للفوج وانتظار الاوامر اللاحقة . كـــل تأخر فى تنفيذ هذا الامر او عصيان له سيعتبر خيانة للثورة . عن الرئيس بودفويسكى . امين السر انطونوف» .

واردف كيرنسكى يقول : «ان هذه بالفعل محاولة لاثارة السواد على النظام القائم ولنسف الجمعية التأسيسية ولفتح الجبهة الروسية امام قبضة غليوم الحديدية وافواجه المتراصة . وانى لأقول «السواد» بكامل الوعى ، لأن هذه الاعمال تلقى الاستنكار من كل الديموقراطية الواعية ولجنتها التسيك ، وجميع منظمات الجيش ، وكل ما تعتز وينبغى ان تعتز به روسيا الحرة – الا وهو عقل ووجدان وشرف الديموقراطية الروسية العظمى . . .

لم آت الى هنا متضرعا ، وانما اتيت بثقة ويقين راسخ بان الحكومة الموقتة ، التى تدافع فى هذه اللحظة عن هذه الحريـة الجديدة . . . ستلاقى المساندة من الجميع ، باستثناء الذين لم يجرأوا ابدا على الاعراب عن الحقيقة وجها لوجه . . .

ان الحكومة الموقتة لم تنتهك ابدا حريات مواطنى الدولـة وحقوقهم السياسية .

اما الآن فان الحكومة الموقتة تعلن بان تلـك العناصر من المجتمع الروسى ، تلك الجماعات والاحزاب التى تتجرأ على رفـع يدها ضد ارادة الشعب الروسى الحرة ، مهددة بذلك فى الوقت نفسه بفتح الجبهة لالمانيا ، ينبغى ان يتم القضاء عليها فورا وعلى نحو حازم ونهائى . . . وليعلم اهالى بتروغراد انهم يواجهون سلطة حازمة ، ولعل العقل والوجدان والشرف ستنتصر فى الساعـة او الدقيقة الاخيرة فى قلوب الذين ما زالوا يملكون ذلك . . .» .

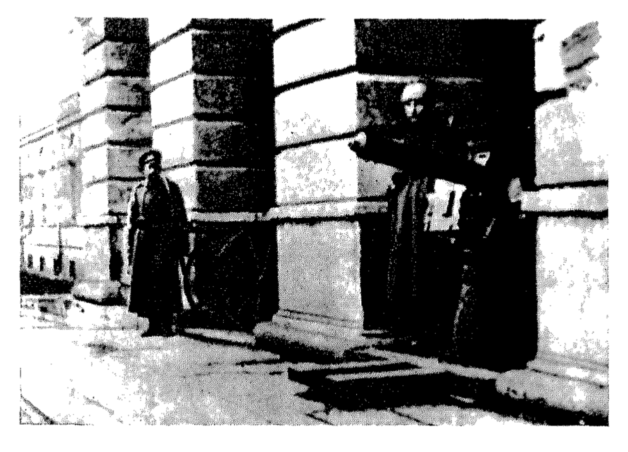
وخلال هذا الخطاب كله كانت القاعة تضج وتصخب . وحين صمت رئيس الوزراء الشاحب اللاهث ، وغادر القاعة مع حاشيته من الضباط ، تتالى الخطباء من اليسار على المنبر . وقد كانوا يشنون على اليمين حملات عنيفة غاضبـة . حتى الاشتراكيون- الثوريون اعلنوا بلسان غوتز :

«ان سياسة البلاشفة ، القائمة على استغلال الاستياء الشعبى ، ديماغوجية ومجرمة . ولكن ما من شك فى ان جملة كاملة من المطالب الشعبية لم تتم تلبيتها حتى الآن . . . ان المسائل المتعلقـة بالصلح والارض واشاعة الديموقراطية فى الجيش يجب ان توضع بشكل لا يكون فيه لأى جندى ولأى عامل ولأى فلاح ادنى شك فى ان الحكومة تسعى بحزم وتصميم للوصول الى الحـل الفعلى لهذه المسائل . . .

اننا نحن والمناشفة غير راغبين فى احداث ازمة وزارية ، ونحن مستعدون للدفاع عن الحكومة الموقتة بكل قوانا وحتى النقطة الاخيرة من دمنا ، هذا اذا ما عبرت الحكومة عن موقفها من جميع هذه المسائل الملحة باقوال دقيقة واضحة ينتظرها الشعب بفارغ الصبر . . .» .

ثم خطب مارتوف ، وهو يزخر بالغضب :

«ان كلمات رئيس الوزراء ، الذى سمح لنفسه بالحديث عن حركة السواد ، فى حين ان المسألة هى مسألة حركة قسم كبير من



مدخل معهد سمولني . وعند المدخل نوبة حرس من رجال الحرس الاحمر والجنود .

(الفصل الثالث)



رجال الحرس الاحمر يراقبون جوازات المرور لدى مدخل سمولني .
(الفصل الثالث)

البروليتاريا والجيش ، رغم كونها توجه نحو هدف خاطئ ، انما هى كلمات تدعو الى الحرب الاهلية» . (تصفيق من اليسار) .

وقد اقر صيغة الانتقال ، المقترحة من قبل اليسار . وكانت عمليا بمثابة حجب للثقة عن الحكومة :

«١ – ان العمل المسلح الذى يجرى الاستعداد له فى الايام الاخيرة ، بهدف الاستيلاء على السلطة ، يهدد باثارة حرب اهلية ، ويخلق ظروفا مؤاتية للقيام بالمجازر ولتعبئة القوى المضادة للثورة من جماعة المئة السود ويؤدى لا محالة الى استحالة انعقاد الجمعية التأسيسية ، والى كوارث حربية جديدة والى انهيار الثورة فى ظروف شلل الحياة الاقتصادية ودمار البلاد الكلى .

٢ – ان سبب نجاح التحريض المشار اليه يعود ، بالاضافة الى الظروف الموضوعية الناجمة عن الحرب والخراب ، الى التأخر فى اتخاذ اجراءات سريعة ، ولذلك فان من الضرورى قبل كل شيء اصدار مرسوم بشأن وضع الارض تحت تصرف اللجان الزراعية ، والعمل الحاسم فى مجال السياسة الخارجية ، مع الاقتراح على الحلفاء باعلان شروط الصلح ومباشرة مفاوضات الصلح .

٣ – لا بد ، من اجل مكافحة مظاهر الفوضى المشتدة وقمع المجازر ، من المبادرة فورا الى اتخاذ التدابير الرامية الى القضاء عليها ، وتأليف لجنة الانقاذ العام فى بتروغراد لهذا الغرض من ممثلى الادارة البلدية واجهزة الديموقراطية الثورية ، تعمل بالتماس مع الحكومة الموقتة . . .» .

وطريف ان يلاحظ المرء ان هذا القرار قد صوت الى جانبه المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ايضا . . . الا ان كيرنسكى ، حين علم بهذا ، استدعى اليه افكسنتييف للاستيضاح منه فى قصر الشتاء . وقد صرح قائلا لافكسنتييف : «اذا كان هذا القرار تعبيرا عن عدم الثقة بالحكومة الموقتة ، فانى اقترح عليك تأليف وزارة جديدة» . واذ ذاك عمد الزعماء المساومون دان وغوتز وافكسنتييف الى القيام بآخر «مساومة» لهم . . . فاوضحوا لكيرنسكى ان هذا القرار لا يعنى انتقادا لعمل الحكومة . . .

فى زاوية شارعى مورسكايا ونيفسكى كانت فصائل من الجنود المسلحين بالبنادق المشرعة الحراب توقف جميع السيارات الخاصة ، وتنزل منها ركابها ، وتبعث بالسيارات الى قصر الشتاء . وكان

جمهور غفير قد تجمع ليراقبهم . ومـــا كان احد يعرف ما اذا كان هؤلاء الجنود تابعين للحكومة الموقتة ام للجنة العسكرية الثورية . وهذا ما كان يجرى ايضا مقابل كاتدرائية قازان . وكانت السيارات ترسل من هناك صعدا فى شارع نيفسكى . وفجأة ظهر خمســـة - ستة من البحارة ، متنكبين بنادقهم . وكان مكتوبا على اشرطة قبعاتهم البحرية «افرورا» («الفجر») و«زاريا سفوبودى» («فجر الحرية») - وهما اسما الطرادتين البلشفيتين الاكثر شهرة فى اسطول البلطيق . وقال احد البحارة : «كرونشتادت قادمة !» . . . فكان هذا القول يعنى كما لو قيل فى باريس سنة ١٧٩٢ بان : «اهالى مارسيليـــا قادمون !» فقد كان فى كرونشتادت ٢٥ الف بحار ، وكانوا جميعا بلاشفة عن اقتناع ، مستعدين لمواجهة الموت .

وكانت جريدة «رابوتشى اى سولدات» («العامـــل والجندى») قد صدرت . وكان يشغل كامل صفحتها الاولى نداء مطبوع باحرف ضخمة :

«ايها الجنود ! ايها العمال ! ايها المواطنون !

ان اعداء الشعب قد شنوا الهجوم ليلا . والكورنيلوفيون فى الاركان العامـــة يحاولون استدعـــاء اليونكر وكتائب الصدام من الضواحـــى . ان اليونكر فى اورانيينباوم وجنـــــود الصدام فى تسارسكويه سيلو قد رفضوا ان يلبوا النداء . ويجرى الاستعداد لانزال ضربة غادرة بسوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود . . . ان حملة المتآمرين المعادين للثورة موجهة **ضد مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا** عشية افتتاحه ، **وضد الجمعيـــة التأسيسية ، وضد الشعب** . ان سوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود يقوم على حماية الثورة . واللجنة العسكرية الثوريـــــة تتولى صد ضغط المتآمرين . ان حامية بتروغراد وبروليتارييها بأسرهم على استعداد لانزال ضربة قاضية باعداء الشعب .

ان اللجنة العسكرية الثورية تأمر بما يلى :

١ - على جميع لجان الافواج والسرايا والمفارز ، وكذلك مفوضى السوفييت ، وجميع المنظمات الثورية ان **تظل مجتمعة باستمرار** ، وان تجمع فى ايديها كافة المعلومات عن خطط المتآمرين واعمالهم .

٢ – لا يجوز لأى جندى ان يغادر وحدته العسكرية بدون اذن من اللجنة .

٣ – ينبغى على كل وحدة عسكرية ارسال ممثلين عنها الى معهد سمولنى على الفور ، وكذلك خمسة ممثلين عن كل سوفييت منطقى .

٤ – ابلاغ معهد سمولنى فورا عن جميع اعمال المتآمرين .

٥ – جميع اعضاء سوفييت بتروغراد وجميـــع مندوبى مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا مدعوون فورا الى معهد سمولنى الى الاجتماع فوق العادة .

ان الثورة المضادة قد رفعت رأسها المجرم .

ان خطرا عظيما يهدد جميع مكتسبات وآمـــال الجنود والعمال والفلاحين . ولكن قوى الثورة تفوق بما لا يقاس قوى اعدائها .

ان قضية الشعب فى ايد حازمـة متينة . ولسوف يتم سحق المتآمرين .

لا تردد ولا شكوك ! الحزم والصلابة والانضباط والتصميم !

عاشت الثورة !

اللجنة العسكريـــــة الثورية»

كان سوفييت بتروغراد منعقدا باستمرار فى سمولنى ، مركز العاصفة . وكان المندوبون ينامون على الارض ثـم يستيقظون للاشتراك فورا فى المناقشات . وكان كل من تروتسكى وكامينيف وفولودارسكى يتكلمون ما يتراوح بين ٦ و٨ و١٢ ساعة يوميا . وقد نزلت الى الطابق الاول ، الى الغرفـــة رقم ١٨ ، حيث كان المندوبون البلاشفة يعقدون اجتماعا . كان ثمة صوت اجش يندفع بشدة وبحزم لخطيب حجبه الجمهـــور عنى : «يقول المساومون اننا معزولون . فلا تكترثوا بهـم ! سيضطرون آخر الامر الى ان يسيروا خلفنا والا فقدوا اتباعهم . . .» .

ولوّح الخطيب عاليـــا بقطعة من الورق : «ها نحن نجرهـم وراءنا ! لقد جـاء للتو مندوبون من المناشفة ومن الاشتراكيين-الثوريين . يقولون انهم يشجبون اعمالنا ، ولكن اذا ما هاجمتنـا الحكومة فانهم لن يحاربوا قضيـة البروليتاريا !» فانطلقت عاصفة مدوّية من الهتافات الحماسية . . .

ومع حلول الليل امتلأت القاعة الكبرى بالجنود والعمال ، بجمهور حاشد رمادى تلفه سحابة زرقاوية من دخان التبغ . واخيرا قررت التسيك السابقة الترحيب بمندوبى المؤتمر الجديد الذى سيؤدى الى هلاكها ، وربما الى هلاك النظام الثورى الذى اقامته . على ان اعضاء التسيك هم وحدهم الذين كان لهم حق التصويت فى هذا الاجتماع .

وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل حين ترأس غوتز الاجتماع ، وصعد دان الى المنبر فى جو من الصمت المتوتر يكاد فيما بدا لى ان يكون منذرا . فبدأ الكلام قائلا :

«ان اللحظة التى نجتازها تصطبغ بلون فاجع للغاية . فالعدو على ابواب بتروغراد ، وقوى الديموقراطية تحاول تنظيم المقاومة ، ونحن فى هذا الوقت نتوقع ان تسفك الدماء فى شوارع العاصمة ، والجوع يهدد لا بالقضاء على حكومتنا وحسب ، بل وعلى الثورة نفسها ايضا . . .

ان الجماهير منهوكة القوى ومرهقة ؛ ولا تبدى اى اهتمام بالثورة . واذا باشر البلاشفة عملا ما فسيكون ذلك نهاية الثورة . (صيحات : «كذب !») واعداء الثورة لا ينتظرون الا البلاشفة لكى يباشروا اعمال التذبيح والقتل . . . واذا ما حدث اى عمل من اعمال العنف ، فلن تكون ثمة جمعية تأسيسية . . . (صياح : «كذب ! يا للعار !») .

من غير الجائز اطلاقا ان ترفض حامية بتروغراد ، فى منطقة العمليات العسكرية ، تنفيذ اوامر الاركان . . . ان عليكم ان تطيعوا الاركان والتسيك المنتخبة من قبلكم . اعطاء السلطة كلها للسوفييتات انما هو الموت . ان الاشقياء واللصوص ينتظرون الفرصة المؤاتية لمباشرة اعمال النهب والحرق . وحين تطرح شعارات مثل «اقتحموا البيوت وانتزعوا الاحذية والملابس من البرجوازيين ! . . (صخب وصياح : «لم تكن ثمة مثل هذه الشعارات ! كذب ! كذب !») الامر سواء ، فقد يبدأ بشكل آخر ولكنه سينتهى هكذا !

ان التسيك تتمتع بسلطة التصرف الكاملة ، والجميع ملزمون بالخضوع لها . اننا لا نخشى الحراب ! ان التسيك ستحمى الثورة بجسدها . . . (صيحات : «انها جثة هامدة منذ وقت بعيد !»)

فكان صخب رهيب متواصل ، بالكاد كـــان يمكن من خلاله سماع صوت دان وقد توترت كل قواه وراح يصيح وهو يخبط على طرف المنبر بقبضته : «من يحض على هذا يرتكب جريمة !»

فانطلق صوت يقول : «منذ وقت بعيد ارتكبتم الجريمة ! لقد استلمتم السلطة وسلمتموها للبرجوازية !» .

ودق غوتـــز بجرس الرئاسة قائلا : «اسكتـــوا ، والا فانـــى اخرجكم !» .

فصاح صوت : «حاول !» . وكان ضرب بالايدى وصفير .

واردف دان قائلا : «والآن انتقل الى سياستنـــا السلمية . (ضحك) . ان روسيا ، مع الاسف ، لا تستطيـــع متابعة الحرب . وسيكون صلح ، الا انه صلح غير دائـــم ، ولا ديموقراطى . . . واليوم اقررنا فى مجلس الجمهورية ، رغبة فى تجنب سفك الدماء ، صيغة الانتقال التى تقضى بتسليم الارض للجان الزراعية والمباشرة بمفاوضات للصلح على الفور . (ضحك وصيحات : «فات الاوان»!) .

واعتلى المنبر تروتسكى ممثلا عن البلاشفة ، فاستقبل بتصفيق عاصف . وهب المجتمعون جميعـــا وقوفا وهتفوا له . كان وجه تروتسكى النحيل الحاد التقاطيع يعبر عن سخرية خبيثة لاذعة . فشرع يقول :

«ان تاكتيك دان يبرهـــن على ان جمهورا — جمهورا واسعـــا ابله غير مبال — يمشي وراءه بقضه وقضيضه !» . وكانت قهقهة صاخبـــة . . . وبحركـــة دراميـــة التفت الخطيب صوب الرئيس . «حين كنا نتكلم عن تسليـــم الارض للفلاحين ، كنتم تعارضون ذلك . وقد كنا نقول للفلاحين : اذا لم يعطوكم الارض فخذوهـــا بانفسكم ! والآن بات الفلاحون يعملون بنصيحتنا ، اما انتم فتدعون الى ما كنا نتكلم عنه منذ ستة شهور خلت !

وانى لا اعتقد بان مُثُل كيرنسكى هى التى املت عليه الغاء عقوبة الاعدام على الجبهة ، ففى اعتقادى ان حامية بتروغراد هى التى اقنعته عندما رفضت ان تطيعه . . .

ان دان متهم اليوم بانه قد القى فى مجلس الجمهورية خطابا تكشف من خلاله انه بلشفى متستر . . . وسيأتى يوم يقول فيه دان نفسه ان عصيان ٣—٥ تموز (يوليو) قد اشتركت فيه زهرة الثورة . . . وليست فى القرار المقدم اليوم من قبل دان الى مجلس

الجمهورية اية اشارة الى تعزيز الانضباط فى الجيش ، مع ان هذا الامر يشغل مكانا هاما فى دعاية المناشفة . . .

كلا ، ان تاريخ الاشهر السبعة الاخيرة يدل على ان الجماهير قد تخلت عن المناشفة ! ان المناشفة والاشتراكيين-الثوريين قد انتصروا على الكاديت ، اما حين تسلموا السلطة ، فقد سلموها للكاديت هؤلاء . . .

يقول لكم دان ان ليس لكم الحق فى ان تقوموا بالعصيان . ان العصيان حق لا ينفصم عن كل ثورى . والجماهير المظلومة حين تثور تكون دائما على حق . . .» .

ثم اخذ الكلام ليبر ذو الوجه الطويل واللسان السليط ، فاستقبل بالسخريات والضحك . وقد قال :

«قال ماركس وانجلس ان البروليتاريا لا يحق لها استلام السلطة ما لم تكن قد نضجت لذلك . واستيلاء الجماهير على السلطة فى ثورة برجوازية كثورتنا . . . يعنى النهاية الفاجعة للثورة . . . ان تروتسكى نفسه ، بوصفه نظريا اشتراكيا-ديموقراطيا ، يعارض الامر الذى يدعوكم اليه الآن . . .» (صياح : «كفى ! ليسقط !») .

وبعد ذلك تكلم مارتوف ، فكان يقاطع دائما بالصياح . وقد قال : «ان الامميين لا يعترضون على تسليم السلطة للديموقراطية ، ولكنهم يشجبون الاساليب البلشفية . فليس الوقت الآن وقت استلام السلطة . . .» .

وصعد دان الى المنبر من جديد ، فاحتج بشدة على اعمال اللجنة العسكرية الثورية التى بعثت بمفوض للاستيلاء على مكتب تحرير «الازفستيا» وللرقابة على هذه الجريدة . فاثار كلامه ضجة رهيبة . وحاول مارتوف الكلام ، الا ان صوته لم يكن يسمع . وهب المندوبون عن الجيش واسطول البلطيق من اماكنهم صائحين ان السوفييت هو حكومتهم .

ووسط فوضى هائلة اقترح ايرليخ * مشروع قرار يناشد العمال والجنود المحافظة على الهدوء وعدم الاصغاء الى الاستفزازيين الداعين الى التظاهر ، ويعترف فى الوقت نفسه بضرورة تأليف لجنة الامن العام فى الحال ، وكذلك بان تصدر الحكومة الموقتة

* ايرليخ ، هو احد زعماء المناشفة . **المحرر** .

فى القريب العاجل قانونا بشأن تسليم الارض للفلاحين ، وفتح مفاوضات للصلح . . .

وهنا وثب فولودارسكى صائحا بحدة ان التسيك لا يحق لها ان تمارس وظائف مؤتمر السوفييتات عشية موعد انعقاده . واعلن فولودارسكى قائلا : ان التسيك ميتة ، عمليا ، وليس مشروع القرار هذا سوى مناورة ترمى الى انعاش سلطتها المتداعية . . .

«اننا نحن البلاشفة لن نصوت لمشروع القرار هذا !» وعلى اثر هذا غادر البلاشفة قاعة الاجتماعات ، وجرى اقرار مشروع القرار . . .

وحوالى الساعة الرابعة صباحا التقيت بزورين فى الفسحة . ومن كتفه تتدلى بندقية . وقد قال لى بلهجة هادئة ولكن بارتياح :

– بدأنا العمل ![7] وقد اعتقلنا مساعد وزير العدلية ووزير الاديان . وهما الآن فى القبو . تحرك فوج واحد للاستيلاء على مركز الهاتف ، وآخر ذاهب للاستيلاء على دائرة البرق ، وثالث على بنك الدولة . ونزل الحرس الاحمر الى الشارع . . .

وعلى ادراج سمولنى ، فى العتمة الباردة ، رأينا للمرة الاولى الحرس الاحمر ، وهم جماعة من الفتيان بملابس العمال . كانوا يحملون بايديهم بنادق مشرعة الحراب ويتكلمون فيما بينهم بعصبية .

ومن بعيد ، من الغرب ، من فوق الاسطحة الصامتة وصلت الى المسامع اصوات طلقات نار . انها قوات اليونكر كانت تحاول فتح الجسور على نهر النيفا بغية عدم تمكين العمال والجنود فى حى فيبورغ من الانضمام الى قوات السوفييت المسلحة الموجودة فى الجانب الآخر من النهر ، فى حين كان بحارة كرونشتادت يغلقونها من جديد . . .

ومن ورائنا كانت بناية سمولنى الضخمة تتألق بالانوار وتعج كقفير النحل . . .

الفصل الرابع

سقوط الحكومة الموقتة

يوم الاربعاء ، فى السابع من تشرين الثانى – نوفمبر (٢٥ تشرين الاول – اكتوبر) استيقظت من نومى فى وقت جد متأخر . وحين نزلت الى شارع نيفسكى كان مدفع نصف النهار يدوّى فى قلعة بطرس وبولس . وكان النهار رطبا باردا . ومقابل باب بنك الدولة المقفل كان يقف عدة جنود يحملون بنادق مشرعة الحراب .

سألتهم : «الى اية جهة تنتمون ؟ هل انتم مع الحكومة ؟»

فاجاب جندى بابتسامة : «لم يعد للحكومة وجود ! والحمد لله !» وهذا كل ما استطعت ان اعلم منه .

كانت عربات الترام تجرى على عادتها فى شارع نيفسكى . وبجميع منافذها كان يتشبث رجال ونساء واولاد . وكانت المخازن مفتوحة ، وعلى العموم كان يبدو على الشارع وكأنه اكثر هدوءا مما كان فى العشية . واثناء الليل كانت الجدران قد تغطت ببيانات ونداءات جديدة تحذر من العصيان . وقد كانت موجهة الى الفلاحين وجنود الجبهة وعمال بتروغراد . وهذا ما جاء فى احد البيانات :

«من الدوما البلدى لبتروغراد

ان الدوما البلدى يحيط المواطنين علما بانه قد شكل فى جلسته الاستثنائية المنعقدة فى ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) لجنة سلامة عامة مؤلفة من نواب الدوما المركزى ومجالس الدوما فى الاحياء ومن ممثلى المنظمات الديموقراطية الثورية التالية : اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييتات نواب العمال والجنود ، واللجنة التنفيذية لنواب الفلاحين لعامة روسيا ، ومنظمات الجيش ، والتسنتروفلوت ، وسوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود ، وسوفييت الاتحاد المهنى وغيرها .

وستكون مناوبة اعضاء لجنة السلامة العامة فى مبنى الدوما البلدى . ارقام الهواتف للاستعلامات ٤٠-١٥ ، ٧٧-٢٢٣ ، ٣٦-١٣٨» .

لم اكن قد ادركت بعد فى تلك اللحظة ان بيان الدوما هذا انما كان اعلان حرب رسميا على البلاشفة .

اشتريت عدد جريدة «رابوتشى بوت» ، وهى على ما يبدو الجريدة الوحيدة التى كانت معروضة للبيع ، وبعد ذلك بقليل تمكنت من شراء عدد مقروء من جريدة «ديين» من احد الجنود بخمسين كوبيكا . كانت الجريدة البلشفية ، وقد طبعت على صفحات كبرى فى مطبعة «روسكايا فوليا» («ارادة روسيا») المصادرة ، تحمل هذا العنوان الضخم : «**كل السلطة لسوفييتات العمال والجنود والفلاحين ! السلم ! الخبز ! الارض !**»

وكان المقال الافتتاحى يحمل توقيع زينوفييف * الذى اضطر للاختباء مثل لينين ايضا . وهذا مطلع المقال :

«لا يمكن لكل جندى ، ولكل عامل ، ولكل اشتراكى حقيقى ، ولكل ديموقراطى شريف الا ان يرى ان الصدام الثورى الناضج يطلب حلا فوريا .

إما – وإما .

إما ان تنتقل السلطة الى ايدى عصابة البرجوازيين والملاكين العقاريين ، واذ ذاك يعنى هذا . . . حملة دامية من اعمال التنكيل تشمل روسيا كلها . . . تسفك دماء الجنود والبحارة والفلاحين والعمال فى جميع ارجاء البلاد . واذ ذاك يكون هذا استمرارا للحرب النكراء ، واذ ذاك يكون هذا موتا وجوعا لا مفر منهما .

وإما ان تنتقل السلطة الى ايدى العمال والجنود والفلاحين الثوريين ، واذ ذاك يعنى هذا القضاء التام على طغيان كبار الملاكين العقاريين ، ولجم الرأسماليين على الفور ، وعرض الصلح العادل فى الحال . واذ ذاك ستؤمن الارض للفلاحين ، واذ ذاك ستؤمن الرقابة على المعامل ، واذ ذاك سيؤمن الخبز للجياع ، واذ ذاك ستكون نهاية المجزرة الخرقاء . . .» .

* غير صحيح . فالمقال المشار اليه ، المنشور فى «رابوتشى بوت» بتاريخ ٧ تشرين الثانى – نوفمبر (٢٥ تشرين الاول – اكتوبر) ١٩١٧ لم يكن موقعا . وكاتبه غير معروف . **المحرر** .

وكانت جريدة «ديين» («النهـــار») تحمل انبـــاء متفرقة عن احداث الليلـــة العاصفة . البلاشفة استولوا على مركز الهاتف ، ومحطة البلطيق ، ومركز البرق ؛ يونكر بترهوف عاجزون عن بلوغ بتروغـــراد ؛ القوزاق مترددون ؛ اعتقل عدة وزراء ؛ قتل رئيس ميليشيا البلدية مير ؛ اعتقالات واعتقالات مضادة ، مناوشات بين دوريات الجنود واليونكر والحرس الاحمر[1] . . .

التقيت فـــي منعطف مورسكايـــا بالمنشفي-الدفاعـــي النقيب غومبرغ ، امين الفرع العسكري لحزبه . وحين سألته عما اذا كان قد جرى عصيـــان فعلا ، اكتفى بان شال بكتفيه في اعياء : «علم ذلك عند الشيطان ! . . وماذا ؟ ربما يستطيع البلاشفة الاستيلاء على السلطة ، ولكنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بهـا اكثر من ثلاثة ايام . فليس لديهـــم اناس قادرون على ادارة البلاد . قد يكون الافضل افساح المجال لهم للتجربة : وهذا ما سيقضي عليهم . . .» .

كان البحارة المسلحون يطوقون الفندق العسكري في زاوية ساحة ايساكييفسكـــي . وفي الفسحة كان يجتمع عدد كبير من الضباط الشبان الانيقين ، يروحون ويجيئون ، ويتهامسون فيمـا بينهم . وكان البحارة لا يسمحون لهم بالخروج الى الشارع .

وفجأة لعلعت في الشارع طلقـــة نار مدوّية ، وبدأ تبادل شديد في اطلاق النار . فهرعت خارجـــا . كان يجري من حول قصر ماري ، حيث كان يجتمع مجلس الجمهورية الروسيـــة ، امر غير مألوف . ومن اقصى الساحة حتى اقصاهـا كان ثمة صف من الجنود متأهبين لاطلاق النـــار ، ومحدقين بسطح الفندق . صاح احدهم :

«استفزاز ! انهم يطلقون النار علينا !» .

وهرع جندي آخر الى المدخل .

كانت تقف قرب زاوية القصر الغربية مصفحة كبيرة عليهـــا علم احمر وقد كتبت عليها حديثا باللون الاحمر الاحرف التالية : «س . ن . ع . ج .» (سوفييت نواب العمال والجنود) . وكانت جميع رشاشاتها مصوبة الى كاتدرائيـــة ايساكييفسكي (القديس اسحق) . وكان متراس قد اقيم عبر شارع «نوفايـــا اوليتسا» («الشارع الجديد») من براميـــل وصناديق ورفاس سرير وعربة ترام مقلوبة . وفي آخر رصيف مويكا كان يقوم متراس من اكوام

الحطب المجلوبة من مستودع مجاور والموضوعة على طول البناية فشكلت استحكاما .

فسألت : «وهل سيجرى هنا قتال ؟» .

فاجاب جندى بعصبية : «قريبـــا ، قريبا ! مر ، يا رفيق ، وإلا اصابتك رصاصة ! هاك ، من هذه الجهة سيأتون . . .» — قال هذا واشار الى ناحية الاميرالية (مقر القيادة البحرية) .

«ومن سيأتى ؟» .

فاجاب ثم بصق : «هذا ، يا اخ ، ما لا استطيع قوله» .

وقرب مدخل القصر كـــان يقف حشد من الجنود والبحارة . وكان احد البحارة يتحدث عن نهايــة مجلس الجمهورية الروسية ، قائلا : «دخلنا فاحتللنا مع رفاقنـــا جميع الابواب . تقدمت من الكورنيلوفى المعادى للثورة ، الذى كان يجلس فى سدة الرئاسة ، فقلت له : لم يعد لمجلسكم وجود . فانصرف الى بيتك !» .

فانطلق الجميـــع يضحكون . ولوحت بمجموعـــة من الاوراق المتنوعة وتمكنت من بلوغ باب قسم الصحافة . فاوقفنى هنا بحار جسيم مبتسم . فابرزت له بطاقة الاذن بالدخول ، ولكنه اجاب : «لن تمر ، يا رفيق ، ولو كنت القديس ميخائيل بالذات» . وعبر زجاج الباب لمحت الوجه المنقبض وحركات اليدين لمراسل فرنسى محتجز فى الداخل .

وعلى مقربـــة من هناك كان يقف رجل قصير القامـــة اشيب الشاربين يرتدى بزة جنرال ، يحيط به جمع من الجنود . كان وجهه شديد الاحمرار . وقد كان يصيح :

«انا الجنرال أليكسييف ! بصفتى رئيسا لكم ، وبصفتى عضوا فى مجلس الجمهورية ، آمركم بان تخلوا سبيلى !» .

حك الخفير رأسه وراح يتطلع باضطراب الى جميع الجهات ، واخيرا اشار الى ضابط مقبل نحوه ، فانفعل هذا شديد الانفعال حين علم من المتكلم معه ، وبدأ باداء التحية العسكرية . وتمتم قائلا كأن الامر يجرى فى ظل النظام القديم :

«ممنوع قطعا ، يا صاحب السعادة ، الدخول الى القصر . . . ليس لى حق . . .» .

واقبلت سيارة لمحت فيها غوتز ضاحكا . كان يبدو ان كل ما يجرى جد مفرح له . وما هى الا بضع دقائق حتى جاءت سيارة

اخرى . كان ثمة جنود مسلحون جالسون فى المقعد الامامى منها . ومن ورائهم كان يرى اعضاء الحكومة الموقتة المعتقلون . وكان عضو اللجنة العسكرية الثوريـة اللاتفى بيترس يجتاز الساحـة مسرعا . فقلت له مشيرا الى المعتقلين :

«كنت اعتقد انكم اعتقلتم جميع هؤلاء السادة فى هذه الليلة» .

فقال وفى صوته نبرة من خيبة الامل : «ايه ! اولئك الحمقى اخلوا سبيل معظمهم قبل ان نقرر كيف ينبغى ان نعاملهم . . .»

وعلى طول جـادة فوزنيسنسكى كان يحتشد جمهور غفير من البحـارة ، وعلى مد البصر كانت ترى من خلفهم مواكب زاحفة من الجنود .

وسرنا فى جادة ادميرالتيسكى نحو قصر الشتاء . وقد كانت جميع الدروب المؤديـة الى ساحة القصر تحت حراسة الخفراء ، اما الجانب الغربى من الساحة فكان يسده صف من القوات المسلحة يزحمه جمهور غفير من الناس . وكان الجميع محافظين على الهدوء ، خلا بعض الجنود الذين كانوا يحملون الاخشاب من بوابة القصر ويصفونها امام المدخل الرئيسى .

لم يكن فى وسعنـا قط معرفة مـا اذا كان الخفراء تابعين للحكومة ام للسوفييت . ولم تكن اوراقنا من سمولنى ذات نفع . واذ ذاك جئنا من الطرف الثانى من الصف وتكلفنا العظمة ونحن نظهر جوازتنا الاميركية : «بمهمة رسمية!» ، وتسللنا الى الداخل . وفى مدخل القصر استلم منـا المعاطف والقبعات بادب اولئك البوابون الشيوخ انفسهم ببزاتهـم الزرق ذات الازرار النحاسية وياقاتهم الحمر ذات الاشرطة الذهبية . وصعدنا السلم . وفى الممر المعتـم الكئيب ، الخالى من السجاد ، كان بعض الخدم الشيوخ يتسكعون بدون هدف . وعند باب مكتب كيرنسكى كان يتمشى ضابط شاب ، وهو يقرض شاربيه . فسألناه اذا كان فى الامكان اجراء مقابلة صحفية مـع رئيس الوزراء . فانحنى ووقف وقفة رسمية ، واجاب بالفرنسية :

«مع الاسف ، لا يمكن . الكسندر فيدوروفيتش جد مشغول . . . – وتطلع الينا لحظة ثم اضاف : – الواقع انه غير موجود هنا . . .» .

«واين هو اذن ؟» .

«ذهب الى الجبهة . وقد اعوزه البنزين للسيارة ، فاضطررنا لاقتراضه من المستشفى الانكليزى» .

«وهل الوزراء هنا ؟» .

«اجل ، انهم مجتمعون فى احدى الغرف ، لا اعرف بالضبط اين هى» .

«وهل سيأتى البلاشفة ؟» .

«طبعا ، سيأتون بدون شك ! انى انتظر فى كل دقيقة هاتفا ينبىء بانهم قادمون . ولكننا مستعدون ! القصر بحراسة اليونكر . انهم هنا خلف هذا الباب» .

«وهل نستطيع الذهاب الى هناك ؟» .

«كلا ، بالتأكيد ، كلا ! ممنوع . . .» وفجأة شد على ايدينا وانصرف . ومضينا نحو الباب المحرم وكان وسط حاجز موقت يقسم الغرفة الى قسمين . كان مغلقا من جهتنا . ومن وراء الجدار كانت تترامى اصوات وضحكات غريبة الوقع فى الصمت الثقيل المخيم على القصر الواسع القديم . فاقبل علينا حاجب عجوز .

«ممنوع الدخول الى هنا ، يا سيد !» .

«لماذا اغلق الباب ؟» .

فاجاب : «لكى لا يخرج الجنود» . وقال بعد بضع دقائق انه راغب فى شرب كأس شاى ، وانصرف . ففتحنا الباب . وكان فى العتبة خفيران ، الا انهما لم يقولا لنا شيئا . وكان الممشى يؤدى الى غرفة كبيرة ثرية الزينة ذات اطناف ذهبية فيها ثريات ضخمة من الكريستال . وبعد ذلك جملة من الغرف اصغر منها ذات جدران من الخشب القاتم . وعلى جانبى الارضية الخشبية ، صفوف من الفراش والاغطية المتسخة وقد تمدد عليها بعض الجنود . وفى كل مكان اعقاب سكاير وكسرات خبز وثياب مطروحة وزجاجات فارغة كانت تحتوى على خمور فرنسية غالية . وراح يتجمع حولنا باطراد عدد متزايد من الجنود لهم كتافيات اليونكر الحمراء الموشاة بالذهب . كان الجو الخانق من دخان التبغ ورائحة الاجسام البشرية الوسخة يحبس الانفاس . وكان احد رجال اليونكر يحمل فى يده زجاجة من نبيذ بورغون الابيض ، وبديهى انه اخذها من اقبية القصر . وكان الجميع ينظرون الينا بدهشة ، اما نحن فكنا نمر بهم غرفة اثر اخرى حتى وصلنا الى سلسلة من القاعات الرسمية

الكبرى ، تطل نوافذها العالية الوسخة على الساحة . وعلى الجدران كانت معلقة لوحات ضخمة ضمن اطارات ثقيلة مذهبة ، تمثل مواضيع ومعارك تاريخية : «١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨١٢» ، «٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨١٢» ، «١٦-٢٨ آب (اغسطس) ١٨١٣» . وكانت احدى هذه اللوحات ممزقة من زاويتها العليا اليمنى .

كان المبنى كله قد تحول الى ثكنة ضخمة ، ويدل حال الجدران والارض على ان هذا التحول قد جرى منذ بضعة اسابيع . وقد اقيمت رشاشات على مصاطب النوافذ ، ونصبت بين الافرشة اهرامات من البنادق .

وفيما كنا نطلع الى اللوحات فاحت فجأة بالقرب مني رائحة كحول وسمعت صوتا يقول بلغة فرنسية ركيكة الا انها طليقة : «من نظرتكم الى اللوحات ارى انكم اجانب . . .» . واذا نحن حيال رجل قصير القامة مكتنز الجسم . وحين رفع قبعته ، لاحت لنا صلعته .

«اميركيون ؟ لنا غاية الشرف ! . . الرئيس فلاديمير ارتسيباشيف . كليا في خدمتكم . . .» .

كان يبدو انه لم يجد قط من المستغرب ان نكون نحن الاجانب الاربعة ، وبيننا امرأة ، نتمشى في مواقع فصيلة تنتظر الهجوم . واخذ يتشكى من وضع الامور في روسيا ، قائلا :

«ليست القضية قضية بلاشفة وحسب . انما المصيبة ان تقاليد الجيش الروسي النبيلة قد انهارت . تطلعوا الى ما حولكم : انهم جميعا من اليونكر ، ضباط المستقبل . . . فهل تراهم نبلاء ؟ لقد فتح كيرنسكي المدارس الحربية لجميع الراغبين ، لكل جندي يستطيع اجتياز الفحص . ومن الطبيعي ان نجد العديد ، العديد بينهم ممن انتقلت اليهم عدوى الروح الثورية . . .» .

وفجأة ، وبدون اي ترابط ، اخذ يتكلم عن موضوع آخر : «اني لشديد الرغبة بمغادرة روسيا . وقد قررت الانخراط في الجيش الاميركي . . . فهلا تتفضلون بمساعدتي في هذا الامر لدى قنصلكم ؟ ساعطيكم عنواني» .

ورغم احتجاجاتنا ، كتب بضع كلمات على قطعة ورق ، وبدا انه شعر على الفور بمزيد من الانشراح . وقد احتفظت بالورقة

التى كتبها : «المدرسة الثانية للضباط فى اورانيينباوم . بترهوف القديمة» .

وتابع يقول وهو يسير بنا عبر الغرف ويقدم الايضاحات : «كان لدينا استعراض صباح اليوم . وقد قررت الكتيبة النسائية المحافظة على اخلاصها للحكومة» .

«يعنى هذا ان فى القصر جنودا من النساء ؟» .

«اجل ، انهن فى الغرف الخلفيـــة . فاذا ما حدث شىء فسيكنّ هناك فى امان» . وتنهد . «يالها من مسؤولية جسيمة !» .

وقفنا قليلا قرب النافذة ننظر الى ساحة القصر ، حيث تصطف ثلاث سرايا من رجال اليونكر بمعاطفهم الرمادية الطويلة . وكان يصدر الاوامر اليهم ضابط طويل القامة يبدو عليه النشاط ، عرفت فيه كبير المفوضيين العسكريين لدى الحكومة الموقتة ستانكيفيتش . وبعد بضع دقائق تنكبت سريتان السلاح بجلبة واجتازت صفوفهما المتماوجة الساحة ، موزونـة الخطوات ، ومرتا من تحت القوس الاحمر * ، وغابتا عن الانظار ، ماضيتين باتجاه المدينة الصامتة .

وسمع صوت يقـــول : «ذهبوا لاحتلال مركز الهاتف !» . كان يقف بالقرب منا ثلاثة من اليونكر . فشرعنا نتحادث معهم . وقد قالوا لنا انهم فى الاصل من الجنود ، وذكروا اسماءهـــم : روبيرت اوليف ، واليكسى فاسيلنكو ، والاستونى ايرنى ساكس . وقد باتوا الآن غير راغبين فى ان يكونوا ضباطا لأن الضباط فى اقصى درجة من انعدام الشعبية . والظاهر انهم كانوا لا يعرفون ماذا ينبغى لهم ان يفعلوا . وكان جليا انهم على درجة كبيرة من عدم الارتياح .

ولكنهم اخذوا بعد قليل يتبجحون : «فليدس البلاشفة انوفهم فقط ، ولسوف نريهـــم كيف نحارب ! انهـــم لا يجسرون على مهاجمتنا ، فهم جميعا جبناء . . . ولكن اذا ما تغلبوا علينا ، فان كل واحد منا يحتفظ بالرصاصة الاخيرة لنفسه . . .» .

فى تلك اللحظة بدأ تبادل اطلاق النار فى مكان ليس ببعيد . فاذا بجميع الناس فى الساحة يتشتتـــون . وانبطح كثيرون على الارض . وكان ثمة حوذيون واقفون فى منعطفات الشوارع فانطلقوا بعجلاتهم فى جميع الاتجاهات . وقامت جلبة رهيبة . وراح الجنود

* تحت قوس رئاسة الاركان . **المحرر** .

يعدون مقبلين مدبرين ، يحملون البنادق ويصيحون : «جاؤوا ! جاؤوا !» . ولكن ما هي الا بضع دقائق حتى هدأ كل شيء . وعاد الحوذية الى اماكنهم ، وهب الناس المنبطحون يقفون على اقدامهم . وظهر رجال اليونكر تحت القوس الاحمر . لم يكونوا يسيرون سيرا منتظما تماما ، وكان احدهم يتكئ على ساعدى اثنين من رفاقه .

وحين غادرنا القصر ، كان الوقت متأخرا بعض الشئ . وقد اختفى جميع خفراء الساحة وبدت البنايات الحكومية المنتصبة فى نصف دائرة واسعة ، مهجورة . فذهبنا لتناول العشاء فى «اوتيل دو فرانس» . وما كدنا نبدأ بشرب الحساء حتى اقبل علينا نادل شاحب الوجه الى حد رهيب ، والح علينا ان نذهب الى القاعة الرئيسية المطلة بنوافذها على الردهة : فلا بد من اطفاء النور فى المقهى المطل على الشارع . وقال لنا : «سيجرى اطلاق نيران عنيف» .

وخرجنا الى شارع مورسكايا من جديد . وكان الظلام مطبقا ، فيما عدا مصباح واحد شحيح الضوء عند شارع نيفسكى . وتحت المصباح تقف مصفحة كبيرة يهدر محركها وينفث دخان البنزين . والى جانبها يقف احد الصبية متطلعا الى فوهة الرشاشة . ومن حولها يحتشد جنود وبحارة ، ينتظرون كما يبدو شيئا ما . ذهبنا الى قوس الاركان العامة . وكان ثمة جماعة من الجنود ينظرون الى قصر الشتاء المشعشع بالانوار ويتحادثون فيما بينهم باصوات مرتفعة . وكان احدهم يقول :

«كلا ، يا رفاق ، كيف يمكن ان نطلق النار عليهم ؟ فثمة الكتيبة النسائية ! ولسوف يقولون اننا نطلق النار على النساء الروسيات . . .» .

وحين ذهبنا الى شارع نيفسكى كانت تجرى مصفحة اخرى قادمة من وراء منعطف الشارع . وقد اخرج احد الرجال رأسه من برجها وصاح :

«الى امام ! هيا الى الهجوم !» .

واقبل سائق مصفحة اخرى وصاح بصوت غطى على هدير السيارة :

«اللجنة امرت بالانتظار ! عندهم مدفعية مخفية خلف اكوام الحطب ! . .» .

لم تكن عربات الترام تسير هنا ، وكان ثمة قليل من المارة ، اما النور فلا وجود له البتة . ولكن كان فى الوسع بعد اجتياز عدة بيوت فقط رؤية عربات الترام وحشود الناس وواجهات المخازن المشعشعة بالنور والاعلانات الكهربائية لدور السينما . فقد كانت الحياة جارية فى مسراها الطبيعى . وكانت لدينا بطاقات الى مسرح مارييسنكى ، للباليه (كانت جميع المسارح مفتوحة) . ولكن ما كان يجرى فى الشارع كان اكثر اثارة للاهتمام .

وقد تعثرنا فى الظلمة باكوام الخشب التى تسد جسر البوليس ، وقرب قصر ستروغانوف رأينا بضعة من الجنود ينصبون مدافع من عيار ثلاث بوصات . وكان ثمة جنود آخرون ، بملابس مختلف الوحدات ، يروحون ويجيئون متسكعين بدون هدف ، يتبادلون فيما بينهم احاديث لا نهاية لها . . .

وفى شارع نيفسكى ، كان يبدو كأن المدينة كلها تتدفق هناك . فلدى كل زاوية كانت تقف جموع ضخمة محيطة بأناس يتناقشون بحماسة وحرارة . وفى نقاط تلاقى الشوارع تقف دوريات يتألف كل منها من اثنى عشر جنديا يحملون بنادق مشرعة الحراب ، فى حين يتوعدهم الشيوخ ذوو الوجوه الحمر ومعاطف الفراء الثمينة بتلويح قبضاتهم ، والنسوة الانيقات يمطرنهم بالشتائم . وكان الجنود يجيبون بكثير من الامتعاض ويبتسمون بارتباك . وفى الشارع كانت تسير مصفحات ما تزال مرئية عليها الاسماء القديمة : «اوليغ» ، «ريوريك» ، «سفياتوسلاف» ، وهى جميعها اسماء امراء روس قدامى . وقد كتبت فوقها بخط كبير احمر الاحرف الاولى لاسم «حزب العمال الاشتراكى الديموقراطى الروسى» . وظهر بائع صحف فى جادة ميخائيلوفسكى فاندفع نحوه الجمهور بشكل جنونى ، عارضا شراء العدد بروبل ، وخمسة روبلات ، وعشرة روبلات ، وافراده ينتزعون الجرائد بعضهم من بعض . كانت تلك جريدة «رابوتشى اى سولدات» . تعلن انتصار الثورة البروليتارية واطلاق سراح المعتقلين البلاشفة ، وتدعو وحدات الجبهة والمؤخرة الى مساندة الانتفاضة . . . ولم يكن هذا العدد المحموم يحتوى الا على اربع صفحات مطبوعة باحرف ضخمة . ولم تكن ثمة اية اخبار .

وفى ناحية شارع سادوفايا كان يحتشد قرابة الفى مواطن .

وكان الجمهور يحدق بسطح دار عالية حيث وميض شرارة حمراء تشتعل حينا وتنطفئ حينا آخر . وقد قال فلاح طويل القامة ، مشيرا الى الشرارة :

«انظر ، هناك استفزازى ، الآن سيطلق النار على الشعب . . .» . وكان ظاهرا ان احد لم يفكر فى التحقيق بالامر .

حين وصلنا الى سمولنى كانت واجهته الضخمة تشع بالانوار . ومن جميع الشوارع كان يتجه اليه الناس افواجا افواجا مسرعين وسط الظلام والعتمة . والسيارات والدراجات النارية تروح وتجئ . ومن البوابة كانت تنطلق مصفحة ضخمة رمادية اللون يخفق فوقها علمان احمران ، وتطلق صفارتها . كان الجو باردا ، ورجال الحرس الاحمر الذين يخفرون المدخل يتدفأون قرب النار . وكانت ثمة نار موقدة عند البوابة الداخلية ايضا ، وعلى ضوئهـــا قرأ الخفراء ببطء بطاقات الاذن بالدخول التى كنا نحملها وتطلعوا الينا من رؤوسنا الى اخامص اقدامنــا . وعلى جانبى المدخل اقيمت الرشاشات وقد نزعت اغطيتهـــا ، وتدلت احزمة ذخيرتها كالافاعى . وكانت ثمة مصفحات كثيرة مصفوفة تحت اشجار الحديقة فى الفناء ، ومحركاتها تهدر . وكانت القاعات الرحبة الخاويـــة الضعيفة الاضاءة تدوّى بخبط الجزمات الثقيلـــة وبالصيحات والكلام . . . وكانت الحالة النفسية حازمة . والسلالم كلها ملأى بالجموع : كان ثمة عمال ذوو قمصان سوداء وقبعات من الفراء سود ، يتنكب الكثيرون منهـــم البنادق ، وجنود يلبسون معاطف بلون الوحل ويعتمرون بقبعات رمادية من الفراء . ووسط هؤلاء الناس جميعا كان لوناتشارسكى وكامينيف ، المعروفان لدى الكثيرين ، يسرعان ، ماضيين الى جهة ما . . . وكانا يتكلمان فى وقت واحد . ووجهاهما يعروهما القلق ، وكل منهما يتأبط محفظة زاخرة بالاوراق . وكان اجتماع سوفييت بتروغراد قد انتهى . فاوقفت كامينيف * ، وهو رجل غير طويل

---

* **كامينيف (روزنفلد) ل . ب .** فى الحزب البلشفى منذ عام ١٩٠١ . وبعد ثورة اكتوبر كان رئيسا لسوفييت موسكو ، ونائبا لرئيس مجلس المفوضين الشعبيين .

عارض مرارا سياسة الحزب اللينينيـــة : بعد ثورة شباط (فبراير) الديموقراطية البرجوازية ناهض نهج الحزب الرامى الى الثورة الاشتراكية ؛

القامة ، سريع الحركات ، ذو وجه عريض ينم عن الحيوية ورأس يكاد يكون بدون رقبة . وبدون اية مقدمات ترجم لى الى الفرنسية القرار المتخذ للتو :

«ان سوفييت بتروغـراد لنواب العمال والجنود يحيى الثورة المظفرة التى قامت بها بروليتاريا بتروغراد وحاميتهـا . وينوه السوفييت على الخصوص بما ابدته الجماهير من تلاحم وتنظيم وانضباط واجماع تام فى هذه الانتفاضة التى قل مثيلها من حيث عدم اراقة الدماء وقل مثيلها من حيث النجاح .

وان السوفييت ، اذ يعبر عن ثقتـه الراسخة بان حكومـة العمال والفلاحين التى ستقيمها الثورة ، بوصفها حكومة سوفييتية ، والتى ستؤمن لبروليتاريا المدن المساندة من جانب كل جماهير الفلاحين الفقراء ، ستسير بحزم نحو الاشتراكية التى هى الوسيلة الوحيدة لانقاذ البلاد من بؤس منقطع النظير ومن اهوال الحرب .

ان الحكومة الجديدة ، حكومة العمـال والفلاحين ، ستقترح فى الحال صلحا عادلا ديموقراطيا على جميع الشعوب المتحاربة .

وستلغى فى الحال الملكية الكبيرة للارض وتسلـم الارض للفلاحين . وستقيم الرقابة العمالية على الانتاج وتوزيع المنتجات وستقيم رقابة شعبية عامة على البنوك مع تحويلهـا الى مؤسسة واحدة تابعة للدولة .

ان سوفييت بتروغراد لنواب العمـال والجنود يهيب بجميع العمال وجميـع الفلاحين الى دعـم ثورة العمال والفلاحين بدون تحفظ وبكل طاقاتهـم ويعبر السوفييت عن الثقة بان عمال المدن بالتحالف مـع الفلاحين الفقراء سيبدون انضباطا رفاقيـا راسخا ويؤمنون النظـام الثورى الصارم الذى لا غنى عنـه لانتصار الاشتراكية .

وان السوفييت لمقتنع بان بروليتاريا بلدان اوروبا الغربية ستساعدنا على السير بقضية الاشتراكية الى الانتصار التام الوطيد» .

«اذن فانتم تعتقدون انكم ربحتم الجولة ؟ . .» .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ كان من انصار تشكيل حكومة ائتلافية يشترك فيها المناشفة والاشتراكيون-الثوريون .

وفى أخر الامر خرج على الماركسية-اللينينيـة وطرد من الحزب .
المحرر .

فقال وقد رفـــع كتفيه : «ما يزال ثمـــة عمل هائل ينبغى القيـــام به . كثير الى درجة رهيبة ! . . فالامر مـــا يزال فى بدايته . . .» .

وعلى فسحة السلم رأيت نائب رئيس مجلس اتحاد النقابات ريازانوف . كان ينظر امامه باكتئاب ، وهو يعض لحيته الشائبة . وقد قال بانفعـــال : «هذا مخالف للعقـل ، مخالف للعقـــل ! البروليتاريا الاوروبية لن تثور . روسيا كلها . . .» — ولوح بيده فى ذهول واسرع مبتعدا .

كان ريازانــوف وكامينيف قد اعترضا على الانتفاضة وتعرضا لانتقادات لينين اللاذعة .

وكان ذلك اجتماعـــا على جانب كبير من الاهميـــة . فباسم اللجنة العسكرية الثورية ، اعلن تروتسكى ان الحكومة الموقتة لم يعد لها وجود . وقال :

«ان طبيعة الحكومات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة تقوم على خداع الجماهير .

وامامنـــا الآن ، نحن سوفييتـــات نواب العمـــال والجنـــود والفلاحين ، تجربة لا مثيل لهـــا فى التاريخ ، تجربة اقامة سلطة ليس لها من هدف غير تلبية مطالب الجنود والعمال والفلاحين» .

وارتقى لينين المنبر . فاستقبل بالهتافات العاصفة . فتنبـــأ بالثورة الاشتراكية العالمية . . . وتكلم بعده زينوفييف صائحا : «اليوم ادينا قسطنا الواجب علينا للبروليتاريا العالمية وانزلنـــا ضربة هائلة بالحرب ، ضربة فى صدر جميع الامبرياليين وبخاصة السفاح غليوم» .

وبعد هذا اعلن تروتسكى ان البرقيات قد وجهت الى الجبهة منبئة بانتصار الانتفاضة ، ولكن لـــم يأت جواب بعد . وتقول الشائعات ان ثمة قوات تزحف على بتروغراد . فلا بد من توجيه وفد اليها ليبلغها الحقيقة كاملة .

فانطلقت اصوات تقـــول : «انكـــم تسبّقون ارادة مؤتمـــر السوفييتات لعامة روسيا !» .

فقال تروتسكى ببرودة : «ان ارادة مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا ، قد حددها سلفا هذا الواقع العظيم ، واقع انتفاضة عمال». وجنود بتروغراد

دخلنا قاعة الاجتماعات الكبرى شاقين لانفسنا الطريق وسط جمهور مصطخب متزاحم على الباب . كان ممثلو عمال وجنود روسيا جمعاء جالسين تحت ضوء ثريات بيض ضخمة على المقاعد والكراسي وحاشرين انفسهم في الممرات وعلى مصاطب النوافذ ، بل وعلى اطراف منصة الرئاسة ، ينتظرون رنة جرس الرئيس في صمت قلق حينا وضجة صاخبة حينا آخر . لم يكن المكان مدفأ الا ان الجو كان حارا من الدفء المنبعث من اجساد بشرية غير مغتسلة . وكان يتصاعد في الجو دخان ازرق كريه من التبغ ويعلق في الهواء الثقيل . ومن حين لآخر كان احد الاشخاص القياديين يرتقي المنبر ويرجو الرفاق ان يكفوا عن التدخين . واذ ذاك كان جميع الحاضرين ، بمن فيهم المدخنون ، يرفعون اصواتهم بالصياح : «لا تدخنوا ، يا رفاق !» ويستمر التدخين . واجلسني الى جانبه مندوب مصنع اوبوخوفسكي ، الفوضوي بتروفسكي . كان وسخا غير حليق الوجه ، يتمايل مرهقا من السهر : فقد ظل يشتغل في اللجنة العسكرية الثورية ثلاثة ايام بلياليها من غير انقطاع .

كان يجلس على السدة زعماء التسييك السابقة ، وقد اتيح لهم للمرة الاخيرة تولي ادارة اجتماع السوفييتات المستعصية التي كانوا يديرونها منذ الايام الاولى للثورة . والسوفييتات الآن ثائرة عليهم . فقد انتهت المرحلة الاولى من الثورة الروسية التي كان هؤلاء الرجال يسعون لكبحها . وكان غائبا ثلاثة من كبارهم : كان غائبا كيرنسكي الهارب الى الجبهة عبر مدن وقرى يسودها الاضطراب ؛ وكان غائبا النسر العجوز تشخييدزه الذي انسحب بازدراء الى مسقط رأسه جبال جورجيا حيث اصابه داء السل ؛ كما كان غائبا تسيريتيلي الطيب النفس ، وهو ايضا مصاب بمرض عضال ، الا انه عاد فيما بعد فانفق كل بلاغته المنمقة في الدفاع عن قضية خاسرة . كان يجلس على السدة غوتز ودان وليبر وبوغدانوف وبرويدو وفيليبوفسكي ، وقد كانوا جميعا شاحبي الوجوه مستائين ، غائري العيون . وامامهم كان المؤتمر الثاني لسوفييتات عامة روسيا يغلي ويصطخب ، ومن فوق رؤوسهم كانت اللجنة العسكرية الثورية تعمل بصورة محمومة ، ممسكة في ايديها بجميع خيوط الانتفاضة ومنزلة الضربات الصائبة القوية . . . وكانت الساعة العاشرة والدقيقة الاربعون مساء .

قرع دان الجرس ؛ وهو رجل ذو وجه اكمد اللون مترهل ، يرتدى بزة طبيب عسكرى فضفاضة . وفى الحال ساد صمت متوتر لا يشوبه غير مجادلات وشتائم الناس المتزاحمين عند المدخل . . . وبلهجة حزينة بدأ دان الكلام :

«السلطة فى ايدينا» . وتوقف لحظة ثم اردف يقول بصوت خافت : «ايها الرفاق ، ان المؤتمر ينعقـــد فى وقت غير مألوف وظروف غير عادية تدركون معها السبب فى ان التسيك تعتبر ان لا جدوى من التوجه اليكم بخطاب سياسى . وان هذا ليغدو مفهوما بوجه خاص لديكم اذا ما تذكرتم انى رئيس هيئة رئاسة التسيك ، واما رفاقنا فى الحزب فموجودون الآن فى قصر الشتاء تحت قصف النار ، وهم يؤدون بتفان واجباتهم كوزراء ، هذه الواجبات التى القتها التسيك على كاهلهم (ضجة غامضة) . وانى اعلن افتتـــاح الجلسة الاولى للمؤتمر الثانى لسوفييتات نواب العمال والجنود» .

وجرى انتخاب هيئة الرئاسة وسط ضجة عامة وتحركات من هنا الى هناك . واعلن افانيسوف انه قد تقرر ، بناء على الاتفاق بين البلاشفة والاشتراكيين-الثوريين اليساريين والمناشفة-الامميين ، ان تتألف هيئة الرئاسة على اساس التمثيل النسبى . فهب عدد من المناشفة واقفين على اقدامهم يحتجون باصوات عالية . فصاح بهم جندى ذو لحية : «تذكروا ، تذكروا ما كنتم تفعلون بنا ، نحن البلاشفة ، حين كنا اقلية !» وكانت نتيجة الانتخابات : ١٤ من البلاشفة ، ٧ من الاشتراكيين-الثوريين ، ٣ من المناشفة وواحد من الامميين (من جماعة غوركى) . وباســـــم الاشتراكيين-الثوريين اليمينيين والوسط ، اعلن غندلمان انهم يرفضـــون الاشتراك فى هيئة الرئاسة . واعلن خينتشوك مثل هذا ايضا باسم المناشفة . وكذلك اعلن المناشفة الامميون انهم لا يمكن ان يدخلوا الهيئة ما لم يتم توضيح بعض الامور . وانطلقت تصفيقات وصيحات متفرقة . وصاح صوت : «مرتدون ! وتسمون انفسكم اشتراكيين !» وطلب ممثل مندوبى اوكرانيا مقعدا فى هيئة الرئاسة فاعطى له . وعندئذ غادرت التسيك السابقة السدة وشغل مكانها تروتسكى وكامينيف ولوناتشارسكى والرفيقة كولونتاى ونوغين . . . وهب جميع من فى القاعة واقفين يرعدون بالتصفيق . فكم حلق عاليـــا هؤلاء

البلاشفة ، - كانوا طائفة * مكروهة ومضطهدة قبل اربعة شهور وها هم الآن فى هذا المركز الرفيع ، مركز قيادة روسيا العظمى .

ويعلن كامينيف ان جدول الاعمال يتضمن : اولا ، تنظيم السلطة ، ثانيا ، الحرب والسلم ، ثالثا ، الجمعية التأسيسية . ويقف لوزوفسكى معلنا ان مكاتب جميع الفرقاء تقترح الاستماع الى تقرير سوفييت بتروغراد ومناقشته ، ثم اعطاء الكلام لاعضاء التسيك وممثلى الاحزاب ، واخيرا الانتقال الى جدول الاعمال .

ولكن سمعت ، فجأة ، ضجة جديدة ، اشد وقعا من جلبة الجمهور ، ملحة ، مقلقة ، هى دوى طلقة مدفعية . فالتفت الجميع متوترى الاعصاب صوب النوافذ المعتمة ، والمّ بالمجتمعين نوع من الرعشة . وطلب مارتوف الكلام فقال بصوت اجش : «لقد بدأت الحرب الاهلية ، ايها الرفاق ! وينبغى ان تكون المسألة الاولى لدينا حل الازمة سلميا . اننا ملزمون مبدئيا وتاكتيكيا بان نبحث على عجل وسائل تفادى الحرب الاهلية . هناك فى الشارع تطلق النار على اخواننا ! ففى هذا الوقت ، قبيل افتتاح مؤتمر السوفييتات ، يجرى حل مسألة السلطة عن طريق مؤامرة عسكرية مدبرة من قبل احد الاحزاب الثورية . . .» . ولمدة لحظة عجز عن اسماع صوته بسبب الضجة . «ان جميع الاحزاب الثورية ملزمة بمواجهة الوقائع وجها لوجه ! مهمة المؤتمر تقوم قبل كل شىء على حل مسألة السلطة ، وهذه المهمة باتت موضوعة فى الشوارع ، باتت تحل بالسلاح ! ان علينا ان نقيم سلطة تتمتع باعتراف الديموقراطية كلها . وليس ينبغى للمؤتمر ، اذا كان يريد ان يكون صوتا للديموقراطية الثورية ، ان يقف مكتوف الايدى امام حرب اهلية مستعرة قد تكون نتيجتها اندلاع الثورة المضادة . ينبغى البحث عن امكانية المخرج السلمى فى اقامة سلطة ديموقراطية موحدة . . . ومن الضرورى انتخاب وفد للتباحث مع الاحزاب والمنظمات الاشتراكية الاخرى . . .» .

دوى بعيد متواصل من طلقات المدفعية ، ومجادلات متواصلة بين المندوبين . . . وهكذا كانت روسيا الجديدة تولد تحت هدير المدافع فى جو من الظلمة والكراهية والهلع الوحشى والبسالة المتفانية .

---

* راجع ملاحظة المحرر فى صفحة ٣٥ . **المحرر** .

ايد الاشتراكيون-الثوريون اليساريون والاشتراكيون-الديموقراطيون المتحدون اقتراح مارتوف . وتم اقراره . فاعلن احد الجنود ان اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين لعامة روسيا قد رفضت ايفاد مندوبيها الى المؤتمر ؛ واقترح ان توفد الى هناك لجنة فرعية تحمل دعوة رسمية . وقال : «يوجد هنا عدة مندوبين فلاحين . وانا اقترح ان يعطى لهم حق التصويت» . وتمت الموافقة على الاقتراح .

طلب الكلام النقيب خاراش . وصاح قائلا من مكانه بلهجة حماسية : «ان المنافقين السياسيين الذين يشرفون على هذا المؤتمر يقولون لنا ان علينا ان نثير مسألة السلطة ، ولكن هذه المسألة قد اثيرت من خلف ظهورنا قبل افتتاح المؤتمر ! ان قصر الشتاء تطلق عليه النيران ، ولكن الضربات الموجهة اليه ليست سوى الضربات على المسامير التى تدق فى تابوت الحزب السياسى الذى اقدم على مثل هذه المغامرة !» فحدثت جلبة عامة . واخذ الكلام غارّا * ، فقال : «فى الوقت الذى يعرض فيه اقتراح بشأن التسوية السلمية للنزاع ، يدور القتال فى الشوارع . . . ان الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة يرون ان من الضرورى استنكار كل ما يجرى هنا ، ويدعون جميع القوى الاجتماعية لمقاومة محاولات الاستيلاء على السلطة . . .» . ويقول عضو جماعة الترودوفيك كوتشين ، مندوب الجيش الثانى عشر : «انى موفد الى هنا للاستطلاع فقط . وسأعود فى الحال الى الجبهة حيث جميع لجان الجيش موقنة راسخ اليقين بان استيلاء السوفييتات على السلطة قبل ثلاثة اسابيع من افتتاح الجمعية التأسيسية انما هو طعنة فى ظهر الجيش وجريمة بحق الشعب !» فانطلقت صيحات غاضبة : «كذب ! تكذب !» ومن جديد سمع صوت الخطيب يقول : «ينبغى وضع حد لهذه المغامرة البتروغرادية ! وباسم خلاص الوطن والثورة ادعو جميع المندوبين لمغادرة هذه القاعة !» ولدى مبارحته المنبر وسط زئير اصم ، انقض عليه الكثيرون منذرين مهددين . . . وتكلم خينتشوك ** ، وهو ضابط ذو لحية صغيرة

* حسب تقرير «البرافدا» ، كان المتكلم خاراش . **المحرر** .

** ينسب جون ريد الخطاب التالى لخينتشوك . وهو – حسب تقارير جميع الجرائد – بقية خطاب كوتشين . **المحرر** .

صهباء حادة الرأس ، فالقى خطابا ناعما مقنعا : «انى اتكلم باسم مندوبى الجبهة . ان الجيش ممثل تمثيلا غير كاف فى هذا المؤتمر ، وهو ، بالاضافة الى هذا ، لا يعتقد ان مؤتمر السوفييتات ضرورى فى الوقت الحاضر ، اى قبل ثلاثة اسابيع فقط من افتتاح الجمعية التأسيسية . . .» فكانت صيحات وضربات بالارجل على الارض عاصفة متزايدة الشدة . «ان الجيش يعتقد ان مؤتمر السوفييتات لا يملك السلطة الضرورية . . .» وهب الجنود الموجودون فى القاعة من اماكنهم . وراحوا يصيحون :

«باسم من تتكلم ؟ ومن تمثل ؟» .

«اللجنة التنفيذية المركزية للجيش الخامس ، الفوج الثانى ، الفوج الاول ، فوج المشاة الثالث . . .» .

«ومتى انتخبوك ؟ انك لا تمثل الجنود ، بل الضباط ! وماذا يقول الجنود ؟» وانطلقت صيحات استنكار .

«نحن ، جماعة الجبهة ، نتنصل من كل مسؤولية عما يجرى الآن وعما سيجرى فى المستقبل ، ونعتقد بضرورة تعبئة جميع القوى الثورية الواعية من اجل انقاذ الثورة ! ان جماعة الجبهة تنسحب من المؤتمر . . . ومكان القتال انما هو فى الشوارع» .

فانطلقت صيحات صاخبة : «باسم الاركان تتكلم ، لا باسم الجيش !» .

«ادعو جميع الجنود العقلاء لمغادرة المؤتمر !» .

وسمعت فى القاعة صيحات تقول : «كورنيلوفى ! معاد للثورة ! استفزازى !»

وبعد ذلك اعلن خينتشوك باسم المناشفة قائلا : ان الامكانية الوحيدة للمخرج السلمى انما هى فى ان يبدأ المؤتمر محادثات مع الحكومة الموقتة حول تشكيل وزارة جديدة تستند الى جميع فئات المجتمع . فقامت ضجة رهيبة استمرت عدة دقائق لم يكن يستطيع فيها الكلام . ورفع صوته حتى درجة الصياح فتلا بيان المناشفة :

«لما كان البلاشفة قد حاكوا مؤامرة عسكرية ، بالاستناد الى سوفييت بتروغراد ، ولم يتشاوروا مع الجماعات والاحزاب الاخرى ، فانه يستحيل علينا البقاء فى المؤتمر ، ولهذا فاننا

ننسحب منه ، داعين جميع الجماعات والاحزاب الاخرى للاقتداء بنا وللاجتماع لبحث الوضع الناشىء» .

«فراريون !» .

ويتكلم غندلمان ، وقد كان يقاطع كل دقيقة بالضجيج العام والصيحات ، فيحتج بصوت بالكاد يسمع ، باسم الاشتراكيين الثوريين ، على قصف قصر الشتاء . «اننا نعارض مثل هذه الفوضى . . .» .

وما كاد يصمت حتى انطلق الى المنبر جندى شاب نحيل الوجه متأجج العينين . فرفع يده بحركة مسرحية وهتف قائلا :

«ايها الرفاق !» ، فحل الصمت . واردف يقول : «كنيتى بترسون . وانا اتكلم باسم فوج المشاة الثانى اللاتفى . لقد سمعتم تصريحى ممثلين للجان الجيش ، وكان من شأن هذين التصريحين ان تكون لهما قيمة ما لو ان قائليهما كانا فعلا ممثلين للجيش . . .» . (تصفيق عاصف) «انهما لا يمثلان الجنود . . .» وهز الخطيب قبضته . «ان الجيش الثانى عشر يلح منذ وقت بعيد على اعادة انتخاب السوفييت والايسكوسول * ، ولكن لجنتنا ، شأنها فى ذلك شأن التسيك عندكم تماما ، رفضت ان تدعو ممثلى الجماهير الا فى نهاية ايلول (سبتمبر) بحيث يتسنى للرجعيين ان ينتخبوا مندوبيهم المزعومين الى هذا المؤتمر . على انى اعلمكم ان الرماة اللاتفيين طالما قد اعلنوا قائلين : «كفى قرارات ! كفى ثرثرات ! نحن فى حاجة للاعمال ! ينبغى ان نأخذ السلطة فى ايدينا !» فلينسحب هؤلاء المندوبون المزيفون ! الجيش ليس معهم !» .

وانفجرت القاعة بعاصفة من التصفيق . فى الدقائق الاولى من الجلسة ، كان المندوبون ، وقد اذهلهم تسارع الاحداث وأصمّهم قصف المدافع ، مترددين حائرين . وخلال ساعة كاملة كانت ضربات المطرقة تنهال عليهم من فوق ذلك المنبر ضربة اثر الاخرى ، لاحمة اياهم فى كتلة واحدة ، وساحقة اياهم فى الوقت نفسه . أتراهم يقفون لوحدهم ؟ اما ستثور عليهم روسيا ؟ اصحيح ان القوات زاحفة على بتروغراد ؟ ولكن ما ان شرع يتكلم هذا الجندى المشرق العينين حتى ادركوا جميعا على الفور ان كلماته

* الايسكوسول هى اللجنة التنفيذية لجنود الوحدات اللاتفية فى الجيش الثانى عشر . **المحرر** .

المشعة كالبرق تنطوى على الحقيقة . . . **كان صوته صوت الجنود** – صوت الملايين من العمال والفلاحين بالبزات العسكرية ، وقد هيمن عليهم الاندفاع نفسه والافكار والمشاعر نفسها ، المهيمنة عليهم هم انفسهم ، المندوبين . . .

ومن جديد يرتقى المنبر جنود . . . ويعلن غجيلشاك باسم مندوبى الجبهة ان مسألة الانسحاب من المؤتمر لم تقررها الا اكثرية جد زهيدة من الاصوات ، يضاف الى هذا ان **المندوبين البلاشفة لم يشتركوا فى التصويت** ، اعتقادا منهم بان القرار يجب ان يتخذ على اساس الاحزاب لا على اساس الفئات . وقال : «ان مئات المندوبين من الجبهة قد جرى انتخابهم بدون اشتراك الجنود ، لأن لجان الجيش لم تعد منذ وقت بعيد ممثلة حقيقية لجماهير الجنود البسطاء . . .» ويصيح لوقيانوف قائلا ان الضباط من شاكلة خاراش او خينتشوك لا يمثلون فى المؤتمر الجنود وانما القيادة العليا . «ان سكان الخنادق ينتظرون بصبر فارغ انتقال السلطة الى ايدى السوفييتات» . واخذت الحالة النفسية تتبدل .

وبعد ذلك خطب ابراموفيتش باسم البوند (الحزب الاشتراكى-الديموقراطى اليهودى) . كان يرتعد غضبا ، وعيناه تقدحان شررا من تحت زجاج نظارتيه الكثيف * :

«ان الاحداث الجارية الآن فى بتروغراد لنكبة نكباء ! ان جماعة البوند تنضم الى بيان المناشفة والاشتراكيين-الثوريين وتنسحب من المؤتمر ! – واعلى صوته ورفع يده . – ان واجبنا حيال البروليتاريا الروسية لا يسمح لنا بالبقاء هنا وتحمل مسؤولية هذه الجريمة . ولما كان قصف قصر الشتاء غير متوقف ، فان الدوما البلدى قد قرر ، بالاشتراك مع المناشفة والاشتراكيين-الثوريين واللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ، ان يموت مع الحكومة الموقتة . اننا ننضم اليهم ! ولسوف نفتح صدورنا ، ونحن عزّل من السلاح ، لرصاص رشاشات الارهابيين . . . اننا ندعو جميع مندوبى المؤتمر . . .» وضاعت بقية الخطاب فى عاصفة من الصيحات والتهديدات والشتائم ، وقد تحولت الى صخب جهنمى حين هب خمسون مندوبا من اماكنهم واخذوا يتجهون الى المخرج .

* يبدو ان جون ريد قد جمع فيما بعد بين خطابى ابراموفيتش وايرليخ . **المحرر** .

واخذ كامينيف يقرع بجرس الرئاسة ، صائحا : «ابقوا فى اماكنكم ! لننتقل الى جدول الاعمال !» . ووقف تروتسكى . كان وجهه شاحبا رهيبا . وفى صوته الشديد رنة من الاحتقار البارد . «فلينصرف جميع من يسمون بالاشتراكيين-المصالحين ، جميع هؤلاء المناشفة-الخائفين والاشتراكيين-الثوريين والبونديين ! فليسوا جميعا سوى زبالة سيلقى بها فى صندوق قمامة التاريخ ! . .» .

وباسم البلاشفة اعلن ريازانوف ان اللجنة العسكرية الثورية قد بعثت ، استجابة منها لطلب الدوما البلدى ، بوفد للمفاوضات مع قصر الشتاء . «وهكذا فنحن قد فعلنا كل المستطاع من اجل تفادى سفك الدماء . . .» .

كان قد حان وقت انصرافنا . وقد لبثنا دقيقة فى الغرفة التى كانت اللجنة العسكرية الثورية تعمل فيها بسرعة رهيبة ، مستقبلة ومرسلة رجال الارتباط اللاهثين ، باعثة الى جميع زوايا المدينة بالمفوضين المزودين بصلاحيات الحياة والموت . كانت هواتف الميدان ترن بدون انقطاع . وحين انفتح الباب هبت علينا رائحة هواء فاسد عابق بالدخان ، ولاح لاعيننا رجال شعث الشعور ، منحنون على خريطة يغمرها نور ساطع من مصباح كهربائى ذى اباجور . . . وقد سلّمنا تصاريح المرور الرفيق يوسيفوف-دوخفنسكى ، وهو شاب بسّام له خصلة من الشعر صفراء شاحبة .

وخرجنا الى الشارع فواجهتنا ليلة باردة . كان مقابل سمولنى حشد ضخم من السيارات القادمة والذاهبة . ومن خلال ضجيجها كانت تسمع طلقات مدفعية صماء بعيدة . وكانت ثمة شاحنة ضخمة تهتز بكل كيانها من دوران محركها . وهنالك رجال يقذفون اليها رزما من الاوراق المطبوعة ، وآخرون يستلمونها ويكدسونها ، وبنادقهم فى ايديهم . فسألتهم :

«الى اين انتم ذاهبون ؟» .

فاجابنى عامل شاب ، مبتسما : «الى جميع انحاء المدينة !» . ولوح بيده بحركة واسعة حماسية .

فاظهرنا تراخيصنا . فدعونا قائلين : «تعالوا معنا ! ولكن قد يطلقون النار علينا . . .» فتسلقنا الشاحنة . واصدر جهاز التغييرات صريرا حادا ، واندفعت السيارة الضخمة الى امام ،

وارتمينا جميعـــــا الى وراء ، منشدّين على الرجال الذين كانوا يتسلقون شاحنتنا . ومرت السيارة قرب الشعلتين عند البوابتين الداخلية والخارجية وقد كانتا تلقيان ضوءهما الاحمر على العمـــال المسلحين بالبنادق والمتجمعين حول النار ، ومضت مسرعـــة فى جادة سوفوروف تتهادى متمايلـــة من جانب لآخر . ومزق احد مرافقينـــا غلاف احدى الرزم واخذ يقذف فى الهواء اعدادا من الاوراق . ففعلنا مثله . وهكذا كنا نمضى فى الشوارع المعتمـــة مخلفين ذيلا كاملا من الاوراق البيض المتطايرة . وكان المـــارة المتأخرون فى سهرتهم يتوقفون ليلتقطوها . وعند ملتقى الشوارع كان رجال الدوريات يتركون مشاعلهم ويرفعون ايديهم فيتلقفون الاوراق . واحيانا كان يثب نحونا رجال مسلحون ، يرفعون البنادق ويصرخون : «قف !» ولكن سائقنا كان يلفظ بضـــع كلمات غير مفهومة ، فنتابع سيرنا . تناولت احد النداءات ، وقرأته كيفمـــا اتفق على ضوء مصابيح الشارع القليلة :

«الى مواطنى روسيا !

ان الحكومة الموقتة قد عزلت . وانتقلت سلطة الدولة الى يد جهاز سوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود — اللجنة العسكرية الثورية ، القائمة على رأس بروليتاريا بتروغراد وحاميتها .

ان القضية التى ناضل الشعب من اجلهـــا ، الا وهى عرض الصلح الديموقراطى فى الحال ، والغاء الملكية الكبيرة للارض ، والرقابة العمالية على الانتاج ، واقامة حكومة سوفييتية ، ان هذه القضية مضمونة .

عاشت ثورة العمال والجنود والفلاحين !

اللجنة العسكرية الثورية لدى سوفييت بتروغراد لنـــواب العمال والجنود»

قال جارى ، وهو رجل مائل العينين ، مونغولى السحنة ، على رأسه قبعة قفقاسية من فرو الماعز : «انتبه ! الاستفزازيـــون يطلقون النار دائما من النوافذ ! . .» وانعطفنا الى ساحة زنامنسكايا

المعتمة وهى تكاد تكون مقفرة ، ومررنا بجانب النصب التذكارى الاخرق للمثال تروبتسكوى * وانطلقنا بسرعة الى شارع نيفسكى العريض ، وقد كان ثلاثة منا يقفون والبنادق فى ايديهم جاهزة للاطلاق ، وهم يتطلعون الى النوافذ . كان الشارع شديد الحركة يعج بالناس المهرولين الى مختلف الاتجاهات ، محنيي الظهور . لم نعد نسمع طلقات المدفعية ، وكلما ازددنا اقترابا من قصر الشتاء ، كانت الشوارع تغدو اشـــد هدوءا واكثر اقفارا . وكانت نوافذ الدوما البلدى تشع بالانوار جميعها . وعلى مبعدة كان حشـــد من الناس وصف من البحارة اخذوا يصرخون طالبين منا ان نتوقف . فابطأت السيارة سيرها وقفزنا منها الى الارض .

كان امامنا مشهد مدهش . عند تقاطع شارع نيفسكى وقناة يكاترينا بالضبط كان صف من البحارة المسلحين يسد شـــارع نيفسكى تحت احد مصابيح الطريق ، قاطعا الدرب على جمهور من الناس مصطفين اربعة وراء اربعة . كان ثمة عدد من الناس يتراوح بين الثلاثمئة والاربعمئة : رجال بمعاطف جميلة ، ونسوة بملابس انيقة ، وضباط — جمهور من كافة الفئات والاجناس . وعرفنا بينهم الكثيرين من مندوبى المؤتمر ، زعماء المناشفـــة والاشتراكيين الثوريين . وكان ثمة ايضا رئيس اللجنة التنفيذيـــة لسوفييتات الفلاحين افكسنتييف النحيل ذو اللحية الصهباء ، وسوروكين ، من اتباع كيرنسكى المقربين ، وخينتشـــوك ، وابراموفيتش ، وامام الجميع رئيس بلدية بتروغراد الاشيب اللحية ، العجوز شريدر ، ووزير التموين فى الحكومة الموقتة بروكوبوفيتش ، الذى اعتقل فى ذلك الصباح واطلق سراحه . كما رأيت مراسل جريدة «راشيان ديلى نيوز» ** مالكين . وقد صاح بحماسة : «اننا ذاهبون للموت فى قصر الشتاء !» . كان الموكب واقفا بلا حراك ، وكانت تسمع صيحات عالية من صفوفه الاولى . وكان شريدر وبروكوبوفيتش يتجادلان مع بحار جسيم كان ، على ما يبدو ، قائدا للمجموعـــة . وقد كانا يصيحان :

---

* يقصد النصب التذكارى للقيصر الكسندر الثالث . **المحرر** .

** «**الاخبار اليومية الروسية**» — جريدة كانت تصدر فى بتروغراد باللغة الانكليزية سنة ١٩١٧ . **المحرر** .

«اننا نطلب بالسماح بالمرور ! هاكم هؤلاء الرفاق قادمون من مؤتمر السوفييتات ! انظروا ، ها هى ذى اوراق اعتمادهم ! اننا ذاهبون الى قصر الشتاء ! . .» .

كان جليا ان البحـــار مرتبك . وقد راح يحك قذاله بيده الغليظة وهو مقطب الجبين . ثم دمدم قائلا : «لدىّ امر من اللجنة بعدم السمـــاح لاحد بالدخول الى القصر . ولكننى سابعث الآن برفيق للاتصال هاتفيا بسمولنى . . .» .

وصاح العجوز شريدر باهتيـــاج شديد : «اننا مصرون ، فاتركنا نمر ! ليس معنا سلاح ! ولســوف نمر بأذن ام بدون اذن !»

فكرر البحار : «لدىّ امر . . .» .

وصيحات من جميع الجهات تقول : «اطلقوا النار اذا كنتـــم تريدون ! سنمر ! الى امام ! اذا كانت القسوة قد بلغت لديكم حدا تجعلكم معه تطلقون النـــار على الروس والرفاق ، فنحـــن مستعدون للموت ! اننا نفتح صدورنا لرشاشاتكم !» .

فاعلن البحار وهو ينظر اليهم نظرة ثابتـــة عنيدة : «كلا ، لا يمكن ان اسمح لكم بالمرور» .

«وماذا ستفعل اذا ما مررنا ؟ هل ستطلق النار ؟» .

«كلا ، لن اطلق النـــار على العزّل . نحن لا يمكن ان نطلق النار على الناس الروس العزّل . . .» .

«سنمر ! فماذا يمكنك ان تفعل ؟» .

فاجاب البحار وقد بات جليا انه فى موقف حرج :

«سنفعل شيئا ما . لا يمكن ان نسمح لكم بالمرور ! سنفعل شيئا ما . . .» .

«ماذا ستفعلون ؟ ماذا ستفعلون ؟» .

وهنا ظهر بحار آخر ، شديد الانفعال . فصاح بلجهة حازمة : «سنضربكم باعقاب البنادق ! واذا اقتضى الامر نطلق النار ايضا . عودوا الى بيوتكم ودعونا فى سلام !» .

فانفجر زئير وحشى من الغضـــب والاستنكار . وصعـــد بروكوبوفيتش على احد الصناديق وراح يخطب ملوحا بمظلته :

«ايها الرفاق والمواطنون ! القوة الغاشمـــة تستخدم ضدنا . ونحن لا يمكن ان نقبل بان تلطخ ايدى هؤلاء الجهلة بدمنا البرىء .

وليس مما يليق بمكانتنا ان يرمينا بالنار هؤلاء المفتحجية (لم افهم ماذا قصد بكلمة «المفتحجية») . فلنعد الى مجلس الدوما لندرس افضل الوسائل لانقاذ البلاد والثورة !» .

وبعد هذا ارتد الجمع في صمت جليل ومضى صعدا فى شارع نيفسكى وهو ما يزال مصطفا اربعة فاربعة . وانتهزنا الفرصة فتسللنا من بين الخفراء ومضينا الى قصر الشتاء .

كان يخيم هنا ظلام مطبق . وليست ثمة اية حركة ، انما التقينا فقط بدوريات من الجنود والحرس الاحمر وهم فى حالة بالغة من التصميم . ومقابل كاتدرائية قازان كان يقوم ، وسط الشارع ، مدفع ميدان مائلا الى جانبه بعض الشيء اثر القذيفة الاخيرة التى اطلقها فوق اسطحة البيوت . وكان ثمة جنود واقفون امام جميع الابواب ، يتحادثون فيما بينهم باصوات خافتة ، وهم ينظرون الى جهة جسر البوليس . وسمعت احدهم يقول : «ربما كنا قد ارتكبنا خطيئة . . .» وفى جميع الزوايا كانت الدوريات توقف المارة . وكان تركيبها امرا ذا دلالة : فعلى رأس كل مجموعة من القوات النظامية ، احد افراد الحرس الاحمر . . . وتوقف اطلاق النار .

وحين وصلنا الى شارع مورسكايا سمعنا احدا يصيح : «اليونكر بعثوا من يقول انهم ينتظرون ان نجيء ونطردهم !» وسمعت ايعازات ، ورأينا فى العتمة الدكناء كتلة سوداء تتحرك قدما الى امام فى صمت لا يمزقه غير وقع الاقدام وقرقعة السلاح . وانضممنا الى الصفوف الاولى .

ومررنا تحت القوس الاحمر نهرا اسود يغمر الشارع كله ، بدون اغان ولا صيحات . وهمس الرجل الذى يمشى امامى ، بصوت خافت : «انتبهوا ، يا رفاق ، لا تثقوا بهم ! اكيد انهم سيشرعون باطلاق النار . . .» واذ وصلنا الى الساحة حثثنا خطانا محنين جذوعنا ومتراصين بعضنا على بعض . وهكذا ظللنا نركض الى ان بلغنا قاعدة عمود الكسندر . فسألت :

«وهل وقع منكم كثير من القتلى ؟» .

«لا اعرف ، ربما عشرة رجال . . .» .

كانت الكتيبة تعد بضع مئات من الرجال . وبعد ان توقفت هنا بضع دقائق ارتفعت معنوياتها فاستأنفت مسيرها الى امام فجأة ، بدون اى امر . واذ ذاك لاحظت ، على الضوء الساطع الذى

يشع من جميع نوافذ قصر الشتاء ، ان المئتين او الثلاثمئـــة رجل السائرين فى المقدمة كانوا جميعا من الحرس الاحمر . وكان الجنود بينهم جد قلائل . تسلقنا على المتاريس المكونة من الاخشاب ثم هبطنا مطلقين صيحات النصر : فقد وقعنا على اكوام من البنادق تخلى عنها رجال اليونكر . وكانت ابواب المداخل على جانبى البوابة الرئيسية مفتوحة على مصاريعها . ومن هناك كان يشع النور ، ولكن لم تكن تصل الى السمع ولا نأمة من المبنى الضخم .

وجذبتنا الموجة البشرية العارمة فولجنـــا القصر راكضين من المدخل الايمن المؤدى الى قاعة واسعة فارغة مقببـــــة ، هى قبو الجناح الشرقى ، ومن هناك تتفرع شبكة من الممرات والسلالم . وكانت ثمة كثرة من الصناديق . وقد هرع اليهـــا رجال الحرس الاحمر والجنود باهتياج ، فحطموها باعقاب البنادق واخرجوا منها سجاجيد وستائر وملابس داخلية واوانى من الصينى والبلور . وحمل احدهم على كتفه ساعة جداريـــــة من البرونز . ووجد آخر ريشة نعام فشكلها فى قبعته . ولكن ما ان بدأ النهب حتى صاح احدهم : «رفاق ! لا تمسوا شيئا ! لا تأخذوا شيئا ! هذا ملك الشعب !» وفى الحال ايده ما لا يقل عن عشرين صوتا : «قف ! ارجع كل شيء لمكانه ! ممنـــوع اخذ اى شيء ! ملك للشعب !» وامتدت عشرات الاذرع الى الناهبين . فانتزعت منهم اقمشة الديباج والسجاجيد الجدارية . وانتزع رجلان الساعة البرونزيـــة . وعلى عجل اعيدت الاشياء الى الصناديق كيفما اتفق ، وتطوع بضعـــة رجال لخفارتها . وقد جرى هذا كله بصورة عفوية تماما . وفى الممرات وعلى السلالم كانت تسمع صيحات تزداد خفوتا على البعد : «الانضباط الثورى ! ملك الشعب !» .

وذهبنا الى المدخل الايسر ، اى الى الجناح الغربى من القصر . وكان النظام هنا ايضا مستتبا . وقد كان رجال من الحرس الاحمر يصيحون وهم خارجون من الابواب الداخلية : «اخلوا القصر ! هيا بنا نذهب يا رفاق ، وليعلم الجميع اننا لسنا لصوصا ولا اشقياء ! ليخرج الجميع من القصر ، باستثنـــاء المفوضين ! ولنقـــم الخفراء . .» .

كان اثنان من الحرس الاحمر ، جندى وضابط ، يقفان وفى يديهما مسدسان . ووراءهما يجلس جندى آخر خلف طاولـــة ،

مزودا بريشة وورق . ومن جميع الانحاء كانت تنطلق صيحات : «ليخرج الجميع ! ليخرج الجميع !» فاخذت المفرزة كلها تتدفق من الباب متدافعة مناقشة ومجادلة . وكانت ثمة لجنة تقوم من تلقاء نفسها بايقاف كل خارج وتفتيش جيوبه وتلمس ثيابه وتصادر منه كل شيء تشتبه انه ليس له ويسجله الجندى الجالس وراء الطاولة على ورقة ثم يحمل الى الغرفة المجاورة . وهكذا صودرت اشياء متنوعة : تماثيل صغيرة ، وزجاجات حبر ، واغطية اسرّة مطرزة عليها الطغراء الامبراطورية ، وشمعدانات ، ولوحة زيتية صغيرة وحافظات ورق ، وسيوف ذات مقابض ذهبية ، وقطع صابون ، وملابس من جميع الانواع ، واغطية صوفية . وكان احد رجال الحرس الاحمر قد جاء بثلاث بنادق ، واعلن انه قد غنم اثنتين منها من رجال اليونكر . وجاء آخر باربع حقائب يدوية ملأى بالاوراق . وكان المذنبون اما يلزمون الصمت بعبوس واما يتحججون كالاطفال . وبصوت واحد اوضح اعضاء اللجنة ان اللصوصية لا تليق بالمناضلين الشعبيين . وكان كثير من الذين يقبض عليهم ينضمون الى اللجنة ويساعدون على تحرى الرفاق الآخرين[٢] .

واخذ رجال اليونكر يتقدمون جماعات مؤلفة من ثلاثة او اربعة اشخاص . وكانت اللجنة تنقض عليهم بمزيد من الحماسة مرفقة تحرياتها بعبارات عنيفة : «استفزازيون ! كورنيلوفيون ! اعداء للثورة ! سفاحو الشعب !» وكان رجال اليونكر يبدون الخوف الشديد ، رغم انه لم يكن يجرى معهم اى عنف . وقد كانت جيوبهم هم ايضا ملأى بالاشياء المنهوبة . وكانت اللجنة تسجل بعناية جميع هذه الاشياء وتبعث بها الى الغرفة المجاورة . . . ونزع سلاح رجال اليونكر . وسئلوا باصوات عالية : «وماذا ، هل سترفعون السلاح ايضا ضد الشعب ؟»

وكان رجال اليونكر يجيبون ، الواحد اثر الآخر : «كلا !» . وبعد ذلك كان يخلى سبيلهم .

وسألنا أيمكن ان نذهب الى الغرف الداخلية . فترددت اللجنة ، ولكن جسيما من رجال الحرس الاحمر اعلن ان هذا ممنوع . ثم قال : «ومن تراكم تكونون يا هؤلاء ؟ وانىّ لى ان

اعرف انكم جميعا من جماعة كيرنسكى ؟» (وقد كنا خمسة ، وفى عدادنا امرأتان) .

«من فضلكم ، يا رفاق ! طريق ، يا رفاق !» وظهر فى الباب جندى واحد رجال الحرس الاحمر ، يبعدان الجمهور ويفسحان الطريق ، ومن ورائهما بضعة عمال ايضا مسلحين ببنادق مشرعة الحراب . ومن خلفهم كان يسير ستة مدنيين ، واحد اثر الآخر ، وكان هؤلاء اعضاء الحكومة الموقتة . كان كيشكين يسير فى المقدمة ، شاحبا ، متطاول الوجه ؛ ومن بعده روتنبرغ ، ينظر الى الارض باكتئاب ؛ وتيريشنكو يتطلع الى ما حوله بغضب . وتوقفت نظرته الباردة على جماعتنا . . . كانوا يمرون صامتين . وكان الظافرون يتقدمون لينظروا اليهم ، ولكن صيحات الاستنكار كانت جد قليلة . وقد علمنا فيما بعد ان الشعب فى الشارع اراد الاقتصاص من المعتقلين بدون محاكمة ، بل وقد جرى اطلاق النار ، ولكن الجنود نجحوا بايصالهم الى قلعة بطرس وبولس . . .

وفى هذه الاثناء مضينا الى داخل القصر دون ان نتعرض لتعنيف . كان ثمة كثير من الناس فى جيئة وذهاب ، يكتشفون غرفا جديدة فى المبنى الضخم ، باحثين عن رجال اليونكر المختفين ، فما وجد لهم اثر . وصعدنا الى الاعلى على السلم ورحنا نجوب الغرف الواحدة اثر الاخرى . كانت تحتل هذا القسم من القصر مفرزة اخرى اقتحمته من جهة نهر نيفا . ولم تكن قد مست اللوحات ، والتماثيل ، والستائر والسجاجيد فى القاعات الرسمية الواسعة . واما المكاتب ، فكانت الحال فيها على النقيض من ذلك ؛ كانت جميع طاولات الكتابة والخزائن منبوشة ، والاوراق مبعثرة على الارض . وكذلك كانت غرف السكن متحراة ، والاغطية منزوعة عن الاسرة ، وخزائن الثياب مفتوحة على مصاريعها . وكانت اثمن الغنائم انما هى الملابس التى كان الشعب العامل فى حاجة ماسة اليها . وفى احدى الغرف التى كانت تحتوى على الكثير من الاثاث ، وجدنا جنديين ينزعان من الكراسى الوثيرة اغطيتها من الجلد الاسبانى المصبوغ . وقد قالا لنا انهما يريدان ان يصنعا منه احذية . . .

كان خدم القصر الشيوخ ، ببزاتهم الزرق ذات الحواشى الحمر والذهبية يقفون فى ذلك المكان ، مكررين القول على جرى عاداتهم

القديمة : «ممنوع الدخول الى هنا ، يا سادة . . .» واخيرا وصلنا الى الغرفة المغطاة جدرانها بصفائح حجر المالاخيت الاخضر وذات الحواشى الذهبية وستائر البروكار القرمزية ، وقد انعقدت فيها طول اليوم السابق والليل الاخير جلسات مجلس الوزراء المستمرة ، ودل البوابون رجال الحرس الاحمر على الدرب اليها . كانت ثمة طاولة طويلة عليها غطاء من الجوخ الاخضر ، ما تزال كما كانت قبل اعتقال الحكومة . وعلى هذه الطاولة وامام كل مقعد فارغ كانت توجد دواة وورق وريشة . وكانت صفحات الورق قد خطت عليها على عجل شذرات من برامج العمل ومسودات نداءات وبيانات . وكان كل هذا تقريبا مشطوبا كأنما واضعوه انفسهم قد اقتنعوا شيئا فشيئا بكل ما تنطوى عليه خططهم من عدم الجدوى . . . وفى الاماكن الخالية كانت ترى رسوم هندسية لا معنى لها ، يبدو ان المجتمعين كانوا يرسمونها آليا وهم يصغون يائسين الى الخطط الوهمية المتجددة باطراد التى كان يقترحها الخطباء . وقد اخذت للذكرى واحدة من هذه الاوراق . وهى مكتوبة بخط كونوفالوف . وقرأت فيها : «ان الحكومة الموقتة تناشد جميع طبقات السكان ان تساند الحكومة الموقتة . . .» .

وتنبغى الاشارة الى ان الحكومة الموقتة ، رغم ان قصر الشتاء كان مطوّقا ، لم تفقد الاتصال بالجبهة ومراكز المقاطعات ولا دقيقة واحدة . وقد استولى البلاشفة على وزارة الحربية منذ الصباح ، ولكنهم ما كانوا يعلمون ان فى الطابق العلوى مكتبا للبرق العسكرى ، وما كانوا يعلمون ان مبنى الوزارة مرتبط بقصر الشتاء عن طريق خط سرى . وفى هذه الاثناء كان يقبع فى الطابق العلوى طول النهار ضابط شاب ويبعث الى جميع انحاء البلاد بسيل من النداءات والبيانات . وحين عرف بسقوط قصر الشتاء لبس عمرته وغادر البناية بهدوء . . .

ولقد كنا مأخوذين بما يحيط بنا الى حد جعلنا لا ننتبه البتة الى الجنود ورجال الحرس الاحمر ، بينما تغير سلوكهم تغيرا غريبا . كانت ثمة جماعة صغيرة تسير على اثرنا من غرفة الى اخرى . وحين وصلنا ، اخيرا ، الى قاعة اللوحات الرحبة التى سبق لنا فى النهار ان تحادثنا فيها مع رجال اليونكر ، تجمع حولنا ، فجأة ، قرابة

مئة شخص . وكان يقف امامنا جندى جسيم . كان وجهه عابسا يعبر عن الارتياب . وقد صاح قائلا :

«من انتم يا هؤلاء ؟ وماذا تفعلون هنا ؟» وكان يتجمع حولنا عدد متزايد ابدا من الناس . والانظار تتفحصنا بامعان . وبدأت الضجة وسمعت احدا يقول : «استفزازيون !» ، «نهابون !» . ابرزت تراخيصنا المعطاة لنا من اللجنة العسكرية الثورية . فتناولها الجندى بحذر وقلّبها والقى عليها نظرة دونما ادراك . كان جليا انه لا يعرف القراءة . واحتفظ بالوثائق قليلا ، ثم اعادها الىّ وبصق على الارض . وقال مدمدما بارتياب : «اوراق !» . واصبح طوق الجمهور يزداد ضيقا من حولنا ، شأن خيول برية تتراص حول راعى بقر مترجل . ووقعت عينى بعيدا على ضابط ، يبدو عليـــه الكثير من العجز ، فناديته . فأخذ يشق لنفسه الطريق الينا . وقال لى :

«انا مفوض . فمن انتم ، وما القضية ؟» .

فتراجع الجمهور واتخذ موقف المتربص . وابرزت الاوراق من جديد . فسأل الضابط بالفرنسية بسرعة :

«انتم اجانب ؟ الامر خطير جدا . . .» والتفت الى الجمهور ولوح بوثائقنا فى الفضاء ، وصاح قائلا : «يا رفاق ، هؤلاء الناس رفاق اجانب لنا ، اميركيون ! جاؤوا الى هنا لكى ينقلوا الى مواطنيهـــم الاخبار عن بسالة الجيش البروليتارى وانضباطه الثورى ! . .» .

فاجاب الجندى الجسيم : «وانت ، مم عرفت هذا ؟ اقــول لك ان هؤلاء استفزازيون . يقولون انهم جاؤوا الى هنــــا ليروا الى الانضباط الثورى لدى الجيش البروليتارى ، وهم انفسهم يتنزهون فى جميع ارجاء القصر . وانى لنا ان نعرف انهـــم هنا لم يملأوا جيوبهم بالمنهوبات ؟» .

فصاح الجمع وهو يندفع نحونا : «صحيح !» .

وسرى العرق على جبين الضابط . وقال بانفعال : «يا رفاق ، يا رفاق ! انا مفوض من اللجنة العسكرية الثورية . افلا تصدقوننى ؟ اقول لكم ان هذه الوثائق موقعة بالاسماء ذاتها التى تحملها وثيقتى الخاصة !» .

ورافقنا فى طريقنا داخل القصر وفتح لنا الباب المؤدى الى رصيف النيفا . وامام هذا الباب كانت توجد تلك اللجنة ذاتها التى تتحرى الجيوب .

وهمس قائلا لنا ، وهو يمسح وجهه : «نعم ، لقد وفقتـــــم بالخلاص» .

وسألناه : «وماذا جرى للكتيبة النسائية ؟» .

فقال مبتسما : «ايه ، يا لهؤلاء النسوة ! كن جميعا محشورات فى الغرف الخلفية . وقد حرنا كثيرا فيما ينبغى ان نفعل بهن : هستيريا كلية ، وهلم جرا . . . وفى آخر الامر بعثنا بهن الى محطة فنلندا ووضعناهن فى القطار الذاهب الى ليفاشيفو : وهناك لديهن معسكر . . .»[٣] .

ومن جديد خرجنا الى الليل البارد القلق ، الزاخر بالدمدمات الهادرة الصاخبة الصادرة عن تحركات جيوش غير مرئية ، والمكهرب بالدوريات . ومن وراء النهر ، حيث لاحـــت قلعة بطرس وبولس كتلة سوداء معتكرة ، كانت تصل الى المسامع صيحات بحّاء . . . وكان الرصيف تحت اقدامنا زاخرا بقطـــع الجص المتساقطة من كورنيش القصر الذى اصابته قذيفتان من الطراد «افرورا» * . ولم يحدث القصف اضرارا اخرى .

كانت الساعة الثالثة ونيف صباحـــا . وفى شارع نيفسكى اشتعلت جميع المصابيح من جديد ، والمدفع قد سحب ، ولم يكن ثمة من دلالة على الاعمال العسكرية غير رجال الحرس الاحمر والجنود المتجمعين حول شعلات النار . وكانت المدينة هادئة ، ولعلها كانت اهدأ منها فى اى وقت مضى . ولم تقع فى هذه الليلة اية حادثـة نهب واية عملية سلب .

كانت بناية الدوما البلدى مضاءة بكاملها . دخلنا قاعـــــة السكندروفسكى المحاطة بالاروقة والمزدانة بصور القياصرة ذات الاطارات الذهبية الثقيلة ، وقد غطيت بقماش احمر . وحول الاروقة كان يحتشد قرابة مئة شخص . وكان سكوبيليف يخطب مشددا على توسيع لجنة السلامة العامة بهدف توحيد جميع العناصر المعادية للبلشفية فى منظمة واحدة ، هى لجنة انقاذ الوطن والثورة . وحين

* المؤلف وقع فى خطأ : ففى الساعـــة الواحدة والعشرين والدقيقة الخامسة والاربعين من ٢٥ تشرين الاول — اكتوبر (٧ تشريــــن الثانى — نوفمبر) اطلق الطراد «افرورا» طلقة فى الخلاء ايذانا ببدء الهجوم على قصر الشتاء . والاضرار التى يكتب عنها ريد انمــــا هى نتيجة لطلقات المدفعية من قلعة بطرس وبولس . **المحرر .**

وجودنا فى القاعة كانت اللجنة قد شكلت ، تلك اللجنة ذاتها التى اصبحت فيما بعد العدو الاشد للبلاشفة ، وقد عملت طيلة الاسبوع التالى حينا باسمها الخاص ، وحينا باسم لجنة السلامة العامة وقد اخفى طابعها الحزبى .

وكان ثمة دان وغوتز وافكسنتييف وبعض المندوبين المنسحبين من المؤتمر ، واعضاء اللجنة التنفيذية لسوفييتـــات الفلاحين ، والعجوز بروكوبوفيتش ، بل واعضاء مجلس الجمهورية وفى عدادهم فينافير وغيره من الكاديت . وكـــان ليبر يصيح قائلا ان مؤتمر السوفييتات غير شرعى ، وان التسيك السابقة ما تزال محتفظـــة بصلاحياتها التامة . . . وفى الحال صيغ نداء موجه الى البلاد .

خرجنا فاستدعينا حوذيا . فسألنا : «الى اين ؟» . وحين قلنا «الى سمولنى» هز الحوذى رأسه تعبيرا عن الرفض ، واعلن قائلا : «كلا ! ثمة اولئك الشياطين . . .» ولم نتمكن من ان نجد حوذيا يوافق على ايصالنا الا بعد تجوال طويل منهك . ولكنه طالب بثلاثين روبلا ، وتوقف على بعد مقسمين من سمولنى .

كانت نوافذ المعهد ما تزال تشع بالانوار . والسيارات فى جيئة وذهاب . وحول شعلات النار التى ما تزال تشتعل بلهيب ساطع كان الخفراء متجمعين يستفسرون من الجميـــع ، بلهفة ، عن آخر الانباء . وقد كانت الممرات ملأى باناس منهمكين بمشاغلهم ، وقد غارت عيونهـــم . وفى بعض غرف اللجان كان الناس نائمين على الارض ، وبالقرب مـــن كل منهم بندقيته . ورغـــم انسحاب المندوبين المعارضين كانت قاعة الاجتماعات زاخرة بالناس ، تهدر هدير البحر . وحين دخلنا كان كامينيف يتلو قائمة باسماء الوزراء المعتقلين . واذ تلا اسم تيريشنكو ، ضجت القاعة بالتصفيـــق وصيحات الارتياح والقهقهات . واحدثت تلاوة اسم روتنبرغ تأثيرا اقل ، اما اسم بالتشنسكى فقد اثار عاصفة من الصياح والتصفيق . . . وأعلن ان تشودنوفسكى عين مفوضا لقصر الشتاء .

وهنا جرى حادث درامى حقا . فقد هرع الى المنبر فلاح طويل القامة ، وجهه الملتحى يتشنج من الغضب . وضرب بقبضته على طاولة الرئاسة .

«نحن ، الاشتراكيين-الثوريين ، نلح على اطلاق سراح الوزراء الاشتراكيين المعتقلين فى قصر الشتاء فورا . فهل تعرفون ، يا

رفاق ، ان اربعة من رفاقنا ، الذين جازفوا بحياتهم وحريتهـــم فى النضال ضد الطغيان القيصرى ، مسجونون فى قلعة بطرس وبولس ، القبر التاريخى للحرية الروسية ؟ !»

فثارت ضجة شاملة . واستمر الفلاح يصيح ويخبط بقبضتيه . واقبل على المنبر مندوب آخر فوقف الى جانبه وصاح مشيرا بيده صوب الرئاسة :

«هل فى وسع ممثلى الجماهير الثورية ان يجتمعوا هنا باطمئنان بينما الدرك البلشفى يعذب زعماءهم ؟» .

وراح تروتسكى يطلب الصمت بالاشارة . «لقـد اعتقلنا هؤلاء «الرفاق» اذ كانوا يتآمرون مع المغامر كيرنسكى بقصد الاطاحـــة بالسوفييتات . فعلى اى اساس ينبغى لنا مراعاتهم ؟ أتراهم عاملونا بالحسنى بعد ٣-٥ تموز (يوليو) ؟» . كان فى صوته رنة انتصار . «والآن ، اذ ذهب الدفاعيون وضعاف النفوس وباتت مهمة حماية الثورة وانقاذها ملقاة باكملها على عاتقنا ، غدا من الضرورى جدا ان نعمل ، ونعمل ونعمل ! ولقد صممنا على ان نموت ولا نستسلم ! . .» .

واقبل على المنبر مفوض من تسارسكويى سيلو يلهث ، وعليه آثار من وحل الطريق . «ان حامية تسارسكويى سيلو تقف على ابواب بتروغراد ، مستعدة تمام الاستعداد للدفاع عن مؤتمر السوفييتات واللجنة العسكرية الثورية !» وكانت عاصفة من التصفيق . «ان فيلق الدراجات ، المرسل من الجبهة ، وصل الى تسارسكويى سيلو وانضم الى جانبنا . انه يعترف بسلطة السوفييتات ، ويعترف بضرورة تسليم الارض للفلاحين فورا وجعل الرقابة على الانتاج فى يد العمال . ان كتيبة الدراجات الخامسة ، المرابطة فى تسارسكويى سيلو ، هى معنا . . .» .

وتكلم مندوب من كتيبة الدراجات الثالثة . وفى جو من الحماس البالغ اخبر كيف تلقى فيلق الدراجات ، منذ ثلاثة ايام فقط ، امرا بالتحرك من الجبهة الجنوبية الغربية بقصد «الدفاع عن بتروغراد» . ولكن الجنود ارتابوا فى هدف الامر الصادر اليهم . وفى محطـــة بيريدولسك استقبلهم ممثلو الكتيبـــة الخامسة من تسارسكويى سيلو . فانعقد اجتماع عام مشترك ، وتبيـــن ان «ليس بين رجال الدراجات من يقبل بسفك دم اخوانه او مساندة حكومة كبار الملاكين العقاريين والرأسماليين» .

وباسم المناشفة الامميين اقترح كابيلنسكى تأليف لجنة خاصة للبحث عن مخرج سلمى وتفادى الحرب الاهلية . فارعدت القاعة بصوت واحد : «ليس ثمة اى مخرج سلمى . المخرج الوحيد هـــو النصر !» ورفض الاقتراح بالاكثرية الساحقة ، وانسحب المناشفة الامميون من المؤتمر تحت وابل من السخريات والاهانات . ولم يكن بين المندوبين ظل من الهلع . وقد اخذ كامينيف يصيح من المنبر فى اعقاب المنسحبين : «ان المناشفة الامميين قد قدموا اقتراحهم بشأن المخرج السلمى بوصفه اقتراحا مستعجلا ، ولكن كانوا دائما يصوتون للخروج على جدول الاعمال مرضـــــاة لبيانات الجماعات الراغبة فى الانسحاب من المؤتمر ! ومـــن الجلى تماما ان انسحاب جميع هؤلاء المارقين كان مبيتا من قبل ! . .» وقرر الاجتماع عدم الاكتراث لانسحاب بعض الجماعات ، واستمع الى النداء الموجـــه الى عمال وجنود وفلاحى عامة روسيا :

«الى العمال والجنود والفلاحين !

ان المؤتمر الثانى لسوفييتات نواب العمال والجنود قد افتتح . وفيه تمثل الاكثرية الكبرى من السوفييتات . كما يحضر المؤتمر جملة من المندوبين عن سوفييتات الفلاحين . . . واستنادا الى ارادة الاكثرية الكبرى من العمال والجنود والفلاحين ، واستنـــــادا الى الانتفاضة المظفرة التى قام بها العمال والحامية فى بتروغراد ، يأخذ المؤتمر السلطة فى يده .

ان الحكومة الموقتة قد عزلت . واكثرية اعضاء الحكومة الموقتة باتت معتقلة .

ان السلطة السوفييتية ستقترح صلحا ديموقراطيا فوريا على جميع الشعوب وهدنة فورية على جميع الجبهات . وسوف تؤمن وضع اراضى كبـــار الملاكين العقاريين والاقطاعيين والاديرة تحت تصرف لجان الفلاحين مجانا ، وستدافع عن حقوق الجنود ، وتحقق اشاعـة الديموقراطية الكاملة فى الجيش ، وتقيم الرقابة العماليـــــة على الانتاج ، وتؤمن عقد الجمعية التأسيسية فى حينه ، وتهتم بتموين المدن بالخبز وتموين القرى بالمواد ذات الضرورة الاولية ، وستؤمن لجميع الامم القاطنة في روسيا الحق الفعلي في تقرير مصيرهـــــا بنفسها .

ان المؤتمر يقرر : ان تنتقل السلطة كلهـــا فى المقاطعات لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين التى ينبغى ان تؤمن النظام الثورى الحقيقى .

ويدعو المؤتمر الجنود فى الخنادق الى اليقظة والصمود . وان مؤتمر السوفييتات لعلى يقين من ان الجيش الثورى سيحسن الدفاع عن الثورة ضد اية اعتداءات من جانب الامبريالية الى ان تتوصل الحكومة الجديدة لعقد الصلح الديموقراطى الذى ستقترحه مباشرة على جميع الشعوب . وستتخذ الحكومة الجديدة جميع التدابير من اجل تزويد الجيش الثورى بكل ما هو ضرورى ، عن طريق سياسة حازمة قائمة على المصادرة وفرض الضرائب على الطبقات المالكة ، وكذلك لتحسين احوال عائلات الجنود .

ان الكورنيلوفيين - كيرنسكى وكاليدين وغيرهما - يحاولون تسيير القوات على بتروغراد . ان بعض الفصائل التى ضللهـــا كيرنسكى عادت وانضمت الى الشعب الثائر .

ايها الجنود ، ابدوا مقاومة فعالة لكيرنسكى الكورنيلوفى ! كونوا على حذر !

يا عمال السكك الحديدية ، اوقفوا جميع القطارات العسكرية المرسلة من قبل كيرنسكى الى بتروغراد !

ايها الجنود ، ايها العمال ، ايها المستخدمون ، ان فى ايديكم مصير الثورة ومصير الصلح الديموقراطى !

عاشت الثورة !

مؤتمر عامة روسيا لسوفييتات
نواب العمـــال والجنـــود
مندوبون مـــن سوفييتـات
الفلاحين» *

كانت الساعة قد بلغت الخامسة والدقيقة السابعة عشرة صباحا بالضبط ، حين صعد كريلنكو الى المنبر ، وهو يترنح من الاعياء ، وابرز للمجتمعين برقية .

«انها من الجبهة الشمالية ، يا رفاق ! الجيش الثانى عشر يحيى

* ان توقيع «مندوبون من سوفييتات الفلاحين» قد وضع بعد ان صدر تصريح بهذا الشأن من ممثل الفلاحين . **المحرر** .

المؤتمر ويعلن عن تشكيل لجنة عسكرية ثورية اخذت على عاتقهـــا قيادة الجبهة الشمالية ! . .» وبنشوة لا توصف اخذ الناس يبكون ويتعانقون . «اعترف الجنرال تشيريميسوف باللجنـــة . واستقال مفوض الحكومة الموقتة فويتنسكى !» .

لقد تم الامر . . .

ان لينين وعمال بتروغراد قد قرروا القيام بالانتفاضة ، واطاح سوفييت بتروغراد بالحكومة الموقتة ووضع مؤتمر السوفييتـــات امام الامر الواقع ، امام الانقلاب . وكـــان ينبغى الآن ان يكتسبوا روسيا كلها الى جانبهم ، ثم العالم كله . فهل ستستجيب روسيا ، وهل ستثور ؟ والعالم اجمع - ماذا سيقول ؟ وهل ستلبى الشعوب نداء روسيا ، وهل سيصعد المد الاحمر العالمى ؟

كانت الساعة قد بلغت السادسة ، والليلة باردة ثقيلة . ولم يكن غير ضوء خافت شاحب ، كأنما هو ضوء سماوى ، يحبو باستحياء على الشوارع الصامتة مخمدا اشعاع نيران الخفراء . فقد كان يبزغ فوق روسيا ظل فجر رهيب .

الفصل الخامس

الى امام بدون توقف !

الخميس ، فى الثامن من تشرين الثانى – نوفمبر (٢٦ تشرين الاول – اكتوبر) . طلع الصباح على المدينة وهى فى اضطراب شديد . والشعب كله ثائر وسط زئير العاصفة . كان كل شيء على السطح هادئا . مئات الالوف من الناس ناموا فى الوقت المألوف ، وافاقوا مبكرين فمضوا الى العمل . وفى بتروغراد ، كانت عربات الترام تجرى ، والمخازن والمطاعم مفتوحة ، والمسارح تعمل ، ومعارض اللوحات تجمع الجمهور . . . والروتين اليومى المعقد ، الرتيب حتى وقت الحرب ، آخذ مجراه . فلا شيء يثير الدهشة اكثر من حيوية التركيب الاجتماعى ، الذى يواصل عمله ، فيتغذى ويلبس بل ويتسلى فى وجه افظع النكبات . . .

كانت المدينة ملأى بالشائعات عن كيرنسكى . فكان يقال انه وصل الى الجبهة ويزحف على العاصمة بجيش جرار . ونشرت جريدة «فوليا نارودا» امرا صادرا من قبله فى بسكوف :

«ان الاضطرابات القائمة التى اثارها جنون البلاشفة تضع دولتنا على شفا الهلاك وتتطلب بذل كل العزيمة والرجولة وان يؤدى كلٌ واجبه للخروج بوطننا من المحنة القاتلة التى يعانيها .

والى ان يتم تشكيل حكومة موقتة جديدة ، اذا ما حدث ذلك ، ينبغى الآن على كل واحد منا ان يبقى فى مركزه ويؤدى واجبه حيال الوطن المعذب . وينبغى ان نتذكر ان اقل مساس بتنظيم الجيش الحالى قد يؤدى الى مصائب لا يمكن تلافيها ، اذ يفتح الجبهة لضربة جديدة من العدو . ولذلك لا بد من المحافظة على معنويات الجيش القتالية مهما كلف الامر ، بالمحافظة على النظام التام وصيانة الجيش من الهزات الجديدة وعدم زعزعة الثقة المتبادلة التامة بين الرؤساء ومرؤوسيهم . وانى لآمر جميع الرؤساء والمفوضين فى سبيل انقاذ الوطن بان يحافظوا على مراكزهم مثلما احافظ انا ايضا

على منصبى كقائد اعلى الى ان تعلن الحكومة الموقتة للجمهورية ارادتها . . .» .

وردا على هذا النداء ألصق على جميع الجدران النداء التالى :

«من مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا

ان الوزراء السابقين كونوفالوف وكيشكين وتيريشنكو وماليانتوفيتش ونيكيتين ، وغيرهم اعتقلتهم اللجنة الثورية . وكيرنسكى هارب . فعلى جميع منظمات الجيش ان تتخذ التدابير لاعتقال كيرنسكى على الفور وجلبه الى بتروغراد . وكل مساعدة تقدم لكيرنسكى سيعاقب عليها بوصفها جريمة نكراء بحق الدولة» .

واستحوذت اللجنة العسكرية الثورية على حرية العمل التامة ، فراحت تنشر فى جميع الانحاء الاوامر والنداءات والمراسيم ، كأنها الشرارات . . .[1] وقد صدر امر بجلب كورنيلوف الى بتروغراد . واطلق سراح اعضاء اللجان الزراعية الفلاحية الذين كانوا معتقلين من قبل الحكومة الموقتة . والغيت عقوبة الاعدام فى الجبهة . وتلقى موظفو الدولة الامر بمتابعة العمل ، وهددوا بالعقاب الصارم اذا تمردوا على ذلك . وتحت طائلة الحكم بالموت منعت المذابح واعمال الاخلال بالنظام والمضاربات . وعين مفوضون فى جميع الوزارات : فى وزارة الخارجية — اوريتسكى وتروتسكى ، وفى وزارتى الداخلية والعدلية — ريكوف ، وفى وزارة العمل — شليابنيكوف ، وفى وزارة المالية — منجنسكى ، وفى وزارة الضمان الاجتماعى — كولونتاى ، وفى وزارة التجارة والمواصلات — ريازانوف ، وفى دائرة البحرية — البحار كوربير ، وفى وزارة البريد والبرق — سبيرو ، وفى ادارة المسارح — مورافييف ، وفى ادارة المطابع الوطنية — ديربيشيف ، وعين الملازم نيستيروف مفوضا لبتروغراد ، وبوزيرن مفوضا للجبهة الشمالية * .

ودعى الجيش لانتخاب اللجان العسكرية الثورية . ودعى عمال

* ان بعض المعلومات الواردة فى الكتاب عن تعيينات المفوضين الموقتين فى الوزارات غير صحيحة . ففى وزارة الخارجية عين اوريتسكى وحده ، وتولت ادارة وزارة البحرية لجنة عسكرية بحرية ثورية منتخبة من ممثلى جميع الاساطيل فى مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا . **المحرر** .

السكك الحديدية للمحافظة على النظام ولا سيما عدم تأخير نقل المواد الغذائية الى المدن والجبهات. وبالمقابل وعدوا بان يكون لهم ممثل فى وزارة المواصلات.

وجاء فى احد النداءات :

«ايها الاخوة القوزاق ! انهم يسوقونكم الى بتروغراد . يريدون حملكم على محاربة جنود وعمال العاصمة الثوريين . . .

لا تصدقوا كلمة واحدة من اعدائنا المشتركين ، كبار الملاكين العقاريين والرأسماليين .

ان جميع العمال والجنود المنظمين والفلاحين الواعين فى روسيا ممثلون فى مؤتمرنا . والمؤتمر يريــــد ان يرى القوزاق الكادحين ايضا ضمن اسرته . ان الجنرالات من جماعة المئـــة السود ، خدم كبار الملاكين العقاريين ، خدم نيقولاى الدموى ، هم اعداؤنا . . .

يقولون لكم ان السوفييتات تريد انتزاع الارض من القوزاق . هذا كذب . ان الثورة ستنتزع الارض من كبار الملاكين القوزاق وتقدمها للشعب .

نظموا سوفييتات نواب القوزاق ! انضموا الى سوفييتات العمال والجنود والفلاحين !

اظهروا لجماعة المئة السود انكم لن تصبحوا خونــة للشعب ، وانكم تأبون ان تنصب عليكم اللعنات من روسيا الثورية جمعاء ! . .

ايها الاخوة القوزاق ! لا تنفـــــذوا اى امر صادر عن اعداء الشعب ! . .

ابعثوا بمندوبيكم الى بتروغراد للتفاهم معنا . . .

ان قوزاق حامية بتروغراد ، ولهم الشرف والفخر ، لم يحققوا امل اعداء الشعب . . .

ايها الاخوة القوزاق ! ان مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا يمد لكم يد الاخوة .

عاش اتحاد القوزاق مع جنود وعمال وفلاحى روسيا جمعاء !»* .

ومن الجانب الآخر ، كان سيل عرم اىّ سيل من النداءات ، والاعلانات الملصقة والموزعة فى كـــــل مكان ، ومن الجرائد ، متضمنة الاحتجاجات واللعنات ، ومتنبئة بالهلاك ! لقد استعرت الآن

* كان النداء يحمل توقيع «مؤتمر عامـــة روسيا لنواب العمال والجنود» . **المحرر** .

معركة مطابع النشر بعد ان سيطر السوفييت على جميع الاسلحة الاخرى .

وكان اول هذه النداءات نداء لجنة انقاذ الوطن والثورة ، الذى وزع على نطاق واسع فى كل روسيا واوروبا :

«الى مواطنى الجمهورية الروسية

فى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) قام بلاشفة بتروغراد خلافا لارادة الشعب الثورى وعلى نحو اجرامى باعتقال عدد من اعضاء الحكومة الموقتة ، وحلوا مجلس الجمهورية الروسية الموقت ، واعلنوا سلطة غير شرعية .

ان ارتكاب مثل هذا العنف ضد حكومة روسيا الثورية فى ايام يخيم اوج الخطر على الوطن من جانب عدونا هو جريمة ضد الشعب لم يسمع لها مثيل من قبل .

ان فتنة البلاشفة تنزل ضربة قاتلة بقضية الدفاع وترجئ الصلح الذى يتمناه الجميع .

والحرب الاهلية التى بدأها البلاشفة تهدد بالقاء البلاد فى اهوال لا توصف من الفوضى والثورة المضادة وبنسف الجمعية التأسيسية التى ينبغى ان تدعّم النظام الجمهورى وان تؤمن الارض للشعب الى الابد .

ان لجنة عامة روسيا لانقاذ الوطن والثورة ، اذ تحافظ على استمرار سلطة الدولة الوحيدة ، تأخذ على عاتقها زمام المبادرة بتشكيل حكومة موقتة جديدة تتولى ، بالاستناد الى قوى الديموقراطية ، قيادة البلاد الى قيام الجمعية التأسيسية وانقاذها من الثورة المضادة ومن الفوضى .

ان لجنة عامة روسيا لانقاذ الوطن والثورة تدعوكم ، ايها المواطنون :

لا تعترفوا بسلطة اهل العنف !

لا تنفذوا اوامرهم !

هبوا للدفاع عن الوطن والثورة !

ساندوا لجنة عامة روسيا لانقاذ الوطن والثورة !

لجنة عامة روسيا لانقاذ الوطن والثورة التى تضم ممثلين عن :

مجلس الدوما البلدى لبتروغراد ، المجلس الموقت للجمهورية الروسية ، اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييتات نواب الفلاحين ، اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييتات نواب العمال والجنود ، جماعات الجبهات ؛ ممثلي مؤتمر السوفييتات الثانى لنواب العمال والجنود ، كتل الاشتراكيين-الثوريين ، والاشتراكيين الديموقراطيين (المناشفة) والاشتراكيين-الشعبيين ، وجماعة «يدينستفو» وغيرهم» .

وكانت ثمة نداءات من حزب الاشتراكيين-الثوريين ، والمناشفة-الدفاعيين ، واللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ، ولجان الجيش ، والتسنتروفلوت . . .

وكانت جميعها تصيح قائلة : «ان الجوع سيخنق بتروغراد ، والجيوش الالمانية ستدوس حريتنا باقدامها ، ومذابح جماعة المئة السود ستجتاح روسيا ، اذا لم نتلاحم ، نحن العمال والجنود والمواطنين الواعين .

لا تصدقوا وعود البلاشفة ! ان الوعد بالصلح الفورى كذب ! والوعد بالخبز غش ! والوعد بالارض اسطورة ! . .» .

وجميعها على هذه الشاكلة .

«ايها الرفاق ! . . لقد خدعوكم بنذالة وعلى نحو اجرامى ! البلاشفة وحدهم قاموا بالاستيلاء على السلطة . . . ولقد كان البلاشفة يخفون خططهم عن الاحزاب الاشتراكية الاخرى ، المشتركة فى السوفييتات . . .

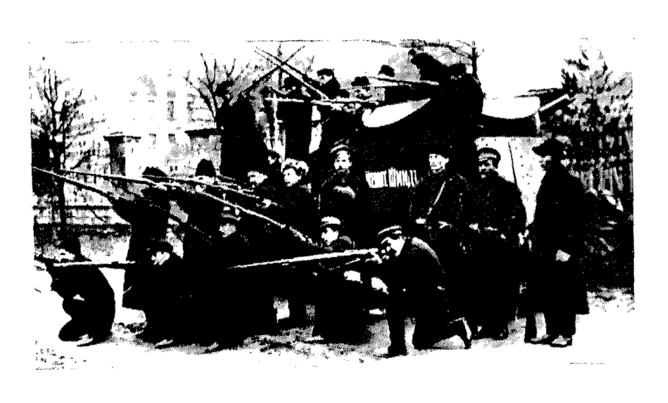
وعدوكم بالارض وبالحرية ، ولكن الثورة المضادة ستستغل الفوضى التى نشرها البلاشفة وتحرمكم الارض والحرية . . .» .

وبمثل هذا العنف كانت لهجة الصحف ايضا .

فقد كتبت «ديلو نارودا» («قضية الشعب») بحزم : «ان واجبنا هو ان نفضح خونة الطبقة العاملة هؤلاء . ان واجبنا هو ان نعبئ جميع القوى ونهب للدفاع عن قضية الثورة» .

وكانت «الازفستيا» ، وهى تنطق للمرة الاخيرة بلسان التسيك السابقة ، تهدد بعقاب رهيب . . .

«اما فيما يتعلق بمؤتمر السوفييتات ، فاننا نؤكد انه لم يكن ثمة مؤتمر للسوفييتات ، نؤكد انه لم يكن ثمة غير اجتماع خاص للكتلة البلشفية . وفى هذه الحال لم يكونوا يملكون الحق فى حرمان التسيك من صلاحيتها الكاملة» .



رجال الحرس الاحمر من عمال مصنع بوتيلوف حول السيارة المصفحة «الملازم شميدت» . تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ .

(الفصل الرابع)



قصيلة الحرس الاحمر في مصنع «نوفي ليسنير» . بتروغراد .
حي فيبورغسكايا ستورونا .

(الفصل الرابع)

وكانت «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») تنادى بقيام حكومة جديدة تضم جميع الاحزاب الاشتراكية ، وتوجه انتقادا شديدا لاعمال الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة بانسحابهم من المؤتمر ، وتؤكد ان انتفاضة البلاشفة قد بينت بجلاء لا مزيد عليه امرا اساسيا ، هو ان جميع الاوهام فيما يتعلق بالتعاون مع البرجوازية لا تقوم على اساس البتة .

ومن جديد اصبحت «رابوتشى بوت» («طريق العمال») تحمل اسم «البرافدا» («الحقيقة») ، جريـــدة لينين التى اغلقت فى شهر تموز (يوليو) . وقد اعلنت بلهجة شديدة :

«ايها العمال والجنود والفلاحون ! لقد اطحتم فى شباط (فبراير) باستبداد زمرة النبلاء . وبالامس اطحتـــم باستبداد العصابـــة البرجوازية . . .

والمهمة الاولى الآن هى حراسة جميع المنافذ المؤديـــة الى بتروغراد .

والمهمة الثانية هى نزع سلاح العناصر المعاديـــة للثورة فى بتروغراد وتقليم اظافرها نهائيا .

والمهمة الثالثة هى تنظيم السلطة الثورية تنظيما نهائيا وتأمين تحقيق البرنامج الشعبى . . .» .

وكانت صحف الكاديت القليلة والصحف البرجوازية على العموم ، التى كانت مستمرة فى الصدور ، تقف من كل ما كان يجرى موقف السخرية المطمئنة ، وكأنما هى تقول لجميـــع الاحزاب الاخرى : «وماذا كنا نقول ؟» وكان الاعضاء ذوو النفوذ من حزب الكاديت يتسكعون طول الوقت حول مجلس الدوما البلدى ولجنة انقاذ الوطن والثورة . وكانت البرجوازية بكاملهـــا تلتزم الصمت ، منتظرة ساعتها ، وقد كان يبدو لها انها غير بعيدة . ولعله لم يكن ثمة من احد غير لينين وتروتسكى وعمال بتروغراد والجنود البسطاء يتصور ان البلاشفة سيحتفظون بالسلطة اكثر من ثلاثة ايام . . .

فى ذلك اليوم شهدت فى المدرَج الضخم لقاعة نيقولايفسكى جلسة عاصفة لمجلس الدوما البلدى ، اعلن انهـــا مستمرة بدون انقطاع ، وكانت ممثلة فيها جميع قوى المعارضة المعادية للبلاشفة . وكان رئيس المجلس البلدى شريدر المهيب الاشيب اللحية والرأس يصف زيارته الى سمولنى فى الليلة الماضية ليقدم الاحتجاج باسم

الادارة الذاتية البلدية . وقد صرح لتروتسكى قائلا : «ان الدوما ، وهو الآن السلطة الشرعية الوحيدة فى المدينة ، المنبثقة من انتخابات عامة مباشرة سرية ، لا يعترف بالسلطة الجديدة !» واجابه تروتسكى قائلا : «حسنا ، ان لهذا مخرجا دستوريا . ففى الوسع حل الدوما ، واجراء انتخابات جديدة . . .» وقد اثار تقرير شريدر استنكارا عاصفا .

واردف الشيخ يقول مخاطبا الدوما : «اذا كان يراد الاعتراف بحكومة اقامتها الحراب ، فان لدينا مثل هذه الحكومة . ولكنى لا اعتقد الا بشرعية حكومة يعترف بها الشعب ، تعترف بها الاكثرية ، لا بحكومة اقامتها حفنة من المغتصبين» . فانطلق تصفيق حاد من جميع المقاعد ، ما عدا مقاعد البلاشفة . ووسط الضجيج والصياح يعلن رئيس البلدية ان البلاشفة قد انتهكوا حقوق الادارة الذاتية البلدية بتعيينهم مفوضيهم فى جملة من الدوائر .

ويحاول الخطيب البلشفى ان يسمع بصوته متغلبا على الضجة ، فيعلن ان التأييد الذى حصل عليه البلاشفة من قبل مؤتمر السوفييتات هو تأييد من روسيا باجمعها . ويهتف قائلا : «انتم لستم الممثلين الحقيقيين لاهالى بتروغراد !» وتنطلق اصوات تقول : «اهانة ! اهانة !» ويذكر رئيس البلدية بوقار بان الدوما قد انتخب على اساس اكثر ما يمكن ان يكون عليه حق الاقتراع من الحرية . ويجيب الخطيب البلشفى قائلا : «صحيح ، ولكن الدوما منتخب منذ مدة طويلة ، شأنه فى ذلك شأن التسيك ولجان الجيش . . .» . وتنطلق صيحات ترد عليه : «لم يكن ثمة بعد مؤتمر جديد للسوفييتات !» .

«فريق البلاشفة يرفض البقاء فى وكر الثورة المضادة هذا . . .» ضجيج . «اننا نطالب باعادة انتخاب الدوما !» ويغادر البلاشفة قاعة الاجتماع . وتنطلق فى اثرهم صيحات : «عملاء للالمان ! ليسقط الخونة !» .

وطالب الكاديت شنغاريوف بان يسرح ويحال الى القضاء جميع موظفى البلدية الذين وافقوا على ان يكونوا مفوضين للجنة العسكرية الثورية . فوقف شريدر وقدم اقتراحا بالاحتجاج على تهديد البلاشفة لمجلس الدوما . وينبغى للدوما ، بوصفه ممثلا شرعيا للاهلين ، ان يرفض التخلى عن مركزه .

وكذلك كانت قاعة الكسندروفسكى تغص بالمجتمعين . فقد كانت تعقد فيها جلسة لجنة الانقــاذ . وكان سكوبيليف يخطب قائلا : «لم يسبق قط لوضع الثورة ان كان فى مثل هذه الحراجة ، ولم يسبق قط لمسألة وجود الدولة الروسية ذاتها ان اثارت هذا القدر من القلق . ولم يسبق قط للتاريخ ان وضع امام روسيا ، بمثل هذه الحدة ومثل هذا الحسم ، مسألة ان تكون او لا تكون . لقد ازفت الساعة العظمى ، ساعة انقاذ الثورة ، وادراكا منا لهذا ، سنحافظ على الوحدة الوثقى لجميع القوى الحية ، قوى الديموقراطية الثورية التى تمت بارادتها المنظمة اقــامة مركز لانقاذ الوطـن والثورة . ولسوف نموت ولا نتخلى عن مكاننا المجيد . . .» وهلم جرا .

ووسط عاصفة من التصفيق اعلن ان اتحاد شغيلة السكك الحديدية ينضم الى لجنة الانقاذ . وبعد بضع دقائق ظهر موظفون من البريد والبرق . ثم دخل بضعـــة مناشفة-امميين ؛ فاستقبلوا بالتصفيق . واعلن شغيلة السكك الحديدية انهـــم لا يعترفون بالبلاشفة وانهم قد وضعوا ايديهم على جميع جهاز السكك الحديدية ويرفضون تسليمه لمغتصبى السلطة . واعلن مندوبو مستخدمى البرق ان رفاقهم قد رفضوا العمل رفضا قاطعـــا ما دام المفوض البلشفى موجودا فى الوزارة . ورفض موظفو البريد استلام وتوزيع بريد سمولنى . . . وقطعت جميع خطوط سمولنى الهاتفية . وبفرحة عارمة اصغى الاجتماع الى رواية تحكى كيف ذهب اوريتسكى الى وزارة الخارجية فطالب بالمعاهدات السرية ، وكيف طلب منـــه نيراتوف * الانسحاب . وفى كل مكان كان موظفو الدولة يتركون العمل . . .

كانت تلك حربا ، حربا متعمدة ، محض روسية الطراز ، حربا عن طريق الاضراب والتخريب . وقد تلا الرئيس امامنا قائمـــة بالمهمات : هذا ينبغى ان يقوم بجولة على جميع الوزارات ، وذاك يذهب الى البنوك ؛ وعين ما بين عشرة واثنى عشر شخصا للذهاب الى الثكنات لاقناع الجنود بالمحافظة على الحياد : «ايهـــا الجنود الروس ، لاتسفكوا دماء اخوتكم !» وعينت لجنة خاصة للتباحث مـع

* نيراتوف — وكيل وزير الخارجية فى الحكومة الموقتة ، وديبلوماسى قيصرى سابق . **المحرر** .

كيرنسكي . وبعث عدة اشخاص الى مدن المقاطعات لتنظيم فروع محلية للجنة الانقاذ ولتوحيد جميع العناصر المعادية للبلاشفة .

وارتفعت المعنويات : «هؤلاء البلاشفة يريدون محاولة فرض ارادتهم على المثقفين ؟ . . نعم ، لسوف يلاقون العجب ! . .» . لقد كان التنافر مذهلا بين هذا الاجتماع وبين مؤتمر السوفييتات . فقد كانت هنالك جماهير ضخمة من الجنود ذوى الاسمال البالية ، والعمال والفلاحين المتسخين ، وهم جميعا فقراء محنيو الظهور مرهقون بالعمل الشاق من اجل العيش ؛ وهنا زعماء المناشفة والاشتراكيين۔الثوريين ، اضراب افكسنتييف ودان وليبر ، والوزيران الاشراكيان السابقان سكوبيليف وتشيرنوف ، والى جانبهم جماعة الكاديت من امثال شاتسكى المتشحم وفينافير الاملس . وهنا ايضا صحافيون وطلاب ومثقفون من شتى الانواع والالوان . وكان جمهور الدوما هذا حسن الغذاء والملبس ؛ ولم الحظ هنا اكثر من ثلاثة بروليتاريين . . .

ووردت انباء جديدة . التركمان التيكنتسيون الاوفياء لكورنيلوف خنقوا حرسه فى بيخوف ، وهرب كورنيلوف . وكاليدين يزحف صوب الشمال . سوفييت موسكو نظم لجنة عسكرية ثورية وهو يجرى مفاوضات مع القيادة العسكرية فى المدينة طالبا منها تسليم الترسانة . فالسوفييت يريد تسليح العمال .

وكانت هذه الوقائع تختلط بركام من شتى الشائعات والدسائس والاكاذيب الصارخة . اذكر ، على سبيل المثال ، ان مثقفا شابا من الكاديت ، كان من قبل السكرتير الخاص لميليوكوف ، ثم لتيريشنكو ، تنحى بنا جانبا وراح يروى لنا كل التفاصيل عن الاستيلاء على قصر الشتاء . وقد قال مؤكدا :

«كان يتولى قيادة البلاشفة ضباط المان ونمساويون !» .

فسألناه بكياسة :

«حقا ؟ ومن اين عرفت هذا ؟» .

«كان ثمة واحد من اصدقائى . وهو الذى اخبرنى عن ذلك» .

«وكيف تبين له ان هؤلاء ضباط المان ؟» .

«ولكنهم كانوا يرتدون البزات العسكرية الالمانية ! . .» .

مثل هذه الشائعات السخيفة كانت تنتشر بالمئات . ولم يكن يقتصر الامر على ان كل الصحافة المعادية للبلاشفة كانت تنشرها ،

بل لقد كان يصدقها اناس مثـــل المناشفة والاشتراكيين-الثوريين الذين كانوا على العموم يتميزون دائما بمزيد نوعا ما من الاحتراس للوقائع .

ولكن الاقاصيص عن عنف البلاشفة وقسوتهم كانت اشد خطورة الى حد بعيد . ففى كل مكان ، مثلا ، كانت تروى وتنشر فى الصحافة مزاعم تقول ان رجال الحرس الاحمر لم يقتصروا على نهب كل ما فى قصر الشتاء ، بل لقد ابادوا رجال اليونكر عن بكرة ابيهم واقدموا ببرودة دم على ذبح عدة وزراء . اما النسوة الجنود فقد اغتصبت اكثريتهن ، بل انتحرن لعجزهن عن احتمال التعذيب الذى تعرضن له . . . وكان جمهور مجلس الدوما يتلقف امثال هذه الاساطير بطيبة خاطر . . . والاسوأ من هذا ان اباء اليونكر وامهاتهم والنساء الجنود كانوا يقرأون كل هذه التفاصيل الرهيبة فى الجرائد التى كانت ترفق غالبا باسماء الضحايا ، حتى انه ما ان حل المساء حتى كان جمهور مذعور يحتشد حول مجلس الدوما . . .

Коммссарь
Главнаго Улавленія до-
мовъ заключенія
"6" Ноя 1917 г.
№ 213
Петроградъ Смольный
Институтъ; комн. № 56.-

ПРОПУСКЪ

Представителю Американскихъ Соціалистическихъ газетъ ДЖОНУ РИДУ. во всѣ мѣста заключенія гг. Петрограда и Кронштата, для общаго ознакомленія положенія заключенныхъ и широкаго общественнаго освѣдомленія въ цѣляхъ прекращенія газетной травли противъ демократіи.-

[illegible]ый Комиссаръ
Секретарь

رخصة جون ريد لزيارة كافة المعتقلات

وانها لنموذجية جدا حادثة الامير تومانوف الذى اكدت جرائـــد كثيرة ان جثته قد انتشلت من نهر مويكا . وما هى الا بضع ساعات حتى كذبت عائلة الامير نفسه هذا الخبر معلنة انه معتقل . واذ ذاك نشرت الجرائد ان الجثة المنتشلة ليست جثة الامير تومانوف ، بل

الجنرال دينيسوف . ولكن ظهر ان الجنرال دينيسوف ايضا سليم معافى . وقد قمنا بالتحقيق ولكننا لم نجد اثرا لاية جثة منتشلة من نهر مويكا .

وحين خرجنا من الدوما وجدنا كشافين يوزعان بيانا[2] على جمهور ضخم كان يسد شارع نيفسكى امام المدخل . وكان هذا الجمهور مؤلفا بكليته تقريبا من رجال اعمال وتجار صغار وموظفين ومستخدمى مكاتب . وهذا ما جاء فى البيان :

«من مجلس الدوما البلدى

ان مجلس الدوما البلدى ، نظرا للاحداث الطارئة ، قرر فى جلسته المنعقدة فى ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) اعلان حصانة المساكن الخاصة ، ويدعو اهالى بتروغراد ، عن طريق اللجان المنزلية ، لأن يقاوموا بحزم كل محاولة لاقتحام المساكن الخاصة ، وان لا يحجموا عن استعمال السلاح لما فيه مصلحة الدفاع الذاتى عن المواطنين» .

وعند زاوية شارع ليتيينى كان خمسة من رجال الحرس الاحمر واثنان من البحارة يحيطون ببائع صحف ويطلبون منه تسليمهم اعدادا من نسخ جريدة «رابوتشايا غازيتا» المنشفية . وكان البائع يصيح فى وجوههم بعنف ويهدد بقبضته حين بادر احد البحارين ، مع ذلك ، الى انتزاع الصحف منه .

وتألب حشد من الناس وراح يقذف رجال الدورية بالشتائم . وراح عامل قصير القامة يسعى لرد بائع الصحف والجمهور الى جادة الصواب ، مكررا باستمرار : «منشور هنا بيان كيرنسكى ، وهو يقول اننا نطلق النار على الشعب الروسى . سيؤدى هذا الى سفك الدماء . . .» .

وقد كان الجو فى سمولنى اكثر توترا من ذى قبل ، اذا كان هذا ممكنا . الرجال انفسهم يهرولون فى المماشى المعتمة ، والمفارز نفسها من العمال المسلحين بالبنادق ، والزعماء انفسهم بحقائبهم المنتفخة ، يتناقشون ويقدمون الايضاحات ويصدرون الاوامر وهم مسرعون وقد تحلق حولهم الاصدقاء والمساعدون . كانوا حرفيا

خارجين عن اطوارهم ، يبدون وكأنهم التجسيد الحى للسهر والشغل الذى لا يعرف الكلل . طالت لحاهم ، وتشعثت شعورهم ، والتهبت عيونهم ، وهم منطلقون سريعا الى الهدف المرسوم ، تلهبهم الحماسة . وكم كان لديهم من اعمال كثيرة ، كثيرة لا نهاية لها ! فقد كان ينبغى تأليف الحكومة ، واحلال النظام فى المدينة ، وابقاء الحامية الى جانبهم ، ومحاربة الدوما ولجنة الانقاذ ، والصمود فى وجه الالمان ، والاستعداد لمقاتلة كيرنسكى ، وابلاغ المقاطعات بما حدث ونشر الدعاية فى روسيا كلها من ارخانجلسك حتى فلاديفوستوك . وقد كان موظفو الحكومة والبلدية يرفضون اطاعة المفوضين ، وشغيلة البريد والبرق يقطعون مخابرات سمولنى مع العالم الخارجى ، ومستخدمو السكك الحديدية يجيبون بعناد بالرفض على جميع طلباتهم للقطارات . اما كيرنسكى فكان يزحف ، وما كان يمكن الاعتماد كليا على الحامية ، والقوزاق كانوا يستعدون للهجوم . . . ولم تكن تقف من وراء الاعداء البرجوازية المنظمة فقط ، بل كذلك جميع الاحزاب الاشتراكية ، باستثناء الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، وبعض المناشفة-الامميين وجماعة «الحياة الجديدة» ، حتى هؤلاء كانوا مترددين فى ان يقفوا الى جانبهم ام لا يقفوا . صحيح ان البلاشفة كانت تسير وراءهم جماهير العمال والجنود الواسعة ؛ وصحيح ان موقف الفلاحين لم يكن قد حدد التحديد الكافى ، ولكن حزب البلاشفة لم يكن فى آخر الامر غنيا بذوى الثقافة والمؤهلين . . .

كان ريازانوف ، وهو يصعد السلّم ، يفسر بنوع من الذعر الساخر ، انه ، وهو مفوض التجارة والصناعة ، لا يفهم شيئا البتة فى الامور التجارية . وفى المقهى القائم فى الطابق العلوى ، كان يجلس منزويا رجل يرتدى قبعة فرائية والطقم ذاته الذى . . . كدت ان اقول ، نام به ليلا ، ولكنه ظل مؤرقا بالطبع . لم يكن قد حلق شعر لحيته منذ ثلاثة ايام . وقد كان يكتب شيئا ما بقلق على مغلف وسخ ويقضم الرصاص مفكرا . وكان هذا مفوض المالية منجنسكى ، وكل مؤهلاته هو انه اشتغل كاتبا فى مصرف فرنسى . . . وها هم هؤلاء الرفاق الاربعة الراكضون فى الممشى من مقر اللجنة العسكرية الثورية وهم يخطون على الطائر شيئا ما على قصاصات من الورق ، — انهم مفوضون مرسلون الى جميع ارجاء روسيا ليفسروا كل ما

جرى ، وليقنعوا ويناضلوا بما يتيسر لهم من الحجج او اى سلاح يقعون عليه . . .

كان ينبغى افتتاح جلسة المؤتمر فى الساعة الواحدة بعد الظهر ، وكانت القاعة الرحبة قد امتلأت بالمندوبين منذ وقت بعيد ، وكانت الساعة قد بلغت قرابة السابعة ، ولم تكن هيئة الرئاسة قد ظهرت بعد . . . وكان البلاشفة والاشتراكيون ـ الثوريون اليساريون يعقدون اجتماعا فى الغرفتين المخصصتين لكل فئة . وكان لينين وتروتسكى قد امضيا كل هذا النهار الذى لا نهاية له فى صراع مع انصار المساومة . فقد كان قسم ملحوظ من البلاشفة يميل الى تأليف حكومة اشتراكية شاملة . وكانوا يصيحون قائلين : «لن نستطيع الصمود ! ان ضدنا قوى كثيرة للغاية ! ليس لدينا رجال . سوف ننعزل وينهار كل شىء . . .» هكذا كان يتكلم كامينيف وريازانوف ، وآخرون .

ولكن لينين ، وقد كان يؤيده تروتسكى ، كان واقفا كالصخرة لا تتزعزع : «فليقر المساومون برنامجنا وليشتركوا فى الحكومة ! اننا لن نتراجع قيد انملة . واذا كان يوجد هنا رفاق تنقصهم الجرأة والعزيمة على الاقدام على ما نحن مقدمون عليه فلينضموا الى جميع المتخاذلين والمساومين الآخرين ! ان العمال والجنود معنا ، ونحن ملزمون بمتابعة العمل» .

وفى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة بعث الاشتراكيون ـ الثوريون اليساريون برسول قال انهم سيبقون فى اللجنة العسكرية الثورية . فقال لينين :

«هكذا ترون . انهم يسيرون وراءنا !» .

وبعد ذلك بقليل ، اذ كنا جالسين وراء طاولة الصحافة فى القاعة الكبيرة ، اقترح علىّ فوضوى يشتغل فى الصحف البرجوازية ان اذهب معه لنرى ماذا حل بهيئة الرئاسة . فلم نر احدا لا فى غرفة التسيك ولا فى مكتب سوفييت بتروغراد . ومن غرفة الى اخرى تجولنا داخل سمولنى الواسع . يبدو ان لا احد عنده مجرد فكرة عن مكان وجود قادة المؤتمر . واثناء الطريق وصف لى مرافقى عن نشاطه الثورى السابق وفترة لجوئه الطويلة والسعيدة فى فرنسا . . . وكان هذا الشخص يعتبر البلاشفة اناسا اجلافا سوقيين جهلة ، محرومين من اى حس جمالى . وقد كان نموذجا حقيقيا للمثقفين

الروس . . . واخيرا بلغنا الغرفة رقم ١٧ ، مقر اللجنة العسكرية الثورية ، ووقفنا امام بابها ، وسط حركة ذهاب واياب مذهلة . . . وانفتح الباب ، وخرج من الغرفة رجل مربوع القامة عريض المنكبين يرتدى بزة عسكرية بدون كتافيات . كان يبدو عليه انه يبتسم ، ولكن كان بوسع المرء اذا هو امعن النظر ان يدرك ان ابتسامته كانت ابتسامة اعياء لا حد له . انه كريلنكو .

واذا بمرافقى ، وهو شاب رشيق شديد التهذيب فى مظاهره ، يهتف جذلا ويخطو الى امام قائلا بانفعال وقد مد يده :

«نيقولاى فاسيلييفيتش ! اتراك نسيتنى ؟ كنا معا فى السجن» . فاجهد كريلنكو نفسه وركز ذهنه وامعن النظر ، ثم اجاب اخيرا وهو ينظر الى محدثه نظرة تنطوى على تعبير عن المودة البالغة : «ايه ، اجل . . . انت س . . . مرحبا !» وتبادلا القبلات . «وماذا تفعل هنا ؟» — قال كريلنكو وبسط ساعده بحركة واسعة .

«انى مجرد مراقب . . . انتم ، على ما يبدو ، تحققون نجاحا كبيرا ؟» .

فاجاب كريلنكو بلهجة حازمة بعض الشيء :

«اجل ، ان الثورة البروليتارية نجاح كبير !» وابتسم . «على انه . . . على انه ، ربما التقى معك فى السجن من جديد ! . .»

ومضينا نسير فى الممشى ، وراح صاحبى يوضح لى الوضع : «انا ، كما ترى ، مريد لكروبوتكين . وفى رأينا ان الثورة انتهت بفشل ذريع : انها لم تلهب وطنية الجماهير . وهذا يبرهن بالطبع ، على ان شعبنا لم ينضج للثورة . . .» .

كانت الساعة الثامنة والدقيقة الاربعون تماما حين انطلقت موجة عارمة من الهتاف والتصفيق معلنة ظهور اعضاء هيئة الرئاسة وبينهم لينين ، لينين العظيم . مربوع القامة قصيرها ، ورأس كبير اصلع نافر الجبين متين المستقر على الكتفين . عينان صغيرتان ، وانف جسيم ، وفم عريض لطيف ، وذقن كبيرة حليقة بدأت تنمو عليها لحية صغيرة ، شد ما هى شهيرة فى الماضى وفى المستقبل . وثوب رث ، وبنطال اطول من القامة بعض الشيء . ليس مهيبا ليكون معبود الجماهير ، ولكنه يحظى بحب واحترام لم يحظ بمثلهما الا القليل من

القادة فى التاريخ . انه زعيم شعبى نسيج وحده ، زعيم بفضل قوة ادراكه ليس إلا ، بعيد عن كل بهرج ، غير مستسلم للاهواء ، صلب ، لا يتزعزع ، خال من ميول لماعة ، الا ان له قدرة جبارة على الكشف عن اشد الافكار تعقيدا بكلمات فى منتهى البساطة وتقديم تحليل عميق للوضع المحدد يجمع بين المرونة الحصيفة والشجاعة الفكرية البالغة .

تلا كامينيف تقريرا عن اعمال اللجنة العسكرية الثورية : الغاء عقوبة الاعدام فى الجيش ، اعادة حرية الدعاية ، اطلاق سراح الجنود والضباط المعتقلين بجرائم سياسية ، امران باعتقال كيرنسكى ومصادرة مؤن المواد الغذائية من المستودعات الخاصة . . . تصفيق عاصف .

ومن جديد تكلم ممثل البوند . فقال ان موقف البلاشفة المتصلب سيقضى على الثورة ، ولذلك فان مندوبى البوند مضطرون للامتناع عن متابعة الاشتراك فى المؤتمر .

وانطلقت صيحات تقول : «كنا نظن انكم انسحبتم منذ الليلة الماضية ! فكم مرة ستنسحبون ؟» .

ثم تكلم ممثل المناشفة-الامميين . فكانت صيحات : «كيف ؟ اما تزالون هنا ؟» ويوضح الخطيب بان لم ينسحب من المؤتمر غير قسم من المناشفة-الامميين ، وبقى قسم فى المؤتمر . وقال : «نحن نعتقد ان تسليم السلطة للسوفييتات خطوة خطرة بل ربما كان فيه القضاء على الثورة . . . (ضجيج) . — ولكننا نرى من واجبنا البقاء فى المؤتمر والتصويت ضد هذا التسليم» .

وتكلم خطباء آخرون ، يبدو انهم اخذوا الكلام دون ان يكونوا مسجلين مسبقا . ودعا مندوب من عمال الفحم فى حوض الدونتز المؤتمر لاتخاذ التدابير ضد كاليدين الذى قد يقطع الفحم والخبز عن العاصمة . وتكلم عدة جنود قادمون من الجبهة فنقلوا الى المؤتمر تحية اعجاب من افواجهم .

وها هو ذا لينين على المنبر . كان يقف ممسكا بطرفى المنبر مستعرضا جمهور المندوبين بعينين نصف مغمضتين ، ينتظر وهو على ما يبدو متجاهل للهتافات المتعالية التى استمرت عدة دقائق . وحين هدأت ، قال بايجاز وبساطة :

«لقد دقت الآن ساعة المباشرة ببناء النظام الاشتراكى !»

ومن جديد انطلق هدير هائج لعاصفة بشرية .
«ان اول مهمة ينبغى ان نقوم بها ، هى اتخاذ خطوات عملية لتحقيق السلام . . . ينبغى لنا ان نقترح على شعوب جميع البلدان المتحاربة صلحا قائما على اساس الشروط السوفييتية ؛ بدون الحاقات ، وبدون تعويضات ، على اساس حرية الشعوب فى تقرير مصيرها . وفى الوقت نفسه ، وبناء على وعدنا ، نحن ملزمون بنشر المعاهدات السرية والامتناع عن التقيد بها . . . ان مسألة الحرب والسلام هى من الوضوح بحيث استطيع بدون اية مقدمات تلاوة مشروع النداء الى شعوب جميع البلدان المتحاربة . . .» .
كان لينين يتكلم وفمه واسع الانفتاح كأنما هو يبتسم . وكان صوته مشوبا ببحة - غير ممجوج سماعه ، بل كأنما صقلته إلفة الخطابة طيلة سنوات وسنوات - سوى النبرة بحيث يخيل للمرء ان فى امكانه الاستمرار على هذه النبرة الى ما لا نهاية . . . وكان لينين ، حين يرغب فى التأكيد على فكرته ، ينحنى انحناءة خفيفة الى امام . اما الاشارات الخطابية فلا شىء منها . وكانت الالوف من الوجوه البسيطة تتطلع اليه فى خشوع ، وقد امتلأت شغفا .

مرسوم السلام

ان حكومة العمال والفلاحين المنبثقة من ثورة ٢٤-٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) والمستندة الى سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين تقترح على جميع الشعوب المتحاربة وعلى حكوماتها ان تشرع على الفور بمفاوضات فى سبيل صلح ديموقراطى عادل .
ان الحكومة تعتبر الصلح الديموقراطى او العادل هو الذى تتعطش اليه فى جميع البلدان المتحاربة الغالبية العظمى من العمال والطبقات الكادحة التى ارهقتها الحرب وانهكتها وسامتها العذاب - الصلح الذى ما زال يطالب به العمال والفلاحون الروس مطالبة اكيدة وملحة جدا بعد اسقاط الملكية القيصرية - الصلح الذى يقوم على الفور من غير ما إلحاق يفرض (اى من غير اغتصاب للاراضى الاجنبية ومن غير ضم للقوميات الاجنبية الى كيان دولة اخرى بالقوة) ومن غير تعويض ما يفرض .

هذا هو الصلح الذى تقترحه حكومة روسيا على جميع الشعوب المتحاربة لتبرمه على الفور ، وهى تعلن انها مستعدة لأن تقوم ، بدون تلكوء ومماطلة ، بكل الخطوات الحازمة الضرورية قبل ان يتم التصديق النهائى على كل شروط هذا الصلح من قبل المجالس ذات الصلاحية لممثلى الشعب فى جميع البلدان والامم .

وان الحكومـــة لتقصد بالدمـــج او الاستيلاء على الاراضى الاجنبية - حسب مفهوم الحق عند الديموقراطية عامة ، والطبقات الكادحة خاصة - كل ضم لقومية صغيرة او ضعيفة تقوم به دولة كبيرة او قوية الى كيانها ، دون ان تعبر هذه القومية عن موافقتها ورغبتها تعبيرا دقيقا جليا حرا ، ايا كان موعد حدوث هذا الضم القسرى ومهما كان مستوى التطور الحضارى او تأخره للامة التى ضمت بالقوة او المحجوزة بالقوة فى حدود الدولة المعنية ، واخيرا لا يؤثر فى ذلك سواء أكانت تلك الامة فى اوروبا ام فى البلدان النائية عبر المحيطات .

واذا احتجزت امـــة اية كانت بالقوة فى حدود دولـــة من الدول ولم تعط الحق - على الرغم من الرغبة التى سواء عبرت عنها فى الصحافة او فى الاجتماعات الشعبيـــة او قرارات الاحزاب او بالتمرد او الانتفاضات ضد الاضطهاد القومى - نقول لم تعط الحق لتقرر بتصويت حر ، بعد جلاء تـــام لجيوش الامة الضامـة او بشكل عام امة اقـــوى ، من دون ادنى اكراه ، مسألة اشكال كيانها السياسى ، فان ضم هذه الامة يعتبر دمجـــا ، اى احتلالا وعنفا .

وتعتبر الحكومة ان الاستمرار فى هذه الحرب لتمكين الامـم القوية والغنية من ان تتقاسم فيما بينها الشعوب الضعيفة والمغلوبة على امرها ، انما هو اعظم جريمة تقترف فى حق الانسانية . وانها لتعلن رسميا عن عزمها على التوقيع فورا على شروط صلح يوقف هذه الحرب بالشروط المشار اليها والعادلة بالدرجة نفسها لجميع الشعوب دونما استثناء .

وتعلن الحكومة فى الوقت ذاته انهـــا لا تعتبر ابدا شروط الصلح المشار اليهـــا آنفا شروطا نهائية . فهى تقبل ان تبحث كل شروط اخرى للصلح ملحة فقط على ان تقترح باسرع ما يمكن من قبل اى بلد متحارب ، وان تكـون واضحة كل الوضوح وان

ينبذ بشكل محتم كل التباس وكل سر لدى عرض شروط الصلح .

ان الحكومة تلغى الديبلوماسية السرية ، وتعبر من جانبها عن ثابت عزمها على اجراء المفاوضات كلها بشكل مكشوف كليا امام الشعب بأسره ، وتنشر على الفور ، بالنص الكامل ، المعاهدات السرية التى ابرمتها او عقدتها حكومة الملاكين العقاريين والرأسماليين منذ شهر شباط (فبراير) حتى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . وتعلن الحكومة انها تلغى على الفور ودون قيد ولا شرط كل مضمون هذه المعاهدات السرية الهادفة ، كما كانت الحال فى اغلب الاوقات ، الى تأمين مغانم وامتيازات للملاكين العقاريين والرأسماليين الروس ، والى المحافظة على الاراضى التى اغتصبها الروس او تنميتها .

ثم ان الحكومة ، اذ تدعو حكومات جميع البلدان وشعوبها الى الشروع على الفور بمفاوضات علنية لعقد الصلح ، تعلن من جانبها انها مستعدة لاجراء هذه المفاوضات إما كتابيا ، تلغرافيا ، وإما عن طريق المحادثات بين ممثلى مختلف البلدان او فى مؤتمر ينعقد لهؤلاء الممثلين . وان الحكومة ، تسهيلا منها لهذه المفاوضات ، تعين ممثلا عنها مطلق الصلاحية فى البلدان المحايدة .

وتقترح الحكومة على جميع الحكومات والشعوب فى جميع البلدان المتحاربة عقد هدنة فورا ، وترى من جانبها انه من المرغوب فيه ان تكون مدة هذه الهدنة ثلاثة اشهر على اقل تقدير ، اى لمدة يمكن كل الامكان خلالها اجراء وانجاز محادثات الصلح بالاشتراك مع ممثلى جميع القوميات او الامم دونما استثناء سواء من جرّ منها الى الحرب او اضطر الى خوضها وكذلك عقد مجالس ذات صلاحيات لممثلى الشعوب فى جميع البلدان وذلك للتصديق نهائيا على شروط الصلح .

ان حكومة العمال والفلاحين الموقتة فى روسيا ، اذ تتوجه باقتراح الصلح هذا الى حكومات جميع البلدان المتحاربة وشعوبها ، تتوجه فى الوقت ذاته وبنوع خاص الى العمال الواعين فى الامم الثلاث ، وهى اكثر امم الانسانية تقدما ، والدول الثلاث الكبرى من الدول المشتركة فى الحرب الحاضرة : انكلترا وفرنسا والمانيا . ان عمال هذه البلدان ادوا اعظم خدمة الى قضية التقدم والاشتراكية : ان النماذج العظيمة التى قدمتها الحركة الشارتية

فى انكلترا ، وجملة الثورات ذات الاهمية العالمية والتاريخية التى قامت بها البروليتاريا فــى فرنسا ، واخيرا النضال البطولى ضد القانون الاستثنائى فى المانيا ، والعمل الدؤوب العنيد المنظم النموذجى بالنسبة لعمال العالم اجمع لانشاء منظمات بروليتارية جماهيرية فى المانيا — ان كل هذه النماذج عن بطولة البروليتاريا والابداع التاريخى لهى ضمان لنا بان عمال هذه البلدان سيفهمون الواجبات الملقاة على عواتقهــم اليوم ، واجبات تحرير الانسانية من اهوال الحرب ونتائجها ، وبان هؤلاء العمــال بنشاطهم الحازم والمتفانى والمتنوع الوجوه سيساعدوننــا على السير قدمـا بقضية السلم الى النهاية بنجاح وفى الوقت ذاته قضية تحرير الجماهير الكادحة والمستثمرة من كل عبودية وكل استغلال» .

وحين هدأت عاصفــة التصفيق ، استأنف لينين الكلام من جديد :

«اننا نقترح على المؤتمر الموافقة على هذا النداء وتصديقه . اننا لا نتوجه الى الشعوب فقط ، بل الى الحكومـات ايضا ، لأن التوجه الى شعوب البلدان المتحاربة وحدها ، من شأنه ان يؤخر عقد اتفاقية الصلح . وشروط الصلح سيجرى اعدادهــا اثنـاء الهدنة وتصديقها من قبل الجمعية التأسيسيــة . ونحن نريد من وراء تحديد مدة الهدنــة بثلاثة شهور ان نعطى الشعوب اطول فترة راحة ممكنة من الحرب الدامية والوقت الكافى لانتخاب ممثلين عنها . ان بعض الحكومــات الامبرياليــة ستعارض اقتراحاتنــا السلمية ، ونحن لا نضلل انفسنا فى هذا الصدد . ولكننا نأمل بان الثورة سرعان ما تندلع فى جميع البلدان المتحاربة ، ولهذا بالضبط نتوجه بالحــاح خاص الى العمــال الفرنسيين والانكليز والالمان . . .» .

وختم قائلا : «ان ثورة ٢٤—٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) تدشن عصر الثورة الاجتماعية . . . ان الحركة العمالية فى سبيل السلام والاشتراكية ستصل الى النصر وستؤدى رسالتها . . .» .

كان ينبعث من كلماته اطمئنان وقوة ينفذان بعمق الى نفوس الناس . وكان جليا كل الجلاء السبب الذى من اجله كان الشعب يثق على الدوام بما يقول لينين .

وقد قـــدم واقر على الفور بالاقتراع العلنى ، اقتراح يقضى باعطاء حق الكلام لممثلى الكتل السياسية فقط وتحديد مدة الكلام للخطباء بخمس عشرة دقيقة .

فكـــان اول المتكلمين كاريلين باسم الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، فقال : «ان كتلتنا لم تتح لها فرصة تقديم تعديل على نص النداء ، ولذلك فهو صادر عن البلاشفة وحدهم . ولكننـــا سنصوت الى جانبه مع ذلك ، لأننا محبذون كل التحبيذ لاتجاهه العام . . .» .

وتكلم كراماروف باسم الاشتراكيين-الديموقراطيين الامميين ، وهو رجل طويل القامة ، ضيق المنكبين ، حسير البصر ، كتب له ان ينال شهرة لا يحسد عليهـا ، شهرة كونه مهرج المعارضة . وقد اعلن قائلا انه ليس يمكن الا لحكومة مؤلفة من ممثلى جميع الاحزاب الاشتراكيـــة ان تحوز على الصلاحية الكاملة للاقدام على عمل بمثل هذا القدر من الاهمية . فاذا ما تشكل مثل هذا الائتلاف الاشتراكى فان كتلتنا ستؤيد البرنامج بكامله ، والا فانها ستؤيده جزئيا فقط . اما فيما يتعلق بالنداء فان الامميين يؤيدون نقاطه الاساسية . . .

وبعد هذا راح الخطبـاء يتكلمون الواحد اثر الآخر فى جو من الحماســة المتزايدة . وقد ايـــد النداء ممثلو الاشتراكيين-الديموقراطييـــن الاوكرانيين ، والاشتراكييـن-الديموقراطييـــن الليتوانيين ، والاشتراكيين الشعبيين ، والاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين واللاتفيين . وكذلك ايـد الحزب الاشتراكى البولونى النداء ، ولكنه المح الى انه يفضل الائتلاف الاشتراكى . . . لقد استيقظ شيء ما فى هؤلاء الناس جميعا . كان احدهم يتكلم عـن «الثورة العالمية المقبلـة التى نحن طليعتهـــا» وآخر عن «عصر الاخوّة الجديد الذى سيضم جميـــع الشعوب فى اسرة عظمـــى واحدة . . .» واعلن احد المندوبين قائلا باسمه الشخصى : «ثمة شيء من التناقض . فى البداية تقترحون صلحـا بدون الحاق ولا تعويضات ثم تقولون انكم مستعدون للنظر فى جميع مقترحات الصلح . والاستعداد للنظر يعنى الاقرار . . .» .

وفى الحـــال هب لينين واقفا : «اننـــا نريد صلحا عادلا ، ولكننا لا نخشى الحرب الثوريـة . . . والارجح ان الحكومـــات

الامبريالية لن تستجيب لدعوتنا ، ولكننا لا ينبغى ان نقدم لهم انذارا نهائيا من اليسير جدا الرد عليه بالرفض . . . فاذا ما رأت البروليتاريا الالمانية اننا مستعدون لبحث اى اقتراح للصلح فقد يكون هذا القطرة الاخيرة التى تجعل الكأس تطفح ، فتندلع الثورة فى المانيا .

اننـــا موافقون على بحث اية شروط للصلح ، ولكن هذا لا يعنى البتة اننا موافقون على قبولها . اننا سنناضل حتى النهاية ، فى سبيل بعض نقاط شروطنا ، ولكن من الممكن جدا ان تكون بينها شروط لا نعتبر ان من الضرورى متابعة الحرب فى سبيلها . . . ولكن الامر الرئيسى هو اننا نريد الانتهاء من الحرب . . .» .

كانت الساعة قد بلغت العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين تمامــا حين اقترح كامينيف على جميع المؤيدين للنداء ان يرفعوا بطاقات انتدابهم . وحاول احد المندوبين ان يرفع يده معارضا ، ولكن عاصفة الاستنكار التى انفجرت من حوله كانت من الشـــدة بحيث جعلتـــــه يسرع فـــى اسدال يده . . . وتم الاقـــــرار بالاجماع .

وهببنـــا جميعـــا واقفين بدافع مفاجئ عفـــوى ، وانسكب اجماعنا فى نشيد «الاممية» المنطلق المؤثر . وراح جندى عجوز اشيب يبكى بكاء الطفـــل . وكانت الكسندرا كولونتاى تسكب دموعها خفية . وملأ لحن النشيد الجبار القاعة وانطلق عبر النوافذ والابواب وبلـــغ السماء الهادئة . «انتهت الحــــرب ! انتهت الحرب !» ، هكذا كان جارى ، وهو عامل شاب ، يقول مبتسمـــا بابتهاج . وحين انتهينـــا من انشاد «الاممية» ووقفنا فى صمت ثقيل ، صاح صوت من الصفوف الخلفية : «يا رفاق ، فلنذكر من استشهدوا فى سبيل الحرية !» . فشرعنا نرنم النشيد المأتمى ، هذا النشيد المهيب الحزين ، الا انـــه نشيد مظفر ، عميق فى روسيتـــــه ، ولا نهايـــــة لتأثيره فى النفس . والحـــق ، ان «الانترناسيونـــال» («الاممية») هو مع ذلك نشيد ألف فى بلد آخر . امـــا النشيد المأتمى فانـــه يكشف عن كل روح تلك الجماهير المضطهدة التى كان مندوبوها مجتمعين فى هذه القاعة ، يبنون من رؤياهم الغامضة روسيـــا الجديدة ، بل ربمـــا اكثر من ذلك . . .

ضحايا ذهبتم فى النضال المحتوم ،
من اجل الحب المتفانى للشعب
بكل ما استطعتم جدتم فى سبيله ،
من اجل حياته ،
من اجل سعادته وحريته .
ستحل الساعة ويستيقظ الشعب ،
عظيما ، قديرا ، طليقا .
فيا من سرتم بشرف
دربكم الكريم المجيد ،
وداعا ايها الاخوة !

فى سبيل هذا كان شهداء ثورة آذار (مارس) فى مقبرة التآخى الباردة بساحة مارس ، وفى سبيل هذا مات الالوف وعشرات الالوف فى السجون ، فى المنافى ، فى مناجم سيبيريا . اذا لم يتحقق كل شيء مثلما كانوا يتصورون ، مثلما كان يرغب فى ذلك المثقفون ، ولكن الامر قد تحقق مع ذلك ، ولقد تحقق بشكل عنيف ، متسلط ، عجول ، نابذ للصيغ الجاهزة ، مستهتر بكل عاطفية ، صادق . . .

وقرأ لينين مرسوم الارض :

«١ – تلغى الملكية الكبيرة للارض على الفور بدون اى تعويض .

٢ – توضع الملكيات العقارية الكبيرة ، وكذلك جميع اراضى الاقطاع ، واراضى الاديرة والكنائس ، مع جميع موجوداتها الحية والميتة ومبانيها وتوابعها ، تحت تصرف اللجان الزراعية فى الاقضية وسوفييتات نواب الفلاحين فى النواحى حتى انعقاد الجمعية التأسيسية .

٣ – كل اتلاف للممتلكات المصادرة التى هى منذ الآن ملك للشعب بأسره يعتبر جريمة خطيرة تقع تحت طائلة العقاب امام المحكمة الثورية . وعلى سوفييتات نواب الفلاحين فى النواحى ان تتخذ جميع التدابير اللازمة للمحافظة على النظام الصارم عند مصادرة اراضى كبار الملاكين العقاريين ، وتحديد مساحة الاراضى موضوع المصادرة وتعيينها بدقة ، ووضع قائمة مضبوطة بجميع الممتلكات المصادرة ، وتأمين الحماية الثورية الشديدة على جميع

الاستثمارات الزراعية والمنشآت والايائل والماشية والمؤونة ، الخ . ، التى تنتقل للشعب .

٤ – ان التوصيات الفلاحية الالزامية[3] التالى نصها ، التى وضعت من قبل هيئة تحرير «ازفستيا سوفييت نواب الفلاحين لعامة روسيا» ، على اساس ٢٤٢ توصية فلاحية محلية ، والمنشورة فى عدد «الازفستيا» هذه رقم ٨٨ (بتروغراد ، رقم ٨٨ ، ١٩ آب – اغسطس – ١٩١٧) يجب الاسترشاد بها عند القيام بالتحويلات الزراعية الكبرى الى ان تتخذ الجمعية التأسيسية القرار النهائى بشأنها .

٥ – لا تصادر اراضى الفلاحين البسطاء والقوزاق البسطاء» .

واضاف لينين قائلا : «ليس هذا بمشروع الوزير السابق تشيرنوف الذى كان يقول بضرورة «بناء الصقالة» ويحاول اجراء الاصلاح من فوق . ان مسألة توزيع الاراضى ستحل من تحت ، عن كثب . وما يصيب الفلاحين من الارض سيكون حسب المنطقة . . .

فى ظل الحكومة الموقتة ، كان الملاكون العقاريون يرفضون رفضا باتا الانصياع لاوامر اللجان الزراعية ، هذه اللجان التى ابتدعها لفوف ، وحققها شنغاريوف ، وتولى ادارتها كيرنسكى !»

لم تكن المناقشات قد بدأت عندما شق احدهم الدرب لنفسه بعنف دافعا بالجمهور المزدحم فى الممر ، وارتقى المنبر بسرعة . وكان هذا عضو اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين بيانيخ . كان خارجا عن طوره من شدة الغيظ . وقد قذف كلماته بعنف فى وجوه المندوبين ، قائلا :

«ان اللجنة التنفيذية لسوفييتات نواب الفلاحين لعامة روسيا تحتج على اعتقال رفيقينا ، الوزيرين سالازكين وماسلوف ! اننا نطالب بالافراج عنهما فورا ! انهما معتقلان فى قلعة بطرس وبولس . ينبغى العمل فورا . لا يجوز اضاعة دقيقة واحدة !»

وعقبه جندى اشعث اللحية ملتهب العينين . فقال : «انكم قاعدون هنا تتكلمون عن تقديم الارض للفلاحين ، ولكنكم انتم انفسكم فى هذا الوقت تعاملون الممثلين المنتخبين عن الفلاحين معاملة الطغاة والمغتصبين . وانى لاحذركم – قال هذا مهددا بقبضته – احذركم من انه اذا ما مست شعرة من رأسيهما فلسوف تواجهون الانتفاضة !» . فراح الجمهور يدمدم باضطراب .

وارتقى المنبـر تروتسكى الهادئ ، اللاذع الواثق بقوته . فاستقبله الحضور بهمهمـــة ترحيب . «يوم امس اتخذت اللجنة العسكرية الثورية قرارا مبدئيا باطلاق سراح الوزراء الاشتراكيين-الثوريين والمناشفـــة : ماسلـــوف ، سالازكيـــن ، غفوزديف ، ماليانتوفيتش . واذا كانوا مـا يزالون معتقلين فى قلعة بطرس وبولس فما ذلك الا لاننا مشغولون الى ما فوق الحد . . . ومفهوم انهم سيظلون تحت الاقامة الجبرية فى بيوتهم الى ان يتضح نهائيا اشتراكهم فى اعمال الخيانة التى قام بهـا كيرنسكى وقت عصيان كورنيلوف» .

وصاح بيانيخ قائلا : «لم يحدث قط ، لم يحدث قط فى اية ثورة ما نراه الآن !» .

فاجاب تروتسكى : «انك لمخطئ ، فحتى ثورتنـــا شاهدت مثل هذه الاشياء . ان مئات من رفاقنا قد اعتقلوا فى ايام تموز (يوليو) . . . وحين اطلق سراح رفيقتنـــا كولونتاى من السجن بطلب من الطبيب ، وضع افكسنتييف امام باب بيتها عميلين من رجال الشرطة السرية القيصرية السابقين !» وانسحب ممثلو الفلاحين شاتمين وشيعهم الحضور بصيحات السخرية .

واعرب ممثل الاشتراكيين-الثوريين عن رأيهم بمرسوم الارض . انهم مع تأييدهم المبدئى التام للمرسوم لا يمكن مع ذلك ان يصوتوا له الا بعد بحثه . ولا بد من معرفـــة رأى سوفييتات الفلاحين .

وكذلك اصر المناشفـــة الامميون على بحث المسألـة داخل حزبهم .

وبعد ذلك تكلم زعيـم الماكسيماليين ، اى الجناح الفوضوى من الفلاحين ، فقال : «ليس فى وسعنا الا ان نقر بالفضل لذلك الحزب السياسى الذى حقق مثل هذا العمل منذ اليوم الاول بدون اية ثرثرة ! . .» .

وظهر على المنبر فلاح نموذجى ، طويل الشعر ، يلبس جزمة طويلة الساق ومعطفـــا من فرو الغنـــم . وراح ينحنى الى جميع الجهات ، ثم قال : «مرحبا ، ايها الرفاق والمواطنون . ثمة رجال من الكاديت ما يزالون يتجولون هنـــا من حولنا . وانتم تعتقلون فلاحينا الاشتراكيين ، فلماذا لا تعتقلون هؤلاء الكاديت ؟» .

وكان هذا نذيرا بانطلاق نقاش حـــاد بين الفلاحين ، مثـل

النقاش الذى ثار ليلـــة امس بين الجنود . كان ثمة بروليتاريو الارض الحقيقيون . . .

«ان اعضاء لجنتنـــا التنفيذيـــة افكسنتييف والآخرين الذين كنا نعتبرهم مدافعين عن الفلاحين ، هم امثال الكاديت ! فاعتقلوهم ! اعتقلوهم !» .

وانطلق صوت آخر : «ومن هـــم هؤلاء جميعـــا ، اضراب افكسنتييف وبيانيخ ؟ ليسوا فلاحين على الاطلاق ! بألسنتهم فقط يثرثرون !» .

وكم اشرأب جمهور المندوبين نحو هؤلاء الخطبـــاء ، شاعرا انهم اخوة له !

واقترح الاشتراكيون-الثوريون اليساريون فترة استراحة لمدة نصف ساعـــة . وحين أخذ المندوبون يخرجون من القاعة ، نهض لينين من مكانه فقال :

«لا يجوز لنا ان نضيع الوقت ، يا رفاق ! فغدا صباحا ينبغى ان تعلم روسيا كلها بانباء ذات اهمية هائلة ! فلا ابطاء !» .

ووسط المناقشات الحامية والاحاديث وجلبة المئات من الاقدام سمع صوت ممثل اللجنة العسكرية الثورية يصيح :

«ينبغـــى ان يذهب ١٥ من المحرضين الى الغرفـــة ١٧ ! لارسالهم الى الجبهة ! . .» .

وبعد ساعتين ونصف اخذ المندوبـــون يعودون الى القاعـــة جماعات جماعات ، وشغلت هيئة الرئاسة مكانهـــا ، واستؤنفت الجلسة . وبدئ بتلاوة برقيات من مختلف الافواج تعلن تأييدها للجنة العسكرية الثورية .

ودب النشاط فى الاجتماع شيئا فشيئا . فقد راح مندوب من القوات الروسية فى جبهـــة مقدونيـــا يتحدث بمرارة عن الوضع لديهم . وقد قال : «اننا الآن نعانى من صداقة «حلفائنـــا» اكثر ممـــا نعانى من الاعداء» . واعلن ممثلو الجيشين العاشر والثانى عشر ، وقد كانوا قادمين لتوهم من الجبهة : «اننا نعدكم بكل ما فى المستطاع من المساندة والتأييد !» واحتج جندى من الفلاحين على اطلاق سراح «الاشتراكيين الخائنين ماسلوف وسالازكين» . اما فيما يتعلق باللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين فينبغى اعتقالها بكاملها ! اجل ، لقـــد كانت هذه كلمات ثورية حقة . . . واعلن

مندوب القوات الروسية فى ايران انه مكلف بالمطالبة بتسليم كل السلطة للسوفييتات . وصاح ضابط اوكرانى بلغته الوطنية : «فى وقت ازمة كهذه لا يمكن ان يكون ثمة اى تفريق على اساس القوميات . . . عاشت ديكتاتورية البروليتاريا فى جميع البلدان !» .

هكذا كان يضطرم هذا السيل من الافكار السامية الحارة ، وكان جليا ان روسيا لن يمكن ابدا ان تلوذ بالصمت من جديد .

واعلن كامينيف ان القوى المعادية للبلاشفة تسعى لاثارة الاضطرابات فى كل مكان ، وتلا نداء من المؤتمر الى جميع السوفييتات المحلية :

«ان مؤتمر سوفييتات نواب العمال والجنود لعامة روسيا يكلف السوفييتات المحلية بان تتخذ على الفور اشد التدابير للحيلولة دون الاعمال المعادية للثورة ، والمجازر ضد اليهود واية مجازر اخرى . ان شرف ثورة العمال والجنود والفلاحين يقضى بعدم السماح باية مجازر .

ان الحرس الاحمر فى بتروغراد وحامية بتروغراد والبحارة قد امنوا النظام التام فى العاصمة .

فعلى العمال والجنود والفلاحين فى كل مكان من الاقاليم ان يحذوا حذو عمال بتروغواد وجنودها .

ايها الرفاق الجنود والقوزاق ، على كاهلكم بالدرجة الاولى يقع واجب تأمين النظام الثورى الحقيقى . واليكم تتطلع روسيا الثورية كلها والعالم بأسره !» .

وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل طرح مرسوم الارض على التصويت ، وتم اقراره بكامل الاصوات مقابل صوت واحد معارض . وجن جنون المندوبين الفلاحين من شدة البهجة والحماس . . .

وهكذا كان البلاشفة يمضون قدما على نحو لا يقاوم ، نابذين جميع الشكوك ، مزيلين من دربهم جميع المعارضين . وقد كانوا الناس الوحيدين فى روسيا الذين يملكون برنامجا للاعمال محددا ، فى الوقت الذى كان فيه الآخرون جميعا لا عمل لهم سوى الثرثرة طيلة الشهور الثمانية بكاملها .

وارتقى المنبر جندى شديد النحول ، مهترئ اللباس ، بليغ

العبارة ، فاحتج على مـادة فى التوصيات * تنص على ان الهاربين من الجيش يحرمون من حصتهم فى الارض . وقد قوبل اول الامر بالسخرية والصفير ، ولكن كلماته البسيطة المؤثرة ارغمت الجميع آخر الامر على الصمت . فقد صاح قائلا : «ان الجندى البائس الذى قذف به مرغما فى مجزرة الخنادق التى تعترفون انتم انفسكم فى المرسوم عن السلام بهولها الاخرق ، قد استقبل الثورة استقباله لنبأ عن السلام والحرية . السلام ؟ ان حكومة كيرنسكى قد ارغمته من جديد على الزحف ، على الذهاب الى غاليسيـــا ليقتل ويقتل . كان يتلهف الى السلام ، واما تيريشنكو فكان يكتفى بالضحك . . . الحرية ؟ لقد رأى فى عهد كيرنسكى ان لجانه تحل وصحفه تمنع من الصدور ، والمتكلمون باسم حزبه يلقى بهم فى السجن . . . اما فى البيت ، فى القرية مسقط رأسه ، فالملاكون العقاريون الكبار يحاربون اللجان الزراعية ويسجنون رفاقه . . . وفى بتروغراد ، كانت البرجوازية ، بالتحالف مع الالمـان ، تعرقل تموين الجيش بالمواد الغذائية والملابس والذخيرة . . . وقد كان الجندى يقبع فى الخنادق عاريا حافيا . فمن الذى دفع به الى الفرار من الجيش ؟ انها حكومة كيرنسكى التى اطحتـــم بها !» وفى النهايـــة قوبل حتى بالتصفيق .

وهنا القى جندى آخر خطبة ملتهبة ، قال فيهـــا : «ليست حكومة كيرنسكى ستارا يمكن ان يخفى وراءه عمل قذر مثل الفرار من الجيش ! الفـــار من الجيش نذل يهرب الى بيته ويتخلى عن رفاقه الذين يموتون فى الخنادق ! كل فار من الجيش خائن وينبغى ان يلقى العقاب . . .» ضجيج وصياح : «كفى ! اسكت !» وسارع كامينيف يقترح ترك المسألة للحكومة لتنظر فيها[4] .

وفى الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين صباحـا ساد الاجتماع صمت متوتر . قرأ كامينيف مرسوم تشكيل الحكومة :

«تؤلف من اجـل ادارة البلاد حتى انعقاد الجمعية التأسيسية حكومة عمال وفلاحين موقتة تسمى مجلس مفوضى الشعب[5] .

ستتولى ادارة مختلف نواحى حياة الدولـــة لجان يكون على اعضائها تأمين تنفيذ برنامج المؤتمر بالاتحاد الوثيق مع المنظمات

* المقصود هنا التوصيات التى اقرها المؤتمر فى الوقت نفسه مع مرسوم الارض . **المحرر** .

الجماهيرية للعمـــال والعاملات والبحـــارة والجنـــود والفلاحين والمستخدمين . والسلطة الحكومية تعود للهيئة المؤلفة من رؤساء هذه اللجان ، اى لمجلس مفوضى الشعب .

ان الرقابـــة على نشاط مفوضى الشعب وحق عزلهم يعودان لمؤتمر سوفييتات نواب العمال والفلاحين والجنود لعامة روسيـا ولجنته التنفيذية المركزية . . .» .

وساد القاعة هدوء تام ؛ وبعد ذلك كانت عواصف التصفيق تنفجر عند قراءة قائمـــة مفوضى الشعب بعد كل اسم ، وبخاصة لينين وتروتسكى .

«. . . رئيس المجلس – **فلاديمير اوليانوف (لينين)** ؛

مفوض الشعب للداخلية – **ا . ا . ريكوف** ؛

للزراعة – **ف . ب . ميليوتين** ؛

للعمل – **ا . غ . شليابنيكوف** ؛

للحربية والبحرية – لجنة مؤلفة من :

ف . ا . اوفسيينكـو (انطونوف) ، ن . ف . كريلنكـــو ، ب . ا . ديبنكو ؛

للتجارة والصناعة – **ف . ب . نوغين** ؛

للتعليم العام – **ا . ف . لوناتشارسكى** ؛

للمالية – **ا . ا . سكفورتسوف (ستيبانوف)** ؛

للخارجية – **ل . د . برونشتاين (تروتسكى)** ؛

للعدلية – **غ . ا . ابّوكوف (لوموف)** ؛

للتموين – **ا . ا . تيودوروفيتش** ؛

للبريد والبرق – **ن . ب . افيلوف (غليبوف)** ،

رئيس لشؤون القوميــات – **ى . ف . جوغاشفيلى (ستالين)**

يبقى شاغرا بصورة موقتة منصب المفوض لشؤون السكك الحديدية» .

لاحت الحراب فى جوانب القاعة ؛ ولقد كانت تطل برؤوسهـا فوق مقاعد المندوبين . فاللجنـــة العسكرية الثورية قد سلحت الجميع . وقد كانت البلشفية تتسلح للمعركة الحاسمة مع كيرنسكى وقد حملت الريح الجنوبية الشرقية اصوات نفير هذه المعركة . . . وما كان ثمة من احد راغب فى الذهاب الى بيته . بالعكس ، لقد كان

يأتى القاعة المئات من الوافدين الجدد . وقد كانت القاعة الضخمة غاصة بجنود صارمى الوجوه وعمال . كانوا يقفون هنا ساعات طوالا يصغون بلا كلل الى الخطباء . وكان الجو الفاسد ممتلئا بدخان التبغ . وكانت تفوح رائحة العرق ، والتنفس البشرى والملابس الوسخة .

تكلم افيلوف ، من هيئة تحرير «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») باسم الاشتراكيين-الديموقراطيين الامميين والباقين فى المؤتمر من المناشفة الامميين بوجهه الشاب والذكى ؛ ويبدو فى معطف السهرة الانيق الذى يرتديه شاذا عن الوسط المحيط به .

«ينبغى لنا ان ندرك بجلاء ما الذى يجرى والى اين نحن ذاهبون . . . ان السهولة التى تمت فيها الاطاحة بالحكومة الائتلافية ليس مردها كون الديموقراطية اليسارية جد قوية ، وانما فقط عجز الحكومة عن توفير الخبز والسلم للشعب . ولن يكون فى وسع الجناح اليسارى من الديموقراطية ان يصمد الا فى حال استطاعته حل هاتين المهمتين كليهما .

فهل هو قادر على توفير الخبز للشعب ؟ ان الخبز فى البلاد جد قليل . واكثرية جماهير الفلاحين لا تسير وراءكم لأنكم عاجزون عن منحها الآلات التى شد ما هى فى حاجة اليها . ويكاد يكون مستحيلا الحصول على المحروقات والمواد الاخرى التى هى فى الدرجة الاولى من الضرورة . . .

والتوصل الى السلام على مثل هذه الدرجة صعب ويزداد الامر صعوبة اذ ان حكومات الدول الحليفة قد رفضت الكلام حتى مع سكوبيليف ، اما اقتراح عقد مؤتمر للصلح ، الصادر عنكم ، فانها لا تقبله باية حال . وانتم غير معترف بكم لا من لندن ، ولا من باريس ، ولا من برلين .

وليس يمكن الآن الاعتماد على تأييد بروليتاريا البلدان الحليفة ، لأنها بمعظمها ما تزال جد بعيدة عن النضال الثورى ، وتذكروا ان الديموقراطية المتحالفة لم تتمكن حتى من عقد مؤتمر ستوكهولم . اما بشأن الاشتراكية-الديموقراطية الالمانية ، فقد كنت للتو فى حديث مع مندوبنا الى ستوكهولم الرفيق غولدنبرغ . ان ممثلى الجناح اليسارى المتطرف يعلنون له ان الثورة فى المانيا

مستحيلة خلال الحرب . . .» الصيحات من المقاعد تزداد باطراد تواترا وشدة ، ولكن افيلوف يتابع كلامه :

«اما ان يتحطم الجيش الروسى على يد الالمـــان ، فيتصالح الائتلافان الالمانى-النمسوى والانكلو-فرنسى على حسابنا ، واما ان نعقد صلحا مع المانيا ، وستكون النتيجة فى الحالين على حد سواء العزلة التامة لروسيا .

لقد علمت للتو ان سفراء الحلفاء يعتزمون السفر وان لجانا لانقاذ الوطن والثورة تنظم فى جميع مدن روسيا . . .

ليس يمكن لأى حزب ان يتغلب لوحده على مثل هذه المصاعب الهائلة . فقط الاكثرية الحقيقية للشعب التى تؤيد حكومة ائتلاف اشتراكى ، يمكنها ان تنجز قضية الثورة . . .» .

وبعد ذلك تلا مشروع قرار من الكتلتين :

«اعترافا بواقع انه لا بد لانقاذ مكتسبات الثورة من المبادرة فورا الى تشكيل حكومة تستند الى الديموقراطية الثورية المنظمـــة فى سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ، واعترافـــا بان هدف هذه الحكومة هو : التوصـــــل باقصى السرعـــــة الى صلح ديموقراطى ، ووضع الارض تحت تصرف اللجان الزراعية ، وتنظيم رقابة العمال على الانتاج ، وعقد الجمعية التأسيسيـــة فى الموعد المعين ، يقرر المؤتمر : انتخاب لجنة تنفيذية موقتة لتشكيل حكومة بالاتفاق مع الكتل الديموقراطية الثورية العاملة فى المؤتمر» .

بالرغم من الحماسة الثوريـــــة التى تملكت المندوبين فان محاكمات افيلوف الهادئة الباردة اوصلتهم الى شيء من الارتباك . وقبيل نهاية الخطاب خفت الصياح والصفير ، اما حين انتهى افيلوف من الكلام فقد انطلقت حتى بعض التصفيقات هنا وهناك .

وبعد افيلوف تكلم كاريلين ، وهو ايضا شاب جسور لم يكن احد يشك فى صدقـــه ، وهو الى جانب ذلك ممثل الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، اى حزب ماريا سبيريدونوفا ، الحزب الوحيد الذى تبع البلاشفة ، والذى كان يقود الفلاحين الثوريين * .

«لقد رفض حزبنا الاشتراك فى مجلس مفوضى الشعب لاننا لا

* كان يسير خلف الاشتراكيين-الثوريين اليساريين قسم فقط من الفلاحين ذوى الميول الثورية . **المحرر** .

نريد ان نقطع الصلة الى الابد مع ذلك القسم من الجيش الثورى الذى انسحب من المؤتمر . فان من شأن هذه القطيعة ان تحرمنا من امكانية ان نكون وسطاء بين البلاشفة والجماعات الديموقراطية الاخرى . ومثل هذه الوساطة بالذات هى الواجب الاساسى علينا فى الوقت الحاضر . اننـــا لا يمكن ان ندعم غير حكومـــة ائتلاف اشتراكى . . .

وعدا ذلك فنحن نشجب سلوك البلاشفـــة التعسفى . فان مفوضينا قد طردوا من جميع مراكزهم . وبالامس عطلت صحيفتنا الوحيدة «زناميا ترودا» («علم الكدح») .

ان الدوما البلدى يشكل لجنة جبارة لانقاذ الوطن والثورة من اجل الكفاح ضدكم . وقد بتم فى عزلة . فما من جماعة ديموقراطية واحدة تؤيد حكومتكم . . .» .

وصعد تروتسكى المنبر واثقا من نفسه ممتلكا زمامها . وعلى شفتيه تلوح ابتسامة تهكمية ، تكاد تكون ساخرة . وقد راح يتكلم بصوت رنان ، وتحرك الجمهور الغفير الى امام ، يصيخ سمعه الى كلماته .

«ليست بجديدة هذه الاعتبارات حول خطر انعزال حزبنـــا . فعشية الانتفاضة ايضا كانوا يتنبأون لنا بالاخفاق المحتوم . وكان الجميع ضدنا بصورة قاطعة ؛ ولم تلق اللجنة العسكرية الثورية التأييد الا من كتلة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين . فبأية صورة امكننا مع ذلك ان نطيح بالحكومة الموقتـــة دون سفك دماء تقريبا ؟ . . ان هذا الواقع هو الدليل الاسطع على اننا لم نكن فى عزلة . والواقع ان الحكومة الموقتة هى التى بدت معزولة ؛ وكانت معزولة الاحزاب الديموقراطية التى سارت ضدنا ، وهى الآن ايضا معزولة وقطعت الى الابد صلتها مع البروليتاريا !

يحدثوننا عن ضرورة الائتلاف . ليس يمكن غير ائتلاف واحد ، هو الائتلاف مع العمال والجنود وفقراء الفلاحين . ولحزبنا شرف تحقيق هذا الائتلاف . . . فاى ائتلاف يقصد افيلوف ؟ الائتلاف مع الذين ايدوا حكومة خونة الشعب ؟ الائتلاف لا يزيد دائما من القوة . فهل كان بوسعنا ، مثلا ، تنظيم الانتفاضـــة لو كان فى صفوفنا دان وافكسنتييف ؟» عاصفة من الضحك .

«كان افكسنتييف يعطى القليل من الخبز . فهل يؤدى الائتلاف

مع الدفاعيين الى منح كميات اكبر ؟ حين يكون من اللازم الخيار بين الفلاحين وبين افكسنتييف الذى كان يعتقل اللجان الزراعية ، فاننا نختار الفلاحين ! ان ثورتنا ستظل نموذجية فى التاريخ . . .

يتهموننا برفض الاتفاق مع الاحزاب الديموقراطية الاخرى . ولكن أنحن المسؤولون عن هذا ؟ ام لعل «سوء التفاهم» ، كما يعتقد كاريلين ، هو المسؤول ؟ كلا ، ايها الرفاق . حين يأتى حزب ، فى عنفوان الثورة ، وهو ما يزال محاطا بدخان البارود ، فيقول : «ها هى ذى السلطة ، فاستلموها !» واما الذين تقدم اليهم هذه السلطة فينتقلون الى معسكر الاعداء ، فان هذا لا يكون سوء تفاهم . . . انما يكون هذا اعلانا لحرب لا رحمة فيها ! وما كنا نحن الذين اعلنا هذه الحرب . . .

ان افيلوف يهدد باننا اذا ما بقينا «معزولين» فان جهودنا فى سبيل التوصل الى السلام ستظل عقيمة . وانا اكرر القول بانى لا ارى بأية صورة يمكن للائتلاف مع سكوبيليف بل ومع تيريشنكو ان يساعدنا فى التوصل الى السلام . ان افيلوف يحاول اخافتنا بخطر الصلح على حساب روسيا . وانا اجيب على هذا بان روسيا الثورية لا محالة هالكة اذا ظلت البرجوازية الامبريالية فى اوروبا تحكم . . .

واحد من اثنين : اما ان تثير الثورة الروسية الحركة الثورية فى اوروبا ، واما ان تخنق الدول الاوروبية الثورة الروسية !» .

فانطلق المندوبون يصفقون تصفيقا عاصفا ، وهم يلتهبون جرأة ، شاعرين بانهم مناضلون فى سبيل الانسانية جمعاء . ومنذ ذلك الحين كانت جميع اعمال الجماهير الثائرة يبدو فيها وما يزال الى الابد نوع من العزيمة الواعية الصارمة .

ولكن من الجانب الآخر كانت المعركة تتبلور . فقد اعطى كامينيف الكلام لممثل اتحاد شغيلة السكك الحديدية . وكان هذا رجلا مربوع القامة قاسى الوجه لا يخفى عداوته المتأصلة . وكان لخطابه وقع انفجار القنبلة على الاجتماع .

«انى اطلب الكلام باسم اقوى منظمة فى روسيا ، وابلغكم ان الفيكجل * قد كلفتنى بان احيطكم علما بالقرار الذى اتخذه اتحادنا

* الفيكجل — هى اللجنة التنفيذية لعامة روسيا لاتحاد عمال ومستخدمى السكك الحديدية . **المحرر** .

حول مسألة تنظيم السلطة . ان اللجنة المركزية ترفض رفضا قاطعا تأييد البلاشفة اذا كانوا سيظلون فى عداء مع كل الديموقراطية الروسية» . وثارت فى القاعة ضجة رهيبة .

«ان عمال السكك الحديدية قد اظهروا فى عام ١٩٠٥ وخلال مؤامرة كورنيلوف انهم المدافعون عن الثورة . ولكنكم لم تدعونا الى مؤتمركم» . صيحات : «التسيك السابقة لم تدعكم !» ولم ينتبه الخطيب لهذا ، وتابع كلامه : «اننا لا نعترف بشرعية هذا المؤتمر : فبعد انسحاب المناشفة والاشتراكيين-الثوريين لم يبق هنا النصاب اللازم . . . ان اتحادنا يؤيد التسيك السابقة ويعلن ان المؤتمر لا يملك حق انتخاب تسيك جديدة . . .

ان السلطة ينبغى ان تكون سلطة اشتراكية وثورية ، مسؤولة امام الهيئة ذات الصلاحية الممثلة لكل الديموقراطية الثورية . والى ان يتم قيام هذه السلطة ، فان اتحاد شغيلة السكك الحديدية ، اذ يرفض نقل القوات المعادية للثورة الى بتروغراد ، سيحظر فى الوقت نفسه على جميع اعضائه تنفيذ اية اوامر بدون موافقة الفيكجل . وستستلم الفيكجل زمام ادارة جميع السكك الحديدية الروسية» .

وضاعت نهاية هذا الخطاب وسط عاصفة صاخبة من الاستنكار الشامل . ومع ذلك ، فقد كانت هذه ضربة عنيفة . وكان يكفى للاقتناع بهذا ان يتطلع المرء الى وجوه اعضاء هيئة الرئاسة وقد شحبت من القلق . وقد اجاب كامينيف فى اقتضاب بان شرعية المؤتمر لا يمكن ان تكون موضع اية شكوك اذ انه قد بقى فى المؤتمر ، برغم انسحاب المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، عدد من الاعضاء يزيد حتى عما يتطلبه النصاب المقرر من قبل التسيك السابقة . . .

وبعد ذلك جرى انتخاب مجلس مفوضى الشعب بالاكثرية الساحقة من الاصوات .

ولم يستغرق انتخاب التسيك الجديدة ، البرلمان الجديد للجمهورية الروسية ، اكثر من ربع ساعة . وقرأ تروتسكى النتائج : مئة عضو ، منهم سبعون بلشفيا . . . اما الفلاحون والاحزاب المنسحبة من المؤتمر فقد ابقيت لهم مقاعد شاغرة . وختم

تروتسكى قائلا : «اننا نرحب فى الحكومـــة بجميـــع الاحزاب والجماعات التى تتبنى برنامجنا» .

واثر هذا اختتم فى الحال مؤتمر السوفييتات الثانى لعامـــة روسيا لكى يتمكن مندوبوه من السفر باقصى السرعة الى جميـــع انحاء روسيا ليخبروا عن الاحداث الكبرى التى جرت . . .

كانت الساعة قد بلغت السابعة صباحا تقريبا حين ايقظنـــا سواقى عربات الترام الواقفة امام سمولنى ، التى ارسلها اتحاد عمال الترام لنقل المندوبين الى منازلهم . وقد كان الجو فى العربات المزدحمة اقل فرحة وارتياح بال ، على ما بدا لى ، مما كان عليه فى الليلة الماضية . فقد كانت تبدو على الكثيرين جدا امائر القلق الشديد . ولربما كانوا يسائلون انفسهم : «ها نحن قد اصبحنا سادة البلد . . . فكيف سيتسنى لنا تحقيق ارادتنا ؟ . .» .

وبالقرب من بيتنا اوقفتنا دوريـــة من المواطنين المسلحين وفتشتنا تفتيشا دقيقا . وكان بيـــــان مجلس الدوما قد فعل فعله . . .

وسمعتنا ربة البيت فاسرعت لملاقاتنا بمئزر حريرى وردى .

«لجنة الدار تطالب من جديد بان تقوموا بالمناوبـــة شأنكم شأن الرجال الآخرين !» .

«وما الداعى لهذه المناوبة ؟» .

«ينبغى حماية النسوة والاطفال» .

«وممن ؟» .

«من الاشقياء واللصوص» .

«واذا جاء مفوض من اللجنة العسكرية الثوريـــة وفتش عن الاسلحة ؟» .

«ولكنهم جميعا يسمون انفسهم هكذا . . . ثم ، أليس الامر كله سواء ؟» .

فاكدت لها رسميا ان القنصل قد حظر على جميـــع المواطنين الاميركيين حيازة الاسلحة فى الاحياء التى يعيش فيهـــا المثقفون الروس . . .

الفصل السادس

لجنة الانقاذ

الجمعـــة ، ٩ تشرين الثانى – نوفمبر (٢٧ تشرين الاول – اكتوبر) . . .

«نوفوتشيركاسك ، ٨ تشرين الثانى (٢٦ تشرين الاول) .

ان حكومة دائرة جيش الدون ، نظرا لاعمـــال البلاشفـــة ومحاولاتهم قلب الحكومة الموقتة والاستيلاء على السلطـــــة فى بتروغراد واماكن اخرى ، واعتبارا منها لكون مثل هذا الاستيلاء على السلطة جريمـــة وغير مقبول على الاطلاق ، ستتقدم بالتحالف الوثيق مع حكومات القوات القوزاقية الاخرى الدعم الكامل للحكومة الموقتة الائتلافية القائمة . ونظرا للوضع الاستثنائى ولانقطـــاع الاتصالات مع السلطة المركزية للدولة ، فقد اخذت حكومة دائرة جيش الدون على عاتقها موقتا كامل السلطة التنفيذية للدولة فى منطقة الدون الى ان تعود السلطة للحكومة الموقتة ويعود النظام لروسيا ، وذلك ابتداء من ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) .

رئيس حكومة دائرة الجيش
قائد جيش الدائرة **كاليدين**» .

امر من رئيس الوزراء كيرنسكى ، الصادر فى غاتشينا :

«اعلن انى ، انا رئيس وزراء الحكومة الموقتة والقائد الاعلى لجميع القوات المسلحة للجمهورية الروسية ، قد قدمت اليوم على رأس قوات الجبهة المخلصة للوطن .

آمر جميع وحدات دائرة بتروغراد العسكريـــة التى انضمت جهلا او ضلالا الى عصابة خونة الوطن والثورة ان تعود ، غير متأخرة ولا ساعة واحدة ، وتؤدى واجبها .

يتلى هذا الامر فى جميع السرايا والفصائل والكتائب .

رئيس وزراء الحكومة الموقتة
والقائد الاعلى ا . **كيرنسكى**» .

برقية كيرنسكى الى قائد الجبهة الشمالية :

«مدينة غاتشينا استولت عليها القوات المخلصة للحكومة ، واحتلت بدون سفك دماء .

سرايا من جنود كرونشتادت وفوجى سيمينوفسكى واسماعيلوفسكى ومن البحارة سلمت اسلحتها بدون مقاومة وانضمت الى قوات الحكومة .

آمر جميع الوحدات المهيئة بالزحف سريعا .

تلقت القوات امرا بالتقهقر من اللجنة العسكرية الثورية . . .»

ان مدينة غاتشينا ، الواقعة على بعد ثلاثين كيلومترا تقريبا الى الجنوب الغربى من بتروغراد ، قد سقطت ليلا . فان فصائل الفوجين المذكورين آنفا ، تتجول فى الضواحى بدون قيادة ، فحاصرها القوزاق فعلا فسلمت اسلحتها . ولكن ليس صحيحا انها انضمت الى قوات الحكومة . ففى ذلك الحين بالذات ، كانت جموع كاملة من هؤلاء الجنود ، يستولى عليها الاضطراب والخجل ، موجودة فى سمولنى تحاول تفسير تصرفها . ما كانوا يعرفون ان القوزاق قريبين الى هذا الحد . . . وقد حاولوا الدخول فى مفاوضات مع القوزاق . . .

كانت الفوضى التامة تسيطر بجلاء على الجبهة الثورية . فالحاميات فى جميع المدن الصغرى ، القائمة الى الجنوب من بتروغراد ، قد انشقت نهائيا وبصورة قاطعة الى شطرين ، او بالاصح الى ثلاثة . القيادة العليا كانت الى جانب كيرنسكى لعدم وجود من هو اقوى منه ، ومعظم الجنود مع السوفييتات ، والآخرون جميعا كانوا تحت وطأة الشك والتردد .

وقد تسرعت اللجنة العسكرية الثورية فعينت لقيادة الدفاع عن بتروغراد الضابط النظامى النقيب الطموح مورافيوف * ، وهو نفسه الذى نظم فى الصيف «كتائب الموت» ، والذى سمع ذات مرة يقول للحكومة انها «متهاونة كثيرا مع البلاشفة : فليس ينبغى الا ان يسحقوا سحقا» . لقد كان هو رجلا ذا عقل عسكرى معجبا بالقوة والجرأة ، وربما باخلاص . . .

واذ كنت خارجا الى الشارع صباحا ، رأيت على الجدار من جانبى مدخلنا امرين جديدين صادرين عن اللجنة العسكرية الثورية

* كان مورافييف برتبة مقدم . **المحرر** .

ينصان على ان جميع الدكاكين والمخازن يجب ان تفتح على عادتها ، وان توضع تحت تصرف اللجنة جميع المحلات الخالية .

لقد مضت ست وثلاثون ساعة على عزلة البلاشفة عن سائر اقاليم روسيا والعالم الخارجى . فقد كان شغيلة السكك الحديدية وموظفو البرق يرفضون ارسال برقياتهم ، وموظفو البريد يرفضون استلام البريد منهم . وما كان ثمة غير محطة الاذاعة الحكومية فى تسارسكويه سيلو تبث الى ارجاء العالم الاربعة النشرات والبيانات كل نصف ساعة . وكان مفوضو اللجنة العسكرية الثورية يتسابقون فى القطارات مع مفوضى مجلس الدوما البلدى ماضين الى جميع انحاء البلاد . وطارت الى الجبهة طائرتان تحملان مواد الدعاية والتحريض .

ولكن موجة الانتفاضة كانت تجتاح روسيا بسرعة تفوق سرعة وسائل المواصلات البشرية . فقد اتخذ سوفييت هلسنكى قرارا بالتأييد ؛ وفى كييف ، استولى البلاشفة على الترسانة وعلى دائرة البرق ، ومن هناك اخرجهم مندوبو مؤتمر القوزاق الذى كان منعقدا اذ ذاك فى المدينة ؛ وفى قازان ، اعتقلت اللجنة العسكرية الثورية هيئة اركان الحامية المحلية ومفوض الحكومة الموقتة ؛ وجاء نبأ من كراسنويارسك ، فى سيبيريا ، يقول ان السوفييتات قد استولت على اجهزة الادارة البلدية ؛ وفى موسكو ، حيث كان الوضع قد تعقد نتيجة لاضراب عمال الجلود من جهة وباغلاق عام من جهة اخرى ، اعلن السوفييت بالاكثرية الساحقة التأييد لعمل بلاشفة بتروغراد . . . وكانت اللجنة العسكرية الثورية قد بدأت هنا عملها .

وكان الشىء نفسه يحدث فى كل مكان . الجنود البسطاء وعمال الصناعة يؤيدون السوفييتات تأييدا يكاد يكون شاملا ؛ والضباط واليونكر والبرجوازية الصغيرة ، شأنهم فى ذلك شأن ممثلى البرجوازية – الكاديت والاشتراكيين المعتدلين ، يقفون الى جانب الحكومة الموقتة . وفى جميع المدن كانت تتألف لجان انقاذ الوطن والثورة وتستعد للحرب الاهلية . . .

كانت روسيا الواسعة الارجاء فى حالة تحلّل . وقد بدأت هذه العملية منذ عام ١٩٠٥ . وجاءت ثورة اذار (مارس) فعجلت مسيرها ، اذ انها بعد ان تنبأت فى اول الامر بانبثاق نظام

جديد ، فقد انتهت بتمديد اجل البنية الفارغة للنظام القديم . والآن اطاح البلاشفة بهذه البنية فى ليلة واحدة ، مثلما ينفخ المرء مبددا الدخان . ولم يعد لروسيا القديمة وجود . كان المجتمع غير المتبلور ينصهر ويسيل حمما فى هيولى الخلق البدائى ، ومن بحر اللهب المصطخب كان يعوم صراع طبقى جبار لا رحمة فيه ، ومعه تنبثق براعم التشكلات الجديدة ، وهى ماتزال بعد هشة يتماسك عودها فى بطء واناة .

كانت ست عشرة وزارة ، فى بتروغراد ، مضربة بقيادة وزارتين ، هما الوحيدتان اللتان انشأتهما الحكومة الاشتراكية * المؤتلفة فى آب (اغسطس) — وزارة العمل ووزارة التموين .

فى ذلك الصباح الكالح البارد ، كانت «حفنة البلاشفة» ، على ما يبدو ، فى اشد ما يمكن ان تكون من العزلة فى الدنيا . فمن حولهم كان يصطخب بحر من العداوة[1] . كانت اللجنة العسكرية الثورية ، وقد سدت عليها المنافذ ، تناضل مدافعة بضراوة عن حياتها . «الاقدام ، مزيدا من الاقدام وابدا الاقدام !» * * . وفى الساعة الخامسة صباحا دخل رجال الحرس الاحمر الى مطبعة البلدية ، فصادروا الوف النسخ من النداء الاحتجاجى لمجلس الدوما ، واغلقوا جريدة الدوما الرسمية «نشرة البلدية» . ونزعت عن آلات الطباعة جميع الجرائد البرجوازية ، بما فيها جريدة التسيك السابقة «غولوس سولداتا» («صوت الجندى») التى غيرت هذا الاسم مع ذلك ، فجعلته «سولداتسكى غولوس» ، وصدرت بمئة الف نسخة ، نافثة الغيظ والتحدى :

«الناس الذين انزلوا ضربتهم الغادرة ليلا ، الناس الذين اغلقوا الصحف ، لن يستطيعوا ابقاء البلاد طويلا فى الظلمات . البلاد ستعرف الحقيقة ! ولسوف تقدر قيمتكم ، ايها السادة البلاشفة ! وسنرى هذا جميعا !» .

وبعد الظهر بقليل كنا نسير منحدرين فى شارع نيفسكى .

---

* حكومة المناشفة والاشتراكيين-الثوريين . **المحرر** .

* * الصيحة الشهيرة التى القاها دانتون فى الخطاب الذى القاه فى ٦ ايلول (سبتمبر) ١٧٩٢ فى الجمعية التشريعية الفرنسية حول خطر الحرب والدفاع عن الثورة ضد غزو الائتلاف البروسى النمساوى المعادى للثورة . **المحرر** .

وكان الشارع امام مجلس الدوما غاصا بجموع الناس . وهنا وهناك كان يصادف المرء رجلا من الحرس الاحمر او بحارا يحمل كل منهم بندقية مشرعة الحربة ، ومن حوله يزدحم ما لا يقل عن مئـــة من الرجال والنساء ، مستخدمين ، وطلابا ، واصحـــــاب حوانيت ، وموظفين . وهؤلاء الناس جميعا يهزون قبضاتهم قاذفين باللعنات والتهديدات . وعلى درجات سلم البناية كان يقف كشافون وضباط وهم يوزعون اعدادا من صحيفة «سولداتسكي غولوس» . ووسط الحشد المعادى كان يقف فى اسفل الدرج عامل وعلى ساعده شريطة حمراء وفى يده مسدس ، وهو يرتجف من الغضب والتهييج يطالب بان يسلموه الصحف . . . وقد خطر لذهنى ان التاريخ لم يشهد قط مثيلا لهذا . من جهة قبضة من العمال المسلحين والجنـــود تتمثل فيهم الانتفاضة المظفرة وهم على غاية من التعاســـة ؛ ومن الجهة الاخرى جمهور هائج مؤلف من اضرابهـــم من الناس الذين يملأون الجادة الخامسة * عند الظهيرة ، جمهـــور يسخر ويلعن ويصيح : «خونة ! استفزازيون ! اوبريشنيكيون !» ** .

كانت الابواب تحت حراسة الطلاب والضباط ، على اكمامهم شرائط بيض كتب عليها بالاحمر : «ميليشيا لجنة السلامـــــة العامة» . وكان ثمة ستة كشافين يمشون جيئة وذهابا . والبناية ما تزال تعج بالناس فى قسمها العلوى . وكان النقيب غومبرغ ينزل على السلم ، فقال لنا : «يريدون ان يحلوا الدوما ! وعند الرئيس الآن مفوض من البلاشفة . . .» وحين صعدنا الى اعلى رأينا ريازانوف خارجا بسرعة . وكان قد جاء الى هنا ليطلب من الدوما الاعتراف بمجلس مفوضى الشعب ، فاجابه رئيس البلدية بالرفض القاطع .

وقد كان ثمة ، فى جميع مكاتب الدوما جمهور غفير يصرخ ويضج ويلوح بالايدى ، وكان هذا الجمهور يتألف من موظفين ومثقفين وصحافيين ، ومراسلين اجانب ، وضبـــاط فرنسيين وانكليز . . . وقد قال مهندس البلدية مشيرا اليهم بانتصار : «جميع السفارات تعترف بالدوما بوصفه السلطـــة الوحيدة ذات

* شارع فى [illegible] . المحرر [illegible]

** [illegible] المحرر . [illegible]

الصلاحية . اما اولئك البلاشفة فما هم الا اشقياء ونهابون ، وما نهايتهم الا مسألة بضع ساعات ! ان روسيا كلها تناصرنا . . .» .

وفي قاعة الكسندر كانت تعقد جلسة موسعة للجنة الانقاذ ضخمة من حيث عدد الحاضرين فيها . وكان يتولى الرئاسة فيليبوفسكي ، واما على المنبر فكان يخطب سكوبيليف ذاته . ووسط ضجيج التصفيق كان يعدد المنظمات التي انضمت من جديد الى لجنة الانقاذ : اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ، التسيك السابقة ، لجنة الجيش المركزية ، «تسينتروفلوت» (اللجنة المركزية للاسطول) ، الكتل المنشفية والاشتراكية-الثورية والجبهوية في مؤتمر السوفييتات ، اللجان المركزية لحزب المناشفة وحزب الاشتراكيين-الثوريين والحزب الاشتراكي الشعبي ، وجماعة «يدينستفو» ، واتحاد الفلاحين ، والتعاونيات ، والزيمستفوات وهيئة الادارة البلدية ، واتحاد البريد والبرق ، والفيكجل ، ومجلس الجمهورية الروسية واتحاد الاتحادات * ، واتحاد التجار والصناعيين . . .

وقد كان يقول : «ان السلطة السوفييتية ليست سلطة ديموقراطية ، بل هي الديكتاتورية ، وما هي بالاضافة الى هذا ديكتاتورية البروليتاريا ، بل ديكتاتورية **ضد** البروليتاريا . فلزام على كل من عاش ويعيش الحماسة الثورية ان يهب معنا الآن للدفاع عن الثورة . . .

ومهمة الساعة ليست فقط تقليم اظافر الديماغوجيين العديمي الشعور بالمسؤولية ، بل هي ايضا النضال ضد الثورة المضادة . . . فاذا صحت الشائعات التي تؤكد ان في الاقاليم جنرالات يريدون استغلال الاحداث الجارية والزحف على بتروغراد لاغراض معادية للثورة ، فما هذا الا برهان اضافي على ان من واجبنا تأليف حكومة ديموقراطية متينة . والا فان الاضطرابات الناجمة من اليسار ستعقبها اضطرابات ناجمة من اليمين . . .

وليس يمكن لحامية بتروغراد ان تظل غير مبالية في الوقت الذي يجري فيه في الشوارع اعتقال المواطنين الذين يشترون جريدة «سولداتسكي غولوس» والصبية باعة الصحف الذين يبيعون «رابوتشايا غازيتا» («صحيفة العمال») .

* انظر «ملاحظات افتتاحية وايضاحات» . ج . ريد .

لقد مضى وقت القرارات . . . فليتنح جانبا من فقد الايمان بالثورة . . . ومن اجل اقامــة سلطة ديموقراطية وحيدة ، لا بد من بعث كرامة الثورة من جديد . . .

فلننقسم ، ايها الرفاق ، على ان الثورة سيتم انقاذها او نموت معها ! . .» .

فهب المجتمعون واقفين وقابلــوا هذا الخطاب بعاصفة من التصفيق ، وعيونهم جميعـــا متوهجة . وما كان يرى فى القاعة بروليتارى واحد .

واخذ فاينشتين الكلام ، فقال :

«ينبغى ان نحافظ على الهدوء ونمتنع عن القيــام باى عمل ما لم يلتف الرأى العام التفافا حاسما حول لجنة الانقــاذ . واذ ذاك فقط سيكون فى وسعنا الانتقال من الدفاع الى الهجوم . . .»

ويعلن ممثل الفيكجل ان المنظمة التى بعثت به تقوم بالمبادرة لتشكيل حكومة جديدة . وقد ذهـــب مندوبوها الى سمولنى لاجراء مباحثات حول هذا الامر . . . وبدأت مناقشــة حامية : هل يسمح للبلاشفة بان يشتركوا فى الحكومة الجديدة ؟ كان مارتوف يعتقد بوجوب السماح لهم . وقد كان يبرهن على ان البلاشفة ، على كل حال ، يمثلون حزبا سياسيا بالغ الاهمية . وانقسمت الآراء : فقد كان الجناح اليمينى من المناشفة والاشتراكيين-الثوريين ، وكذلك الاشتراكيون الشعبيــون ، والتعاونيون ، وممثلو البرجوازيـــة يعترضون على ذلك اعتراضا حاسما . . . وقد قال احد الخطباء :

«لقد خانوا روسيا ! انهم بدأوا الحرب الاهلية وفتحوا الجبهة للالمان ! يجب سحق البلاشفة بدون رحمة . . .» .

وقال سكوبيليف باستبعاد البلاشفة والكاديت على حد سواء .

شرعنا فى حديث مع شاب من الاشتراكيين-الثوريين كان قد انسحب مع البلاشفة من الجمعيــة الديموقراطية . وكان ذلك فى الليلة التى ربط فيهـــا تسيريتيلى وغيـــره من المساومين ، الديموقراطية الروسية بسياسة الائتلاف . سألته :

«انت هنا ؟» .

فاتقدت النار فـــى عينيه ، وقال بانفعال : «اجل ، لقـــد انسحبت مع رفاقى من المؤتمر فى منتصف الليل . فانـــا لم اكن اجازف بحياتى طيلة عشرين عامـــا من اجل ان اخضع الآن لاناس

طغاة جهلة . ان اساليبهم غير محتملة . ولكنهم لم يفكروا بالفلاحين . . . فحين سيهب الفلاحون ستغدو نهايتهم مسألة دقائق !» .

«ولكن هل سيبادر الفلاحون الى العمل ؟ ترى ألا يرضيهم مرسوم الارض ؟ وماذا يريدون ايضا ؟» .

فصاح بحنق : «ايه ، مرسوم الارض ! ولكن هل تعلم انت ما هدف مرسوم الارض هذا ؟ انه مرسومنا **نحن** ، برنامج الاشتراكيين-الثوريين بكامله ! لقد وضع حزبى اسس هذه السياسة بعد ادق دراسة لمطالب الفلاحين ! هذا امر لم يسمع بمثله من قبل . . .» .

«ولكن اذا كانت هذه هى سياستكم الخاصة ، فعلى اى شئ تعترضون ؟ واذا كانت هذه رغبات الفلاحين فعلى اى اساس ستناهضون ؟» .

«لست تفهم ! أليس واضحا فى نظرك ان الفلاحين سيدركون فى الحال ان هذه مجرد خدعة ، وان هؤلاء المغتصبين قد سرقوا برنامجنا الاشتراكى الثورى ؟» .

وسألته : «اصحيح ان كاليدين يزحف الى الشمال ؟» .

فهز رأسه بالايجاب وراح يفرك كفيه بارتياح شديد . «صحيح تماما ! . . وسترى الآن ماذا فعل هؤلاء البلاشفة . لقد اقاموا علينا الثورة المضادة . الثورة قضت نحبها . قضت نحبها الثورة» .

«ولكن اما ستدافعون عن الثورة ؟» .

«طبعا ، سندافع عنها حتى النقطة الاخيرة من دمائنا ! اما التعاون مع البلاشفة فلن نقدم عليه باية حال . . .» .

«ولكن اذا ما اقترب كاليدين من بتروغراد ، وهب البلاشفة للدفاع عن المدينة ، اما ستنضمون اليهم ؟» .

«كلا ، بالتأكيد ! نحن ايضا سندافع عن المدينة ، ولكن ليس مع البلاشفة ! ان كاليدين هو عدو الثورة ، ولكن البلاشفة هم ايضا اعداؤها» .

«ومن تفضلون – كاليدين ام البلاشفة ؟» . فصاح وقد فرغ صبره : «ليست هذه هى المسألة ! انا اقول لك ان الثورة قد قضت نحبها . والذنب في هذا على البلاشفة . وما الداعى لأن نتماحك

فى هذا ؟ ان كيرنسكى قادم . . . وبعد غد سنبادر الى الهجوم . . . وقد ارسلوا الينا من سمولنى مندوبين يقترحون تشكيل حكومة جديدة . ولكنهم الآن فى قبضتنا : انهم فى عجز مطلق . . . فلن نتعاون . . .» .

وانطلق فى الشارع عيار نارى . فهرعنا الى النوافذ . وكان رجل الحرس الاحمر الذى اخرجته شتائم الجمع فى النهاية عن طوره قد اطلق عيارا ناريا فاصاب فتاة بجرح فى يدها . وقد شهدنا كيف اجلسوها فى عربة ، ومن حولها جمهور مهتاج ، ووصل صياحه الى مسامعنا . وفجأة ظهرت مصفحة قادمة من منعطف شارع ميخائيلوفسكى . كانت رشاشتاها تدوران من جهة لاخرى . وسرعان ما لاذ الجمع بالفرار . وكما يحدث عادة فى مثل هذه الحالات فى بتروغراد ، انبطح الناس على الارض ، واختبأوا فى القنوات ووراء اعمدة الهاتف . واقبلت المصفحة على باب مجلس الدوما . واخرج رجل رأسه من برجها وطلب تسليمه اعداد جريدة «سولداتسكى غولوس» فانفجر الكشافون هازئين فى وجهه وانطلقوا هاربين الى المدخل . واستدارت السيارة قرب الدوما مترددة ثم مضت صعدا فى شارع نيفسكى . فى حين نهض عدة مئات من الرجال والنساء الذين كانوا منبطحين على جادة الطريق واخذوا ينفضون الغبار عن ثيابهم . . .

وفى داخل البناية كان الناس يتراكضون باندفاع هائل الى هنا وهناك ، حاملين اكداسا من «سولداتسكى غولوس» («صوت الجندى») باحثين عن مخبأ لها .

وهرع صحفى الى الغرفة ملوحا فى الفضاء بورقة ، وهو يصيح : «بيان من كراسنوف !» . فتكأكأ عليه الجميع . «سلمها للطبع ، الى الطبع بسرعة ، والى الثكنات على الفور !» .

«بامر من القائد الاعلى عينت قائدا للقوات المحتشدة على ابواب بتروغراد .

ايها المواطنون ، ايها الجنود ، يا قوزاق الدون والكوبان وما وراء البايكال واوسورى والآمور البواسل ، انتم يا من بقيتم على الوفاء لقسم الجندية ، انتم يا من اقسمتم على التمسك الثابت الوطيد بيمين القوزاق ، اناشدكم بان تسيروا لانقاذ بتروغراد من الفوضى والعنف والجوع ، وانقاذ روسيا من لطخة العار التي لا تمحي والتي

الصقتها بها حفنة مشوهة من الناس الجهلة تسير بارادة الامبراطور غليوم وباموالة . ان الحكومة الموقتة التى اقسمتم على الاخلاص لها فى ايام آذار (مارس) العظمى لم تقلب قلبا بل اخرجت بالعنف من مقرها وهى تتجمع لدى جيش الجبهة العظيم المخلص لواجبه .

ان مجلس اتحاد القوات القوزاقية قد وحد جميع القوزاق ، وانهم بحافز من الروح القوزاقية ليستندون الى ارادة الشعب الروسى كله ، وقد اقسموا على خدمة الوطن كما خدمه اجدادنا سنة ١٦١٢ فى الايام الرهيبة المضطربة ، حين انقذ اهل الدون موسكو المهددة من قبل السويديين والبولونيين والليتوانيين ، والممزقـــة باعمال الشغب الداخلية . (ان حكومتكم ما تزال قائمة . . . *) .

ان جبهة القتال تنظر الى الاعداء والخونة باحتقار واستنكار يعجز اللسان عن وصفه . وما يقومون به من اعمال نهب وقتل وعنف واسلوبهم الالمانى المحض فى معاملة من غلبوا على امرهم دون ان يستسلموا قد نفّر منهم روسيا باجمعها .

ايها المواطنون ، ايهـــا الجنود ، يا قوزاق حامية بتروغراد الامجاد ، ابعثوا فى الحال بمندوبيكم الىّ لكى يتاح لى ان اعرف من الذى خان الحرية والوطن ومن لم يخنهما ، ولكى لا يسفك الدم البرئ عن غير قصد . . .» .

وفى تلك اللحظة تقريبا راحت تتردد شائعة تقول بان رجال الحرس الاحمر قد طوقوا البناية . ودخل ضابط وعلى كمه شريطة حمراء فطلب مقابلة رئيس البلدية . وما هى الا بضع دقائق حتى قفل راجعا ، وخرج على اثره العجوز شريدر مسرعا من مكتبه . وقد كان يصيح محمر الوجه ممتقعه فى آن واحد :

«جلسة استثنائية لمجلس الدوما ! فى الحال !» .

وتوقفت الجلسة المنعقدة فى القاعة الكبرى : «جميـــع اعضاء الدوما الى الجلسة الاستثنائية !» .

«ما الامر ؟» .

«لست ادرى . . . يريدون اعتقالنا ! . . يريدون ان يحلوا الدوما . . . جميع اعضاء الدوما يعتقلون عند الباب . . .» — تلك كانت التعليقات المضطربة .

لم يكن فى قاعة نيقولا مكان حتى للوقـــوف . واعلن رئيس

* الكلمات داخل القوسين غير منشورة فى الجرائد . **المحرر** .

البلدية ان الابواب جميعا قد وضعت عليها قوات لا تسمح لاحد لا بالدخول الى البناية ولا بالخروج منها ، وان المفوض يهدد باعتقال مجلس الدوما البلدى وحله . فتدفقت خطب حماسية لا من المنبر وحسب ، بل كذلك من بين الجمهور . ان المجلس البلدى المنتخب انتخابا حرا لا يمكن ان يحل من قبل اية سلطـــة ؛ شخص رئيس البلدية واشخاص اعضاء الدوما جميعا متمتعة بالحصانة ؛ لن يعترف ابدا بالغاصبين والاستفزازيين وعملاء الالمان ؛يهددوننا بالحل ، لن يدخلوا هذه القاعة الا على جثثنـــا ، سننتظر هنا بجلال مجئ البرابرة ، كما انتظر اعضـــاء مجلس الشيوخ الرومـــان قدوم الواندال . . .

واتخذ قرار يقضى بان يصار على الفور عن طريق البرق الى ابلاغ مجالس الدوما البلدية والزيمستفوات فى جميع روسيا بمـا يجرى . . . وتقرر ايضا انه لا يمكن لرئيس البلدية ولا لرئيس الدوما الدخول فى اية علاقات مع ممثلى اللجنة العسكرية الثورية وما يسمى بمجلس مفوضى الشعب . وتقرر ايضا وايضا التوجه على الفور بنداء جديد الى اهالى بتروغراد يدعوهم لأن يهبوا للدفاع عن ادارتهم البلدية المنتخبة . وتقرر اخيرا : اعلان جلسة الدومـــا مستمرة بدون انقطاع . . .

وهنا دخل القاعة احد اعضاء الدوما فابلغ المجتمعين انه قد اتصل هاتفيا بسمولنى ، وان اللجنة العسكرية الثورية قد اعلنت انها لم تصدر امرا بتطويق الدوما وان القوات ستسحب . . .

وحين نزلنا السلم كان ريازانوف يدخل الباب الرئيسى بسرعة خاطفة وهو فى اقصى الانفعال . وقد سألته :

«هل تعتزمون حل الدوما ؟» .

فاجاب : «كلا ، يا ربآه ! ثمة سوء تفاهم . . . سبق لى ان ابلغت رئيس البلدية صباحا ان الدوما سيترك وشأنه . . .»

ومع هبوط الظلام كان قد اقبل عن طريق شارع نيفسكى صفان من راكبى الدراجات وبنادقهم على مناكبهم . وتوقفوا ، فاحاط بهم الجمهور وراح يمطرهم بالاسئلة :

«من انتم ؟ ومن اين قادمون ؟» – سألهم شيخ ممتلئ الجسم وسيكاره بين اسنانه .

«من الجيش الثانى عشر ، من الجبهـــة . وقد جئنا نساند السوفييتات ضد البرجوازية اللعينة» .

فانطلقت صيحات شرسة .

«آ – آ ! درك البلاشفة ! قوزاق البلاشفة !» .

ونزل درجات السلم على عجل ضابط قصير القامة يرتدى سترة من الجلد . وقد همس فى اذنى قائلا :

«الحامية فى تردد ! هذه بداية النهايـــة بالنسبة للبلاشفة . اتريدون ان تروا كيف تتغير الحالة النفسية ؟ هيا تعالوا !» ومضى فى شارع ميخائيلوفسكى يكاد يركض ، ونحن من ورائه .

«وأى فوج هذا ؟» .

«فوج المصفحات» . . . كان ذلك امرا خطيرا فعلا . فقـد كان رجال المصفحات يمسكون فى ايديهم مفتاح الوضع : فالجهة التى يؤيدونها تصبح سيدة الموقف . «ذهب للتفاوض معهم مفوضون من لجنة الانقاذ ومـــن الدوما . ولديهم اجتماع عـــام ينبغى ان يقرر . . .» .

«وماذا يقرر ؟ مع اى جانب يحارب ؟»

«اوه ، كلا ! ما هكذا تجرى الامور . انهم لن يحاربوا البلاشفة ابدا . انهم سيقررون فقط البقاء على الحياد ، واذ ذاك يكون العمل لليونكر والقوزاق . . .» .

كان باب ميدان ميخائيلوفسكى الواسع لسباق الخيل مشرعـــا على رحبه . وحاول خفيران ان يوقفانا ، ولكننا تخطيناهما بسرعـة غير مكترثين لصيحاتهما الاستنكاريـــة . كان ميدان السباق مضاءا بنور ضعيف من مصباح وحيد ، معلق تحت سطـــح المبنى الضخم الذى غرقت نوافذه وزخارفه العالية فى الظلام . ومن حوله كانت ترى اشباح داكنة لسيارات مصفحة ، وقد وقفت واحدة منها فـــى مركز المبنى ، تحت المصباح ، يحتشد حولها قرابـــة الفى جندى يرتدون بزات قاتمـــــة ، يكادون يضيعون فى سعة هذا المبنى الضخم . وفوق المصفحة قرابة اثنى عشر رجلا ، ضباطا وممثليـــن للجنة الجنود ، وخطباء . وكان ثمة رجل عسكرى منتصب على برج المصفحة المركزى ، يلقـــى خطابا . كان هذا خانجونوف ، رئيس مؤتمر الوحدات المصفحة لعامة روسيا ، الذى انعقد فـــى الصيف . قامة مرنة انيقة فى سترة من الجلد ، على كتافيتها شارة الملازم .

كان يتكلم مؤيدا الحياد ببلاغة وحجة مقنعة . وقد كان يقول :

«رهيب على الروسى ان يقتل اخوته الروس . فليس ينبغى ان تنشب الحرب الاهلية بين الجنود الذين ناضلوا كتفا لكتف ضد القيصر ، وكتفا لكتف حطموا العدو الخارجى فى معارك ستدخل فى التاريخ ! ما شأننا ، نحن الجنود ، وكل هذا الشجار بين الاحزاب السياسية ؟ لن اقول لكم ان الحكومة الموقتة كانت حكومة ديموقراطية ؛ اننا لا نريد ائتلافا مع البرجوازية ، كلا ، لا نريد . ولكن لا بد لنا من حكومة للديموقراطية الموحدة ، والا كانت القاضية على روسيا ! وفى ظل حكومة كهذه لن يكون ثمة من داع لحرب اهلية ولمجزرة يقتل فيها الاخ اخاه» .

وقد بدا هذا الكلام على درجة كبيرة من الاقناع . ودوّت القاعة الضخمة بالتصفيق وهتافات الاستحسان .

وتسلق برج المصفحة جندى شاحب الوجه منفعل . فصاح قائلا :

«ايها الرفاق ! لقد جئت من جبهة رومانيا لاقول لكم جميعا بالحاح : ينبغى عقد الصلح ! الصلح فورا ! من يعطينا السلام نمشى وراءه ، سواء اكان البلاشفة ام حكومة جديدة . اعطونا السلام ! فنحن على الجبهة لم نعد نستطيع القتال ، ولسنا نستطيع لا مقاتلة الالمان ولا مقاتلة الروس . . .» قال هذا وانحدر نازلا . واخذ جمهور المستمعين الغفير يهمهم . وتحولت هذه الهمهمة الى ما يشبه الغضب حين راح الخطيب التالى ، وهو منشفى دفاعى ، يحاول ان يقول ان الحرب يجب ان تستمر حتى انتصار الحلفاء . وقد صاح احدهم بصوت حاد :

«أنت تتكلم مثل كيرنسكى !» .

وتكلم بعد ذلك مندوب عن الدوما . فنصح الجنود بالبقاء على الحياد . وقد كانوا يستمعون اليه وهم يتهامسون فيما بينهم بشىء من الارتياب ، غير شاعرين بانه من جماعتهم . ولم يتفق لى قط ان شهدت اناسا يجهدون بمثل هذا التشبث لأن يفهموا ويقرروا . فقد كانوا واقفين بدون حراك اطلاقا ، يصغون الى الخطباء ، مقطبين حواجبهم من شدة التفكير ، وجباههم تنضح عرقا . كانوا جبابرة بعيون اطفال بريئة ، ووجوه ابطال الملاحم . . .

وشرع يتكلم الآن بلشفى ، جندى من هذه الوحدة . كان

خطابه حماسيا زاخرا بالحقد . ولم يكن الجمع يصغى اليه بعطف يزيد عن الآخرين . وما كان هذا ليتفق والحالة النفسية لدى هؤلاء الناس . لقد كانوا جميعا فى تلك اللحظة فى شرود عن افكارهم اليومية المألوفة . انهم الآن يفكرون بروسيا ، بالاشتراكية ، بالعالم اجمع ، وكأنما حياة الثورة ومماتها متعلقان بمصفحاتهم .

وفى جو من السكون المتوتر كان الخطباء يتعاقبون الواحد اثر الآخر . وصيحات الاستحسان تتعاقب وصيحات الاستنكار . هل ينبغى العمل ام لا ؟ ومن جديد تكلم خانجونوف المستلطف ذو الحجة القوية . ولكن مهما يتكلم عن السلم ، افليس ضابطا ، افليس دفاعيا ؟ وتكلم عامل من جزيرة فاسيلى . وقوبل بصيحة تقول : «اتراكم **انتم** ، ايها العمال ، ستعطوننا السلام ؟» . وكان يتجمع بالقرب منا بضعة رجال ، معظمهم من الضباط ، وقد نظموا ما يشبه جماعة من المصفقين المأجورين ، وراحوا يحيون بصخب جميع انصار الحياد . وقد كانوا يصيحون : «خانجونوف ! خانجونوف !» ويصفرون لجميع الخطباء البلاشفة .

وفجأة نشب جدال حار بين جماعة اللجنة والضباط ، الواقفين على المصفحة . كانوا يكثرون من الاشارات العنيفة ولا يستطيعون باية حال الوصول الى اتفاق . ولاحظ المجتمعون هذا الجدال . فاخذ الجمع الغفير يهمهم وينفعل ، راغبا فى ان يعرف ما القضية . وانتفض جندى ، كان احد الضباط يحاول الامساك به ، فرفع يده عاليا وصاح :

«ايها الرفاق ! هنا الرفيق كريلنكو ، وهو يريد الكلام !» .

فانطلق انفجار من الصياح والتصفيق والصفير . «ليتكلم ! ليتكلم !» ، «ليسقط !» . ووسط صخب لا يوصف تسلق مفوض الشعب للشؤون الحربية ، المصفحة ، تدفعه وتسنده الايدى من جميع الجهات . وتوقف دقيقة ، ثم سار نحو مقدمتها ، وراح ينقّل طرفه الى هنا وهناك ، مبتسما ، ويداه على خاصرتيه . رجل مربوع القامة ، قصير الساقين ، يرتدى بزة عسكرية ، بدون كتافيات ، حاسر الرأس .

كانت جماعة المصفقين ، الواقفة بالقرب منى ، تطلق صياحا ضاريا : «خانجونوف ! نطلب خانجونوف ! ليسقط هذا ! اسكت ! ليسقط الخائن !» وشرع الجمع كله يغلى ويهمهم . وفجأة بدأت

حركة . وكما تزحف كتلة متهاوية من الثلج ، تحرك نحونا جمع من الجنود الاشداء السود الحواجب . وقـــد كانوا يشقون لانفسهم الطريق ، دافعين الجمهور بمناكبهم . وصاحوا قائلين :

«من يشوش هنا على الاجتماع ؟ مـــن يثير الضجيج هنا ؟» . وعلى الفور تفرق شمل جماعة المصفقين وما عادت الى الالتئام .

وبدأ كريلنكو الكلام قائلا بصوت ابح من الاعياء :

«ايها الرفاق الجنود ! لست استطيع الكلام كما ينبغى ، فارجو معذرتى ، فانا لم انم منذ اربع ليال كاملات . . .

لست بحاجة لأن اقول لكم انى جنـــدى . وما انا بحاجة لأن اقول لكم انى اريد السلام . ولكـــن علىّ ان اقول لكم ان الحزب البلشفى الذى كنتم ، انتم وسائر الرفاق البواسل الذين اطحتـــم بسلطة البرجوازية الدموية الى الابد ، العون لـــه فى تحقيق ثورة العمال والجنود ، قد وعد بعرض الصلح على جميع شعوب العالم . وهذا الوعد قد تـــم اليوم انجازه !» فانفجرت عاصفة مـــن التصفيق . . .

«يحضونكم على الوقوف على الحياد ، الوقوف على الحياد فـــى الوقت الذى يقوم فيه رجال اليونكر وكتائب الموت ، الذين لـــم يقفوا **ابدا** على الحياد ، باطلاق النار علينا فـى الشوارع ويجيئون الى بتروغراد بكيرنسكى او بواحد ما من هذه العصابـــة ذاتها . وكاليدين يزحف من الدون . ويقترب كيرنسكى قادما من الجبهة . وقد حشد كورنيلوف التركمان وهو يريد تكرار المغامرة التى قام بها فى آب (اغسطس) . ان المناشفـــة والاشتراكيين-الثوريين يطلبون منكم الحيلولة دون نشوب حرب اهليـــة . ولكن ما الذى مكنهم هم انفسهم من البقاء فى الحكم ان لم تكن الحرب الاهليـــة ، تلك الحرب الاهلية التى بدأت منذ تموز (يوليو) والتى وقفوا فيها على الدوام الى جانب البرجوازية مثلما يقفون الآن ؟

كيف يمكننى اقناعكم اذا كـــان قراركم قد تم اتخاذه ؟ ان المسألة واضحة تماما . من جهة يقـــف كيرنسكى وكاليديـــن وكورنيلوف والمناشفة والاشتراكيون-الثوريون والكاديت ومجالس الدوما البلدية والضباط . . . وهم يقولون لكم ان مراميهم جـــد طيبة . ومن الجهة الاخرى يقف العمال والجنـود والبحارة والفلاحون الفقراء . انكم اسياد الموقف . وروسيا العظمى لكم . فهل تسلمونها؟» .

كان كريلنكو بالكاد يقف على قدميه من شدة التعب . ولكن ما تنطوى عليه كلماته من عميق الصدق كان يزداد جلاء فى صوته كلما استرسل فى كلامه . وحين انتهى من خطابه ترنح وكان ان يقع . فسندته مئات الايدى وارتج المبنى العالى المعتم من هدير التصفيق والصيحات الحماسية .

وحاول خانجونوف ان يتكلم مرة اخرى ، ولكن المجتمعين ما كانوا يريدون سماع شيء ، وقد راحوا يصيحون : «الى التصويت ! الى التصويت !» . فتنازل اخيرا وتلا مشروع قرار يقضى بان يسحب فوج المصفحات ممثليه من اللجنة العسكرية الثورية ويعلن وقوفه على الحياد فى الحرب الاهلية الناشبة .

وقد اقترح على جميع المؤيدين لمشروع القرار هذا ان يتنحوا الى اليمين ، وعلى جميع المغارضين له ان يتنحوا الى اليسار . فكانت فى اول الامر لحظة تردد وشيء من التربص ، ثم بدأ الجمع يتدفق اسرع فاسرع الى اليسار . فكان المئات من الجنود الاشداء يمشون بضجيج على الارض الوسخة المعتمة يتأثرون بعضهم ببعض . وبقى بالقرب منا ما لا يزيد عن خمسين رجلا . كانوا مصرين على تأييدهم لمشروع القرار ، واما حين دوت هتافات النصر تحت قباب المبنى العالية ، فداروا على اعقابهم وانصرفوا مسرعين من البناية . وتخلى كثيرون منهم عن الثورة ايضا . . .

وليتصور المرء ان الصراع نفسه كان يدور فى كل ثكنة فى جميع المدن ، وجميع المقاطعات ، وفى الجبهة كلها ، وفى روسيا جمعاء ! وليتصور هؤلاء الرجال من امثال كريلنكو ، الذين لا يذوقون طعم الرقاد ، وهم يسهرون على كل فوج ، مسرعين من مكان لآخر ، يحضون ويناقشون ويهددون ! وليتصور بعد ذلك ان هذا بالذات كان يجرى فى مقرات جميع الاتحادات المهنية ، وفى المعامل والمصانع ، وفى القرى ، وعلى السفن الحربية للاساطيل الروسية الضاربة بعيدا عبر البحار ؛ وليفكر بمئات الالوف من الروس يلتهمون الخطباء باعينهم فى جميع ارجاء روسيا الشاسعة ، وبالعمال والفلاحين والجنود والبحارة وهم يجهدون على هذا النحو المضنى لأن يفهموا ويختاروا ، وهم يفكرون بتركيز شديد ، وان يقرروا فى آخر الامر بهذا الاجماع المنقطع النظير . هكذا كانت الثورة الروسية ! . .

اما هناك ، فى سمولنى ، فما كان مجلس مفوضى الشعب الجديد يستسلم للرقاد . فالمرسوم الاول كان قد اصبح قيد الطبع وكان ينبغى ان يوزع بالوف النسخ فى الليلة ذاتها فى جميع شوارع المدينة وان يوصل بالقطارات الى جميع انحاء البلاد ، جنوبا وشرقا :

«باسم حكومة الجمهورية الروسية ، المنتخبة من قبل مؤتمر نواب العمال والجنود لعامة روسيا ، باشتراك نواب الفلاحين ، يرسم مجلس مفوضى الشعب ما يلى :

١ – الانتخابات للجمعية التأسيسية يجب ان تجرى فى الموعد المعين ، الثانى عشر من تشرين الثانى (نوفمبر) .

٢ – على جميع اللجان الانتخابية ، وهيئات الادارة البلدية ، وسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ، ومنظمات الجنود فى الجبهة ، ان تبذل كل الجهود من اجل تأمين الانتخابات الحرة السليمة للجمعية التأسيسية فى الموعد المعين .

رئيس مجلس مفوضى الشعب
فلاديمير اوليانوف – لينين»

كان مبنى الدوما البلدى ما يزال فى اوج الغليان . وحين دخلنا قاعة الجلسات ، كان يتكلم احد اعضاء مجلس الجمهورية ، معلنا ان المجلس لا يعتبر نفسه منحلا على الاطلاق ، وان استمراره بعمله رهن بايجاد مبنى جديد له فحسب . وقد قررت لجنة شيوخه القيادية in corpore * الانضمام الى لجنة الانقاذ . . . وانى لاشير بين قوسين الى ان هذه كانت آخر مرة يذكر فيها التاريخ مجلس الجمهورية الروسية .

وعقب ذلك العرض المألوف للمندوبين : عن الوزارات ، وعن الفيكجل ، واتحاد مستخدمى البريد والبرق . وقد سبق لهم جميعا ان اعلنوا للمرة المئة عن عزمهم الذى لا يتزعزع على الامتناع عن العمل للمغتصبين البلاشفة . وروى احد رجال اليونكر ، المدافعين عن قصر الشتاء ، قصة مضخمة عن بطولته هو نفسه وبطولة رفاقه ، وكذلك عن تصرفات الحرس الاحمر المخزية . وكان

* بكامل اعضائها (باللاتينية) . **المحرر** .

المجتمعون يصدقون من غير جدال كل كلمة يقولها . وتلا احدهم تقريرا لصحيفة الاشتراكيين-الثوريين «نارود» («الشعب») يتكلم باسهاب عن تحطيم قصر الشتاء ونهبه ، ويذكر ان الاضرار التي نزلت به تقدر بـ٥٠٠ مليون روبل .

ومن حين لآخر كان يظهر السعاة يجيئون باخبار وردتهم هاتفيا . البلاشفة اطلقوا سراح اربعة وزراء اشتراكيين . كريلنكو ذهب الى قلعة بطرس وبولس وقال للاميرال فيرديرفسكي بان وزير البحرية هرب ، وانه هو ، كريلنكو ، مكلف من قبل مجلس مفوضي الشعب بان يطلب منه ، في سبيل سلامة روسيا ، بان يتولى ادارة الوزارة تحت اشراف مجلس مفوضي الشعب . ووافق البحار الشيخ . . . كيرنسكي يتقدم الى الشمال من غاتشينا ، والحاميات البلشفية تتقهقر امامه . صدر عن سمولني مرسوم جديد يوسع صلاحيات مجالس الدوما البلدية في ميدان التموين بالمواد الغذائية .

وقد اثار هذا العمل الوقح الاخير عاصفة من الاستنكار . لينين ، هذا المغتصب ، المتعسف ، الذي استولى مفوضوه على مرآب البلدية واقتحموا مستودعاتها وتدخلوا في شؤون لجنة التموين وفي توزيع المواد الغذائية ، يتجاسر على تعيين حدود صلاحيات الادارة البلدية الحرة المستقلة ذات الاستقلال الذاتي ! وتقدم احد اعضاء الدوما ، وهو يهز قبضتيه ، باقتراح يقضي بان يوقف بتاتا توريد المواد الغذائية الى المدينة اذا ما تجرأ البلاشفة على التدخل في شؤون لجنة التموين . . . واعلن عضو آخر ، وهو ممثل للجنة التموين الخاصة ان الحالة الغذائية جد خطيرة وطلب ارسال مفوضين للتعجيل في وصول قطارات التموين .

وبصورة درامية أعلن ديدوننكو ان الحامية مترددة . وقد قرر فوج سيمينوفسكي الخضوع لاوامر حزب الاشتراكيين-الثوريين ؛ وبحارة النسافات ، الموجودة في النيفا ، في وضع نفسي متقلقل . وقد عين على الفور سبعة من اعضاء اللجنة لمتابعة الدعاية . . .

وهنا صعد المنبر رئيس البلدية العجوز :

«ايها الرفاق والمواطنون ! علمت للتو ان جميع المعتقلين في قلعة بطرس وبولس في خطر شديد . الحراس البلاشفة عرّوا

اربعة عشر طالبا من مدرسة بافلوفسكى الحربيـــــة وامعنوا بهم تعذيبا . وقد جن احدهم . والحراس يهددون بسحـــل الوزراء» . فانطلق اعصار من الاستفظاع والاستنكار ازداد شدة وعنفا حيـــن طلبت الكلام امرأة قصيرة ممتلئـــــة رمادية الملبس ، هى فيرا سلوتسكايا ، الثورية القديمة والعضو فى مجلس الدوما عـــــن البلاشفة . وقد قالت بصوتها الحاد الرنان غيـــــر مكترثة بسيل الاهانات :

«هذا كذب واستفزاز ! ان حكومة العمال والفلاحين التى الغت

ИСПОЛНИТЕЛЬНЫЙ КОМИТЕТ
ПЕТРОГРАДСКОГО СОВЕТА
РАБОЧИХЪ и СОЛДАТСКИХ
ДЕПУТАТОВЪ
Военныи Отделъ

28 Октября 191 г
№ 1485

УДОСТОВѢРЕНIЕ.

Настоящее удостовѣренiе дано представите Американской Соцiалъ - демократiи Интернацiоналисту товарищу ДЖОНУ РИДЪ въ томъ, Военно - Революцiонный Комитетъ Петербургскаг Совѣта Рабочихъ и Солдатскихъ Депутатовъ пред — ставиеъ имъ права свободнаго проѣзда по Всѣм Сѣверному Фронту въ цѣляхъ освѣдомленiя нашихъ Американскихъ товарищей интернацiоналистовъ съ событiями въ Россiи.

Предсѣдатель:

Секретарь:

جواز مرور جون ريد لزيارة الجبهة الشمالية .

عقوبة الاعدام لا يمكن ان تسمح بمثل هذه الاعمال . اننا نطالب بالتحقيق فورا فى هذا النبأ ؛ واذا كان فيه ولو قسط ضئيل من الحقيقة ، فان الحكومة ستتخذ اشد التدابير !»

وفى الحال عينت لجنة خاصة مؤلفة من ممثلين عن جميع الاحزاب برئاسة رئيس البلدية ، فذهبت الى قلعة بطرس وبولس . وذهبنا نحن على اثر اللجنة ، وفى ذلك الحين انتخبت لجنة اخرى لمقابلة كيرنسكى لتفادى سفك الدماء لدى دخوله العاصمة . . .

وكانت الساعة قد بلغت منتصف الليل حين مررنا بصعوبة من بوابة قلعة بطرس وبولس خفية عن الخفراء ، ومضينا فى الفناء الواسع المضاء بنور جد ضعيف من المصابيح الكهربائية القليلة . ومررنا بجانب الكنيسة ، حيث تقوم اضرحة الاباطرة الروس تحت البرج الذهبى الرشيق وتحت الساعة الدقاقة التى كانت ما تزال تدق ظهيرة كل يوم «ربنا احفظ القيصر» * . . . كان المكان من حولنا مقفرا ولم تكن اكثرية النوافذ مضاءة . ومن حين لآخر كنا نلتقى بشخص عملاق ، يسير ببطء فى الظلمة ، ويرد على جميع اسئلتنا بالعبارة المألوفة : «يا نى زنايو» («لا اعرف») .

كان يرتسم الى اليسار شبح حصن تروبتسكى القاتم ، مقبرة الاحياء ، حيث مات فى العهد القيصرى الكثير من المناضلين المتفانين من اجل الثورة او فقدوا صوابهم . وفى ايام آذار (مارس) سجنت الحكومة الموقتة هنا الوزراء القيصريين . اما الآن فقد سجن البلاشفة هنا وزراء الحكومة الموقتة .

وبطيبة خاطر ، سار بنا احد البحارة الى مقر القيادة القائم فى منزل صغير قرب دار سك النقود . كان قرابة نصف دزينة من رجال الحرس الاحمر والجنود والبحارة جالسين فى غرفة دافئة عابقة بالدخان حول سماور يغلى مطلقا انغاما مرحة . وقد استقبلونا بكثير من المودة وقدموا لنا الشاى . لم يكن القائد موجودا . فقد كان يرافق لجنة الدوما من المخربين الذين كانوا يؤكدون أن رجال اليونكر قد تم ذبحهم عن بكرة ابيهم . وكان فى هذا ، على ما يبدو ، مدعاة كثير من التسلية للجنود والبحارة . وفى جانب من

---

* كانت ساعة كنيسة بطرس وبولس تدق لحنا آخر . **المحرر** .

الغرفة كان يجلس شخص قصير اصلع يرتدى سترة رسمية سوداء ومعطفا ثمينا من الفراء ، يقضم شاربيه ويحملق بالذين حولـــــه كالجرذ المحاصر . كان معتقلا منذ وقت قريب . ونظر اليه احدهم بغير مبالاة ، وقال انه وزير مـــن الوزراء او ما شاكل ذلك . . . ولم يسمع الرجل ، على ما يبدو ، هذا القول . فقد كان جليا انــه فى هلع ، رغم ان احدا لم يكن يبدى نحوه اية عداوة .

عبرت الغرفة وتحدثت اليه بالفرنسية . وقد اجابنى منحنيـــا بتكلف : «انا الكونت تولستوى . لســـــت استطيع ان افهم لماذا اعتقلونى . كنت اجتاز جسر ترويتسكى بهــدوء عائدا الى البيت ، واذا باثنين من هؤلاء الـ . . . الـ . . . الافراد يوقفوننى . كنـــــت مفوضا للحكومة الموقتة لدى الاركان العامة ، ولكنى لم اكن وزيرا باية حال . . .»

قال احد البحارة : «دعه ينصرف . اى خوف منه ؟ . .»

فاجاب الجندى الذى جاء بالموقوف : «كـــــلا ، يجب سؤال القائد» .

فقال البحار متهانفا : «القائد ؟ ولماذا قمنا بالثورة ؟ لأجــل اطاعة الضباط من جديد ؟» .

قص علينا مرشح فى فوج بافلوفسكى كيف بدأت الانتفاضة : «كان الفوج ليلة السادس من تشرين الثانى – نوفمبر (٢٤ تشرين الاول – اكتوبر) يقوم بنوبته فى الاركان العامة . وكنـــت اتولى الحراسة مع بضعة من الرفاق . وكان ايفان بافلوفيتش ورفيـــق آخر – لا اتذكر اسمه – مختبئين خلف ستائر النوافذ فى الغرفة التى كانت تجتمع فيها هيئة الاركان ، وقد سمعا هناك كثيـرا جدا من الاشياء الخطيرة . سمعا ، مثـــلا ، امرا يقضى بان ينقل الى بتروغراد فى الليلة ذاتها رجال اليونكر مـــن غاتشينا ، وامرا الى القوزاق بان يكونوا قبيل الصبح مستعدين للعمل . . . وكان يجب ان يتم احتلال جميع النقاط الرئيسية فى المدينة قبل الفجر . وبعد هذا كان رجال الاركان يعتزمون فك الجسور . ولكنهم حين بدأوا بالكلام عن تطويق سمولنى ، لم يعد ايفان بافلوفيتش قادرا على ان يتحمل اكثر من ذلك . وفى ذلك الحين كان يدخل الغرفة ويخرج منها كثير جدا من الناس بحيث اتيح له ان ينسل من الغرفـــــة ويمضى الى غرفة المناوبة ، وظل الرفيق الآخر يتسمع .

وكنت ارتاب قبل ذلك بان شيئا ما يبيت . فقد كانت تجىء الى الاركان طول الوقت سيارات تحمل ضباطا ، وكان جميع الوزراء ايضا قد اصبحوا هناك . واخبرنى ايفان بافلوفيتش بكل ما سمع . وكانت الساعة قد بلغت منتصف الثالثة صباحا . . . وكان معنـــا امين سر لجنة الفوج . فروينا له كل شىء وسألناه ما العمل .

فاجابنا قائلا : «ينبغى اعتقال جميـــع الداخلين والخارجين» . وهكذا فعلنا . وما هى الا ساعة حتى كنا قد قبضنا على عدة ضباط ووزيرين وبعثنا بهم رأسا الى سمولنى . ولكن اللجنة العسكريـة الثورية لم تكن بعد على استعداد : فما كانت تدرى ماذا ينبغى ان تعمل ، فجاء من هناك بعد قليل امر يقول بالافراج عن الجميع وعدم اعتقال احد بعد . فهرعنا الى سمولنى ، قاطعين الدرب كله ركضا . ومضى فى اعتقادى ما لا يقل عن ساعة حتى افهمناهم ان الحرب قد بدأت . وما عدنا الى الاركان الا والساعة قد بلغت الخامسة ، اما خلال هذا الوقت فكان قد تم اخلاء سبيل جميع الموقوفين تقريبا . ولكننا مع ذلك كنا ممسكين ببعض منهم . واما الحامية بكاملهـــا فكانت قد بدأت المسير . . .» .

وبكثير من الاسهاب روى احد رجال الحرس الاحمر من جزيرة فاسيلييفسكى كيف مر يوم الانتفاضة العظيم فى منطقته . وقد كان يقول مبتسما : «لم يكن لدينا ولا رشاش ، وما كان فى وسعنـــا باية حال الحصول عليها مـــــن سمولنى ايضا . وتذكر الرفيق زالكيند ، عضو البلدية المحلية ، ان لديهم فى البلدية رشاشا فى قاعة الجلسات مغتنما من الالمان . فاصطحبت معه رفيقا آخر وذهبنا الى هناك . وهناك كان المناشفـــة والاشتراكيون-الثوريون يعقدون اجتماعا . حسنا ، لا بأس ، فتحنا الباب ومضينـــا مباشرة اليهم ، وقد كانوا يجلسون حول طاولة ، وعددهم يتراوح بيـــن ١٢ و١٥ رجلا ، اما نحن فثلاثة . وما ان رأونا حتى صمتوا جميعـــا وراحوا يحملقون بنا . فاجتزنا نحن الغرفة رأسا وفككنا الرشاش . فحمل الرفيق زالكينـــد قسما على كتفه وحملـــت انا القسم الآخر ، وذهبنا . . . ولم يقل لنا احد كلمة !» .

وسأل احد البحارة : «وهل تعرفون كيف تم الاستيلاء على قصر الشتاء ؟ حوالى الساعة الحادية عشرة رأينا ان رجال اليونكر لـــم يبق منهم ولا واحد من جهة نهر النيفـا . فاقتحمنا اذ ذاك الابواب

وصعدنا الى اعلى على السلالـــم ، فرادى وجماعات صغيرة . وفى فسحة السلم العليا اوقفنا رجال اليونكـــر ونزعوا منا بنادقنا . ولكن رفاقنا كانوا يتدفقون ويتدفقون ، وما لبثنا ان تفوقنا عددا . واذ ذاك انقضضنا على اليونكر ونزعنا منهم البنادق . . .» .

وهنا دخل القائد ، وهـــو صف ضابط شاب مرح معصوب اليد ، تحيط بعينيه حلقتان زرقاوان مـــن السهر . فنظر الى الموقوف الذى راح على الفور يشرح وضعه . فقال له مقاطعا :

«نعم ، نعم ، انت عضو فى اللجنـــة التى رفضت يوم الاربعاء تسليمنا الاركان . على اننا فى غيـــر حاجة اليك ، ايها المواطن . فالمعذرة . . .» وفتح الباب وبحركة من يده اشار الى الكونـــت تولستوى انه مطلـــق السراح . فصدرت عن بعض الموجودين ، وبخاصة رجال الحرس الاحمر ، احتجاجات فاترة ، اما البحار فقـــد اعلن بلهجة المنتصر : «هه ! . . وماذا قلت ؟» .

وتوجه جنديان الى القائد ، فاحتجا باسم حاميـــة القلعـــة ، قائلين : «المعتقلون يتناولون من الاغذية قدر ما يتناول الحراس ، فى حين ان ليس ثمة ما يشبع احدا . فعلى اى اساس نلاطف اعداء الثورة ؟» .

فاجابهما القائد : «نحن ، يا رفاق ، ثوريون لا قطاع طرق» . والتفت الينا . فقلنا له ان ثمة شائعة رائجة فى المدينـــة تزعم ان المعتقلين من اليونكر يتعرضون للتعذيب واما الوزراء ففى خطـــر الموت . افلا يسمح لنا برؤية المعتقلين لكى يكون فى وسعنا فيما بعد ان نعلن للعالم اجمع . . .

فاجاب جندى شاب بغضب : «كلا ! لم يعد فى وسعـــى ازعاج المعتقلين . فقد اضطررت منذ قليل لايقاظهم فظنوا انهم سيذبحون جميعا فى الحال . . . عـــلى ان معظم رجال اليونكر قد اطلـــق سراحهم ، واما الباقون فسيفرج عنهم غدا» . والتفت بحدة .

«وفى هذه الحال ، الا يمكن لنا ان نتحدث مع لجنة الدوما ؟»

فبادر القائد ، وكان فى تلك اللحظة يصب الشاى لنفسه ، الى الموافقة باشارة من رأسه . وقال بغير مبالاة : «انهم ما يزالون هناك ، فى القاعة» .

وفى الواقع ، كانوا واقفين خلف الباب فى ضوء خفيف مـــن

مصباح كاز ، ملتفين حول رئيس البلدية ، يتحدثون بحرارة فـــى امر ما .

فقلت : «ايهـــا السيد رئيس البلدية ، نحـــن مراسلون اميركيون . الا تتفضل بابلاغنا رسميا عن نتائج تحقيقاتكم ؟ . .» .

فالتفت الي بوجهه الزاخر بعميق الوقار . وقال بتـأن : «ليس فى الاخبار جميعا ادنى قسط من الحقيقـــة . ان الوزراء يعاملون احسن معاملة ممكنة ، باستثناء الحوادث التى جرت عند جلبهم الى هنا . اما اليونكر فليس بينهم احد مصاب باخف جرح . . .» .

وفى شارع نيفسكى ، خلال سكون الليل وظلمته ، كانـــت تسير مواكب صامتة لا نهاية لها من الجنود ، زاحفين لمقاتلـــة كيرنسكى . وفى الشوارع الجانبية المظلمة كانـت تجرى سيارات مطفأة المصابيح . وفى شارع فونتانكا ، المبنى رقم ٦ ، المقـــر العام لسوفييت نواب الفلاحين وفى بعض شقق المبنى الضخـــم بشارع نيفسكى ، وفى مدرسة المهندسين ، كان يسير عمل خفى نشيط . وكان مجلس الدوما منارا من اسفله الى اعلاه . . .

اما فى معهد سمولنى فكانت تعمل اللجنة العسكرية الثورية ، ومنها تنطلق الشرارات ، انطلاقهـــا من بطارية مثقلة بالشحنـــة الكهربائية . . .

الفصل السابع

الجبهة الثورية

السبت ، ١٠ تشرين الثانى - نوفمبر (٢٨ تشرين الاول - اكتوبر) . . .

«ايها المواطنون !

تعلن اللجنة العسكرية الثورية انها لن تتغاضى عن اية انتهاكات للنظام الثورى . . . .

فالسرقات واعمال النهب والسطو ومحاولات القيام بالمذابح سيعاقب عليها عقابا شديدا . . .

واقتداء بكومونة باريس ستسحق اللجنة دون رحمة من يقومون باعمال السلب ويخلون بالنظام . . .» .

كانت المدينة فى هدوء : فلا اعمال اخلال بالنظام ، ولا اعمال سلب ، بل ولا حوادث شجار ناجمة عن السكر . وفى الشوارع الساكنة كانت الدوريات المسلحة تجوب ليلا ، اما فى نقاط تلاقى الشوارع فكان يتولى المناوبة جنود ورجال حرس احمر يضحكون ويغنون حول شعلات النار . وفى النهار كانت تحتشد على الارصفة جموع كبيرة متسمعة الى المناقشات الحارة التى لا نهاية لها بين الطلبة والجنود ، وبين التجار والعمال .

وكان المواطنون يستوقفون بعضهم بعضا فى الشوارع .

«هل القوزاق قادمون ؟» .

«كلا . . .» .

«ما الاخبار ؟» .

«لا علم لى بشئ . . . اين كيرنسكى ؟» .

«يقال انه لا يبعد عن بتروغراد الا مسافة ثمانية فراسخ . . . وهل صحيح ان البلاشفة التجأوا الى متن «افرورا» ؟» .

«يقال . . .» .

كانت الجدران جميعها مطلية بالاعلانات ، اما الصحف فكانت قليلة . كشف اسرار ، نداءات ، مراسيم .

وكانت ثمة لوحة ضخمة تحمل بيانا هستيريا صادرا عن اللجنة التنفيذية لسوفييت نواب الفلاحين لعامة روسيا :

«. . . انهم (البلاشفة) يتجاسرون على القول زاعمين انهم يتمتعون بتأييد سوفييتات نواب الفلاحين . ويتكلمون باسم سوفييتات نواب الفلاحين دون ان تكون لهم اية صلاحية لذلك . الا فلتعلم روسيا الكادحة جمعاء ان هذا كذب وان جميع الفلاحين الكادحين – بلسان اللجنة التنفيذية لسوفييت نواب الفلاحين لعامة روسيا – يأبون باستنكار اى اشتراك الفلاحين المنظمين فى هذا الانتهاك الاجرامى لارادة الكادحين جميعا» .

وثمة بيان من الفرع العسكرى لحزب الاشتراكيين-الثوريين يقول :

«. . . . ان محاولة البلاشفة الخرقاء على وشك الانهيار . ففى صفوف الحامية انشقاق وتخاذل . والوزارات معطلة . والخبز يوشك ان ينفد . وقد انسحبت من المؤتمر جميع الكتل ، باستثناء حفنة الماكسيماليين . فحزب البلاشفة فى عزلة .

نهيب بكم . . . ان تلتفوا حول لجنة انقاذ الوطن والثورة . . . وان تكونوا على استعداد للمبادرة فى اللحظة الضرورية الى المقاومة النشيطة تلبية لنداء اللجنة المركزية . . .» .

ويعدد مجلس الجمهورية الاساءات التى نزلت به فى البيان التالى :

«. . . ان المجلس الموقت للجمهورية الروسية قد اضطر فى الخامس والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) ، رضوخا منه لقوة الحراب ، لأن يحل نفسه ويوقف عمله موقتا .

ان مغتصبى السلطة ، وهم يتشدقون بكلمات «الحرية والاشتراكية» يمارسون العنف والاستبداد . فقد اوقفوا وسجنوا فى السرداب القيصرى اعضاء الحكومة الموقتة ومن جملتهم الوزراء الاشتراكيون . وقد عطلوا الصحف واستولوا على المطابع . . .

مثل هذه السلطة يجب ان تعتبر عدوة للشعب والثورة فلا بد من النضال ضدها ، لا بد من الاطاحة بها . . .

وبانتظار استئناف اعماله ، يدعو المجلس الموقت للجمهورية مواطنى الجمهورية الروسية للتراص حول اللجان المحلية لانقاذ الوطن والثورة ، العاملة على اسقاط سلطة البلاشفة واقامة حكومة كفوء لتولى قيادة البلد المعذب حتى قيام الجمعية التأسيسية» .

وكانت صحيفة «ديلو نارودا» («قضية الشعب») تقول :

«. .. الثورة هي انتفاضة **الشعب كله** . . . فمنذا الذى اعترف بـ«الثورة الثانيــــة» ، ثورة السادة لينين وتروتسكى ومــن على شاكلتهما ؟ فئات صغيرة من العمال والجنود والبحارة المخدوعين من قبلهم ، **ولا احد سواهم** . . .» .

اما «نارودنويــه سلوفو» («كلمــة الشعب») (لسان حال الاشتراكيين الشعبيين) فكانت تقول :

«حكومة عمال وفلاحين ؟ هراء ! هذه «الحكومة» لا يعترف بها احد لا فى روسيــا ، ولا فى البلدان الحليفــة ، حتى ولا فى البلدان المعادية ! . .» .

واحتجبت الصحافة البرجوازية كليا الى حين . . .

ونشرت «البرافدا» تقريرا عن الجلسة الاولى للتسيك الجديدة ، برلمان الجمهورية الروسية السوفييتية . وفى هذه الجلسة اشار مفوض الشعب للزراعة ميليوتين الى ان اللجنة التنفيذية للفلاحين قد دعت لعقد مؤتمر الفلاحين لعامة روسيــا فى كانــون الاول (ديسمبر) . وقال :

«ولكننا لا نستطيع الانتظار . فنحن فى حاجة لمساندة الفلاحين . وانى لاقترح ان نجمع مؤتمر الفلاحين وعلى الفور . . .» ووافــق الاشتراكيون-الثوريون اليساريون على هذا الاقتراح . وسرعان ما صيغ نداء الى الفلاحين وانتخبت لجنة من خمسة اشخاص لتنفيذ المشروع .

وتأجل النظر فى تفاصيل القانون الجديد بشأن توزيع الارض ومسألة رقابة العمال على الانتاج الى حين تقديم تقرير لجنة الخبراء .

وتليت واقرت ثلاثة مراسيم[1] : اولا ، «النظام العام للصحافة» ، المقترح من قبل لينين ، ويقضى باغلاق جميع الصحف الداعية الى مقاومة الحكومة الجديدة او عدم الخضوع لها ، والمحرضة على القيام باعمال اجرامية او المتعمدة تحريف الوقائع ؛ ثانيا : مرسوم بشأن تأجيل دفع اجور المساكن ، وثالثا مرسوم عن تشكيل الميليشيا

العمالية . وصدرت جملة من الاوامر : وكان احدها يخول مجلس الدوما البلدى حق مصادرة البيوت والمحلات الخالية ، وينص الآخر على تفريغ جميع عربات قطارات البضائع ، الموجودة فى المحطات النهائية للسكك الحديدية للتعجيل بذلك فى نقل المواد ذات الضرورة الاولية وتحرير وسائل النقل اللازمة جدا .

وبعد ساعتين وجهت اللجنة التنفيذية لنواب الفلاحين البرقية التالية الى سائر ارجاء روسيا :

«اللجنة البلشفية الكيفية التى تسمى نفسها «المكتب التنظيمى لمؤتمر الفلاحين لعامة روسيا» تبعث ببرقيات الى جميع سوفييتات الفلاحين للمجىء الى المؤتمر فى بتروغراد .

تعلن اللجنة التنفيذية لسوفييت نواب الفلاحين لعامة روسيا انها ما تزال كسابق عهدها ترى ان صرف القوى المحلية فى الوقت الحاضر عن التهيئة لانتخابات الجمعية التأسيسية ، ضار خطر ، اذ انها الآن الوسيلة الوحيدة لانقاذ الفلاحين والبلاد . نؤكد الدعوة لعقد المؤتمر فى ٣٠ تشرين الثانى (نوفمبر)» .

وكان يسود مجلس الدوما نشاط منقطع النظير . ضباط يجيئون ويروحون ، ورئيس البلدية يجتمع مع زعماء لجنة الانقاذ ويقبل احد اعضاء البلدية راكضا يحمل معه نسخة من بيان كيرنسكى . ومثل هذه البيانات كانت تلقى بالمئات من طائرة كانت تطير على ارتفاع منخفض فوق شارع نيفسكى . وقد كانت تهدد جميع المتمردين بالانتقام الرهيب ، وتأمر الجنود بالقاء السلاح والتجمع فورا فى ساحة مارس .

وقد قيل لنا ان رئيس الوزراء قد استولى على تسارسكويه سيلو ولا يبعد غير بضعة اميال عن بتروغراد . وسيدخل المدينة غدا ، بعد بضع ساعات . والقوات السوفييتية ، بعد اتصالات مع القوزاق ، انضمت الى جانب الحكومة الموقتة . وتشيرنوف يدور فى مكان ما بين الطرفين محاولا تنظيم وحدات عسكرية «حيادية» لتكون قوة قادرة على وقف الحرب الاهلية .

وكان يذاع فى مجلس الدوما ان افواج الحامية فى المدينة قد انفضت عن البلاشفة . وقد تم التخلى عن سمولنى . . . وتوقفت كل اجهزة الحكم عن العمل . ورفض مستخدمو بنك الدولة العمل تحت رئاسة مفوضى سمولنى وتسليم المال . والمصارف الخاصة مغلقة

باجمعها . والوزارات مضربة . ولجنة الدوما تقوم بجولة على جميع المحلات التجارية وتجمع الاموال لتدفع اجور المضربين[٢] .

ذهب تروتسكى الى وزارة الخارجية وامر الموظفين بترجمة مرسوم السلام الى اللغات الاجنبية . فما كان من الموظفين الستمئة الا ان قذفوا باستقالاتهم فى وجهه . . .

امر مفوض العمل شليابنيكوف جميع مستخدمى وزارته بالعودة الى مراكزهم خلال ٢٤ ساعة ، مهددا فى حال الرفض بان يفقدوا وظائفهم وحقوقهم التقاعدية . فما رضخ غير الحجّاب . . . وفضلت بعض فروع اللجنة الخاصة للتموين ان توقف اعمالها على الخضوع للبلاشفة . . . ورفض شغيلة الهاتف خدمة المؤسسات السوفييتية رغم الوعود السخية برفع الاجور وتحسين ظروف العمل . . .

وقرر حزب الاشتراكيين-الثوريين طرد جميع اعضائه الباقين فى مؤتمر السوفييتات او المشتركين فى الانتفاضة . . .

اما اخبار المقاطعات فكانت تقول ان مدينة موغيليف قد اعلنت مناهضتها للبلاشفة . وفى كييف حل القوزاق السوفييتات واعتقلوا جميع الزعماء العصاة . سوفييت لوغا وحاميتها البالغ عددها ثلاثين الفا اتخذا قرارا بالاخلاص للحكومة الموقتة ، داعيين روسيا كلها للنهج على غرارهما . كاليدين حل جميع السوفييتات والاتحادات المهنية فى حوض الدونتز . وقواته تزحف الى الشمال . . .

واعلن ممثل لشغيلة السكك الحديدية قائلا : «يوم امس بعثنا ببرقية الى جميع ارجاء روسيا تطالب بوقف الحرب فورا بين الاحزاب السياسية وتأليف حكومة ائتلافية اشتراكية . والا فسنعلن الاضراب غدا فى الليل . . . وفى الصباح سيعقد اجتماع لجميع الفروع لبحث هذه المسألة . والبلاشفة ، كما يظهر ، ينشدون الاتفاق . . .» .

فضحك مهندس البلدية الجسيم ذو الخدين المتوردين وقال : «اللهم اذا ظلوا على قيد الحياة حتى هذا !» .

وحين وصلنا الى سمولنى لم نجده غير مهجور وحسب ، بل ووجدناه انشط واوفر عملا مما كان فى اى وقت مضى . كانت جموع العمال والجنود تدخل اليه وتخرج منه ، وفى كل مكان يقف اثنان من الحرس . وهنا التقينا بمخبرى الصحف البرجوازية والاشتراكية «المعتدلة» . وقد صاح مخبر صحيفة «فوليا نارودا» («ارادة الشعب») قائلا : «لقد طردونا ! جاء بونتش-برويفيتش الى مكتب الصحافة

وطلب منا ان ننصرف ! قال اننا جواسيس !» وهنا صاح الجميع بصوت واحد : «اهانة ! قسر ! حرية الصحافة ! . .» .

وكانت فى الفسحة طاولات طويلة تكدست عليها رزم من النداءات والبيانات والاوامر الصادرة عن اللجنة العسكرية الثورية . وكان الجنود والعمال يترنحون وهم ينقلون هذه الرزم ويضعونها على السيارات المنتظرة . وهاكم مطلع احد هذه النداءات :

«الى منصة التشهير !

فى اللحظة الفاجعة التى يعيشها الشعب الروسى الكادح اقدم المناشفة المساومون والاشتراكيون-الثوريون اليمينيون على خيانة الطبقة العاملة . وقد وقفوا الى جانب الكورنيلوفيين ، وكيرنسكى وسافينكوف .

انهم يطبعون اوامر الخائن كيرنسكى ويشيعون الهلع فى المدينة ، ناشرين اسخف الشائعات عن انتصارات هذا المرتد المزعومة . . .

ايها المواطنون ! لا تصدقوا هذه الشائعات الخرقاء عن انتصارات وهمية يحرزها هذا المرتد ! فما من قوة بقادرة على قهر انتفاضة الشعب . ان كيرنسكى وانصاره لفى انتظارهم العقاب العاجل الذى يستحقون . . .

اننا سنسمّرهم على منصة التشهير ، ونجعلهم سخرية لجميع العمال والجنود والبحارة والفلاحين الذين يسعون لتكبيلهم بالاغلال القديمة . ولن يستطيعوا ابدا ان يزيلوا عن وجوههم لطخة احتقار الشعب واستنكاره . . .

فالخزى والعار لخونة الشعب !» .

كانت اللجنة العسكرية الثورية قد انتقلت الى مقر اوسع اتخذته لها فى الغرفة رقم ١٧ فى الطابع العلوى . وقد اقيم على بابها خفراء من رجال الحرس الاحمر . وفى داخل الغرفة فسحة ضيقة معزولة بحاجز ، كانت غاصة باناس حسنى الملبس ، محتفظين بمظهر خارجى جد محترم ، اما فى قرارة نفوسهم فحقد يفور ويغلى . انهم برجوازيون راغبون فى الحصول على رخص للسيارات او اذن بالسفر من المدينة . وكان بينهم كثير من الاجانب . . . كانت اذ ذاك نوبة

عضوى اللجنة بيل شاتوف وبيترس . فتوقفا عن مشاغلهما وقرآ لنا النشرات الاخيرة :

فوج الاحتياط رقم ١٧٩ يعد بالمساندة الاجماعية . خمسة آلاف عامل ميناء فى رصيف بوتيلوف يحيون الحكومة الجديدة . اللجنة المركزية للاتحادات المهنية تحيى بحماسة اللجنة العسكرية الثورية . حامية ريفيل والعمارة البحرية فيها انتخبتا لجنة عسكرية ثورية وسترسلان قوات . بسكوف ومينسك تديرهما لجنتان عسكريتان ثوريتان . تحيات من سوفييتات تساريتسين وروستوف على الدون وبياتيغورسك وسباستوبول . . . الفرقة الفنلندية ولجنتا الجيشين الخامس والثانى عشر المنتخبتان من جديد تضع نفسها تحت تصرف السلطة الجديدة . . .

كانت الاخبار الواردة من موسكو تتسم بالبلبلة . قوات اللجنة العسكرية الثورية تحتل النقاط الستراتيجية الرئيسية ، وانتقلت الى جانب السوفييتات سريتان كانتا تتوليان حراسة الكرملين . الا ان الترسانة كانت ما تزال فى قبضة العقيد ريابتسيف ورجاله من اليونكر . وقد طالبته اللجنة العسكرية الثورية بالسلاح للعمال ، وظل هو يتفاوض معها حتى صباح اليوم . ولكنه بعث فى الصباح بانذار نهائى مفاجئ الى اللجنة يطالب فيه بان تستسلم القوات السوفييتية وبان تحل اللجنة نفسها . وقد بدأ القتال . . .

وفى بتروغراد خضعت الاركان فى الحال لمفوضى سمولنى . ورفضت التسنتروفلوت الاذعان ولكنها احتلت من قبل ديبنكو وسرية من بحارة كرونشتادت . وتألفت تسنتروفلوت جديدة مؤيدة من قبل العمارات البحرية فى البلطيق والبحر الاسود . . .

ولكن هذه الثقة كلها كانت مشوبة بهواجس قاتمة . فقد كان المرء يشعر فى الجو بشئ من القلق . كان قوزاق كيرنسكى قد باتوا على مقربة ؛ وكانت لديهم مدفعية . وقد اكد لى سكرتير لجان المعامل والمصانع سكربنيك ان فيلقا بكامله يزحف مع كيرنسكى ، واضاف قائلا فى الوقت نفسه : «لن يأخذونا احياء ! . .» . كان وجهه شاحبا مهزولا من ليالى السهاد . وتهاتف بتروفسكى قائلا باعياء : «ربما ننام غدا . . . وننام لأمد طويل . . .» وقال لوزوفسكى النحيل ذو اللحية الصهباء : «ما مقادير حظنا من النجاح ؟ نحن لوحدنا . . . جمهور مقابل جنود مدربين !» .

الى الجنوب والجنوب الغربى من بتروغراد ، كان السوفييتيون يهربون من كيرنسكى ، اما حاميات غاتشينـــا وبافلوفســـك وتسارسكويه سيلو فقد انشقت على نفسها : النصف كان يريد البقاء على الحياد ، واما الباقون فقد انسحبوا الى العاصمة ، بدون ضباط ، اشتاتا تسودها الفوضى .

وكانت قد علقت فى القاعات النشرة التالية :

«من كراسنويه سيلو . ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) * ، الساعة السادسة صباحا .

لابلاغ رئيس الاركان العامة لدى القائد العام ، والقائد الاعلى للجبهة الشمالية ورئيس المواصلات العسكرية للجبهة الشمالية ، والى الجميع ، الى الجميع ، الى الجميع .

حاول الوزير السابق كيرنسكى ان يدخل فى الاذهان ، عن طريق برقية كاذبة موجهة الى كل مكان والى الجميع ، ان قوات بتروغراد الثورية قد القت السلاح من تلقاء نفسها وانضمت الى قوات الحكومة السابقة ، حكومة الخيانة ، وان اللجنة العسكريـــة الثورية قد اصدرت امرا الى الجنود بالتراجع . ان قوات شعب حر لا تتراجع ولا تستسلم . لقد غادرت قواتنا غاتشينا تحاشيا لسفك الدماء بينها وبين اخوتها المخدوعين القوزاق ولكى تحتل خارج المدينة موقعا اكثر ملاءمة هو الآن من المناعة بحيث لا مجال للقلق حتى اذا ضوعفت قوات كيرنسكى وجماعته الاقربين عشرة اضعاف . الحالة النفسية لدى قواتنـــا ممتازة . وكل شئ فى بتروغراد هادئ .

قائد الدفاع عن بتروغراد ومنطقتها

العقيد مورافييف»

وحين كنا خارجين من مقر اللجنة العسكرية الثورية دخل الغرفة انطونوف وهو فى صفرة الموت ، وفى يده ورقة . وقد قال :

«ابعثوا بهذه !»

---

* ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) حسب التقويم الجديد . **المحرر .**

«الى جميع سوفييتات مندوبى العمال
فى المنطقة ، الى لجان المعامل والمصانع

امر

ان عصابات كيرنسكى الكورنيلوفية تهدد تخوم العاصمة . وقد اعطيت جميع الاوامر اللازمة لسحق هذه المحاولة المعادية للثورة الموجهة ضد الشعب ومكتسباته سحقا لا يعرف الرحمة .

ان الجيش والحرس الاحمر الثورى بحاجة لدعم فورى من العمال .

نأمر سوفييتات الاحياء ولجان المعامل والمصانع :

١ - بارسال اكبر عدد من العمال لحفر الخنادق ، واقامة المتاريس ونصب حواجز الاسلاك الشائكة .

٢ - وقف العمل فورا لهذا الغرض فى المعامل والمصانع ، عند الاقتضاء .

٣ - جمع كل ما هو متوفر من الاسلاك الشائكة والعادية وكذلك جميع الادوات اللازمة لحفر الخنادق واقامة المتاريس .

٤ - حيازة كل ما هو متوفر من الاسلحة .

٥ - التقيد بالانضباط الشديد والوقوف على قدم الاستعداد لمساندة جيش الثورة بجميع الوسائل .

رئيس سوفييت نواب العمال والجنود فى بتروغراد
مفوض الشعب **ليف تروتسكى**
رئيس اللجنة العسكرية الثورية القائد الاعلى
للمنطقة **نيقولاى بودفويسكى»**

وحين خرجنا من سمولنى الى النهار المظلم القاتم ، كانت اصوات صفارات المعامل تزعق فى الآفاق الرمادية حولنا زعيقا حادا ، عصبى النبرة ، زاخرا بالقلق . وكان الشعب العامل - رجالا ونساء - ينزل الى الشارع بعشرات الالوف . والضواحى الهدارة تقذف بجموعها المدفعة . بتروغراد الحمراء فى خطر ! الرجال والنساء والاحداث ينتشرون فى الشوارع الموحلة حاملين البنادق والامخال والمعازق ولفافات الاسلاك واحزمة الذخيرة فوق ملابس عملهم ، قاصدين الجنوب والجنوب الغربى ، نحو باب موسكو . . . وما سبق

قط للمدينة ان شهدت مثيلا لهذا السيل البشرى الهائل العفوى . فقد كان الناس ينحدرون كالسيل وقد اختلطت معهم مفارز من الجنود ، والمدافع ، وسيارات الشحن ، والعربات . كانت البروليتاريا الثورية ماضية تقدم صدرها للدفاع عن عاصمة جمهورية العمال والفلاحين !

وامام باب سمولنى كانت تقف سيارة يستند على رفرافها رجل نحيل على عينيه المحمرتين نظارتان سميكتان تزيدان من اتساعهما . وقد كان يقول شيئا ما بجهد ، ويداه مدسوستان فى جيبى معطفه المهترئ . وكان ثمة ايضا بحار ملتح طويل القامة ذو عينين فتيتين مشرقتين ، يروح ويجئ مضطربا ، لاعبا فى شرود بمسدس ضخم من الفولاذ الازرق لا يفارقه . وكان هذان انطونوف وديبنكو .

وكان ثمة بضعة جنود يحاولون ربط دراجتين عسكريتين الى جانبى سيارة ، والسائق يحتج بعنف قائلا ان هذا سيخدش دهان السيارة . اكيد انه من البلاشفة والسيارة مصادرة من احد البرجوازيين ؛ واكيد ان هاتين الدراجتين يركبهما المرافقان . ولكن كرامته المهنية قد اهينت . . وظلت الدراجتان فى مكانهما . . .

كان مفوضا الشعب للحربية والبحرية ذاهبين فى جولة تفتيشية على الجبهة الثورية حيثما كانت . «الا يمكن ان نذهب معهما ؟» — «كلا بالتأكيد ! كل ما فى السيارة خمسة مقاعد — للمفوضين والمرافقين والسائق» . ومع ذلك فان احد معارفى الروس ، واسميه تروسيشكا («خويف») ، جلس فى السيارة ببرودة ولم تستطع اية حجة زحزحته من مكانه . . .

ليس لدىّ اى مبرر للشك بما رواه لى تروسيشكا عن هذه الجولة . حين كانوا فى شارع سوفوروف تذكر احدهم الطعام . وكان يمكن للجولة على الجبهة ان تستغرق ثلاثة الى اربعة ايام ، والمنطقة لا تتوفر فيها المواد الغذائية . فاوقفوا السيارة . من يحمل نقودا ؟ ففتش مفوض الحربية جميع جيوبه ، فما ظهر فيها كوبيك واحد . وكذلك تبين ان مفوض البحرية فى افلاس . وما كانت لدى السائق نقود فاشترى تروسيشكا زادا .

وحين انعطفوا الى شارع نيفسكى انفجر احد اطارات السيارة . فسأل انطونوف : «ما العمل ؟» .

فاقترح ديبنكو وهو يلوح بالمسدس : «مصادرة سيارة اخرى !»

فوقف انطونوف وسط الشارع واوقف سيارة مارة وراء مقودها جندى ، واعلن قائلا :
«انا بحاجة لهذه السيارة» .
فاجاب الجندى : «لا اعطيها !» .
«وهل تعرف من انا ؟» ، قال انطونوف هذا وابرز ورقة تبين انه معين قائدا اعلى لجميع جيوش الجمهورية الروسية وان على الجميع وعلى كل واحد الخضوع له بدون اية مناقشة .
فاجاب الجندى بعنف : «لا يهمنى ولو كنت الشيطان ذاته ! هذه السيارة تابعة لفوج الرشاشات الاول ، ونحن ننقل فيها ذخيرة . لن اسلمك هذه السيارة . . .» .
وانحلت الصعوبة بوصول سيارة تكسى عتيقة عليها علم ايطالى (ايام الاضطرابات كان اصحاب السيارات الخاصة يسجلونها فى القنصليات الاجنبية تفاديا للمصادرة) . فاخرج من سيارة التكسى هذه مواطن سمين يرتدى معطفا فخما من الفراء ، وتابعت القيادة العليا طريقها .
ولدى الوصول الى باب نارفا ، بعد مسير قرابة عشرة اميال ، استفسر انطونوف عن مقر قائد قوى الحرس الاحمر . فاوصلوه الى طرف المدينـــة حيث كان عدة مئات من العمال يحفرون الخنادق وينتظرون القوزاق . فسأل انطونوف :
«كيف الحال عندكم ؟» .
فاجاب القائد : «كل شىء على احسن ما يرام ، يا رفيق . القوات فى حالة نفسية ممتازة . . . ثمـــــة امر واحد فقط ، هو انعدام الذخيرة . . .» .
فقال له انطونوف : «فى سمولنى مليارا خزنة . ساسلمكم الآن امرا . . . — واخذ يبحث فى جيبه . — أليست مع احد هنا قطعة ورق ؟» .
لم تكن مع ديبنكو ورقة . وكذلك لم تكن مع المرافق . فقدم تروسيشكا دفتره .
وصاح انطونوف : «اف ! ليس معى قلم رصاص ! من يعطى قلم رصاص ؟ . .» . ولا حاجة للقول ان تروسيشكا كان الوحيد الذى يحمل قلم رصاص . . .
نحن الذين تخلفنا ذهبنا الى محطة تسارسكويه سيلو . وقد

كنا نرى فى شارع نيفسكى رجالا من الحرس الاحمر يمرون ومعهم البنادق . وما كانت الحراب متوفرة لدى الجميع . كان الغسق الشتوى المبكر يطبق على المدينة ، وهم يسيرون مرفوعى الرؤوس يطئون الطين البارد ، اربعة اربعة بصفوف غير سويّة ، وبدون موسيقى ولا طبول . وفوق رؤوسهم يخفق علم احمر مكتوب عليه باحرف ذهبية عوجاء : «السلام ! الارض !» . وكانوا جميعا فى ميعة الصبا . وعلى وجوههم ترتسم تعابير رجال يسيرون بوعى الى الموت . . . وعلى الارصفة جموع تراقبهم بصمت حقود . . .

لم يكن احد فى المحطة يدرى اين كيرنسكى واين تقع الجبهة . على ان القطارات كانت لا تتجاوز تسارسكويه سيلو . . .

كانت عربتنا فى القطار غاصة بالقرويين العائدين الى بيوتهم ، حاملين معهم الرزم والصحف المسائية . وكان الحديث يدور حول ثورة البلاشفة . وفيما عدا ذلك لم يمكن للمرء ان يدرك ان حربا اهلية تشطر روسيا الجبارة الى معسكرين وان القطار يتوجه الى ميدان القتال . واستطعنا ان نرى من خلال النوافذ فى عتمة المساء الهابطة بسرعة ، جموعا من الجنود يتقدمون نحو المدينة فى الدروب الموحلة . ولقد كانوا يتجادلون فيما بينهم ملوحين بالبنادق . وعلى خط جانبى ، كان يقف قطار شحن محشو بالجنود ، مضاء بشعلات النار . وكان هذا كل شىء . وفى الخلف ، فى الافق المستوى ، يتضاءل بريق اضواء المدينة فى سواد الليل . كنا نرى عربة ترام تزحف فى الضاحية البعيدة .

وفى تسارسكويه سيلو ، كان كل شىء فى المحطة هادئا ، ولكن زمرا من الجنود كانت ترى هنا وهناك ، وهم يتهامسون باصوات خافتة ويتطلعون بقلق الى الدرب المقفر باتجاه غاتشينا . وقد سألت بعضهم الى اى جانب يقفون . فقال لى احد الجنود : «اننا لا نعرف بالضبط حقائق الامور . . . اكيد ان كيرنسكى استفزازى ، ولكننا نعتقـــد ان ليس من الحسن ان يطلق الروس النار على الروس» .

كان يتولى المناوبة فى مكتب رئيس المحطة جندى طويل القامة بشوش ملتح على كمه الشريط الاحمر للجنة الفوج . وقد بعثت فى نفسه الكثير من الاحترام اوراقنا الثبوتية المأخوذة من سمولنى .

كان مع السوفييت ، ما فى ذلك شـــــك ، الا انه على شيء من الارتباك .

«كان رجال الحرس الاحمر هنا منذ ساعتين ، الا انهم ذهبوا بعد ذلك . فى الصباح جاء مفوض ، ولكنه عاد الى بتروغراد حين جاء القوزاق» .

«اذن فالقوزاق هنا الآن ؟» .

فهز رأسه باكتئاب . «جرى قتال هنا . جاء القوزاق فى الصباح الباكر . اسروا مئتين الى ثلاثمئة من رجالنا وقتلوا خمسة وعشرين رجلا» .

«واين هم الآن ؟» .

«من المستبعد ان يكونوا ذهبوا بعيدا . لا اعرف بالضبط . فى مكان ما هناك . . .» — قال هذا ملوحا بيده صوب الغرب تلويحا غامضا .

تناولنا طعام الغداء فى مطعم المحطة ، وكان غداؤنا ممتازا ، ارخص واحسن كثيرا مما فى بتروغراد . وكان يجلس الى جوارنا ضابط فرنسي ، عائد لتوه مشيا على قدميه من غاتشينا . وكان يقول ان كل شيء هناك هادىء . والمدينة فى قبضة كيرنسكى . وهتف قائلا : «ايه ، يالهؤلاء الروس ! يالهم نسيج وحدهم ! . . ويالها حرب اهلية ! ليكن كل شيء ، اللهم الا ان يقتتلوا . . .» .

وذهبنا الى المدينة . كان يقف عند مخرج المحطة جنديان يحملان بندقيتين مشرعتى الحربتين ، ومن حولهما قرابة مئة تاجر وموظف وطالب . وكان هذا الحشد كله يقذفهما بالصياح والشتيمة ، وهما يشعران بالحرج والضيق شأن طفلين معاقبين بغير حق .

وكان يتولى قيادة الهجوم شاب طويل القامة بلباس طالب ، على وجهه تعابير متعجرفة . وقد كان يقول بلهجة متحدية :

«اعتقد ان من الواضح لديكما انكما برفعكما السلاح ضد اخوتكما انما تصبحان اداة فى ايدى الاشقياء والخونة» .

فاجاب احد الجنديين بلهجة جدية :

«كلا ، يا أخ ، انت لا تفهم . فالواقع ان فى الدنيا طبقتين : البروليتاريا والبرجوازية . أليس كذلك ؟ ونحن . .» .

فقاطعه الطالب بفظاظة ، قائلا :

«اعرف هذا اللغو السخيف ! فلاحون جهلة من امثالك لا تكل اذانهم من سماع الشعارات ، اما من يقول هذا وما معنى هذا ، فامر لا يخطر فى بالكم . انما انت تردد كالببغاء ! . .» فانطلـــق الجمع يضحك . . . «انا نفسى ماركسى ! وانى لاقول لك ان ليست الاشتراكية ما تحاربون فى سبيله . انما هو مجرد فوضوية ، وليس فيه من فائدة الا للالمان» .

فاجاب الجندى : «بلى ، انا فاهم – وتصببت قطرات من العرق على جبينه . – انت امرؤ متعلـــم ، هذا ظاهر ، اما انا فانسان بسيط . ولكن فى اعتقادى . . .» .

فقاطعه الطالب باحتقار ، قائلا :

«اتعتقد ، حقا ، ان لينين هو الصديق الصدوق للبروليتاريا ؟» .

فاجاب الجندى ، وقد ثقل الامر عليه كثيرا : «اجل اعتقد» .

«حسنا ، يا صاحبى ! ولكن هل تعلم أن لينين قد ارسل به من المانيا فى عربة قطار مختومة بالرصاص ؟ هل تعلم ان لينين يقبض الاموال من الالمان ؟» .

فاجاب الجندى معاندا : «هذا ما لا اعرفه . ولكن يبدو لى ان لينين يقول ما انا راغب فى سماعه . والشعب البسيط كله يتكلم هكذا . فالواقع ان ثمة طبقتين : البرجوازية والبروليتاريا . . .» .

«مغفل ! انا ، يا اخ ، سجنت عامين فى شليسلبورغ فى سبيل الثورة حين كنت انت ما تزال تطلق النار على الثوريين وتنشد «اللهم احفظ القيصر» ! اسمى فاسيلى غيورغييفيتش باتين . اما سمعت عنى قط ؟» .

فاجاب الجندى فى تواضع : «لم اسمع ، المعذرة . . . فانا امرؤ غير متعلم . ينبغى ان تكون بطلا كبيرا . . .» .

فاعلن الطالب قائلا بلهجة الواثق : «بالضبط . وانا احارب البلاشفة لانهم يدمرون روسيا وثورتنا الحرة . فما قولك الآن ؟» .

فراح الجندى يحك قذاله . وقال وقد تجهم وجهه من فرط التفكير : «لست استطيع قول شىء ! فى اعتقادى ان الامر واضح ، غير انى امرؤ غير متعلم ! . . الخلاصة ان الامر اشبه بان يكون هكذا : ثمة طبقتان : البروليتاريا والبرجوازية . . .» .

فصاح الطالب قائـــلا : «عدت من جديـــد الى هذه العبارة السخيفة !» .

وتابع الجندى يقول بعناد : «طبقتان فقط . ومن ليس مع احداهما فهذا يعنى انه مع الاخرى . . .» .

وتحولنا الى اعلى الشارع حيث المصابيح متباعدة تنشر القليل من النور ، ولا يكاد المرء يصادف المارة . وعلى المدينة يخيم صمت منذر ، اشبه ما يكون بالمطهر بين الجنة والجحيم ، والمنطقة حرام سياسيا . وما كان ثمة غير صالونات الحلاقة تسطع فيها الاضواء وتمتلئ بالزبائن ، كما كان ثمة صف انتظار امام الحمام العام : فقد كان ذلك مساء يوم السبت ، الوقت الذى تستحم فيه روسيا كلها وتتعطر . وما كنت اشك البتة فى ان الجنود السوفييت والقوزاق كانوا يلتقون هنا وهناك على سلام .

كانت الشوارع تزداد اقفارا كلما اقتربنا من حديقة القصر الملكى . وقد دلنا كاهن خائف على المكان الذى يقوم فيه المقر العام للسوفييت واختفى مهرولا . وكان يقوم فى جناح من قصر احد الامراء العظام ، مقابل الحديقة . وكانت ابوابه مغلقة والنوافذ معتمة . وكان ثمة جندى يتمشى قريبا ، فنظر الينا نظرة ارتياب عابسة من الاعلى الى الاسفل واعلن قائلا دون ان يسحب يديه من جيبى بنطاله : «السوفييت رحل منذ يومين» — «الى اين ؟» — فشال بكتفيه وقال : «لا اعرف . . .» .

وبعد ان مضينا بعيدا بعض الشىء ، واجهتنا بناية كبيرة تسطع فيها الانوار . وكانت تسمع من داخلها ضربات مطرقة . فوقفنا مترددين ، فاذا بجندى وبحار متشابكى الساعدين يقبلان علينا فى تلك اللحظة فابرزت لهما تصريحى من سمولنى . وسألتهما : «أانتما مع السوفييت ؟» فتبادلا نظرات خائفة ولم يجيبا بشىء وسألت البحار مشيرا الى البناية : «ماذا يجرى هناك ؟» .

«لست ادرى . . .» .

مد الجندى يده بتخوف وفتح الباب قليلا . فبدت من خلف الباب قاعة ضخمة مزدانة بالشفائف وباغصان الشوح ، وفيها صفوف من الكراسى ومسرح فى طريق البناء .

وخرجت الينا امرأة جسيمة بيدها مطرقة ، وفمها ممتلىء بالمسامير . فسألتنا : «ماذا تريدون ؟» .

«هل ستقام حفلة فى المساء ؟» — وجه البحار هذا السؤال متوتر الاعصاب .

فاجبته بخشونة : «مســـاء الاحد ستقام حفلـــة هواة . انصرفوا !» .

حاولنا استدراج الجندى والبحار الى الحديث ، الا انهما كانا يبدوان متخوفين تعيسين ، وسرعان ما طوتهما الظلمة .

فاتجهنا الى القصر الامبراطورى مارين وسط حدائق شاسعـــة معتمة . كانت الاجنحة ذات الروعة الاسطورية والجسور التزيينية تلوح للناظر من خلال ظلمة الليل ، ويسمع الخرير الناعم من مياه النوافير . واذ وصلنا الى قرب كهف اصطناعى استقرت فيه بجعة مضحكة من المعدن تنضح من فمها الماء باستمرار ، شعرنا فجأة اننا مراقبون . رفعنا نظرنا فواجهتنا نظرات الريبة من نصف دزينة من الجنود العمالقـــة المسلحين يتفحصوننـــا من سطح مفروش بالحشيش . فتوجهت نحوهم وسألتهم : «من انتم ؟» .

فاجاب احد الجنود : «خفراء هذا المكان» . وقد كانوا جميعـــا يبدون فى رهق شديد ، ولا شك انهم كذلك ، بعد اسابيع واسابيع من النقاش والبحث طوال الليل والنهار .

«انتم مع كيرنسكى ام مع السوفييت ؟» .

فساد صمت قصير تبادل الجنود خلاله نظرات قلقة . واجاب الجندى : «نحن على الحياد» .

ومررنا تحت قوس قصر يكاترينا الضخم ، ودخلنا فناءه وسألنا اين مقر الاركان هنا . فقال لنا خفير واقف على باب جناح ابيض دائرى من البناية ان القائد موجود فى مكان ما فى الداخل .

وفى قاعة بيضاء انيقة على طراز الجورجى تقسمها مدفأة مزدوجة الى قسمين غير متساويين ، كانت تقف جماعـــة مـــن الضباط ، يتحادثون فيما بينهم بقلق . وقد كانوا جميعا شاحبى الوجوه فى شرود ، وكان جليا انهم لم يناموا الليل . فتقدمنا من احدهم ، وهو شيخ اشيب اللحية مزدان الصدر بالاوسمة ؛ وقد قالوا لنا انه العقيد نفسه . ابرزت له اوراقنا الثبوتية البلشفية .

فبدت عليه الدهشة ، وسأل بكياسة : «وكيف وصلتم الى هنا احياء ؟ الشوارع الآن جد خطرة . الاهواء السياسية متأججـــة فى تسارسكويه سيلو . صباح اليوم جرت معركة ، وغدا صباحـــا سيستأنف القتال من جديد . سيدخل كيرنسكى المدينة حوالى الساعة الثامنة» .

«واين القوزاق ؟» .

«على بعد ميل من هنا ، هاك ، فى هذا الاتجاه» ، قال هذا ملوحا بيده .

«وستدافعون عن المدينة ضدهم ؟» .

«اوه ، كلا ، يا عزيزى – قال هذا وضحك ضحكة مفتعلة – اننا نحافظ على المدينة من اجل كيرنسكى» .

فهبطت قلوبنا ، اذ ان تصاريحنا تؤكد ثوريتنا حتى العظام . وسعل العقيد ، وتابع يقول : «بالمناسبة ، ان التصاريح التى تحملونها تجعل حياتكم فى خطر شديد اذا ما قبض عليكم . ولهذا فاذا كنتم تريدون مشاهدة القتال فسآمر بان يأخذوكم الى غرفة فى فندق الضباط . تعالوا الىّ غدا فى الساعة السابعة صباحا اعطكم تصاريح جديدة» .

فسألناه قائلين : «اذن انتم مع كيرنسكى ؟» .

«ايوه ، ليس تماما **مع** كيرنسكى (كان العقيد ، على ما يظهر ، مترددا) . ان اكثرية جنود حاميتنا من البلاشفة . اليوم ، بعد القتال ، ذهبوا الى بتروغراد واخذوا معهم المدفعية . وفى الوسع القول ان ليس ثمة **جندى واحد مع** كيرنسكى . ولكن الكثيرين منهم لا يريدون القتال بتاتا . اما **الضباط** ، فهم جميعا تقريبا قد انتقلوا الى جانب كيرنسكى او ذهبوا ببساطة . واما نحن . . . اى نعم . . . اما نحن فموقفنا ، كما ترون ، فى منتهى الحراجة . . .»

لم نصدق ان قتالا ما سيجرى هنا . . . وقد تلطف العقيد فبعث بمرافقه لايصالنا الى المحطة . وكان المرافق من اهل الجنوب ، ولد فى بيسارابيا من ابوين فرنسيين مهاجرين . وقد كان يردد القول : «ايه ، لست افكر لا بالخطر ولا بالحرمانات . ولكن كم مضى علىّ من الوقت دون ان ارى امى المسكينة . . . ثلاث سنوات كاملات . . .» .

واذ كان القطار يجرى مسرعا نحو بتروغراد وسط البرد والعتمة ، كنت ابصر من نافذة العربة زمرا من الجنود يتكلمون مكثرين من الحركات بايديهم فى وهج النيران . وفى نقاط تلاقى الطرق كانت تقف اسراب من السيارات المصفحة ، يتصايح سواقوها مطلين رؤوسهم من بروجها .

وطول هذه الليلة القلقة كان يرود السهل البارد جنود ورجال من الحرس الاحمر بدون قواد ، يتلاقون ويختلطون بعضهم ببعض ، واما مفوضو اللجنة العسكرية الثورية فكانوا يتراكضون من جماعة لاخرى ساعين لتنظيم الدفاع . . .

وفى اعلى شارع نيفسكى وادناه ، كانت الجموع المضطربة تتحرك كالامواج . ثمة شيء ما مخيم فى الجو . وكان فى وسع المرء ان يسمع وهو فى محطة وارصو طلقات مدفعية بعيدة . وفى مدارس اليونكر الحربية كان يسود نشاط محموم . واعضاء الدوما ينتقلون من ثكنة الى ثكنة ، يستميلون الجنود ويتوسلون اليهم ويحضونهم ، ويروون لهم الحكايات الرهيبة عن فظائع البلاشفة — عن مجزرة اليونكر واغتصاب النسوة المجندات فى قصر الشتاء ، عن اعدام فتاة امام بناية الدوما ، عن قتل الامير تومانوف . . . اما فى قاعة الكسندر فى مبنى الدوما فكانت تعقد جلسة طارئة للجنة الانقاذ ، والمفوضون يروحون ويجيئون ركضا . . . وكان ثمة جميع الصحفيين المطرودين من سمولنى ، وقد ارتفعت معنوياتهم ، فما صدقوا تقريرنا عن الوضع فى تسارسكويه . لماذا ، ففى علم الجميع ان تسارسكويه فى قبضة كيرنسكى ، وان القوزاق قد باتوا فى بولكوفو . وقد انتخبت لجنة خاصة لاستقباله فى المحطة . وانهم لينتظرونه حوالى الصباح . . .

وفى تكتم شديد اسر الى احدهم ان الهجوم المضاد للثورة سيبدأ فى منتصف الليل . وقد اراني ندائين ؛ احدهما بتوقيع غوتز وبولكوفنيكوف ، وهو يأمر جميع مدارس اليونكر الحربية وجميع الجنود الموجودين فى المستشفيات فى حالة النقاهة والحائزين على وسام القديس جورجيوس ، ان يستعدوا للاعمال الحربية وينتظروا الاوامر من لجنة الانقاذ . وكان الآخر يحمل توقيع لجنة الانقاذ نفسها ، وقد جاء فيه ما يلى :

«الى اهالى بتروغراد !

ايها الرفاق العمال والجنود ، ويا مواطنى بتروغراد الثورية !

ان البلاشفة الداعين الى السلام على الجبهة ، يدعون فى الوقت نفسه الى حرب فى المؤخرة يقتل فيها الاخ اخاه .

فلا تلبوا دعواتهم الاستفزازية !
لا تحفروا الخنادق !
القوا السلاح !
لتسقط الكمائن الخائنة !
عودوا الى ثكناتكم ، ايها الجنود !
الحرب اذا بدأت فى بتروغراد فهى هلاك حقيقى للثورة .
فباسم الحرية والارض والسلام ، التفوا حول لجنة انقاذ الوطن والثورة !» .

وحين غادرنا الدوما التقينا بمفرزة من رجال الحرس الاحمر على وجوههم سيماء من الصرامة والحزم ، يسيرون فى الشارع المعتم المقفر ، مصطحبين معهم اثنى عشر اسيرا ، هم اعضاء الفرع المحلى لمجلس القوات القوزاقية ، وقد اعتقلوا فى مقر هذا المجلس فى اللحظة التى كانوا فيها يحوكون مؤامرة معادية للثورة .

وكان جندى ، برفقة غلام حامل سطلا من الصمغ ، يلصق اعلانات ضخمة بياضها يبهر الابصار :

«بموجب الامر الحالى ، تعلن مدينة بتروغراد وضواحيها فى حالة الطوارئ . جميع الاجتماعات والحشود فى الشوارع وفى الهواء الطلق عموما ممنوعة الى حين صدور امر خاص . . .

رئيس اللجنة العسكرية الثورية
ن . بودفويسكى»

ومضينا الى منازلنا . كان الجو مفعما باصوات مختلطة . ابواق سيارات ، وصيحات ، وطلقات نار بعيدة . . . كانت المدينة ساهرة فى غضب وقلق . . .

وفى الصباح الباكر ، تماما قبل تبديل الخفراء فى مركز الهاتف ، ظهرت سرية من اليونكر متنكرين بملابس فوج سيمينوفسكى . كانوا يعرفون كلمة السر البلشفية فحلوا محل الخفراء دون ان يثيروا الشكوك من حولهم على الاطلاق . وبعد مضى بضع دقائق ظهر انطونوف ، وهو يقوم بجولة تفتيشية . فقبض عليه اليونكر واعتقلوه فى غرفة صغيرة . وحين جاءت نوبة التبديل من الخفراء قوبلت بلعلعة طلقات النار . فقتل بضعة رجال .

وبدأت الثورة المضادة . . .

الفصل الثامن

الثورة المضادة

صباح اليوم التالى ، الاحد فى ١١ تشرين الثانى – نوفمبر (٢٩ تشرين الاول – اكتوبر) دخل القوزاق تسارسكويه سيلو تحت قرع نواقيس جميع الكنائس ، واثناء ذلك كان كيرنسكى نفسه يمتطى صهوة جواد ابيض . ومن رأس هضبة غير مرتفعة كان فى وسعهم رؤية الاسهم الذهبية والقباب المختلفة الالوان ، وشبح العاصمة الاغبر الجسيم المترامى على السهل الكئيب ، ومن خلفه مياه خليج فنلندا المصطبغة بلون الفولاذ .

لم تنشب معركة . ولكن كيرنسكى ارتكب خطيئة مشؤومة . ففى الساعة السابعة صباحا ارسل الى فوج الرماة الثانى فى تسارسكويه سيلو امرا بالقاء السلاح . فاجاب الجنود بانهم سيلتزمون الحياد ولكنهم يأبون القاء السلاح . فاعطاهم كيرنسكى عشر دقائق لتنفيذ الامر . فاثار هذا غيظ الجنود ؛ فقد مضت عليهم ثمانية شهور وهم يتولون ادارة شؤونهم بانفسهم عن طريق لجانهم فى الفوج ، فاذا بالنظام القديم تفوح الآن رائحته . . . وما هى الا بضع دقائق حتى فتحت المدفعية القوزاقية النار على الثكنات فقتلت ثمانية رجال . واذ ذاك لم يبق فى تسارسكويه سيلو ولا جندى «حيادى» . . .

واستيقظت بتروغراد على صوت طلقات نيران البنادق ووقع اقدام المشاة الراعد . وتحت السماء الكالحة كانت تهب ريح باردة ، منبئة بتهطال الثلج . وعند الفجر كانت قوات كبيرة من اليونكر قد احتلت الفندق العسكرى ومركز البرق ، الا انهم طردوا بعد معركة دامية . وكان مركز الهاتف قد طوّق من قبل بحارة متحصنين وراء متاريس اقيمت من البراميل والصناديق وصفائح التنك وسط شارع مورسكايا ، او لاطين خلف منعطف غوروخوفايا وساحة ايساكييفسكايا ، يطلقون النار على اى شىء يتحرك . ومن حين لآخر

كانت سيارة ترفع علم الصليب الاحمر تدخل وتخرج وكان البحارة يسمحون بمرورها . . .
كان البرت ريس وليامس * فى مركز الهاتف . وقد غادره على سيارة تابعة للصليب الاحمر ملأى ظاهريا بالجرحى . وبعد جولة فى المدينة وصلت السيارة عبر ازقة جانبيـــة الى مدرســـة ميخائيلوفسكى الحربية لليونكر ، مقر الاركان العامـــة للثورة المضادة . وكان فى فناء المدرسة ضابط فرنسى يتولى ، على مـــا يظهر ، قيادة كل ما يجرى . . . وعن هذا السبيل كان مركز الهاتف يتزود بالذخائر والاغذية . فقد كانت عشرات من امثـــال هذه السيارات تتظاهر انها تابعة للصليب الاحمر ، ولكنها تتخذ اداة ارتباط وتموين لليونكر . . .
وكانت فى حوزتهم خمس او ست سيارات مصفحة من فرقــة الآليات التى شكلها الانكليز والتى جرى تسريحها فيما بعد . وحين كانت لويزا برايانت ** تسير فى ساحة ايساكييفسكايا ، التقت بواحدة من هذه المصفحات ذاهبة من مقر الاميرالية الى مركـــز الهاتف . وقد توقفت السيارة فى زاوية شارع غوغول امام لويزا برايانت بالضبط . وفتح النار بضعة بحارة كانوا كامنين خلف اكوام من الخشب . فاستدار رشاش المصفحة الى جميع الجهات مطلقا سيلا من النار بدون تمييـــز على اكوام الخشب وعلى الجمهور . وتحت القنطرة ، حيث كانت تقف السيدة برايانت قتل سبعة اشخاص منهم صبيان صغيران . وفجأة انقض البحارة صائحين من خلف تحصيناتهم واندفعوا الى امام . فاحاطوا بالسيارة الجسيمة واخذوا يغرزون حرابهم فى جميع ثغراتها غير مكترثين بالنار المنطلقة . . . وتظاهر سائق المصفحة بانه جريح فتركه البحارة وشأنه ، اما هو فمضى سريعا الى الدوما ليكمل الاساطير عن فظائع البلاشفة . . . وكان فى عداد القتلى ضابط بريطانى . . .
وفيما بعد انبأت الصحف ان ضابطا فرنسيا قبض عليه فى

---

* **البرت ريس وليامس** هو صديق لجون ريد ، سياسى تقدمى وكاتب اميركى بارز ؛ وهو مؤلف بضعة كتب عن نضال شغيلة الاتحاد السوفييتى فى سبيل الاشتراكية . **المحرر** .

** **لويزا برايانت** كاتبة اميركية ، وهى زوجة جون ريد ورفيقته في النضال . **المحرر** .

مصفحة اليونكر وبعث به الى قلعة بطرس وبولس . وسارعت السفارة الفرنسية الى تكذيب هذا النبأ ، الا ان احد اعضاء الدوما اخبرني انه توسط شخصيا لاطلاق سراحه . . . ومهما يكن الموقف الرسمى لسفارات الحلفاء ، فان ضباطا انكليز وفرنسيين كانوا فى هذه الايام يقومون بكثير من النشاط الى حد اسداء النصح فى الجلسات للجنة الانقاذ . . .

وطول النهار ظلت تجرى فى جميع ارجاء المدينة اصطدامات بين اليونكر والحرس الاحمر ومعارك بين المصفحات . . . ومن بعيد ومن قريب كانت تسمع زخات رصاص وطلقات نار متقطعة ولعلعة الرشاشات . وقد كانت الاغلاق الحديديـــة مرخاة على واجهات المخازن ، الا ان الاعمال التجارية كانت تتابع مجراها . حتى دور السينما كانت تعمل وانوارها الخارجية مطفأة ، وهى غاصة بالنظارة . وعربات الترام كانت تجرى على عادتها . والهاتف يشتغل . فاذا طلب المرء مركز الهاتف فقد كان بوسعه ان يسمع بوضوح تبادل اطلاق النار . وكانت هواتف سمولنى معزولة ، الا ان الاتصال الهاتفى كان مستمرا بين الدوما ولجنة الانقاذ وجميع مدارس اليونكر الحربية ومع كيرنسكى فى تسارسكويه سيلو .

وفى الساعة السابعة صباحا جاءت الى مدرسة فلاديمير الحربية لليونكر مفرزة من الجنود والبحارة والحرس الاحمر ، فطلبت من اليونكر القاء السلاح خلال عشرين دقيقة . واجاب اليونكر بالرفض . وبعد ساعة كان اليونكر قد استعدوا فحاولوا الانطلاق ، فصدتهم نيران حامية من منعطف غريبتسكى والجادة الكبرى . وطوقت القوات السوفييتية البناية وشرعت تصليها النيران ، فيها كانت سيارتان مصفحتان تتحركان على طول البناية جيئة وذهابا ، مطلقتين النيران من رشاشاتهما . وطلب رجال اليونكر النجدة هاتفيا ، فاجاب القوزاق بانهم لا يجسرون على القدوم اذ ان امام ثكنتهم مجموعة قوية من البحارة مزودة بمدفعين . وطوقت مدرسة بافل الحربية . وكان معظم اليونكر من مدرسة ميخائيل الحربية يحاربون فى الشوارع . . .

وفى الساعة الحادية عشرة والنصف وصلت ثلاثة مدافع . ومن جديد طلب من رجال اليونكر ان يستسلموا ، فكان جوابهم اطلاق النار ، وقد قتلوا رسولين سوفييتيين وهما سائران تحت العلم الابيض . واذ ذاك بدأ قصف حقيقى بنيران المدفعية . فانفتحت

ثغرات واسعة فى جدران المدرسة . وكان رجال اليونكر يدافعون بضراوة ؛ وكانت امواج رجال الحرس الاحمر الهدارة ، المنطلقة الى الهجوم ، ترتد تحت وطأة النيران المشتدة . . . واصدر كيرنسكى من تسارسكويه سيلو امرا هاتفيا يقضى بعدم الدخول فى اية مفاوضات مع اللجنة العسكرية الثورية . . .

واهاجت الاخفاقات والخسائر بالارواح القوات السوفييتية فصبت على البناية المتداعية اعصارا من الفولاذ والنار . وما كان فى وسع قادتهم بالذات ان يوقفوا القصف الرهيب . فقد حاول مفوض سمولنى ، وكنيتة كيريلوف ، ان يفعل هذا ، فهددوه بالقتل فورا . لقد فار دم رجال الحرس الاحمر .

وفى منتصف الساعة الثالثة رفع رجال اليونكر العلم الابيض : انهم مستعدون للاستسلام اذا ضمنت لهم السلامة . فوعدوا بذلك . ومن جميع النوافذ والابواب والثغرات فى الجدران تدفق الالوف من الجنود ورجال الحرس الاحمر وهم يصيحون ويضجون . وقبل التمكن من وقفهم كان خمسة من اليونكر قد طعنوا بالحراب حتى الموت . واما الباقون ، وهم قرابة مئتين ، فقد ارسلوا تحت الحراسة الى قلعة بطرس وبولس ، على جماعات مؤلفة من بضعة اشخاص ، تجنبا للفت انظار الجمهور . بيد ان الجمهور انقض اثناء الطريق على احدى هذه الجماعات فقتل ثمانية آخرين من اليونكر . . . وقد سقط فى المعركة اكثر من مئة قتيل من الجنود ورجال الحرس الاحمر . . .

وبعد ساعتين وصل نبأ هاتفى الى الدوما يقول ان المنتصرين يزحفون على قصر الهندسة . فبادر الدوما على الفور لارسال اثنى عشر من اعضائه ليوزعوا عليهم النداء الاخير الصادر عن لجنة الانقاذ . فلم تكتب لبعض المبعوثين الرجعة . . . واستسلمت جميع المدارس الحربية الاخرى بدون مقاومة ، واقتيد اليونكر دون ان يصاب احدهم باذى الى قلعة بطرس وبولس والى كرونشتادت . . .

وصمد مركز الهاتف حتى بعد الظهر حين ظهرت مصفحة بلشفية واقتحم البحارة المكان . فراحت شغيلات الهاتف يتراكضن فى البناية خائفات صائحات . واخذ اليونكر ينزعون عنهم جميع العلامات المميزة ، وبادر احدهم ، وقد اعتزم التخفى ، فعرض على وليامس **كل ما يريد** ثمنا لمعطفه . . . وكان اليونكر يصيحون :

«سيذبحوننا ! سيذبحوننا !» ، اذ ان الكثيرين منهم قد سبق لهم فى قصر الشتاء ان وعدوا بعدم رفع السلاح على الشعب . وقد عرض عليهم وليامس وساطته شريطة اطلاق سراح انطونوف . فتم تحقيق هذا على الفور . وخطب انطونوف ووليامس بالبحارة المنتصرين ، المحنقين من كثرة الخسائر بالارواح ، ومن جديد امكن لليونكر الانسحاب بحرية . . . ولكن بعضا منهم ، وقد استبد بهم الفزع ، حاولوا الفرار من على السطح او الاختفاء فى العلّية . فالقى القبض عليهم وقذف بهم الى الشارع .

واقتحم البحارة والعمال الظافرون المرهقون المغمورون بالدم غرفة لوحة التحويل ، فما ان رأوا فى الحال كم هناك من فتيات حسناوات حتى ارتبكوا واخذوا يراوحون فى اماكنهم مترددين . ولم تصب اية فتاة باساءة ولا لحقت بواحدة منهن اهانة . استولى عليهن الفزع فاختبأن فى الزاوية ، وما لبثن بعد ذلك ، اذ شعرن انهن فى مأمن ، ان اطلقن لشراستهن العنان . «اف ، قذرون ، جهلة ! حمقى ! . .» وارتبك البحارة ورجال الحرس الاحمر تماما . وكانت الفتيات يصحن باصوات حادة : «وحوش ! خنازير !» وهن يرتدين معاطفهن وقبعاتهن باستياء . فكم كانت مشاعرهن رومانتيكية حين كن يقدمن الذخيرة ويضعن الضمادات لحماتهن الشبان الشجعان ، اليونكر ، وقد كان الكثيرون منهم من ابناء خيرة العائلات الروسية ، وكانوا يحاربون فى سبيل عودة القيصر المعبود ! اما هؤلاء فكانوا جميعا عمالا وفلاحين – هم «شعب بهيم» . . .

وحاول مفوض اللجنة العسكرية الثورية ، فيشنياك القصير ، ان يقنع الفتيات بالبقاء . وقد كان يفيض تأدبا من الكياسة . وكان يقول لهن : «لقد كنتن موضع معاملة جد سيئة . وكانت شبكة الهاتف فى يد مجلس الدوما البلدى . وكانوا يدفعون لكن ستين روبلا فى الشهر ، ويجبرونكن على العمل عشر ساعات واكثر فى اليوم . . . ومنذ الآن سيتغير كل شيء . فالحكومة ستجعل شبكة الهاتف تابعة لوزارة البريد والبرق . وفى الحال ستزاد رواتبكن الى ١٥٠ روبلا ويخفض يوم العمل . يجب ان يسعدكن الانتماء الى الطبقة العاملة . . .» .

«**اعضاء الطبقة العاملة** ! اتراه يرى ان ثمة ما يجمع بيننا وبين هؤلاء . . . هؤلاء البهائم ؟ نبقى ؟ كلا ولو اعطيتمونا راتبا

قدره الف روبل ! . .» وغادرت الفتيات البناية باحتقار بالغ .
وما بقى غير المستخدمين والمركّبين والعمال . ولكن اجهزة التحويل لا بد ان تشتغل : فقد كان الهاتـف ضروريـــا ضرورة حيوية . . . ولم يكن ثمة غير ست من شغيلات الهاتـف ذوات الخبرة . وقد استدعى المتطوعون . فلبى النداء قرابة مئة مـــن البحارة والجنود والعمال . وراحت الفتيات الست يدرن هنا وهناك يدربن ويساعدن ويوبخن . . . وكان العمل يجرى بصعوبة الا انه كان يجرى ، واخذت الاسلاك تدمدم من جديد . وقد تمت قبـــل كل شيء اقامة الارتباط بين سمولنى والثكنات والمعامل ، ثم قطع الاتصال مع الدوما ومدارس اليونكر الحربية . . . وفى ساعـــة متأخرة من المساء انتشرت الشائعة عن هذا فى جميع ارجـــاء المدينة ، واخذ المئات من ممثلى البرجوازية يصيحون محنقين فى سماعات الهاتف : «حمقى ! ابالسة ! تعتقدون ان هذا سيطول امده ؟ انتظروا ، قريبا سيصل القوزاق !» .
وحل الليل . وكان شارع نيفسكى الذى تزمجر فيه ريح صرصر يكاد يكون مقفرا ، اللهم الا جمهور من الناس كان متجمعا امام كاتدرائية قازان يتابع المناقشة التى لا نهاية لها ؛ بضعة عمال وبعض الجنود ، واما الباقون جميعا فاصحاب حوانيت وكتبة وما شاكلهم .
كان احدهم يصيح قائلا : «لن يستطيع لينين حمل الالمان على عقد الصلح !» .
فيعترض جندى شاب قائلا بحرارة : «ومن المسؤول عن ذلك ؟ صاحبكم كيرنسكى ، البرجوازى اللعين ! قبحا لكيرنسكى ! لا نريده ! نريد لينين ! . .» .
وبالقرب من الدوما كان ضابط على كمه شريطة بيضاء ينزع اعلانات عن الجدران ، مطلقا الشتائم . وقد جاء فى احدى هذه الاعلانات :

«من النواب البلاشفة فى الدوما البلدى
الى اهالى بتروغراد

فى الساعة الزاخرة بالقلق ، اذ كان ينبغى على الدوما البلدى بذل جهوده كلها فى سبيل تهدئة الاهلين وتأمين الخبز والحاجات

الضرورية لهم ، تناسى الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون والكاديت واجبهم ، فحولوا مجلس الدوما البلدى الى جمعية مضادة للثورة ، ساعين لاثارة قسم من الاهلين على القسم الآخر بغية ان ييسروا بذلك انتصار كورنيلوف — كيرنسكى . وبدلا من ان يؤدوا واجباتهم المباشرة ، حوّل الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون والكاديت مجلس الدوما الى ميدان للنضال السياسى ضد سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ، ضد الحكومة الثورية ، حكومة السلم والخبز والحرية .

يا مواطنى بتروغراد ! نحن النواب البلاشفة فى الدوما البلدى ، المنتخبين من قبلكم ، نحيطكم علما بان الاشتراكيين-الثوريين اليمينيين والكاديت قد اندفعوا فى الصراع المضاد للثورة ، ونسوا واجباتهم المباشرة ، وهم يسيرون بالاهلين الى المجاعة ، والى الحرب الاهلية ، والى سفك الدماء . اننا ، نحن المنتخبين من قبل ١٨٣ الفا من السكان ، نرى من واجبنا ابلاغ الناخبين بكل ما يجرى فى الدوما البلدى ، ونعلن اننا نتنصل من اية مسؤولية عما يحدث فى المستقبل من عواقب وخيمة» .

ومن بعيد كانت تسمع طلقات نارية متقطعة ، ولكن المدينة استلقت باردة هادئة كأنما هى منهكة القوى من اثر التشنجات التى هزتها .

وفى قاعة نيقولاييفسكى كانت جلسة الدوما توشك على الانتهاء . حتى الدوما العنيف الشرس بدا على شيء من الذهول . فقد كان المفوضون يتعاقبون فى حمل الانباء : الاستيلاء على مركز الهاتف ، القتال فى الشوارع ، الاستيلاء على مدرسة فلاديمير الحربية . . . وكان تروب يقول : «ان الدوما يقف الى جانب الديموقراطية فى نضالها ضد التعسف والاستبداد ؛ وعلى كل حال ، ومهما يكن الجانب الذى ستكون له الغلبة ، فان الدوما سيكون على الدوام ضد اعمال القتل بدون محاكمة وضد التعذيب . . .»

فاعلن عضو الكاديت كونوفسكى ، وهو شيخ طويل القامة قاسى الوجه ، قائلا : «حين تدخل قوات الحكومة الشرعية بتروغراد سنعدم العصاة رميا بالرصاص ، ولن يكون هذا قتلا بدون محاكمة» . فانطلقت صيحات الاحتجاج من جميع اطراف القاعة ، بما فى ذلك جماعة الكاديت ايضا .

وهنا ساد الشك والكآبة الاجتماع . فقد كانت الثورة المضادة تنحسر . وقد حجبت اللجنة المركزية لحزب الاشتراكيين-الثوريين الثقة عن قوادها . وسيطر الجناح اليسارى على الموقف . وقدم افكسنتييف استقالته . وجاء رسول بنبأ يقول ان اللجنة التى ارسلت الى المحطة للترحيب بكيرنسكى قد اعتقلت . وكان يسمع فى الشوارع دوى اصم صادر عن طلقات مدفعية بعيدة ، تصل من الجنوب والجنوب الشرقى . ولم يكن كيرنسكى قد وصل . . .

لم يصدر فى هذا اليوم غير ثلاث صحف : «البرافدا» («الحقيقة») ، و«ديلو نارودا» («قضية الشعب») و«نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») . وكانت جميعا تفسح مجالا واسعا جدا لموضوع الحكومة الجديدة «الائتلافية» . كانت صحيفة الاشتراكيين-الثوريين تطالب بتشكيل وزارة لا يدخلها لا الكاديت ولا البلاشفة . وكان غوركى مفعما بالآمال ؛ وعن سمولنى كانت تصدر التنازلات . وكانت المراسم تجرى لتشكيل حكومة محض اشتراكية ، ممثلة لجميع العناصر ، خلا البرجوازية . اما «البرافدا» فقد علقت بسخرية :

«ليس هذا بائتلاف مع «احزاب» يتكون قسم هام منها من حفنات صغيرة من الصحافيين الذين ليس لديهم شىء غير العطف البرجوازى والسمعة المشبوهة ، ولم يعد يسير وراءهم لا عمال ولا فلاحون . وائتلافنا هذا الذى عقدناه نحن انما هو ائتلاف حزب البروليتاريا الثورى مع الجيش الثورى والفلاحين الفقراء . . .» .

والصق على الجدران بيان دعى صادر عن الفيكجل يهدد بالاضراب اذا لم يصل الطرفان الى اتفاق :

«لن يخرج منتصرين من جميع هذه الفتن والمشاغبات التى تمزق الوطن لا البلاشفة ولا لجنة الانقاذ ولا قوات كيرنسكى ، بل نحن ، اتحاد شغيلة السكك الحديدية ، الذين سننتصر» .

«ان رجال الحرس الاحمر لن يتمكنوا من القيام بعمل معقد كادارة الخطوط الحديدية ؛ اما الحكومة الموقتة فقد اظهرت العجز التام عن الاحتفاظ بالسلطة . . .» .

«اننا نرفض العمل مع اى حزب غير مخول الصلاحية . . . من قبل حكومة تستند الى ثقة الديموقراطية جمعاء . . .» .

كان سمولنى بأسره يهتز بفعل نشاط لا حد له من القوى البشرية التى لا تنضب .

وفى المقر الرئيسى للاتحادات المهنية عرّفنى لوزوفسكى بمندوب عمال سكة حديد نيقولايفسكايا ، وقد قال ان اجتماعات حاشدة قد عقدت عندهم وجرى فيها التنديد بزعمائهم . وقد صاح ، ضاربا بقبضته على الطاولة :

«كل السلطة للسوفييتات ! الدفاعيون فى اللجنة المركزية يتصرفون لصالح كورنيلوف . حاولوا ارسال وفد الى اركان الحرب ، ولكننا اعتقلناه فى مينسك . . . طلب فرعنا مؤتمرا لعامة روسيا ، ولكنهم يرفضون الدعوة لانعقاده . . .» .

وهنا ايضا كانت الحال على ما هى عليه فى السوفييتات ولجان الجيش . كانت شتى المنظمات الديموقراطية فى روسيا جمعاء تعانى ، الواحدة اثر الاخرى ، التصدع والتغيير . فالتعاونيات كان يتأكلها الصراع الداخلى ؛ واجتماعات اللجنة التنفيذية لنواب الفلاحين كانت تجرى فى جو من المناقشات الضارية ؛ وبدأت الاضطرابات حتى بين القوزاق . . .

اما فى الطابق العلوى من سمولنى فكانت اللجنة العسكرية الثورية تعمل بملء طاقتها ، دون ان يعتريها الوهن ، منزلة الضربات . كان الناس يأتون الى هنا منتعشين ممتلئين بالقوى ، فيدورون ليل نهار داخل هذه الآلة الرهيبة ويخرجون من هذا المكان خائرى القوى وقد اصابهم الارهاق . . . وقد بحت اصواتهم واتسخوا ، فيترامون هناك على الارض ويغفون . . . واعلنت لجنة الانقاذ خارجة على القانون . وكانت تغطى الارض حزم وربطات من البيانات الجديدة [1] :

«. . . لقد كان المتآمرون ، المحرومون من اى سند يدعمهم لا لدى الحامية ولا لدى الاهلين العمال ، يبنون آمالهم على الضربة المفاجئة فقط . ولكن خطتهم قد كشفت فى الوقت اللازم من قبل مفوض قلعة بطرس وبولس الملازم بلاغونرافوف بفضل اليقظة الثورية لدى رجل من الحرس الاحمر ، سوف يعلن عن اسمه بعد اثباته . وكانت اللجنة المسماة بـ«لجنة الانقاذ» تقف فى الصميم من المؤامرة . وقد اوكلت قيادة القوات الى العقيد بولكوفنيكوف . وكانت اوامره موقعة من قبل غوتز ، العضو السابق فى التسيك ، الذى اطلق سراحه بناء على كلمة شرف . . .

ان اللجنة العسكرية الثورية ، اذ تحيط اهالى بتروغراد علما بهذا ، تأمر بما يلى :

اعتقال الاشخاص المشتركين فى المؤامرة واحالتهم الى المحكمة العسكرية الثورية» .

وجاء نبأ من موسكو ان اليونكر والقوزاق قد طوقوا الكرملين وطلبوا من القوات السوفييتيـــة القاء السلاح . ونفذت القوات السوفييتية الطلب ، ولكنها حين غادرت الكرملين هوجمت واطلقت عليها النار . . . وطردت المفارز البلشفية الضعيفة من مركـــز الهاتف ومن دائرة البرق . ومركز المدينة فى قبضة اليونكر . . . ولكن قوات سوفييتية جديدة اخذت تتجمع من حولهـــم . معارك الشوارع تحتدم شيئا فشيئا . واخفقت محاولات الاتفاق . . . الى جانب السوفييتات عشرة آلاف جندى من الحامية وقليل من رجال الحرس الاحمر . والى جانب الحكومة ستة آلاف من اليونكر والفان وخمسمئة من القوزاق والفان من رجال الحرس الابيض .

كانت جلسة سوفييت بتروغراد منعقدة ، وفى الغرفة المجاورة كانت تعمل التسيك الجديدة ، تدرس المراسيم والاوامر الواردة اليها بدون انقطاع من مجلس مفوضى الشعب[2] ، المجتمع فى الطابق الاعلى . وقد كان يدرس هنا : نظام تصديق القوانين واعلانهـــا ، قانون بجعل يوم العمل ثمانى ساعات ، و«اسس نظام التعليـــم الشعبى» المقترحة من قبل لوناتشارسكى . ولم يكن يحضر الجلستين كليهما غير بضع مئات من الاشخاص ، معظمهم مسلحون . وكان سمولنى يكاد يكون مقفرا . عدا الخفراء المشغولين بتثبيت الرشاشات على النوافذ لكى تكون البنايتان الجانبيتان فى متناول رمايتها .

وكان مندوب عن الفيكجل يتكلم فى التسيك ، قائلا :

«اننا نرفض نقل قوات هذا الجانب او ذاك على حد سواء . وقد ارسلنا وفدا الى كيرنسكى ليبلغه اننا سنقطع جميـــع خطوط مواصلاته اذا كان سيواصل زحفه على بتروغراد . . .»

وبعد ذلك اقترح حسب المألوف الدعوة الى عقد مؤتمر لجميع الاحزاب الاشتراكية من اجل تأليف حكومة جديدة . . .

فاجاب كامينيف بكثير من الاحتراس . ان البلاشفة ليسرهـــم جدا حضور مثل هذا المؤتمر . بيد ان مركز ثقل المسألة يكمـــن لا فى تركيب الحكومة ، بل فى واقع ما اذا كانت ستتبنى يا ترى برنامـــج مؤتمـــر السوفييتات . . . لقد بحثت التسيك بيـــان الاشتراكيين-الثوريين اليساريـــين والاشتراكيـــين-الديموقراطـــيين

الاممين ، واقرت الاقتراح المتعلق بالتمثيل النسبى فى المؤتمر ، حتى بما فيه مندوبون عن لجان الجيش وسوفييتات الفلاحين . . .

وفى القاعة الكبرى ، كان تروتسكى يقدم تقريرا عن احداث اليوم .

«عرضنا على يونكر مدرسة فلاديمير الاستسلام . فقد كنا نريد تجنب سفك الدماء . ولكن الآن واذ تم سفك الدماء فليس ثمة غير طريق واحدة هى طريق النضال الذى لا رحمة فيه . ومن الطفولة الظن بان فى وسعنا الانتصار باية وسائل اخرى . . . لقد حلت اللحظة الحاسمة . فعلى الجميع ان يساعدوا اللجنة العسكرية الثورية ، وان يبلغوها عن جميع المخزونات من الاسلاك الشائكة والبنزين والاسلحة . . . لقد ظفرنا بالسلطة وعلينا الآن ان نحتفظ بها» .

واراد المنشفى يوفّى ان يتلو بيانا باسم حزبه ، الا ان تروتسكى رفض السماح بفتح «نقاش حول المبادئ» . وقد صاح قائلا :

«ان مناقشاتنا تحل الآن فى الشوارع . والخطوة الحاسمة قد تحققت . ونحن جميعا ، وانا شخصيا ، نحمل على كاهلنا المسؤولية عن كل ما يجرى . . .» .

وتكلم جنود قادمون من الجبهة ، من غاتشينا . وقد قال احدهم ، باسم لواء المدفعية الصدامى الواحد والثمانين بعد الاربعمئة : «حين سيطلعون على هذا فى الخنادق سيقولون هناك : هاهى ذى حكومتنا» . وروى احد اليونكر من مدرسة بترغوف الحربية كيف رفض هو واثنان آخران محاربة السوفييتات وكيف انتخبه الرفاق العائدون بعد القتال من قصر الشتاء مفوضا لهم وارسلوه الى سمولنى ليعرض الخدمات على الثورة **الحقيقية** .

وارتقى تروتسكى المنبر من جديد ، ملتهبا لا يكل ، يصدر الاوامر ويرد على الاسئلة .

«ان البرجوازية الصغيرة مستعدة للاتفاق حتى مع الشيطان من اجل تحطيم العمال والجنود والفلاحين» . وقد لوحظ فى اليومين الاخيرين الكثير من حوادث السكر . «لا تشربوا يا رفاق ! فبعد الساعة الثامنة مساء لا يخرج الى الشارع الا من هم خفراء فى الدورية . وينبغى تحرى جميع الاماكن التى يمكن ان توجد فيها مخزونات من

المشروبات الروحية واتلاف جميع المشروبات الكحولية[3] . وليس ينبغى ان تكون ثمة اية رحمة حيال من يبيعون الخمرة[4] . . .»

واستدعت اللجنة العسكرية الثورية مندوبى منطقة فيبورغ ، ثم مندوبى مصنع بوتيلوف . وسرعان ما اجتمعوا . واعلن تروتسكى قائلا :

«سنقتل خمسة من اعداء الثورة مقابل مقتل كل واحد من الثوريين» .

وذهبنا من جديد الى المدينة . كان مجلس الدوما يشع بالانوار ، وتتدفق اليه جموع غفيرة من الناس . وقد كانت تسمع فى الطابق الارضى اصوات وصيحات ألم ؛ والجمهور يتدافع حول نشرة تحمل قوائم رجال اليونكر الذين قتلوا فى المعركة او ، بالاصح ، الذين يزعم انهم قتلوا فى المعركة ، ذلك لأن الكثيرين من هؤلاء الموتى سرعان ما ظهر انهم احياء معافون . . . وفى قاعة الكسندر من الطابق العلوى ، كانت تجتمع لجنة الانقاذ . كانت ترى كتافيات الضباط الذهبية الموشاة بالاحمر ، والوجوه المألوفة لمثقفين من المناشفة والاشتراكيين الثوريين ، واصحاب المصارف والديبلوماسيون بنظراتهم القاسية وملابسهم المتأنقة ؛ ورسميو العهد البائد ونسوة انيقات الملبس . . .

كانت موظفات الهاتف يقدمن شهاداتهن . فكن يظهرن على المنبر الواحدة اثر الاخرى ، فتيات بملابس صارخة الالوان ، مقلدات مظاهر الطبقات العليا ، ولكنهن منكات الوجوه مخرّقات الاحذية . . . وقد كانت وجوههن تحمرّ انشراحا لدى تصفيق جمهور بتروغراد «الناعم» ، المؤلف من ضباط واثرياء ومشاهير رجال السياسة ؛ وكن يتحدثن ، الواحدة اثر الاخرى ، عما كابدن من عذاب على يد البروليتاريا ، ويعلنّ ولاءهن لكل ما هو قديم ، ثابت وقوى . . .

ومن جديد كان الدوما مجتمعا فى قاعة نيقولاييفسكى . وكان رئيس البلدية يروى بلهجة متفائلة ان افواج بتروغراد اخذت تحس بالخجل مما قامت به من اعمال ؛ والدعاية تعطى مفعولها . . . والرسل يجيئون ويروحون على عجل . فقد كانوا يحملون الانباء عن الفظائع واعمال التقتيل البلشفية ، ويحاولون انقاذ رجال اليونكر ، ويقومون بالتحقيقات . . . وكان تروب يقول : «ان البلاشفة ستتم الغلبة عليهم بالقوة المعنوية لا بالحراب . . .» .

وفى هذه الاثناء لم يكن كل شيء على ما يرام فى الجبهة الثورية . فقد جلب العدو قطارات مصفحة مزودة بالمدافع . ولم يكن لدى المفارز السوفييتية ، المؤلفة بصورة رئيسية من رجال الحرس الاحمر غير المدربين ، لا ضباط ولا خطة مرسومة للعمليات . وقد انضم اليهم خمسة آلاف فقط من الجنود النظاميين . اما الوحدات الباقية من الحامية فقد كانت منشغلة إما بالقضاء على عصيان اليونكر واما بالمحافظة على النظام فى المدينة ، او انها لا تعرف ماذا تصنع . وفى الساعة العاشرة ليلا القى لينين خطابا فى اجتماع مندوبى افواج الحامية ، فقرروا باكثرية الاصوات الساحقة المباشرة بالنضال . وتألفت لجنة من خمسة جنود ، بمثابة هيئة للاركان ، وفى ساعة مبكرة من الصباح خرجت الافواج من الثكنات على اتم الاهبة للقتال . .. وقد التقيت بها وانا عائد الى المنزل . كانوا يسيرون بخطوات متوازنة راسخة ، هى خطوات المحاربين القدامى ، وحرابهم فى خط منتظم ، فى شوارع المدينة المنتزعة المقفرة . . .

وفى ذلك الحين كان يجرى فى مقر الفيكجل بشارع سادوفايا اجتماع لجميع الاحزاب الاشتراكية من اجل تشكيل حكومة جديدة . وقد اعلن ابراموفيتش ، باسم المناشفة الوسط ، انه لا ينبغى ان يكون ثمة لا غالبون ولا مغلوبون ، وان لا مجال لتذكر الماضى . . . وقد اقرته على رأيه جميع الفئات والاحزاب اليسارية . وباسم المناشفة اليمينيين ، اقترح دان على البلاشفة الشروط التالية للهدنة : على الحرس الاحمر ان يلقى السلاح ، اما حامية بتروغراد فيجب ان تكون خاضعة للدوما البلدى ؛ وعلى قوات كيرنسكى ان لا تقوم باى اطلاق للنار ولا تعتقل اى شخص ؛ وتؤلف حكومة من ممثلى جميع الاحزاب الاشتراكية ، **باستثناء البلاشفة** . وباسم سمولنى ، اعلن ريازانوف وكامينيف ان الحكومة الائتلافية من جميع الاحزاب الاشتراكية مقبولة ، الا انهما احتجا على اقتراحات دان . وكان الاشتراكيون-الثوريون منشقين . اما اللجنة التنفيذية لنواب الفلاحين والاشتراكيون الشعبيون فكانوا يرفضون العمل مع البلاشفة رفضا قاطعا . . . وبعد مناقشات حادة انتخبت لجنة لاعداد خطة للعمل . . .

واستمر الصراع فى اللجنة طول الليل ، وطول النهار والليلة التالية . وكانت قد جرت محاولة مماثلة للاتفاق فى ٩ تشرين الثانى —

نوفمبر (٢٧ تشرين الاول – اكتوبر) ، بمبادرة مـــن مارتوف وغوركى . الا ان هذه المحاولة باءت اذ ذاك بالاخفاق : فقد كان كيرنسكى يقترب ، وكانت لجنة الانقاذ تقوم بنشاط واسع ، وعلى نحو مفاجيء امتنع المناشفة اليمينيون وكذلك الاشتراكيون ـ الثوريون والاشتراكيون الشعبيون عن الدخول فى المفاوضات . اما الآن فقــد كانوا فى هلع من جراء سحق عصيان اليونكر . . .

ومضى يوم الاثنين ، الموافق لـ١٢ تشرين الثانى – نوفمبر (٣٠ تشرين الاول – اكتوبر) فى ترقب . كانت انظار روسيا كلها شاخصة الى السهل الكالح على تخوم بتروغراد ، حيث كان كل ما امكن جمعه من قوى العهد البائد يقف وجها لوجه امام سلطة النظام الجديد المجهول التى لم تتنظم بعد . وكانت الهدنة قد اعلنت فى موسكو . وراح الطرفان يجريان المفاوضات وينتظران ماذا ستنتهى اليـــه الامور فى العاصمة . وفى هذه الاثناء كان مندوبو مؤتمر السوفييتات يسافرون على عجل بقطارات سريعة فى جميع الاتجاهات حتى مناطق آسيا النائية ، عائدين الى منازلهم ، حاملين معهم مشاعل الثورة الملتهبة . وانتشرت انباء المعجزة بحلقات اخذت تتوسع بسرعة على وجه الارض فايقظت المدن والقرى النائية الى الحركة والثورة . السوفييتات واللجان العسكرية الثورية ضد مجالس الدومـــا والزيمستفوات ومفوضى الحكومة . . . ورجال الحرس الاحمر ضد رجال الحرس الابيض . . . معارك شوارع ، وخطب حماسية . . وكانت النتيجة متوقفة على ما سوف تقول بتروغراد . . .

كان معهد سمولنى شبه مقفر ، اما مجلس الدوما فكان يعج بالناس . وكان رئيس البلدية العجوز يحتج بوقار حسب عادته على نداء المستشارين البلديين البلاشفة ، قائلا بحرارة :

«ليس الدوما على الاطلاق مركزا للثورة المضادة . والدومـــا لا يشترك قط فى الصراع الجارى بين الاحزاب . ولكن حين لا تكون فى البلاد اية سلطة شرعية ، تكون الادارة البلدية هى المركز الوحيد للنظام . وهذا الواقــع معترف به من قبـــل الاهلين المسالمين . والسفارات الاجنبية لا تعترف الا بالوثائق الرسمية التى تحمل توقيع رئيس البلدية . فالاوروبى بطبعه لا يمكن ان يقبل بغير وضع تكون فيه الادارة البلدية هى الهيئة الوحيدة المؤهلة للمحافظة على مصالح المواطنين . والمدينة ملزمة بابداء كرم الضيافة لجميـــع

المنظمات الراغبة فى الاستفادة من هذه الضيافة ، ولهذا فليس يمكن لمجلس الدوما ان يحول دون نشر اية صحف فى بنايته . ان دائرة نشاطنا تتسع ، ويجب منحنا حرية تامة للتصرف فينبغى للطرفين معا ان يعترفا بحقوقنا . . .

اننا محايدون تماما . فعندما احتل رجال اليونكر مركز الهاتف ، امر بولكوفنيكوف بقطع جميع خطوط الهاتف التابعـــة لسمولنى ، ولكنى اعلنت الاحتجاج واستمرت خطوط الهاتف هذه تعمل . . .» .

فكانت ضحكات ساخرة فى مقاعد البلاشفة وصيحات غاضبة مـن اليمين . وتابع شريدر يقول :

«ومع ذلك فان البلاشفة يعتبروننا معادين للثورة ووفقـــا لذلك يصنفوننا امام الاهلين . وهم يحرموننا من وسائط النقل التابعة لنا ، منتزعين منا السيارات الاخيرة . فلن يكون الذنـــب ذنبنا اذا ما بدأت المجاعة فى المدينة نتيجة لذلك . ولا جدوى مـن اية احتجاجات . . .» .

واعلن العضو البلشفى فى الادارة البلدية كوبوزيف انه يشك فى ان تكون اللجنة العسكرية الثورية قد صادرت سيارات البلدية . واذا سلمنا جدلا بان مثل هذه الامور قد وقعت فالارجح ان هذا قد قام به اشخاص غير مفوضين بدافع مـن الضرورة القصوى . واردف قائلا :

«يقول رئيس البلديـــة اننا لا نملك الحق فى تحويل الدوما الى جمعية سياسية . ولكن كل ما يقوله هنا ایّ من المناشفـة والاشتراكيين-الثوريين ما هو الا دعاية حزبية ، وهم عند الابواب يوزعون صحفهم الممنوعة – «ايسكرا» («الشرارة») و«سولداتسكى غولوس» («صوت الجندى») و«رابوتشايا غازيتا» («صحيفة العمال») ، المحرضة على العصيان . فماذا لو اخذنا نحن البلاشفة ننشر صحفنا هنا ؟ ولكننا لن نفعل هذا لأننا نحترم الدوما . اننا لا نهاجم ولا نعتزم مهاجمة الادارة البلدية . ولكن لما كنتم قد وجهتم نداء الى السكان ، فقد بات لنا الحق فى ان نفعل الشىء نفسه . . .» .

وبعد هذا تكلم عضو جماعة الكاديت شنغاريف . فاعلن ان ليس يمكن ان تكون ثمة لغة مشتركة مع اناس ينبغى مجرد احالتهم الى النائب العام ومحاكمتهم بتهمة خيانة الدولة . . . ومن جديد اقترح طرد جميع البلاشفة من الدوما . ولكن هذا الاقتراح لقى

الرفض لعدم وجود اتهامات شخصية ضد النواب البلاشفة ، وقد كانوا الى جانب ذلك يعملون بنشاط فى المؤسسات البلدية .

واذ ذاك اعلن اثنان من المناشفة الامميين ان نداء نواب الدوما البلاشفة كان دعوة مباشرة الى احداث المذابح . وقال بنكيفيتش ، «اذا كان كل معارض للبلاشفة معاديا للثورة فلست افهم ما هو الفرق بين الثورة والفوضى . . . ان البلاشفة ينساقون وراء جميع اهواء الجماهير المنفلتة من عقالها ، واما نحن فليس لدينا غير القوة المعنوية . اننا نحتج على العنف والمذابح سواء امن هذا الجانب او ذاك . وهدفنا هو ايجاد مخرج سلمى من الوضع القائم . . .» .

واعلن نازارييف قائلا : «ان الاعلان الصادر بعنوان «الى منصة التشهير» ، الملصق فى الشوارع والمحرض للشعب على ابادة المناشفة والاشتراكيين-الثوريين هو جريمة لن تتمكنوا ابدا ايها البلاشفة ان تتنصلوا منها . وما الفظائع التى ارتكبت بالامس الا تمهيد لما تبيت له امثال هذه النشرات . . . وقد كنت انا طول الوقت احاول المصالحة بينكم وبين الاحزاب الاخرى ، اما الآن فانى لا اكن لكم غير الاحتقار !» .

وهب البلاشفة من اماكنهم يصيحون صيحات الغضب . فردت عليهم اصوات بحنّاء تنطوى على الكراهية ، والقبضات الملوحة . . .

واذ كنت خارجا من القاعة ، التقيت بالمهندس البلدى المنشفى غومبرغ وثلاثة او اربعة من مراسلى الصحف . وقد كانوا جميعا فى حالة نفسية متفائلة . وكانوا يقولون :

«ايوه ! هؤلاء الجبناء يخافون منا . انهم لن يجسروا على توقيف الدوما ! ولجنتهم العسكرية الثورية لا تجسر على ان تبعث بمفوض الى هنا . نعم ! اليوم رأيت فى زاوية شارع سادوفايا كيف كان احد رجال الحرس الاحمر يحاول القبض على صبى يبيع صحيفة «سولداتسكى غولوس» . . . ما كان من الصبى الا ان راح يضحك فى وجهه ، واما الجمهور فقد كاد ان يجهز على الشقى . ولسوف يتقرر الآن كل شىء خلال بضع ساعات . والامر سواء حتى اذا لم يأت كيرنسكى ، فليس لدى البلاشفة رجال قادرون على استلام زمام الحكم . مستحيل ! . . وقد سمعت انهم هناك فى سمولنى يتشاجرون فيما بينهم !» .

واخذنى جانبا صديق لى من الاشتراكيين-الثوريين ، فقال لى :

«انا اعرف اين تختفى لجنة الانقاذ . فهل تريد التحدث معهم ؟ . .»
كانت قد حلت عتمة المساء . ومن جديد كانت الحياة العادية آخذة مجراها فى المدينة : المخازن تتعاطى التجارة ، والانوار مشتعلة فى الشوارع حيث جماهير غفيرة تروح وتجيء وتتناقش . . .

واذ وصلنا فى شارع نيفسكى الى البيت رقم ٨٦ ، اجتزنا فناء تحيط به مبان عالية . وقرع صديقى على باب الشقة رقم ٢٢٩ بطريقة خاصة . فسمعت حركة وصوت باب داخلى يفتح ويغلق . وبعد ذلك انشق الباب الخارجى قليلا ، فابصرنا بوجه امرأة . وبعد ان تفحصتنا مدة دقيقة سمحت لنا بالدخول . كانت امرأة متوسطة العمر ، تعابير وجهها هادئة . وقد صاحت : «كيريل ! كل شيء على ما يرام !» كان السماور يغلى فى غرفة الطعام ، وعلى الطاولة صحون فيها خبز ورنك مملح . ومن وراء ستارة النافذة خرج رجل يرتدى بزة الضابط ، وظهر رجل آخر خارجا من غرفة جانبية مظلمة ، متنكر بلباس عامل وقد كانا كلاهما جد مسرورين لرؤية مراسل اميركى ، وصرحا لى بلهجة غير خالية من الارتياح بانهما على الارجح سيعدمان رميا بالرصاص اذا ما وقعا فى ايدى البلاشفة . ولم يذكرا لى اسميهما ، الا انهما كانا كلاهما من الاشتراكيين-الثوريين .

وسألتهما : «لماذا تنشرون فى صحفكم مثل هذا الكذب الغير قابل للتصديق ؟» .

فاجاب الضابط دون اى امتعاض : «اجل ، اعرف . ولكن ماذا نعمل ؟ (ورفع كتفيه) . لا بد انك تدرك اننا فى حاجة لأن نوجد لدى الشعب حالة نفسية معينة . . .» .

فقاطعه الآخر قائلا : «كل هذا من جانب البلاشفة انما هو مغامرة كلية ! فليس لديهم مثقفون . الوزارات لن تشتغل . . . ليست روسيا مدينة ، انما هى بلاد بكاملها . . . ونحن ندرك انهم لن يستطيعوا الصمود بضعة ايام فلذا قررنا مساندة كيرنسكى ، وهو اضخم القوى المناهضة لهم ، والمساعدة على اعادة النظام» .

فلاحظت قائلا : «كل هذا ممتاز . ولكن لماذا انتم متحدون مع الكاديت ؟» .

فابتسم العامل المزعوم ابتسامة ساخرة مكشوفة ، وقال : «بصادق العبارة ، ان الجماهير الشعبية تسير الآن وراء البلاشفة . وليس لدينا الآن انصار . وليس فى وسعنا تعبئة ولا حفنة من

الجنود . وليس لدينا سلاح حقيقى . . . والبلاشفة على حق الى درجة ما . وكل ما فى روسيا فى الوقت الحاضر حزبان قويان الى حد ما ، حزب البلاشفة وثانيهما الرجعيون المتخفون تحت جناح الكاديت . والكاديت يعتقدون انهم يستخدموننا ، اما فى الواقع فنحن الذين نستخدمهم . وحين سننتهم تحطيم البلاشفة ، سنرتد على الكاديت . . .» .

«وهل سيسمح للبلاشفة بالاشتراك فى الحكومة الجديدة ؟»

فراح يحك قذاله ، ثم تمتم قائلا : «هذه مسألة معقدة . اكيد انهم ، اذا لم يسمح لهم بالاشتراك ، فالارجح انهم سيبدأون مجددا من البداية . على كل حال ستكون لديهم امكانيات سانحة لتحديد توازن القوى فى الجمعية التأسيسية ، اللهم اذا ما انعقدت الجمعية التأسيسية» .

وقال الضابط مقاطعا : «وعدا ذلك فان هذا سيطرح مسألة اشراك الكاديت فى الحكومة . فالاسباب هى ذاتها . فانت تعلم ان الكاديت ، عمليا ، لا يريدون عقد الجمعية التأسيسية ، لا يريدون ذلك طالما ان فى الوسع الآن تحطيم البلاشفة» . وقد هز رأسه . «ليست السياسة بالامر اليسير علينا ، نحن الروس ! انتم ، معشر الاميركيين ، تولدون سياسيين ، انتم تشتغلون بالسياسة طول الحياة ، اما عندنا فلم يمض على هذا ، كما تعلم انت نفسك ، حتى عام واحد . . .» .

وسألت قائلا : «وما رأيكم فى كيرنسكى ؟» .

فاجاب المحدث الآخر : «اوه ، ان كيرنسكى مسؤول عن جميع آثام الحكومة الموقتة . فقد اجبرنا على الدخول فى ائتلاف مع البرجوازية . ولو انه نفذ تهديده واستقال لحدثت ازمة وزارية فى وقت لم يبق فيه لانعقاد الجمعية التأسيسية غير ستة عشر اسبوعا ، وهذا ما كنا نبتغى تجنبه» .

«ولكن أليس هذا ما حدث فى آخر الامر ؟» .

«اجل ، ولكن كيف كان بوسعنا ان نعلم هذا ؟ لقد خدعنا كيرنسكى وافكسنتييف واضرابهما . وكذلك لم يكن غوتز اكثر منهما راديكالية بكثير . انى اؤيد تشيرنوف لانه ثورى حقيقى . . . وانت تعلم ان لينين قد اوعز اليوم بالابلاغ عن انه لا يعترض على اشراك تشيرنوف فى الحكومة .

وبالطبع ، كنا نحن ايضا راغبين فى التخلص من حكومة كيرنسكى ، ولكن كان يبدو لنا ان من الافضل الانتظار حتى انعقاد الجمعية التأسيسية . . . وحين بدأ هذا كله كنت مؤيدا للبلاشفة ، ولكن اللجنة المركزية لحزبى وقفت بالاجماع ضد هذا . فماذا كان علىّ ان اعمل ؟ الانضباط الحزبى . . .

فى غضون اسبوع ستذهب الحكومة البلشفية شذر مذر . ولو كان فى وسع الاشتراكيين الثوريين الوقوف جانبا والانتظار لكانت السلطة وقعت فى ايديهم بكل بساطة . ولكن اذا كنا سننتظر اسبوعا بكامله فسيحل بالبلاد خراب يجعل الامبرياليين الالمان يحرزون الانتصار التام . ولهذا بدأنا العصيان وليس معنا غير فوجين من الجنود وعدوا بمساندتنا ، ولكن هؤلاء ايضا ارتدوا علينا . . . ولم يبق معنا غير اليونكر . . .» .

«وما حال القوزاق ؟» .

فتنهد الضابط . «لم يتحركوا من مكانهم . اول الامر قالوا انهم سيتحركون اذا ما ساندهم المشاة . وفضلا عن ذلك كانوا يقولون ، ان لدى كيرنسكى قوات من القوزاق ، وبالتالى فقد قاموا بما عليهم . . . وبعد ذلك اخذوا يقولون ان القوزاق يعتبرون على الدوام اعداء بطبيعتهم للديموقراطية . . . وفى النهاية «فان البلاشفة ، على ما يقال ، قد وعدوا بعدم مصادرة الارض منا ، فليس لدينا ما نخشاه ، واننا سنلتزم الحياد»» .

واثناء هذا الحديث ، كان ثمة اشخاص يدخلون ويخرجون طول الوقت ، معظمهم ضباط منزعة كتافياتهم . وكنا نتمكن من رؤيتهم فى غرفة الانتظار وسماع اصواتهم الخافتة الحادة . ومن خلال الستارة نصف المرفوعة المسدلة على غرفة الحمام رأيت مصادفة ، ضابطا بدينا يرتدى بزة عقيد جالسا على كرسى يكتب شيئا ما فى دفتر مسند الى ركبتيه . وقد عرفت فيه حاكم بتروغراد العسكرى السابق العقيد بولكوفنيكوف الذى فى سبيل اعتقاله ، كانت اللجنة العسكرية الثورية مستعدة لدفع ثروة كاملة .

واستطرد الضابط : «برنامجنا ؟ ها هو ذا . تسليم الارض للجان الزراعية . والعمال يجب ان تتاح لهم كل الامكانية للاشتراك فى ادارة الصناعة . سياسة سلمية نشيطة ، ولكن بدون مثل هذا الانذار النهائى الذى توجه البلاشفة به الى جميع البلدان . لن يفلح

البلاشفة فى تنفيذ ما وعدوا به الجماهير ، انهم لن يفلحوا فى ذلك حتى داخل البلد . . . اننا لن نسمح لهم . . . لقد سرقوا منا برنامجنا فى المسألة الزراعية لكى ينالوا مساندة الفلاحين . ليس هذا بالفعل الشريف . الا لو انهم انتظروا حتى انعقاد الجمعية التأسيسية . . .» .

فقاطعه الضابط الآخر قائلا : «ليست المسألة مسألة جمعية تأسيسية ! فاذا كان البلاشفة يعتزمون ان يقيموا دولة اشتراكية فليس يمكن باية حال ان نعمل معهم ! ان كيرنسكى قد ارتكب خطيئة فاحشة حين اعلن فى مجلس الجمهورية انه قد اصدر امرا باعتقال البلاشفة . كل ما فى الامر انه كشف لهم عن اوراقه . . .» .

فسألت : «وماذا تعتزمون الآن فعله ؟» .

تبادل الرجلان النظرات . «سترى بعد بضعة ايام . . . اذا ما وقف الى جانبنا عدد كاف من قوات الجبهة فلن ندخل فى اى اتفاق مع البلاشفة . والا فربما سنضطر الى ذلك . . .»

وخرجنا الى شارع نيفسكى فقفزنا الى سلم عربة ترام كانت غاصة فى داخلها بالناس وهى تتجرجر على الأرض زاحفة ببطء المحتضر الى سمولنى البعيد .

كان ميشكوفسكى ، الرجل الانيق والنحيل يسير فى الممشى وعلى وجهه سيماء الهم الشديد . وقد انبأنا بان اضراب جميع الوزارات يفعل فعله . فمثلا ، كان مجلس مفوضى الشعب قد وعد بنشر المعاهدات السرية ، الا ان نيراتوف الموظف المسؤول قد توارى عن الانظار آخذا معه الوثائق . وثمة افتراض بانها مخفية فى السفارة الانكليزية . . .

الا ان اسوأ ما فى الامر هو ان المصارف مضربة . وقد قال منجينسكى : «اننا ، بدون نقود ، عاجزون كل العجز . فمن الضرورى دفع رواتب شغيلة السكك الحديدية ومستخدمى البريد والهاتف . . . ان المصارف مغلقة ؛ والمفتاح الرئيسى للوضع ، الا وهو مصرف الدولة ، لا يشتغل هو ايضا . ان مستخدمى المصارف فى روسيا كلها مرتشون مباعون وقد توقفوا عن العمل . . .

ولكن لينين قد امر بنسف اقبية مصرف الدولة بالديناميت . اما فيما يتعلق بالمصارف الخاصة فقد صدر للتو مرسوم يقضى بان تفتح غدا والا فسنفتحها بانفسنا !» .

كان سوفييت بتروغراد يعمل بكل طاقته ، والقاعة

غاصة بالناس المسلحين . وتروتسكى يلقى تقريرا :
«القوزاق يتراجعون عن كراسنويه سيلو (تصفيق حماسى شديد) . ولكن المعركة ما تزال فى بدايتها . وفى بولكوفو يدور قتال عنيف . فينبغى ان ترسل الى هناك بسرعة جميع القوات المتوفرة . . .

الاخبار الواردة من موسكو لا تبعث على الاطمئنان . فالكرملين فى قبضة اليونكر ، واما العمال فلديهم القليل جدا من السلاح .

والمصير متوقف على بتروغراد .

وفى الجبهة اثار مرسوما السلام والارض حماسة هائلة . وكيرنسكى يغمر الخنادق باساطير تزعم ان بتروغراد غارقة فى النار والدم وان البلاشفة يذبّحون النسوة والاطفال . ولكن لا يصدقه احد . . .

وقد رست الطرادات «اوليغ» و«افرورا» و«ريسبوبليكا» فى نهر النيفا وصوبت مدافعها على تخوم المدينة . . .» .

وصاح احدهم بصوت حاد : «ولماذا انت لست فى المكان الذى يقاتل فيه رجال الحرس الاحمر ؟» .

فاجاب تروتسكى وهو منصرف عن المنبر : «انى ذاهب فى الحال !» كان وجهه اكثر شحوبا بقليل من المعتاد . وقد خرج من الغرفة عن طريق الممر الجانبى ، يحيط به اصدقاؤه المخلصون ، واسرع الى السيارة .

وكان المتكلم الآن كامينيف . فعرض سير مؤتمر الهدنة . وقال : ان شروط الهدنة المقترحة من قبل المناشفة مرفوضة باحتقار . وقد صوتت ضد امثال هذه المقترحات حتى بعض فروع اتحاد شغيلة السكك الحديدية . . .

واردف كامينيف قائلا : «والآن اذ تم لنا الاستيلاء على السلطة وجعلنا روسيا كلها تهب ثائرة ، يطالبوننا بالتوافه التالية ليس إلا : اولا ، تسليم السلطة ، ثانيا ، ارغام الجنود على مواصلة الحرب ، وثالثا ، ارغام الفلاحين على نسيان الارض . . .» .

وظهر لينين لمدة دقيقة . فرد على الاتهامات من جانب الاشتراكيين الثوريين :

«يتهموننا باننا سرقنا منهم البرنامج الزراعى . . . طيب ، اذا كان الامــر كذلك ففى وسعنا تقديــم الشكر لهــم . وهذا كاف منا . . .» .

هكذا كان يجرى هذا الاجتماع . فقد كان الزعماء يتعاقبون عــلى المنبر موضحين ، محرضين ، مبرهنين . وكان الجندى اثر الجندى والعامل اثر العامل يقفون فيعربون عن كل ما فى ادمغتهم ومــا فى قلوبهم . . . وكان جمهور المستمعين غير ثابت : يتغير طول الوقت ويتجدد . ومن حين لآخر كان يظهر فى القاعة اناس يستدعون اعضاء هذه الفصيلة او تلك للالتحاق بالجبهة . ويجئ آخرون ، وقد انهوا نوبتهم ، او هم جرحى او قادمون لجلب السلاح والعتاد فيندفعون الى القاعة . . .

وحوالى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، وكنا منصرفين عندما ركض غولتسمان ، عضو اللجنة العسكرية الثورية هابطــا السلم ووجهه يشع . وقد صاح وهو يشد على يدى :

«كل شيء ممتاز ! برقية من الجبهة ! تم تحطيم كيرنسكى ! هاك انظر . . .» .

ومد لى قطعة ورق مكتوبة على عجل بقلم الرصاص . واذ رأى اننا لا نستطيع فهم شيء ، راح يقرأ بصوت مسموع :

«قرية بولكوفو . الاركان . الساعة الثانية والدقيقة العشرون بعد منتصف الليل .

ليلة ٣٠ الى ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ستدخل التاريخ . محاولة كيرنسكى دفع القوات المعادية للثورة على عاصمة الثورة تلقت صدا حاسما . كيرنسكى يتراجع ونحن نتقدم . اظهــر جنود بتروغراد وبحارتهــا وعمالهــا انهم يحسنــون ويريدون ترسيــخ ارادة الديموقراطية وسلطتها والسلاح فى ايديهم . البرجوازية سعت لعزل جيش الثورة وكيرنسكى حاول تحطيمه بقوة القوزاق . وقد باء هذا وتلك بفشل ذريع .

ان الفكرة العظمى ، فكرة سيادة ديموقراطية العمال والفلاحين ، قد رصت صفوف الجيش ورسخت عزيمته . ومنذ الآن ستقتنع البلاد جمعاء بان السلطة السوفييتية ليست بظاهرة عابرة ، بــل هى واقع لا يقهر ، واقع سيادة العمال والجنود والفلاحين . ان صــد كيرنسكى هو صد للملاكين العقاريين وللبرجوازية وللكورنيلوفيين

بصورة عامة . ان صد كيرنسكى هو تأكيد لحق الشعب فى الحياة السلمية الحرة ، وفى الارض والخبز والسلطة . ان كتيبة بولكوفو تعزز بضربتها الباسلة قضية ثورة العمال والفلاحين . لا عودة الى الماضى . ما يزال امامنا نضال وعقبات وتضحيات ! ولكن الدرب مفتوح والنصر مضمون .

من حق روسيا الثورية والسلطة السوفييتية الاعتزاز بكتيبتهما فى بولكوفو العاملة بقيادة العقيد فالدين . الخلود لذكرى الضحايا ! المجد للمحاربين فى سبيل الثورة ، للجنود وللضباط المخلصين للشعب !

عاشت روسيا الثورية الشعبية الاشتراكية !

باسم مجلس مفوضى الشعب ل . تروتسكى» .

وفيما كنا عائدين الى منزلنا عبر ساحة زنامنسكايا ، لاحظنا حشدا غير عادى مزدحما قرب محطة نيقولاييفسكى . وكان ثمة عدة آلاف من البحارة ترتفع فوقهم غابة من حراب البنادق .

وكان يقف على الدرجة عضو من الفيكجل يقول ملتمسا :

«يا رفاق ، ليس يمكننا نقلكم الى موسكو . نحن حياديون . اننا لا ننقل اية قوات . لا يمكن ان ننقلكم الى موسكو ، حيث تجرى حرب اهلية رهيبة . . .» .

كانت الساحة تغلى وتهدر بالاستنكار . واخذ البحارة يتحركون الى امام . وفجأة انفتح باب آخر على رحبه فى مبنى المحطة . وكان يقف فيه اثنان او ثلاثة من قاطعى التذاكر ووقاد او سواه ايضا . وراحوا يصيحون :

«الى هنا ، يا رفاق ! نحن سننقلكم الى موسكو ، الى فلاديفوستوك ، الى حيث تشاؤون ! عاشت الثورة !» .

الفصل التاسع

النصر

الامر رقم ١

الى وحدات مفرزة بولكوفو

٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ الساعة ٩ والدقيقة ٣٨ صباحا

«بعد قتال شديد احرزت وحدات مفرزة بولكوفو نصرا تاما على قوى الثورة المضادة التى اندحرت من مواقعها بغير انتظام وهى تتقهقر بحماية تسارسكويه سيلو نحو بافلوفسكويه الثانية وغاتشينا.

احتلت وحداتنا الزاحفة الشمال الشرقى من تخوم تسارسكويه سيلو ومحطة الكسندروفسك . على جناحنا الايمن كانت مفرزة كولبينو وعلى الايسر مفرزة كراسنويه سيلو .

آمر مفرزة بولكوفو باحتلال تسارسكويه سيلو وتحصين المشارف المؤدية اليها ، ولا سيما من جهة غاتشينا .

وعليها فيما بعد ان تمضى قدما فى زحفها فتحتل بافلوفسكويه وتحصنها من الجانب الجنوبى وتستولى على الخط الحديدى حتى محطة دنو .

وعلى المفرزة ان تتخذ جميع التدابير لتحصين المواقع المحتلة من قبلها مقيمة الخنادق وغير ذلك من المنشآت الدفاعية .

وعليها ان تقيم اتصالا وثيقا مع مفرزتى كولبينو وكراسنويه سيلو ، وكذلك مع هيئة اركان القائد الاعلى للدفاع عن مدينة بتروغراد .

القائد الاعلى للقوات العاملة
ضد مفارز كيرنسكى المعادية للثورة ،
المقدم **مورافييف**»

الثلاثاء ، صباحا . ماذا جرى ؟ منذ يومين فقط كانت تجوب فى ضواحى بتروغراد لغير قصد مفارز لا انضباط لها ولا قيادة . وما كانت لديها لا اغذية ولا مدفعية ولا اى خطة للاعمال . فما الذى كان

يضم هذه الجموع من رجال الحرس الاحمر والجنود الذين لم يكن لهم لا تنظيم ، ولا مراس على الانضباط العسكرى ، ولا ضباط ، فى جيش خاضع لقيادة منتخبة من قبله ، قادر على مجابهة وصد ضربات المدفعية والفرسان القوزاق[1] ؟ .

ان الشعب الثائر ينبذ على طريقته المقاييس العسكرية المألوفة . ولن يطوى النسيان ابدا جيوش الثورة الفرنسية المهلهلة الثياب ، المنتصرة فى فالمى وفيسيمبورغ * . وقد اتحد ضد السوفييتات اليونكر والقوزاق والنبلاء وكبار الملاكين العقاريين وجماعة المئة السود ، ومن خلفهم كان قد اخذ يتلامح القيصر والشرطة السرية القيصرية والاعمال الشاقة فى المناجم السيبيرية ، واخيرا الخطر الرهيب الذى لا حد له من جانب الالمان . . . وقد كان النصر ، على حد تعبير كارليل ، يعنى «عيدا وعصرا ذهبيا لا نهاية له» .

مساء الاحد ، كان مفوضو اللجنة العسكرية الثورية يعودون من الجبهة يائسين كل اليأس ، وحامية بتروغراد انتخبت لجنتها الخماسية ، هيئة اركانها الحربية ، المؤلفة من ثلاثة جنود وضابطين ، لا شك فى سلامتهم من عدوى العداء للثورة . واوكلت القيادة العامة للوطنى السابق العقيد مورافييف ، وهو رجل عملى الا انه يجب ان يكون تحت مراقبة يقظة ** . وفى كولبينو واوبوخوفو وبولكوفو وكراسنويه سيلو شكلت مفارز موقتة كانت تتضخم شيئا فشيئا بمن ينضم اليها من الشراذم المتشردة فى الاماكن المحيطة ، وقد اختلط فيها الجنود والبحارة ورجال

---

* يقصد الكاتب المعركة التاريخية قرب فالمى فى ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٧٩٢ ، حين حطمت مفارز المتطوعين فى جيش الثورة الفرنسية القوات البروسية الزاحفة على باريس وارغمتها على التقهقر . وفى المعركة قرب فيسيمبورغ سنة ١٧٩٤ ، سحقت القوات الثورية الفرنسية ، تحت قيادة سان جوست العملية ، الجيش النمساوى وصدته عن حدود فرنسا . **المحرر** .

** لم يكن لمورافييف معتقد سياسى راسخ . قبل انتقاله الى جانب السوفييتات ، كان من انصار شعار «الحرب حتى النهاية الظافرة» . وفى ايام فتنة كورنيلوف انتقل الى جانب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين . وفيما بعد خان مورافييف السلطة السوفييتية . **المحرر** .

الحرس الاحمر ، ووحدات منفردة من مختلف افواج المشاة والخيالة ، والمدفعية ، وبضعة مصفحات .

وعند الفجر ظهرت وحدات كيرنسكى القوزاقية . فبدأ تبادل غير منتظم فى اطلاق النار ، مصحوب بالمطالبة بالاستسلام . وقد امتد صوت القتال فى الهواء البارد الصافى فوق السهل الفسيح متراميا الى مسامع الزمر المتشردة المتجمعة فى انتظار حول شعلاتها الصغيرة . . . اذن فقد بدأت ! ومضت هذه الزمر الى الجهة التى كان يجرى فيها القتال . وحثت مفارز العمال السائرة على الطريق الرئيسية خطاها . . . ونحو جميع النقاط التى تعرضت للهجوم كانت تزحف من تلقاء نفسها فى الطرقات المستقيمة جموع ضخمة من الناس المفعمين غضبا . وكان يستقبلهم مفوضون يبينون لهم الموقع الذى ينبغى احتلاله وماذا ينبغى ان يعملوا . وقد كانت تلك معركتهم **هم** فى سبيل عالمهم **هم** ؛ وكان القواد منتخبين من قبلهم **هم انفسهم** . وفى تلك اللحظة انسكبت ارادات الكثرة جميعها على اختلاف صورها وتنوع مظاهرها فى ارادة واحدة . . .

وقد وصف لى المشتركون فى هذه المعارك كيف كان يقاتل البحارة : بعد ان استنفدوا كل ما لديهم من الذخيرة انطلقوا يقاتلون بالحراب ؛ وكيف كان العمال غير المدربين ينقضون على حمم القوزاق فينتزعونهم من سروج خيلهم ؛ وكيف كانت جموع الشعب تنبثق من الظلام ، دون ان يعرف احد من اين جاءت ، فتنقض فجأة على العدو انقضاض الامواج . . . ويوم الاثنين ، قبل منتصف الليل ، كان القوزاق قد تشتتوا ولاذوا بالفرار ، تاركين المدفعية . وراح جيش البروليتاريا يزحف قدما على جبهة طويلة محطمة ، فاقتحم تسارسكويه سيلو غير مفسح للعدو وقتا لتدمير محطة اللاسلكى الحكومية . واذ ذاك راحت هذه المحطة تبث على العالم نشيد النصر . . .

«الى جميع سوفييتات نواب العمال والجنود

فى الثلاثين من تشرين الاول (اكتوبر) ، اوقع الجيش الثورى ، فى قتال ضار قرب تسارسكويه سيلو ، هزيمة ماحقة بقوات كيرنسكى وكورنيلوف المعادية للثورة .

باسم الحكومة الثورية ادعو جميع الافواج الموضوعة تحت قيادتى لمقاومة اعداء الديموقراطية الثورية واتخاذ جميع التدابير لالقاء القبض على كيرنسكى ، وكذلك للحيلولة دون امثال هذه المغامرات التى تهدد مكتسبات الثورة وانتصار البروليتاريا .

عاش الجيش الثورى !

مورافييف»

انباء من المقاطعات . . .

فى سباستوبول ، استولى السوفييت المحلى على السلطة . الاجتماع الحاشد الهائل الذى عقده بحارة السفن الحربية الراسية فى ميناء سباستوبول ، ارغم الضباط على ان يقسموا بصورة احتفالية يمين الاخلاص للحكومة الجديدة . مدينة نيجنى نوفغورود ، يقوم السوفييت بادارتها . الانباء الواردة من قازان تتحدث عن معارك ناشبة فى الشوارع ، حيث يدور القتال بين رجال اليونكر ولواء المدفعية وبين الحامية البلشفية . . .

وفى موسكو نشبت من جديد معارك ضارية . رجال اليونكر والحرس الابيض قابضون على الكرملين ومركز المدينة ، ولكنهم يتعرضون من كافة الجهات لهجمات قوات اللجنة العسكرية الثورية . المدفعية السوفييتية تقصف من ساحة سكوبيليف الدوما البلدى ومركز القيادة العسكرية وفندق «متروبول» . وقد نزع كل البلاط من شارعى تفيرسكايا ونيكيتسكايا ، لاقامة الخنادق والمتاريس . وانهال وابل من طلقات المدافع الرشاشة على الاحياء التى توجد فيها المصارف الكبرى والبيوتات التجارية . ليست ثمة انارة كهربائية ، والهاتف لا يشتغل . والسكان البرجوازيون اعتصموا فى الاقبية . . . وتقول النشرة الاخيرة ان اللجنة العسكرية الثورية وجهت الى لجنة السلامة العامة * انذارا نهائيا تطالبها فيه بتسليم الكرملين مهددة بقصفه فى حالة الرفض .

وكان السخفاء يصيحون : «قصف الكرملين ! لن يجرأوا على ذلك !» .

---

* لجنة السلامة العامة هى المركز الرئيسى للثورة المضادة فى موسكو فى ايام اكتوبر ١٩١٧ . **المحرر** .

كانت الحرب الاهلية مشتعلة الاوار من فولوغدا الى تشيتا في سيبيريا النائية ، ومن بسكوف الى سباستوبول على البحر الاسود ، في المدن الضخمة وفي الضياع الصغيرة . ومن الوف المعامل والمصانع ، وجمعيات الفلاحين ، والافواج والجيوش ، والسفن في عرض البحر ، كان يتدفق الترحيب على بتروغراد ، الترحيب بحكومة الشعب .

وقد بعثت حكومة القوزاق في نوفوتشركاسك ببرقية الى كيرنسكي تقول فيها : «**الحكومة العسكرية لقوات الدون تدعو الحكومة الموقتة واعضاء مجلس الجمهورية الروسية للقدوم اذا امكن ، الى نوفوتشركاسك ، حيث يمكن تنظيم النضال ضد البلاشفة . . .**» .

وكان الوضع في فنلندا ايضا مضطربا . فان سوفييت هلسنكي وتسينتروبالت (اللجنة المركزية لاسطول البلطيق) قد فرضا معا حالة الطوارئ واعلنا ان جميع المحاولات لاعاقة عمل المفارز البلشفية وابداء مقاومة مسلحة لاوامر السوفييت ستقمع بشدة . وفي الوقت نفسه اعلن اتحاد شغيلة السكك الحديدية الفنلندي الاضراب العام في فنلندا كلها بغية تنفيذ القوانين التي صدرت في حزيران (يونيو) ١٩١٧ من قبل الدييت الاشتراكي الذي حله كيرنسكي .

في الصباح الباكر ذهبت الى سمولني . وفيما كنت اجتاز الرصيف الخشبي الطويل ، قادما من البوابة الخارجية ، لاحظت ان النديف الاول من الثلج يتساقط من السماء الرمادية الخالية من الريح . وقد صاح الخفير الواقف عند الباب ، وهو يبتسم بمرح : «الثلج ! عظيم !» . وفي الداخل كانت الممرات الطويلة المظلمة والقاعات الباردة تبدو مقفرة . وكأنما كانت البناية الجسيمة قد ادركها الموت . ولكن اصواتا غريبة خافتة وصلت اذ ذاك الى سمعي . فرحت اتلفّت . كان ثمة اناس نائمون فوق الارض على امتداد الجدران . اناس شعث الشعور ، غير مغتسلين ، عمال وجنود متلطخون ملوثون بالوحل ، مستلقون فرادى وجماعات ، غارقون في نوم ثقيل غير مبالين بشيء . وكانت على اجسام الكثيرين منهم ضمادات ممزقة دامية . والى جانبهم بنادق واحزمة الرصاص

مطروحة على الارض . . . كان ذلك هو جيش البروليتاريا المظفر .
وفى الطابق العلوى ، فى البوفيه ، كان ينام اناس بلغ من كثرتهم ان كان المرور من بينهم عسيرا . وقد كان الجو فاسدا كريها . ومن خلال النوافذ المغبشة بالكاد كان ينفذ ضوء شاحب . وكان على المنضدة سماور مهشم وبارد ، وعدة اكواب فيها بقايا شاى . وكان ثمة عدد من النشرة الاخيرة للجنة العسكرية الثورية ، وقد امتلأت صفحتها الاخيرة بالخرابيش . انه احد الجنود قد خط هذه الكلمات تذكارا لرفاقه الذين استشهدوا فى القتال ضد كيرنسكى ، وقد ظل يكتب حتى تهاوى فى ذلك المكان على الارض . وقد كانت القائمة مبقعة بما يشبه الدمع . . .

اليكسى فينوغرادوف
د . موسكفين
س . ستولبيكوف
ا . فوسكريسنسكى
د . ليونسكى
ف . لايدالسكى
د . بريوبراجنسكى
م . بيرتشيكوف

انضم هؤلاء الرجال جميعا الى الجيش فى ١٥ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٦ . وبقى منهم ثلاثة على قيد الحياة :

ميخائيل بيرتشيكوف
اليكسى فوسكريسنسكى
ديميترى ليونسكى

* * *

نسور الجبال ، ارقدوا
وناموا وانفسكم راضية !
فانتم جديرون ، يا اخوتى ،
بالمجد والخلود . . .

كانت اللجنة العسكرية الثورية وحدها ما تزال ساهرة تشتغل . وقد خرج سكريبنيك من الغرفة النائية فذكر لى ان غوتز معتقل ، الا انه يعلن بصورة قاطعة انه لم يوقع ، خلافا لافكسنتييف ، على بيان لجنة الانقاذ . وقد رفضت لجنة الانقاذ نفسها الدعوى الموجهة الى الحامية . وانبأ سكريبنيك ان الافواج الموجودة فى المدينة يلاحظ لديها التذمر ؛ وقد رفض فوج فولينسكى القتال ضد كيرنسكى .

وفى غاتشينا ، كانت توجد بضع مفارز «حيادية» بقيادة تشيرنوف ؛ وقد حاول اقناع كيرنسكى بوقف الهجوم على بتروغراد .

وضحك سكريبنيك قائلا : «لا يمكن الآن ان يكون ثمة اى «حياديين» . لقد انتصرنا !» كان وجهه الحاد الملتحى يشع بحبور يكاد يكون دينيا . «لقد جاء من الجبهة اكثر من ستين وفدا حاملين مقررات تعلن التأييد والمساندة من جميع الجيوش ، باستثناء وحدات الجبهة الرومانية التى لم ترد بعد اخبار منها . لجان الجيش لا تسمح بدخول صحف بتروغراد ، ولكننا قد اقمنا صلة منتظمة عن طريق الرسل . . .» .

وظهر فى الردهة كامينيف ، وقد كان منهكا كل الانهاك من اجتماع المؤتمر المنعقد للبحث فى تشكيل الحكومة الجديدة ، الذى استمر طول الليل ، الا انه كان مع ذلك مرتاحا . وقد قال لى : «اصبح الاشتراكيون-الثوريون ميالين لاشراكنا فى الحكومة الجديدة . والجماعات اليمينية خائفة من المحاكم الثورية . انهم فى هلع ، وهم يطالبون بان نبادر قبل كل شىء الى حل المحاكم . . . وافقنا على اقتراح الفيكجل حول تشكيل وزارة اشتراكية متجانسة والآن يجرى اعداد المشروع هناك . . . والواقع ان هذا كله ما هو الا بسبب احرازنا النصر . فحين كانت امورنا سيئة ما كانوا يرتضون مهما كلف الامر اشراكنا فى الحكومة ، اما الآن فالجميع يسعون بهذا الشكل او ذاك للتفاهم مع السوفييتات . . . اننا فى حاجة لانتصار نهائى فعلا . ان كيرنسكى يريد الهدنة ، ولكننا سنرغمه على الاستسلام . . .»[٢] .

تلك كانت الحالة النفسية لدى الزعماء البلاشفة * . وقد

* فى ٢٩ تشرين الاول — اكتوبر (١١ تشرين الثانى — نوفمبر) اتخذت الفيكجل (اللجنة التنفيذية للاتحاد المهنى لشغيلة السكك الحديدية

سأل احد المراسلين الاجانب تروتسكى ما هو النبأ الذى يود اذاعته على العالم . فاجاب تروتسكى : «النبأ الوحيد الممكن فى الوقت الحاضر هو ما نعلنه بفوهات المدافع» .

ولكن هذه الحماسة المنبعثة من الانتصار كانت كلها مشوبة بقلق جلى . فثمة المشكلة المالية . اذ بدلا من فتح المصارف ، كما كانت تأمر اللجنة العسكرية الثورية ، عقد اتحاد مستخدمى المصارف اجتماعا لاعضائه واعلن الاضراب رسميا . وكان سمولنى قد طلب من مصرف الدولة قرابة ٣٥ مليون روبل ، ولكن الخازن اغلق الاقبية ، وما كان يسلم الاموال الا لممثلى الحكومة الموقتة . وكان المعادون للثورة يستخدمون مصرف الدولة سلاحا سياسيا . فمثلا ، حين طلبت الفيكجل الاموال لدفع رواتب عمال ومستخدمى الخطوط الحديدية التابعة للدولة ، تلقت جوابا يقول لها : «راجعى سمولنى . . .» .

وقد ذهبت الى مصرف الدولة لمقابلة المفوض الجديد ، وهو بلشفى اوكرانى اصهب الشعر ، اسمه بتروفيتش . كان يسعى لادخال ولو شىء من النظام فى شؤون المصرف الذى تركه المستخدمون المضربون فى حالة من الفوضى . وكان يعمل فى جميع

لعامة روسيا) ، وقد كانت بعد ثورة اكتوبر احد مراكز النشاط المعادى للسوفييت ، قرارا يطالب بتشكيل حكومة من جميع الاحزاب «الاشتراكية» . وكان ينبغى للمفاوضات مع الفيكجل بتوجيه من لينين واللجنة المركزية ان تكون «تغطية ديبلوماسية للاعمال العسكرية» . ولكن كامينيف وسوكولنيكوف ، المشتركين فى هذه المفاوضات ، قد عمدا ، خلافا لخط لينين واللجنة المركزية ، الى القبول بمطلب الفيكجل ، اى بان يشترك فى الحكومة ، الى جانب البلاشفة ، ممثلون لحزبى المناشفة والاشتراكيين الثوريين المعاديين للثورة .

وفى ٢ (١٥) تشرين الثانى (نوفمبر) اتخذت اللجنة المركزية بناء على اقتراح لينين قرارا برفض الاتفاق المعقود مع هذين الحزبين المعاديين للثورة . وكان القرار ينوه بان «لا يمكن ، بدون خيانة شعار السلطة السوفييتية ، التخلى عن الحكومة محض البلشفية» ما دام مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا قد اوكل السلطة لهذه الحكومة . وهكذا فان قول كامينيف المذكور لم يكن يعبر عن رأى البلاشفة ، بل عن رأى فئة صغيرة انتهازية ضمن اللجنة المركزية كانت تعتقد بعدم امكانية الثورة الاشتراكية فى روسيا . **المحرر** .

اقسام المؤسسة الضخمة متطوعون من العمال والجنود والبحارة . كان العياء باديا على وجوههم وهم يحاولون عبثا فهم ما في دفاتر الحسابات الضخمة . . .

كان مبنى الدوما غاصا بالناس . وكانت ما تزال تلاحظ حالات افرادية من التحدى للحكومة الجديدة ، ولكنها كانت فى تضاؤل مطرد . فاللجنة الزراعية المركزية قد وجهت نداء الى الفلاحين تدعوهم فيه لعدم الاعتراف بمرسوم الارض الصادر عن مؤتمر السوفييتات ، بحجة ان هذا المرسوم يؤدى الى الاضطراب والى الحرب الاهلية . واعلن رئيس البلدية شريدر ان الانتخابات للجمعية التأسيسية يقتضي تأجيلها الى اجل غير مسمى ، نتيجة للعصيان البلشفى .

كانت ثمة مسألتان تشغلان المقام الاول فى اذهان معظم الناس الذين هزتهم فظائع الحرب الاهلية : اولا ، وقف سفك الدماء[3] ، وثانيا ، تأليف حكومة جديدة . ولم يعد ثمة من يتحدث عن «القضاء على البلاشفة» ، بل قليل من كانوا يتحدثون عن استبعادهم من الحكومة ، اللهم الا الاشتراكيين الشعبيين وسوفييت نواب الفلاحين . حتى لجنة الجيش المركزية العاملة فى مركز القيادة العليا والتى كانت تبرز ابدا بوصفها العدو اللدود لسمولنى ، بعثت ببرقية من موغيليف تقول فيها : «اذا كان لا بد من الاتفاق مع البلاشفة من اجل تشكيل وزارة جديدة ، فنحن موافقون على اعطائهم اقلية فى الوزارة» .

وقد ردت «البرافدا» بسخرية على مناشدة كيرنسكى «المشاعر الانسانية» ناشرة نداءه الموجه الى لجنة الانقاذ :

«بناء على اقتراح لجنة الانقاذ وجميع المنظمات الديموقراطية الملتفة حولها ، اوقفت العمليات ضد القوات المتمردة وبعثت بالمفوض ستانكيفيتش الممثل عن القائد الاعلى للدخول فى المفاوضات . اتخذوا التدابير لدرء احتمال سفك الدماء عبثا . . .» .

وبعثت الفيكجل بالبرقية التالية الى جميع انحاء روسيا :

«ان مؤتمر اتحاد شغيلة السكك الحديدية لعامة روسيا مع ممثلى الاطراف والمنظمات المتعادية ، القائلة بوجوب الاتفاق ، اذ يستنكر بصورة قاطعة ممارسة الارهاب السياسى فى الحرب الاهلية ، ولا سيما بين فئات معينة من الديموقراطية الثورية ، يعلن ان ممارسة مثل هذا الارهاب باى شكل كان من قبل احد الطرفين ضد

الطرف الآخر يتناقض فى الوقت الحاضر مع جوهر المفاوضات ذاته ومع الغاية منها . . .» .

وبعث المؤتمر * بوفود الى الجبهة ، والى غاتشينا . وفى المؤتمر نفسه كان يبدو ان المسألة موشكة على الحل النهائى . بل لقد تقرر انتخاب مجلس شعبى ينبغى ان يشترك فيه حوالى اربعمئة عضو : ٧٥ من سمولنى ، ومقدار هذا العدد من التسيك القديمة ، واما الباقون فمن الادارات البلدية والاتحادات المهنية واللجان الزراعية والاحزاب السياسية . وكان يقدم تشيرنوف لرئاسة الوزراء . وكانت ثمة شائعات تقول ان لينين وتروتسكى مستبعدان . . .

قرابة الظهيرة كنت من جديد واقفا امام سمولنى اتحدث مع سائق سيارة اسعاف على وشك الذهاب الى الجبهة الثورية . أليس يمكننى الذهاب معه ؟ ممكن بالتأكيد ! كان هذا السائق متطوعا ، وهو طالب . واثناء الطريق التفت الىّ التفاتة خفيفة وصاح من فوق كتفه بلغة المانية جد سيئة : Also, gut! Wir nach die Kasernen zu essen gehen!» ** وقد فهمت من قوله ان ثمة ثكنة يمكن تناول طعام الفطور فيها .

وفى كيروتشنايا انعطفنا الى فناء كبير محاط بابنية شبيهة بثكنات وصعدنا على درج مظلم الى غرفة منخفضة الارتفاع ، يدخل اليها النور من نافذة واحدة . وكان ثمة قرابة عشرين جنديا جالسين حول مائدة خشبية طويلة ، يتناولون حساء الملفوف بمعالق خشبية من قدر كبيرة من الصفيح ، وهم يتحادثون باصوات عالية ويتمازحون ويتضاحكون .

«مرحبا بلجنة كتيبة الهندسة الاحتياطية السادسة !» ، هكذا صاح مرافقى وقدمنى فى الحال للجالسين بوصفى اشتراكيا اميركيا . فهب الجميع واقفين ومدوا الىّ ايديهم مصافحين ، وعانقنى جندى شيخ وقبلنى بود وحرارة . وقد قدموا لى ملعقة خشبية واجلسونى حول المائدة . وجاؤوا الى الغرفة بقدر جديدة ملأى «بالكاشا» *** ،

---

* يقصد «مؤتمر الهدنة» . **المحرر** .

** هذه العبارة يمكن ترجمتها هكذا على وجه التقريب : «ايوه ، طيب ! سنذهب لتناول الطعام فى الثكنة» . **المحرر** .

*** طعام روسي من الحبوب المطحونة واللحم والدهن . **المعرب** .

وقطعة ضخمة من الخبز الاسود ، وبابريق شاى ، وهو امر لا مفر منه طبعا . واخذ الجميع يطرحون عليّ الاسئلة عن اميركا . هل صحيح ان الناس ، فى بلادكم الحرة ، يبيعون اصواتهم **بالمال** ؟ واذا صح ذلك فكيف يتوصل الشعب لتحقيق مطالبه ؟ وما هذه «التامانى» * ؟ أصحيح ان فى بلادكم الحرة فئة من بضعة اشخاص تستطيع اللعب على هواها بمدينة كاملة واستخدامها لما فيه منفعتها الشخصية ؟ وكيف يحتمل الشعب هذا ؟ مثل هذه الامور ما كانت تصادف فى روسيا حتى فى ظل القيصر : صحيح ان الرشاوى كانت دائما موجودة ، اما شراء وبيع مدن بكاملها يعيش فيها جمهور الشعب ! . . وفى بلاد حرة ايضا ! أليس لدى الشعب شعور ثورى على الاطلاق ؟ وحاولت افهامهم ان الشعب عندنا يحاول تغيير وضع الامور بطرق قانونية .

«طبعا — قال لى صف ضابط شاب ، كنيته باكلانوف ، يتكلم بالفرنسية . — ولكن لديكم طبقة رأسمالية جد متطورة ؟ وفى هذه الحال لا بد ان تخضع الطبقة الرأسمالية لنفسها التشريع والقضاء معا . فكيف يمكن للشعب ان يغير هذا الوضع ؟ قد تقنعنى بصواب رأيك باعتبار انى اجهل بلادكم ، ولكن هذا ، بالنسبة لى ، امر غير معقول البتة . . .» .

قلت انى ذاهب الى تسارسكويه سيلو ، فاعلن باكلانوف على نحو مفاجئ : «وانا ايضا» . ثم اذا بجميع من كانوا فى الغرفة يقررون الذهاب الى تسارسكويه سيلو ، قائلين : «وأنا . . . وأنا . . .» .

وفى تلك اللحظة قرع احدهم الباب ، فانفتح وظهر فيه العقيد . فما نهض احد واقفا ، ولكن الجميع رحبوا به باصوات عالية . وسأل العقيد : «أيمكن الدخول ؟» فاجاب الجنود بمودة : «تفضل ! تفضل !» .

ودخل العقيد مبتسما ، وهو شخص طويل القامة حسن المظهر ، يعتمر قبعة من فراء الاستراخان . وقال : «يبدو ، يا رفاق ،

---

* «تامانى» او «تامانى هول» هو مقر قيادة الحزب الديموقراطى فى نيويورك ، وقد اصبح مرادفا لجميع المفاسد والجرائم بمناسبة الكشف فى ذلك الحين عن كثير من حالات اشتراك الزعماء الديموقراطيين فى نيويورك فى هذه الجرائم . **المحرر** .

انكم كنتم تقولون انكم ذاهبون الى تسارسكويه سيلو . أليس يمكن ان اذهب معكم ؟» .

ففكر باكلانوف بعض الشيء ، ثم اجاب : «لست اعتقد ان ثمة امورا ذات اهمية خاصة هنا اليوم . هيا بنا يا رفيق . سنكون مسرورين بمرافقتك لنا» . فشكره العقيد ، وجلس وصب لنفسه كأسا من الشاى .

وشرح لى باكلانوف الوضع قائلا بصوت خفيض لكى لا يجرح مشاعر العقيد : «انا رئيس اللجنة . ونحن نتولى ادارة الكتيبة بكاملها ، اما العقيد فيتولى عن طريقنا حق القيادة وقت القتال فقط ، اذ تكون الكتيبة تحت امرته وتكون اوامره ملزمة للجميع . ولكنه مسؤول امامنا عن كل شيء . وفى الثكنات لا يستطيع فعل شيء بدون اذن منا . . . فيمكن اعتباره مستخدما لدينا . . .» .

ووزعت علينا مسدسات وبنادق – «فقد نصطدم بالقوزاق . . .» – وركبنا سيارة الاسعاف آخذين معنا ثلاث حزم كبيرة من الجرائد للجبهة . ومضت السيارة قدما فى شارع ليتيينى ، ثم فى شارع زاغورودنى . وكان يجلس الى جانبى ملازم شاب كان على ما يبدو يتكلم بجميع اللغات الاوروبية بدرجة واحدة من السهولة . وقد كان عضوا فى لجنة الكتيبة . وكان يؤكد بحرارة ، قائلا :

«انا لست بلشفيا . فانا من اسرة عريقة فى النبالة . يمكن القول انى ، من حيث الجوهر ، من الكاديت . . .» .

فقلت فى دهشة : «وكيف يكون ذلك . . .» .

«اجل ، اجل ، انا عضو فى اللجنة ! لست اخفى ارائى السياسية ، ولكن احدا لا يكترث لهذا ، لأن الجميع يعرفون انى لن اعمل ابدا ضد ارادة الاكثرية . . . لقد رفضت الاشتراك فى الحرب الاهلية باية صورة لانى لا اوافق على رفع السلاح على اخوانى الروس . . .» .

وصاح مرافقونا قائلين له مازحين وهم يربتون على كتفه : «استفزازى ! كورنيلوفى !» .

ومررنا من تحت قوس بوابة موسكو ، وهو نصب ضخم من الحجر الرمادى ، مغطى بالكتابات الهيروغليفية الذهبية والنسور الامبراطورية الجليلة واسماء القياصرة ، وانطلقنا مسرعين فى طريق عريضة مستقيمة مغبرّة من اول تساقط للثلج . وقد كانت تغص

برجال من الحرس الاحمر كانوا يمضون سيرا على الاقدام ، يصخبون ويغنون ، فى طريقهم الى الجبهة الثورية . وكان ثمة آخرون ، شاحبون متسخون ، يعودون من هناك الى المدينة . وكان معظم رجال الحرس الاحمر يبدون فى ميعة الصبا . وكانت تمر ايضا نسوة يحملن المعاول ، وبعضهن يحملن البنادق واحزمة الرصاص او اشرطة الصليب الاحمر حول اذرعهن ؛ انهن نسوة الاحياء الفقيرة باوجه شاحبة ملطخة بالوحل وقد انحنت ظهورهن وارهقهن الكدح . وكانت ثمة جماعات من الجنود ، غير متوازنى الخطوات ، يتمازحون بود مع رجال الحرس الاحمر . وكان ثمة بحارة ذوو ملامح قاسية ، واولاد يحملون صرر الطعام لآبائهم وامهاتهم ، وهم جميعا ، بين ذاهب وآيب ، يخوّضون بعناد فى وحل كثيف يغمر الجادة بعمق يبلغ عدة بوصات . وتخطينا مدافع وعربات الذخيرة ، ماضيــة بصخب نحو الجنوب محدثة جلبة مرتفعة . والتقينا بشاحنات تسير فى كلا الاتجاهين تبرز فيها غابات من حراب المقاتلين ؛ ومن الجبهة كانت تجيء سيارات اسعاف تغص بالجرحى ، والتقينا مرة بعربة فلاحين تسير مطلقة صريرها ، وعليها شاب شاحب الوجه مصطبغ بصفرة الموت وقد انطوى على بطنه المبقور يتلوى ويئن انينا رتيبا . وفى الحقول ، على جانبى الطريق ، نساء وشيوخ يحفرون الخنادق وينصبون الاسلاك الشائكة .

ومن الخلف ، فى الشمال ، كانت الشمس تطل شاحبة مـن خلال فجوة رائعة فى السحب . وعلى السهل المستنقعى السوىّ كانت تشع بتروغراد . من اليمين تنتصب القباب والحراب ، بيضاء ومذهبة ومتعددة الالوان ؛ ومن اليسار ترتفع المداخن العالية ، مطلقة دخانا اسود ، وخلف هذا كله تترامى السماء منخفضة فوق فنلندا . ومن جميع الجهات كانت تبدو الكنائس والاديرة . . . ومن حين لآخر كان يمكن ان تقع العين على ناسك يرقب بصمت اندفاع الجيش البروليتارى ، المالئ الدرب .

وفى بولكوفو تشعبت الطريق ، وتوقفت بنا السيارة هنــا وسط جمع غفير كان الناس يتدفقون اليه من ثلاث جهات ويلتقى فيه اصدقاء يتبادلون التهانى باغتباط ويصفون المعركة لبعضهم بعضا عما عانوه فى المعارك . وكانت البيوت القائمة على مفترق الطرق تحمل آثار الطلقات النارية ، واما الارض فكانت موطوءة

بالاقدام ومتحولة الى وحول على مسافة نصف ميل من حولها . فقد جرى فى هذا المكان قتال ضار . . . وعلى مقربة من ذلك المكان كانت خيول القوزاق تدور جائعة بدون فرسان تبحث عبثا عن طعام : فمنذ وقت بعيد لم يبق للعشب من اثر فى السهل . وتماما مقابلنا كان احد رجال الحرس الاحمر تعوزه المهارة يحاول امتطاء احد الاحصنة ، الا انه كان يسقط المرة تلو المرة ، مما يبعث المرح الطفولى لآلاف عديدة من الناس البسطاء .

كان الدرب الى اليسار ، وقد ارتد عليه من تبقى من القوزاق ، يؤدى الى ضيعة صغيرة على رأس رابية صغيرة ينبسط امامها منظر رائع لسهل شاسع رمادى ، كأنه البحر الساكن ، ومن فوقه تحوم سحب ثقيلة كثيفة ؛ والمدينة الجليلة تلفظ الآلاف من سكانها على جميع الطرقات . وبعيدا الى اليسار تقع رابية كراسنويه سيلو غير المرتفعة ، حيث كانت تقوم ساحة عرض المعسكر الصيفى للحرس الامبراطورى والمزرعة الامبراطورية . وما كان يبدل من رتابة السهول المتاخمة غير بضعة اديرة ، محاطة باسوار من الحجر ، وبضعة معامل منعزلة ، وكذلك بضعة مياتم وملاجئ ، هى ابنية كبيرة ذات بساتين مهملة . . .

وقد قال السائق ونحن نرتقى الهضبة الجرداء : «هنا ، هنا توفيت فيرا سلوتسكايا . نعم ، نعم ، تلك ذاتها ، البلشفية وعضو الدوما . حدث ذلك فى هذا اليوم ، فى الصباح الباكر . كانت فى سيارة مع زالكيند ورفيق آخر . وكانت الهدنة قائمة ، وهم ذاهبون الى الخنادق الامامية كانوا يتحادثون ويتضاحكون ، حين حدث فجأة ان شهد السيارة احدهم من القطار المصفح الذى كان كيرنسكى نفسه مسافرا فيه ، فاطلق النار من المدفع . فاصابت القذيفة سلوتسكايا فاردتها قتيلة . . .»

وهكذا بلغنا تسارسكويه سيلو ، حيث كان ابطال المفارز البروليتارية يتمشون صاخبين . واذ ذاك كان القصر ، الذى كان السوفييت يعقد فيه جلساته ، مكانا لنشاط عملى . فى الفسحة يحتشد رجال الحرس الاحمر والبحارة ، وعلى الابواب يقف الخفراء ، والرسل والمفوضون يدخلون ويخرجون بدون انقطاع . وفى قاعة السوفييت سماور يغلى ، ومن حوله يقف اكثر من خمسين عاملا وجنديا وبحارا وضابطا ، يشربون الشاى ويتحادثون باصوات

عالية . وفى الزاوية عاملان يحاولان تشغيل آلة ناسخة ، وهما غير معتادين على مثل هذا العمل . وبالقرب من الطاولة ، القائمة وسط القاعة ، كان ديبنكو الجسيم منحنيا على الخارطة يحدد مواقع القوات بقلم احمر وازرق . وعلى عهده دائما ، كان يحمل بيده الاخرى مسدسا ضخما من الفولاذ الازرق . ثم جلس خلف آلة كاتبة واخذ يضرب عليها باصبع واحدة . وكان اذا توقف عن العمل ، ولو ثانية واحدة ، يعود فيمسك مسدسه من جديد ويدير طاحونته ادارة المولع .

وكانت ثمة اريكة لدى الجدار يستلقى عليها عامل شاب ، ينحنى عليه اثنان من الحرس الاحمر ، واما الآخرون فما كانوا ليعيرونه اى انتباه . كان مصابا بجرح فى صدره ؛ والدم الصافى ينبثق من ثيابه لدى كل خفقة من خفقات قلبه . كانت عيناه مغمضتين ، وقد بات وجهه الفتى الملتحى خضراويا شاحبا . وكان يتنفس ببطء ومشقة ، ويهمس لدى كل زفرة : «السلام آت . . . السلام آت . . .» .

وتطلع ديبنكو الينا ، فقال اذ رأى باكلانوف : «ها ها ! اما تريد ، يا رفيق ، الذهاب الى آمر الموقع وتولى الامور هناك ؟ انتظر ، الآن اكتب لك تفويضا» .

ومضى الى الآلة الكاتبة واخذ يضرب حرفا اثر حرف .

وذهبت مع آمر تسارسكويه سيلو الجديد الى قصر يكاترينا . وقد كان باكلانوف شديد الانفعال مفعما بالشعور باهميته . وفى تلك القاعة البيضاء نفسها ، التى سبق لى ان كنت فيها فى زيارتى السابقة ، وجدنا بضعة افراد من رجال الحرس الاحمر يتطلعون الى ما حولهم بفضول ، فى حين وقف العقيد وقد تعرفت عليه فى الماضى ، قرب النافذة يعض شاربيه . وقد رحب بى ترحيبه بأخ انقطعت اخباره . وكان الفرنسى من بسارابيا يجلس وراء طاولة قرب الباب . فقد امره البلاشفة بالبقاء هنا ومتابعة عمله . وقد همس لى قائلا :

«ماذا كان فى وسعى ان اعمل ؟ الناس امثالى ، فى مثل هذه الحرب ، لا يستطيعون ان يقاتلوا لا مع هذا الجانب ولا مع ذاك ، مهما يكن الاشمئزاز الغريزى الذى نشعر به حيال ديكتاتورية الغوغاء . . . يؤسفنى فقط انى بعيد هذا البعد عن امى ، الباقية فى بيسارابيا !» .

وتسلم باكلانوف رسميا تسيير الامور من آمر الموقع

السابق . وقال العقيد بنبرة عصبية : «هاك مفاتيح الطاولة» .

وقاطعه احد رجال الحرس الاحمر سائلا اياه بحدة : «واين الاموال ؟» فبدت على العقيد الدهشة : «الاموال ؟ الاموال ؟ ها ها ، تتكلم عن صندوق النقود ! . . ها هو ذا ، على حاله كما استلمته منذ ثلاثة ايام . المفاتيح ؟ – قال العقيد هذا وشال بكتفيه . – المفاتيح ليست معي» .

فابتسم رجل الحرس الاحمر ابتسامة خبيثة ، وقال : «يا للشطارة !» .

وقال باكلانوف : «فلنفتح الصندوق ! هاتوا بلطة ! هاكم ان هنا رفيقا اميركيا . فليكسر القفل وليسجل ما في الصندوق .

فاهويت بالبلطة ، فاذا بالصندوق الخشبى فارغ .

وقال رجل الحرس الاحمر محنقا : «ينبغى اعتقاله . انه مع كيرنسكى . سرق الاموال وسلمها لكيرنسكى» .

فما وافق باكلانوف ، واجاب قائلا : «كلا ، فقد كان الكورنيلوفيون موجودين هنا قبله . انه غير مذنب» .

فصاح رجل الحرس الاحمر : «اف ! اقول لك انه مع كيرنسكى ! فاذا كنت لا تعتقله انت ، فلسوف نعتقله نحن ! سنأخذه الى بتروغراد ونسجنه فى قلعة بطرس وبولس . ان سبيله الى هناك !» وايده رجال الحرس الاحمر الآخرون . ونظر العقيد الينا نظرة استعطاف ، واقتادوه . . .

وفى الاسفل ، مقابل مقر السوفييت ، كانت سيارة شحن على اهبة الذهاب الى الجبهة . وقد تسلق اليها ستة من رجال الحرس الاحمر وبضعة بحارة وجندى او اثنان ، كانوا بقيادة عامل ضخم . وقد نادونى عارضين علىّ الذهاب معهم . وخرج من مقر السوفييت رجال من الحرس الاحمر منحنين تحت عبء قنابل صغيرة ، معبأة بالغروبيت ، وهو ، كما كانوا يقولون ، اقوى من الديناميت بعشر مرات واشد منه حساسية بخمس مرات . والقوا بجميع هذه القنابل فى الشاحنة . وبعد ذلك قطروا بالسيارة مدفعا من عيار ثلاث بوصات ، وقد ربطوه بها بالحبال والاسلاك الحديدية .

وانطلقنا مشيعين بالصيحات الصاخبة ، سائرين ، بالتأكيد ، باقصى السرعة . وكانت الشاحنة الثقيلة تتمايل من جانب لآخر ، والمدفع يتراقص من عجلة لاخرى ، واما قنابل الغروبيت فكانت

تتدحرج الى الخلف والى الامام تحت اقدامنا مصطدمة اصطداما رنانا على جوانب السيارة .

كان رجل الحرس الاحمر الضخم ، واسمه فلاديمير نيقولاييفيتش يمطرنى بالاسئلة عن اميركا : «لماذا دخلت اميركا الحرب ؟ هل العمال الاميركيون على استعداد للتخلص من الرأسماليين ؟ الى اين وصلت الآن دعوى مونى * ؟ هل سيسلم بركمان * * لسان فرانسيسكو ؟» . وهلم جرا . ولم يكن يسيرا الجواب عن جميع هذه الاسئلة التى كانت تنطلق صياحا وسط ضجيج السيارة ، واذ نحن نتشبث بعضنا ببعض ، ونتراقص وسط القنابل المتدحرجة .

ومن حين لآخر كانت الدوريات تحاول وقفنا . فكان الجنود يثبون الى عرض الطريق ويصرخون ، وهم رافعون البنادق : «قف !» .

ولكننا لم نكن نعيرهم اى انتباه . وكان رجال الحرس الاحمر يصيحون : «اف لكم ! اترانا سنقف لكل واحد ! نحن حرس احمر ! . .» وكنا نتابع السير مزهوين ، واما فلاديمير نيقولاييفيتش فكان يواصل الصراخ فى اذنى متحدثا باشياء عن تدويل قناة بناما وما اشبه ذلك . . .

وبعد ان اجتزنا قرابة خمسة اميال ، التقينا بجماعة من البحارة سائرين الى تسارسكويه سيلو . فابطأنا المسير .

«اين الجبهة ، يا اخوان ؟» .

فتوقف البحار السائر فى المقدمة وحك قذاله . «صباحا ، كانت هناك ، على بعد نصف فرسخ من الطريق . اما الآن ، فالشيطان يعرف اين . لقد ظللنا نسير ، ونسير ، فلم نهتد اليها» .

وتسلقوا الشاحنة ، وتابعنا المسير . واغلب الظن اننا كنا

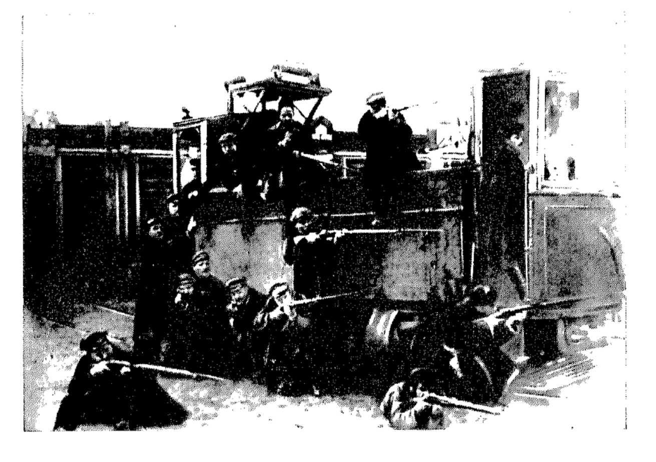
---

* توم مونى ، مناضل نشيط فى الحركة العمالية فى الولايات المتحدة ، عامل تعدين ، حكم عليه بالاعدام بتهمة باطلة تزعم انه القى قنبلة اثناء عرض فى سان فرانسيسكو فى ٢٢ تموز (يوليو) ١٩١٦ . وتحت ضغط الاستنكار الشديد فى اوساط الشغيلة اضطر الرئيس ويلسون للتدخل ، وعدل الحكم : فحول حكم الاعدام على توم مونى الى السجن المؤبد . ورغم ثبوت براءة توم مونى ، ظل فى السجن اكثر من عشرين عاما ، واطلق سراحه فى عهد الرئيس روزفلت .

* * بركمان هو احد شركاء توم مونى فى الدعوى . **المحرر** .



فصيلة من البحارة على رأسها ديبنكو، متوجهة للنضال ضد كيرنسكي.
(الفصل الثامن)



عربة الترام المصفحة فى مرحلة معارك الشوارع فى موسكـــو ، فى حى زاموسكفوريتشيه .

(الفصل العاشر)

قد قطعنا قرابة ميل آخر حين ارهف فلاديمير نيقولاييفيتش اذنيه فجأة ، فصاح بالسائق طالبا منه وقف السيارة . وقال :

«طلقات نار ! اتسمعون ؟» وحل صمت الموت لحظات ، ثم لعلعت من امامنا والى يسارنا ثلاث طلقات سريعة ، الواحدة اثر الاخرى . كان الدرب محاطا من جانبيه بغابة كثيفة . وتابعنا طريقنا بحذر ونحن فى انفعال شديد ، والحديث بيننا يدور همسا ، وما توقفنا الا حين وصلت الشاحنة الى مكان يكاد يكون مواجها لمكان اطلاق النار . وقفزنا الى الارض ، وانتشرنا بعضنا اثر بعض ودخلنا الغابة ، على حذر ، وايدينا مشدودة على البنادق .

واثناء ذلك فك اثنان من الرفاق المدفع واداراه حتى اصبحت ماسورته موجهة خلف ظهورنا تقريبا .

كان يسود الغابة صمت عميق ، واوراق الاشجار ساقطة ، وجذوعها مصطبغة بلون رمادى اغبش تحت اشعة شمس الخريف الواطئة المائلة . وكان كل شيء فى جمود . وما كان يسمع غير تهشيم الجليد تحت اقدامنا ، فوق رامات الغابة . اثمة كمين ؟ . .

وظللنا نسير قدما من غير عائق الى ان اخذت الاشجار تتضاءل عددا ، وانفتح امامنا منفسح للنور ، واذ ذاك توقفنا ، واذا امامنا ، فى مرج صغير وسط الغابة ، ثلاثة جنود يثرثرون لا يبالون بشيء حول شعلة صغيرة .

خطا فلاديمير نيقولاييفيتش الى امام . وقال : «مرحبا ، يـــا رفاق !» وقد بدا ان مدفعنا ، والعشرين بندقية ، والشحنة الكاملة من قنابل الغروبيت ، كانت جميعا معلقة على شعرة . وهب الجنود واقفين .

«ما هذه الطلقات النارية عندكم ؟»

فاجاب احد الجنود ، وهو يتنفس الصعداء : «هؤلاء نحن ، يا رفاق ، اصطدنا ارنبين . . .» .

استأنفت شاحنتنا مسيرها الى رومانوفو ، تشق عباب الهواء المشرق الصافى . وفى اول نقطة تلاق للطرق وثب نحونا جنديان ، ملوحين ببندقيتيهما . فابطأنا مسيرنا وتوقفنا .

«اوراق المرور ، يا رفاق !» .

فاطلق رجال الحرس الاحمر صياحهم . «نحن حرس احمر . لسنا ملزمين باية اوراق مرور . . . تابع السير ، لا لزوم للكلام ! . .» .

وهنا تدخل احد البحارة . «هذا لا يجوز ، يا رفاق . ينبغى التمسك بالانضباط الثورى . فهكذا يمكن لاى عدو للثورة ان يركب شاحنة ويقول : «لست ملزما باية اوراق مرور ! . .» . فالرفيقان لا يعرفاننا . . .» .

وبدأ جدل . الا ان الجميع وافقوا شيئا فشيئا على رأى البحار . وسحب رجال الحرس الاحمر اوراقهم المتسخة ، وهم يدمدمون . كانت جميع الاوراق الثبوتية متماثلة ، الا ورقتى الصادرة عن الاركان الثورية فى سمولنى ، فقد كانت ذات شكل خاص . فاعلن الخفيران ان علىّ ان اذهب معهما . فاحتج رجال الحرس الاحمر بشدة ، ولكن ذلك البحار الذى كان اول من تكلم عن الانضباط ، وقف موقف التأييد للخفيرين ، فقال : «نحن نعرف ان هذا رفيق ، نعرف انه رجل مخلص ، ولكن ثمة اوامر صادرة عن اللجنة ، وينبغى الخضوع لهذه الاوامر . ذلك هو الانضباط الثورى . . .» .

وبغية عدم التسبب فى اثارة المشاكل ، ترجلت من الشاحنة واخذت ارقبها وهى تبتعد متمايلة وراح جميع الصحاب يلوحون لى بايديهم مودعين . وتهامس الجنديان دقيقة ، ثم سارا بى الى جدار فاوقفانى هناك . وادركت فجأة كل شىء : كانا يريدان اعدامى رميا بالرصاص .

وتلفت حولى : ما كان ثمة ولا نسمة بشرية ، اللهم الا علامة واحدة على وجود مسكن ، هى نفثة من دخان فوق مدخنة منزل خشبى على بعد ميل تقريبا من الطريق . وابتعد عنى الجنديان الى الطريق . فركضت اليهما فى حالة من اليأس .

«ولكن انظرا ، ايها الرفيقان ! فهذا ختم اللجنة العسكريـــــة الثورية !» .

فتطلعا ببلاهة الى ورقتى ، ثم نظرا احدهما الى الآخر . وقال احدهما عابس الوجه :

«ليست مثل الاوراق التى لدى الآخرين . نحن ، يا اخ ، لا نحسن القراءة» .

فامسكت بيده ، وقلت : «هيا نذهب الى ذاك البيت ! فثمة ، على الارجح من يعرف القراءة والكتابـــة» . وتردد الجنديان وقال

احدهما : «كلا» . ولكن الآخر نظر الىّ مرة اخرى ، وقال : «ولم لا ؟ قتل البرئ ايضا ليس لعبة . . .» .

ووصلنا باب المنزل الريفى فقرعناه . وفتحت الباب امرأة قصيرة ممتلئة الجسم وارتدت الى وراء صائحة : «لا اعرف عنهم شيئا ! لا اعرف شيئا !» .

ومد اليها احد خفيرىّ اذن المرور . فانطلقت تصرخ من جديد . فقال لها احد الجنديين : «ما عليك ، يا رفيقة ، الا ان تقرئى» . فتناولت الورقة مترددة ، وراحت تقرأ مسرعة بصوت مسموع :

«هذه الورقة الثبوتية معطاة لممثل الاشتراكية الديموقراطية الاميركية الاممى الرفيق جون ريد . . .» .

واثناء العودة الى الطريق اخذ الجنديان يتشاوران فيما بينهما من جديد . وقالا : «ينبغى لنا ان نأخذك الى لجنة الفوج» . فمضينا نسير فى درب موحل فى عتمة المساء الكثيفة . ومن حين لآخر كنا نلتقى بجماعات من الجنود . وقد كانوا يتوقفون ويحيطون بى فينظرون الىّ نظرات التهديد ويتناقلون ورقتى الثبوتية من يد لأخرى ، وهم يتجادلون بعنف عما اذا كان ينبغى اعدامى رميا بالرصاص ام لا .

وكانت الظلمة قد اطبقت كليا حين وصلنا ثكنات فوج رماة تسارسكويه سيلو الثانى ، وهى ابنية منخفضة طويلة ، ممتدة على طول الطريق . وشرع بضعة جنود متسكعين قرب الباب يمطرون مرافقىّ باسئلة ملحاحة : «جاسوس ؟ استفزازى ؟» . وصعدنا سلما لولبيا ودخلنا قاعة واسعة جرداء وفى وسطها مدفأة كبيرة ، وعلى طول جدرانها بسطت افرشة عليها جنود يلعبون بالورق او يتحادثون او يغنون او ينامون . كان عددهم يقارب الالف . وكانت فى السقف ثغرة فتحتها مدافع كيرنسكى .

وحين ظهرت فى العتبة ساد الصمت على الفور . وراح الجميع يحدقون بى انظارهم . ثم بدأت حركة ، بطيئة اول الامر ، ثم اشتد عنفا ، وانطلقت اصوات محنقة . وصاح احد مرافقىّ : «يا رفاق ! يا رفاق ! اللجنة ! اللجنة !» وتوقف الجمهور والتف حولى مدمدما . وشق الطريق بين الجمهور شاب نحيل على كمه شريطة حمراء . فسأل بحدة :

«من هذا ؟» . وشرح مرافقاى الامر . «هاتا اوراقـــه !» فقرأ بانتباه والقى علىّ نظرة متفحصة . ثم ابتسم وردّ الىّ اذن المرور .

«يا رفاق ، هذا رفيق اميركى . انا رئيس اللجنة . اهلا بك فى فوجنا . . .» وفجأة تحولت الدمدمة الغاصبة الى هدير تحيات فرحة . وتدافع الجميع الىّ واخذوا يصافحوننى .

«لم تتناول غداءك بعد ؟ عندنا انتهـــى الغداء . ستذهب الى نادى الضباط ، فثمة من يتحادث معك بلغتك . . .» .

واوصلنى رئيس اللجنة عبر الفناء الى باب مبنى آخر . وفى ذلك الوقت بالضبط كان قادما الى هناك شاب ارستوقراطى المظهر يحمل شارات الملازم . فقدمنى رئيس اللجنـــــة اليه وصافحنى وانصرف . وبلغة فرنسية ممتازة ، قال الملازم :

«ستيبان غيورغييفيتش موروفسكى ، فى خدمتكم» .

كان يؤدى من البهو الفخم الى الطابق العلوى سلم فاخر مضاء بثريات ساطعة . وفى الطابق الثانى تنفتح على الفسحة قاعة للبليار وقاعة للعب الورق ومكتبة . وقد دخلنا قاعة الطعام ، حيث كان يجلس حول مائدة طويلة فى الوسط قرابة عشرين ضابطا بحلتهم الكاملة ، متمنطقين بسيوفهم ذات المقابض الذهبية والفضية ، وعلى ملابسهم صلبان ومختلف الاوسمة الامبراطورية . وحين دخلت ، هب الجميع واقفين بكياسة ، واجلسونى الى جانب العقيد . وقد كان هذا رجلا على جانب كبير من المهابة ، عريض المنكبين ، اشيب اللحية . وكان الجنود الخدم يقدمون الطعام بمهارة . وكان الجو مماثلا تماما لما هو عليه فى اى ناد اوروبى للضباط . فاين الثورة هنا ؟

وسألت موروفسكى : «انت لست بلشفيا ؟» .

فابتسم الجالسون حول المائدة ، ولكننى لاحظت اثنين او ثلاثة ينظرون الى الجنود الخدم خلسة .

وقد اجاب صديقى الجديد قائلا : «كلا . ليس فى فوجنا سوى ضابط واحد بلشفى . ولكنه الآن فى بتروغراد . والعقيد من المناشفة . والنقيب خيرلوف من الكاديت . اما انا نفسى فاشتراكى-ثورى يمينى . وينبغى لى ان اقول لك ان اكثرية الضباط فى جيشنا ليست من البلاشفة . ولكنهم مثلى مؤمنون بالديموقراطية ويعتقدون ان من واجبهم اتباع جمهور الجنود . . .» .

وحين انتهى الغداء ، جيء بخرائط ، فبسطها العقيد على الطاولة . وتجمع الباقون حوله .

وقال العقيد مشيرا الى علائم مرسومة على الخارطة بقلم الرصاص : «هنا كانت مواقعنا فى الصباح . فاين مفرزتك الآن ، يا فلاديمير كيريلوفيتش ؟» .

فاشار النقيب خيرلوف الى المكان . «بناء على الامر ، احتللنا مواقع على طول هذه الطريق . وقد حل كارسافين مكانى فى الساعة الخامسة . . .» .

وهنا انفتح الباب ودخل قاعة الطعام رئيس لجنة الفوج يصحبه احد الجنود . فانضما الى الجماعة المحيطة بالعقيد وانحنيا على الخريطة .

وقال العقيد : «ممتاز . لقد تراجع القوزاق مسافة عشرة كيلومترات فى قطاعنا . ولست ارى ضرورة لنقل مواقعنا الى امام . واليوم ، ليلا ، ستحافظون على هذا الخط ، ايها السادة ، معززين المواقع بواسطة . . .» .

فقال رئيس لجنة الفوج مقاطعا : «عفوا ، ان ثمة امرا يقضى بالتحرك قدما باسرع ما يمكن والتأهب للدخول ، غدا صباحا ، فى القتال مع القوزاق الى الشمال من غاتشينا . فلا بد من تحطيمهم نهائيا . فتفضلوا باصدار التعليمات المقتضاة . . .» .

وحل صمت قصير الامد . وعاد العقيد الى الخريطة من جديد . وقال مبدلا لهجة صوته : «حسنا . من فضلك ، يا ستيبان غيورغييفيتش . . .» . وفيما كان يجرى قلمه الازرق سريعا راسما الخطوط على الخريطة ، اصدر بضعة اوامر كان يسجلها الرقيب المختزل الواقف هناك . ثم انصرف الرقيب وعاد بعد عشر دقائق ومعه الامر جاهزا ، مطبوعا على الآلة الكاتبة بنسختين . واخذ رئيس اللجنة نسخة من الامر واخذ يطابقه على الخريطة . ثم قال وهو يقف : «كل شيء على ما يرام» .

وطوى النسخة ودسها فى جيبه . ثم وقع على النسخة الاساسية وختمها بختم مدور اخرجه من جيبه وسلم الامر الموقع للعقيد . . .

اذ ذاك ادركت اين هى الثورة !

عدت بسيارة اركان الفوج الى قصر السوفييت فى تسارسكويه . كان كل شىء هنا ما يزال على حاله : جموع من العمال والجنود والبحارة تجىء وتروح ، وكانت الباحة غاصة بسيارات الشحن والمصفحات والمدافع ، والصيحات والضحكات ما تزال تتعالى ، احتفالا بانتصار خارق للعادة . وشق الزحام ستة من رجال الحرس الاحمر كان يمشى بينهم كاهن . وقيل انه الاب ايفان نفسه الذى بارك القوزاق حين دخلوا المدينة . وقد سمعت فيما بعد ان هذا الكاهن قد اعدم رميا بالرصاص[4] .

وخرج ديبنكو من باب مقر السوفييت ، مصدرا الاوامر المستعجلة ذات اليمين وذات الشمال . وكان ما يزال يحمل فى يده ذلك المسدس الكبير ذاته . وكانت تقف فى الفناء سيارة يدور محركها . فجلس ديبنكو لوحده على المقعد الخلفى وانطلق الى غاتشينا للقضاء على كيرنسكى .

وقبيل المساء وصل الى مشارف المدينة فترجل من السيارة وتابع طريقه سيرا على قدميه . ولا احد يعرف ماذا قال ديبنكو للقوزاق ، ولكن المؤكد هو ان الجنرال كراسنوف قد استسلم مع اركان حربه وعدة آلاف من القوزاق ، واشار على كيرنسكى بان يفعل الشىء نفسه[5] .

وفيما يتعلق بكيرنسكى اورد فيما يلى مقتطفات من افادة الجنرال كراسنوف بتاريخ ١٤ تشرين الثانى – نوفمبر (١ نوفمبر) :

«مدينة غاتشينا ، فى ١ نوفمبر ١٩١٧ .

اليوم ، حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر استدعانى القائد الاعلى . كان شديد التهيج وعصبيا جدا .

قال لى : «لقد خنتنى ، يا جنرال . جماعتك من القوزاق يقولون انهم سيعتقلوننى ويسلموننى للبحارة» .

فاجبته : «نعم ان الحديث يدور حول هذا ، وانا اعرف ان لا عطف عليك فى اى مكان» .

«ولكن الضباط ايضا يقولون الشىء نفسه» .

«اجل ، ان الضباط على الخصوص مستاؤون منك» .

«فماذا علىّ ان اعمل ؟ لم يعد امامى الا الانتحار !» .

«لو انك رجل شريف لذهبت الآن الى بتروغراد حاملا راية

بيضاء وتقدمت الى اللجنة الثورية فقمت بالتفاوض بوصفك رئيسا للحكومة» .

«اجل ، سأفعل هذا ، يا جنرال» .

«ساعطيك حرسا وسألتمس ان يذهب معك بحار» .

«كلا ، بدون بحار على الاخص . فانت تعلم ان ديبنكو هنا ؟» .

«لست اعلم من هو ديبنكو» .

«انه عدوى» .

«وما العمل ؟ ما دمت تلعب لعبة كبيرة فلا بد لك ان تحسن تحمل المسؤولية ايضا» .

«نعم ، شرط ان اذهب ليلا فقط» .

«ولماذا ؟ سيكون هذا فرارا . سافر بهدوء وعلى المكشوف لكى يرى الجميع انك غير هارب» .

«نعم ، حسنا . ولكن اعطنى حرسا يركن اليهم» .

«طيب» .

وخرجت فاستدعيت القوزاقى روساكوف من فوج الدون العاشر وامرته بتعيين ثمانية من القوزاق لمواكبة القائد الاعلى . وبعد نصف ساعة جاء القوزاق فقالوا ان كيرنسكى لا وجود له ، وانه قد هرب . فاعلنت الاستنفار وامرت بالبحث عنه ، مفترضا انه لم يكن قد استطاع الفرار من غاتشينا وانه مختف فى مكان ما هنا» .

هكذا هرب كيرنسكى ، لوحده ، متخفيا ، بلباس بحار . لقد هرب فخسر بذلك آخر ما تبقى له من الشعبية التى كان يتمتع بها ذات يوم لدى الجماهير الروسية .

عدت الى بتروغراد جالسا الى جانب السائق العامل فى سيارة شحن ملأى برجال الحرس الاحمر . لم يكن معنا كاز ، فما امكن اشعال المصابيح . وكان الدرب غاصا بجيش البروليتاريا العائد الى المنازل ، وبالاحتياطيين الجدد الماضين الى الجبهة لاحتلال مكانه . وفى الظلمة كانت تلوح اشباح شاحنات ضخمة من نوع شاحنتنا ، وارتال مدفعية . وعربات ، وجميعها ، على شاكلتنا ، بدون نور . وقد كنا نمضى قدما بعناد ، منعطفين بشدة تارة الى اليمين وتارة الى اليسار ، لتحاشى الاصطدامات التى بدت محتمة . فيتعالى صرير الاطارات ، تعقبه شتائم المشاة .

وفى الافق كانت تشع انوار العاصمة المتألقة التى تبدو ليلا ابهى الى حد بعيد منها نهارا ، فكأنها اكوام من الماس قد نثرت فوق السهل الاجرد .

كان العامل الشيخ الذى يسوق سيارتنا قد امسك عجلة القيادة بيد واحدة واشار بالثانية بغبطة صوب العاصمة المشعة بعيدا ، ويصيح والاشعاع فى وجهه :

«انت لى ! انت الآن لى! يا بتروغرادى !» .

الفصل العاشر

موسكو

تابعت اللجنة العسكرية الثورية انتصارها بجهد لا يعرف الكلل .

«١٤ تشرين الثانى — نوفمبر (الاول منه) .

الى جميع لجان الجيش والفيالق والافواج ، الى جميع سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين .

الى الجميع ، الى الجميع ، الى الجميع .

بناء على الاتفاق الذى تم بين القوزاق واليونكر والجنود والبحارة والعمال ، تقررت احالة الكسندر فيدوروفيتش كيرنسكى الى محكمة الشعب العلنية . فنطلب اعتقال كيرنسكى وتسليمه لمحكمة الشعب . نطلب اعتقال كيرنسكى ومطالبته باسم المنظمات الآنفة الذكر بان يجىء فى الحال الى بتروغراد ويسلم نفسه للقضاء .

التواقيع : قوزاق فرقة الخيالة القوزاقية فى اوسورى ، لجنة اليونكر لمفرزة الانصار بمنطقة بتروغراد ، ممثل الجيش الخامس .
مفوض الشعب **ديبنكو**»

اما لجنة الانقاذ ، ومجلس الدوما واللجنة المركزية لحزب الاشتراكيين-الثوريين ، الذى كان يزهو باعتبار كيرنسكى عضوا فيه ، فاعترضت جميعها بحرارة مؤكدة ان كيرنسكى لا يحمل المسؤولية الا امام الجمعية التأسيسية .

ومساء ١٦ (٣) تشرين الثانى (نوفمبر) شهدت الفين من رجال الحرس الاحمر يسير موكبهم فى شارع زاغورودنى ، تتقدمه جوقة عسكرية تعزف نشيد «المارسييز» (وكم كان وقعه متلائما مع هذه القوات !) ، والاعلام الحمراء بلون الدم تخفق فوق صفوف كثيفة من العمال الذاهبين للترحيب باخوتهم العائدين من جبهة الدفاع عن

بتروغراد الحمراء . وقد كانوا يسيرون فى الدغشة الباردة ، رجالا ونساء ، والحراب الطويلة تتمايل فوقهم ، مخترقين شوارع يكاد يلوح فيها النور ، لزجة من الوحل بين جموع صامتة من البرجوازيين الحاقدين والخائفين .

كان الجميع ضدهم : رجال الاعمال ، والمضاربون ، واصحاب المداخيـــل ، والملاكون العقاريون ، وضباط الجيش ، ورجال السياسة ، والاساتذة ، والطلاب ، واصحاب المهن الحرة ، واصحاب الحوانيت ، والموظفون ، والمستخدمون . وكانت الاحزاب الاشتراكية الاخرى جميعا تكره البلاشفة اشد الكراهية . والى جانب السوفييتات كانت جماهير العمال البسطاء ، والبحارة ، وجميع الجنود غير المفسدين ، والفلاحين الذين لا ارض لهم ، وكذلك حفنة ، حفنة ضئيلة ، من المثقفين .

ومن ابعد زوايا روسيا الواسعة الارجاء التى كانت تجتاحها امواج معارك الشوارع الضارية ، كان نبأ تحطيم كيرنسكى يرتد ارتداد الصدى الراعـــد لانتصار البروليتاريـــا ؛ من قازان ، وساراتوف ، ونوفغورود ، وفينيتسا ، حيث جرت فى الشوارع انهار من الدماء ، ومن موسكو ، حيث وجه البلاشفة المدفعية على المعقل الاخير للبرجوازية ، على الكرملين .

«انهم يقصفون الكرملين !» كان هذا النبأ يتناقل فى شوارع بتروغراد من شفة لشفة بما يقرب من الهلع . وكان المسافرون القادمون من «امنا الحنون موسكو الناصعة البياض» يروون اشياء رهيبة . القتلى بالالوف . شارعا تفيرسكايا وكوزنتسكى تلتهمهما النيران ، كاتدرائية فاسيلى البار اصبحت خرابا ينفث الدخان ، كاتدرائية اوسبنسكى ذهبت شذر مذر ، بوابـــة سباسكى فى الكرملين تتداعى ، مجلس الدوما التهمته النيران فلم تبق منه ولم تذر[1] .

ما من شىء سبق للبلاشفة ان فعلوه يمكن ان يقارن بهذا الانتهاك الفظيع للمقدسات فى قلب روسيا المقدسة . وقد كان يخيل للمؤمنين انهم يسمعون قصف المدافع وهى تطلق قذائفها على وجه الكنيسة الارثوذكسية مباشرة فتحيل قدس اقداس الامـــة الروسية الى هباء .

وفى ١٥ (٢) تشرين الثانى (نوفمبر) ، فيما كان مجلس مفوضى

الشعب مجتمعا ، انفجر مفوض الشعب للتربيـــة والتعليـــم لوناتشارسكى باكيا ، وخرج مسرعا من القاعة ، وهو يصيح :

«لا استطيع احتمال هذا ! لا استطيع صبرا على هذا التخريب لكل الجمال والتقاليد . . .» .

وفى المساء ، ظهر فى الجرائد كتاب استقالته :

«سمعت للتو من شهود عيان عما جرى فى موسكو .

كاتدرائيـــة فاسيلى البار وكاتدرائيـــة اوسبنسكى يجرى تدميرهما . ويقصف الكرملين الذى يحتوى الآن على اهـــم كنوز بتروغراد وموسكو الفنية .

الضحايا بالالوف .

والصراع يحتدم بالغا درجة الحقد الوحشى .

فماذا سيحدث ايضا ؟ والى اين المصير ؟

لست استطيع احتمال هذا . لقد فرغ صبرى . وانى لعاجز عن وقف هذا الهول .

ليس فى الوسع العمـــل تحت وطأة هذه الافكار التى تطير الصواب .

لهذا اقدم استقالتى من مجلس مفوضى الشعب .

وانى لادرك كل خطورة هذا القرار ، ولكن لم يعد فى وسعى الاحتمال . . .»[٢] .

وفى ذلك اليوم بالذات سلم رجال الحرس الابيض واليونكر الكرملين . وقد اخلى سبيلهم من غير عائق . ونصت معاهدة الصلح على ما يلى :

«١ — حل لجنة الامن العام .

٢ — يجرى تجريد الحرس الابيض من السلاح وتسريحـــه . يحتفظ الضباط بسيوفهم . لا يبقى فى مدارس اليونكر غير السلاح الضرورى للتعليم . ويسلم كل ما تبقى من السلاح لدى اليونكر . وتضمن اللجنة العسكرية الثورية للجميع الحريـــة والسلامـــة الشخصية .

٣ — لحل مسألة تنفيذ نزع السلاح المنصوص عليه فى الفقرة ٢ تؤلف لجنة من ممثلى اللجنة العسكرية الثوريـــة وهيئة القيادة والمنظمات التى اشتركت فى الوساطة .

٤ — فور التوقيع على اتفاقية الصلح يصدر الطرفان الامر بوقف

كل اطلاق للنار وكل اعمال حربية مع اتخاذ التدابير الحاسمة لتنفيذ هذا الامر تنفيذا دقيقا في كافة الاماكن .

٥ – لدى التوقيع على الاتفاقية يطلق فى الحال سراح جميع الاسرى من الطرفين . . .» .

وقد كانت المدينة فى قبضة البلاشفة منذ يومين قبل هذا . وكان المواطنون المذعورون يتسللون من اقبيتهم بحثا عن موتاهم . وكانت المتاريس ترفع من الشوارع . بيد ان الاقاويل عن تدمير موسكو لم تفتر ، وليس هذا وحسب ، بل ظلت تتزايد . . . وكانت هذه الشائعات الرهيبة بالذات هى التى حدت بنا للذهاب الى موسكو .

رغم ان بتروغراد قد مضى عليها مئتا عام وهى مقر للحكومة الروسية ، فقد ظلت فى الحقيقة مدينة اصطناعية . فان موسكو هى روسيا الحقيقية ، روسيا كما كانت فى الماضى وكما ستكون فى المستقبل ؛ وفى موسكو سيكون فى وسعنا الشعور بالموقف الحقيقى الذى يقفه الشعب الروسى من الثورة . ولقد كانت الحياة هناك اشد غليانا .

وخلال الاسبوع المنصرم ، كانت اللجنة العسكرية الثورية البتروغرادية قد استولت على محطة نيقولاييفسكى بمساعدة شغيلة السكك الحديدية البسطاء وراحت تبعث الى الجنوب الشرقى بقطار حربى اثر الآخر من البحارة ورجال الحرس الاحمر . وقد سلمونا فى سمولنى اذونات مرور لا يمكن لاحد بدونها ان يبرح العاصمة . . . وما ان دخل القطار المحطة حتى انقض على العربات جمهور من الجنود الممزقى الملابس ، حاملين اكياسا ضخمة من المواد الغذائية ، فحطموا الابواب وكسروا زجاج النوافذ ، وتدفقوا الى جميع المقصورات والممرات ، بل لقد تسلق الكثيرون على سطوح العربات . وبشق النفس استطاع ثلاثة منا الوصول الى مقصورتنا ولكن اقبل علينا اذ ذاك قرابة عشرين جنديا . . . وكان المكان مخصصا لاربعة فقط ؛ فرحنا نجادل ونطالب ، وايدنا قاطع التذاكر ، ولكن الجنود كانوا يقتصرون على الضحك . فما الذى يدعوهم للاهتمام براحة حفنة من البرجوازيين ! وابرزنا الاذونات المعطاة من سمولنى ، فاذا بالجنود يغيرون موقفهم فى الحال . واذا باحدهم يصيح قائلا :

«هيا بنا نخرج من هنا ، يا رفاق ! هؤلاء رفاق اميركيون ! يشاهدون ثورتنا من بعد ٣٠٠٠٠ فرسخ . . . انهم متعبون جدا ! . .» .
واخلى الجنود المقصورة معتذرين بكياسة وود . وبعد قليل سمعناهم يحطمون باب مقصورة مجاورة يشغلها روسيان سمينان حسنا الملبس كانا قد اعطيا رشوة لقاطع التذاكر .
وتحرك بنا القطار حوالى الساعة السابعة مساء . وكانت القاطرة صغيرة ضعيفة ، وقودها من الحطب ، بالكاد تجر وراءها قطارنا الضخم الغاص بالركاب ، وغالبا ما كانت تتوقف . وكان الجنود المسافرون على السطح ، يقرعون باعقاب احذيتهم ويغنون اغانى ريفية حزينة . وفى الممشى المكتظ بالناس الى درجة يستحيل معها المرور فيه ، كانت تدور طول الليل مناقشات سياسية حامية . ومن حين لآخر كان يظهر مفتش التذاكر فيسأل ، بحكم العادة ، عن التذاكر . ولكن التذاكر لم يكن يحملها احد تقريبا ، الا نحن ، وهكذا كان قاطع التذاكر يظل قرابة نصف ساعة فى شجار وخصام ، ثم يرفع يديه يائسا وينصرف . وكان الجو خانقا مشحونا بدخان التبغ والروائح الكريهة . ولو لم تكن النوافذ محطمة لكنا بدون شك متنا اختناقا فى تلك الليلة .
وفى الصباح ، وقد تأخرنا ساعات كثيرة ، اشرفنا على دنيا من الثلج . وكان البرد قارصا . وحوالى الظهر جاءت فلاحة تحمل سلة ملأى بقطع من الخبز واينا‌ء كبيرا يحوى ما يزعم انه قهوة فاترة . ومنذ ذلك الحين حتى حلول الليل لم نعد نرى غير قطارنا المترجرج الغاص بالناس والمتوقف كل لحظة ، ومحطات نادرة كان الجمهور النهم يملأ بلمحة عين المقاصف القائمة فيها فيلتهم مؤونتها الشحيحة . وفى احدى هذه المحطات رأيت نوغين وريكوف ، المفوضين المنشقين ، وقد كانا عائدين الى موسكو لتقديم شكاواهما امام سوفييتهما * . ورأيت الى جانبهما بوخارين ، وهو رجل قصير القامة اصهب اللحية ، له عينا رجل متزمت ويقال عنه انه «اكثر يسارية من لينين» .
ويدق الجرس للمرة الثالثة فنهرع الى القطار نشق لانفسنا الطريق عبر الممر الغاص بجمهور صاخب . . . وقد كان ذلك جمهورا طيب النفس الى درجة خارقة للعادة يتحمل الحرمانات بصبر مرح ،

* راجع الفصل الحادى عشر . ج . ريد .

تراه ابدا منهمكا فى نقاش لا نهاية له حول كل شىء فى الدنيا ، من الوضع فى بتروغراد حتى تنظيم النقابات الانكليزية ، وداخلا فى مجادلات صاخبة مع «البرجوازيين» القلائل الذين كانوا فى القطار . وقبل وصولنا الى موسكو نظمت فى كل عربة تقريبا لجنة لتدبير الطعام وتوزيعه ، وكانت هذه اللجان ايضا قد انقسمت الى فئات سياسية سرعان ما دخلت فى مناقشات حول المبادئ الاساسية .

كانت المحطة فى موسكو مقفرة تماما . وقد ذهبنا الى مكتب مفوض لتأمين بطاقات العودة ، فاذا هو ملازم عبوس فى ميعـــة الشباب . وحين ابرزنا له اذوناتنا المعطاة من سمولنى احتدم غيظا واعلن انه ليس بلشفيا ، بل ممثل لجنة السلامة العامة . وكان واقع له دلالته ان الظافرين نسوا المحطة الرئيسية اثناء الغليان العام الذى رافق الاستيلاء على المدينة . . .

وما وقعت اعيننا على عجلة نستأجرها . على اننا بعد ان اجتزنا بضعة احياء عثرنا على الشخص الذى كنا ننشده . فقد كان ثمة حوذى متدثر بصورة مضحكة يغط فى نومه على مقعد زحافتـــه الضيقة . «كم تريد الى مركز المدينة ؟» .

فراح الحوذى يحك قذاله ، ثم قال :

«هيهات ، يا سادة ، ان تجدوا غرفة فى فندق . ولكنى آخذكم لقاء مئة روبل . . .» وكان ذلك لا يكلف ، قبـــل الثورة ، غير روبلين ! فاخذنا نساوم ، ولكنه كان يكتفى برفع كتفيه . وقال : «فى مثل هذا الوقت لا يذهب اىّ كان . الامر يحتاج الى شجاعة ايضا» . ولم نوفق للحصول على تخفيض ما طلب اكثر من خمسين روبلا . وفيما كنا نمر فى الشوارع الصامتة المغمورة بالثلوج ، وهى بالكاد منوّرة ، كان الحوذى يروى لنا مغامراته اثناء الايام الستة التى استمرت فيها المعارك ، قائلا : «كنت اسير بزحافتى او اقف بها فى زاوية . وفجأة — بم ! قذيفة ! بم ! ثانية ! تا—تا—تا ! . . رشاش . . . فاتنحى مسرعا ، واضرب بالسوط ، ومن حولى يزعق اولئـــك الشياطين . واصل الى زقاق هادئ فاتوقف وأغفو . بم ! قذيفة من جديد . تا—تا—تا . . . ها هم الشياطين ، حقا ، شياطين ! . .» .

وفى مركز المدينة ، كانت الشوارع المتكدس فيها الثلج قد ركنت الى الهدوء الذى يرافق فترة النقاهة . قليل من المصابيح ،

وقليل من المشاة يهرولون على الارصفة . والريح الجليدية تهب فتنفذ الى العظام . ودخلنا اول فندق صادفناه ، وفيه شمعتان مشتعلتان .

«نعم ، طبعا ، لدينا غرف جد مريحة ، سوى ان الزجاج فيها محطم . اذا كان السادة لا يعترضون على الهواء النقى . . .»

وفى شارع تفيرسكايا ، كانت واجهات المخازن محطمة ، والجادة المبلطة مبعثرة الحجارة ، وغالبا ما كانت تصادف حفر من اثر القذائف . وقد ظللنا ننتقل من فندق لآخر ، ولكن منها ما كانت غاصة بالنزلاء ومنها ما كان اصحابها الخائفون يرددون قولا واحدا : «لا توجد غرف ! لا توجد غرف ! . .» وفى الشوارع الرئيسية ، حيث تتمركز البنوك والبيوتات التجارية الضخمة ، كانت ترى الآثار الفاغرة الناجمة عن فعل مدفعية البلاشفة . وقد قال لى احد الموظفين السوفييتيين : «حين لم يكن يتاح لنا ان نحدد بالضبط اين رجال اليونكر والحرس الابيض ، كنا نوجه نيراننا رأسا الى دفاتر شيكاتهم» .

واخيرا انزلونا فى فندق «ناسيونال» الضخم (فقد كنا على كل حال اجانب ، وكانت اللجنة العسكرية الثورية قد وعدت بحماية مساكن الاجانب) . وقد ارانا صاحب الفندق ، فى الطابق العلوى ، نوافذ محطمة بالمتفجرات . وراح يصيح وهو يهز قبضتيه منذرا البلاشفة المتخيلين له : «بهائم ! طيب ، انتظروا ! سيأتى يوم الحساب ! بعد بضعة ايام ستذهب حكومتهم المضحكة الى الشيطان ! واذ ذاك سنريكم ! . .» .

وتناولنا طعام العشاء فى مطعم يقدم اطعمة من الخضار جذاب الاسم : «انا لا آكل احدا» . وقد علقت على جدرانه صور تولستوى . وبعد العشاء خرجنا نتجول فى الشوارع .

كان سوفييت موسكو قد اتخذ قصر المحافظ السابق مقرا له فى بناية بيضاء مهيبة تشرف على ساحة سكوبيليف . وكان يتولى الحراسة على المدخل افراد من الحرس الاحمر . وصعدنا سلما عريضا فخما الصقت على جدرانه اعلانات عن اجتماعات اللجان ، ونداءات من الاحزاب السياسية ، واجتزنا جملة من قاعات الاستقبال الضخمة مزدانة بلوحات ذات اطر ذهبية مغطاة بالاحمر ، ودخلنا صالة رائعة للاحتفالات فيها ثريات فخمة من الكريستال ، وحواشيها

مذهبة . وكانت تملأ المكان احاديث خافتة صادرة عن اصوات كثيرة وطقطقة عدة ماكنات خياطة . وعلى الارض وفوق الطاولات كانت مفروشة قطع طويلة من الاقمشة الحمراء والسوداء ، وقرابة خمسين امرأة منصرفات الى قص وخياطة اشرطة واعلام لتشييع ضحايا الثورة . وكانت وجوه هؤلاء النسوة قد تغضنت وقست ملامحها فى صراع شديد من اجل الحياة . وقد كن يشتغلن حزينات صارمات ، وكثيرات منهن تغرورق فى عيونهن الدموع . . . فقد كانت خسائر الحرس الاحمر فادحة . . .

وخلف مكتب فى الزاوية كان يجلس روغوف ، وهو رجل ذكى الوجه ، على عينيه نظارتان ، يرتدى قميصا اسود من قمصان العمال . وقد دعانا للاشتراك مع اعضاء اللجنة التنفيذية فى موكب الجنازة المعين موعده فى صباح اليوم التالى . وقد قال بصوت منفعل :

«المناشفة والاشتراكيون-الثوريون لا يتعظون بشىء ! لقد باتت المساومة عادة مألوفة لديهم . . . تصوروا انهم اقترحوا علينا تنظيم موكب الجنازة بالاشتراك مع اليونكر ! . .» .

ومر فى القاعة رجل يرتدى معطفا عسكريا مهترئا وعلى رأسه قبعة . وبدا لى ان وجهه معروف لدىّ : وكان ذلك ملنيتشانسكى الذى اتفق لى ان التقيت به فى بايون (بولاية نيو جرسى) اثناء الاضراب المشهور الذى جرى فى مؤسسات شركة «ستاندارد اويل» . وقد كان فى ذلك الوقت ساعاتيا يحمل اسم جورج ميلتشير . واما الآن فقد اخبرنى انه سكرتير نقابة المعدّنين فى موسكو ، ومفوض اللجنة العسكرية الثورية اثناء المعارك . وقد صاح وهو يشير الى ملابسه الرثة :

«هاك ، تأمل ! حين استولى اليونكر على الكرملين للمرة الاولى كنت هناك مع فتياننا . وقد القوا بى الى القبو ونزعوا منى المعطف والنقود والساعة ، حتى الخاتم نزعوه من اصبعى . هاك ما انا مضطر لارتدائه الآن ! . .» .

وقد روى لى الكثير من تفاصيل المعركة الدامية التى استمرت ستة ايام وشطرت موسكو شطرين . كان مجلس الدوما فى موسكو ، خلافا لدوما بتروغراد ، استلم مباشرة قيادة اليونكر والحرس الابيض وكان رئيس البلدية رودنيف ورئيس الدوما مينور يقودان نشاط

لجنة السلامة العامة والقوات المسلحة . وكان حاكم المدينة العسكرى ريابتسيف ديموقراطى النزعة وقد تردد فى الوقوف بوجه اللجنة العسكرية الثورية . وقد ارغمه الدوما بالذات على الدخول فى هذا الصراع . وكان رئيس البلدية هو الذى الح على الاستيلاء على الكرملين . فقد كان يقول : «حين ستكون فى الكرملين ، لن يجسر البلاشفة على اطلاق النار عليك» .

وكان الطرفان المتصارعان كلاهما يسعيان لأن يجتذبا الى جانبيهما فوجا من الحامية كانت قد ثبطت عزيمته تماما من جراء البقاء وقتا طويلا دون فعالية . وقد عقد هذا الفوج اجتماعا عاما درس فيه الحالة . وفى نهاية الامر قرر الجنود البقاء على الحياد ومتابعة نشاطهم السابق ، اى المتاجرة بحجارة القداحات وبزر عباد الشمس .

وروى ملنيتشانسكى قائلا : «ولكن كان اسوأ شىء اننا كنا مضطرين لتنظيم قواتنا وقت القتال . وقد كان الاعداء يعرفون جيدا ما يبتغون ، اما من جهتنا فقد كان لدى الجنود سوفييتهم ولدى العمال سوفييتهم . . . وبدأت مماحكات رهيبة حول مسألة من ينبغى ان يكون القائد الاعلى . وقد ظلت بعض الافواج تعقد الاجتماعات العامة عدة ايام قبل ان يتقرر لديها ما ينبغى لها ان تعمل . وحين قرر الضباط فجأة الانصراف عنا ، بتنا بدون اركان حرب . . .»

وقد رسم لى كثيرا من الصور الحية الصغيرة . مرة ، واليوم كالح بارد ، كان يقف فى ناصية شارع نيكيتسكايا الذى كانت تنهال عليه نيران الرشاشات . وهناك بالذات كان تحتشد عصبة من صبية الشوارع ، وهم عادة يمارسون بيع الصحف . وقد ابتكروا لعبة لهم : اذ كانوا ينتظرون لحظة يهدأ تبادل اطلاق النار بعض الشىء ، فيأخذون بالركض عبر الشارع جيئة وذهابا . وكانت العصبة كلها جد متهيجة ومأخوذة باللعبة . وقد قتل منهم الكثيرون وظل الباقون يتراكضون من رصيف الى رصيف ، متحدين بعضهم بعضا .

وفى ساعة متأخرة من المساء ذهبت الى منتدى النبلاء ، حيث كان بلاشفة موسكو قد اجتمعوا لبحث تقارير نوغين وريكوف وغيرهما ، الذين انسحبوا من مجلس مفوضى الشعب .

كان الاجتماع منعقدا فى قاعة المسرح التى كان الهواة يقدمون فيها الكوميديات الفرنسية ، ايام العهد السابق ، امام جمهور مؤلف من الضباط والسيدات الفاتنات .

كانت القاعة اول الامر ملأى بالمثقفين فقط : فقد كانوا يسكنون بالقرب من مركز المدينة . وتكلم نوغين ، فكانت اكثرية المستمعين الى جانبه كليا . واخذ العمال يفدون فى وقت جد متأخر : فقد كانوا يسكنون فى اطراف المدينة ، وكانت عربات الترام متوقفة فى ذلك اليوم . ولكنهم كانوا ، حوالى منتصف الليل ، قد اخذوا يصعدون السلم جماعات جماعات تتراوح اعدادها بين العشرة والاثنى عشرة شخصا . وكان هؤلاء اناسا جساما اشداء غلاظ الملبس ، قادمون لتوهم من خطوط القتال . وقد ظلوا اسبوعا كاملا يقاتلون قتال الشياطين ، وهم يرون رفاقهم يتساقطون حولهم قتلى .

وما ان اعلن افتتاح الجلسة رسميا حتى انهال على نوغين وابل من السخريات والصيحات الغاضبة . وعبثا حاول توضيح موقفه وتبريره ، فما كانوا يريدون الاستماع اليه . لقد ترك مجلس مفوضى الشعب وفر من مركزه فى معمعان المعركة ! . . اما الصحافة البرجوازية فكانت هنا ، فى موسكو ، قد زالت من الوجود . حتى مجلس الدوما البلدى كان قد حل . وصعد المنبر بوخارين ، مغيظا لاذعا ، وراح صوته يقذف بالضربة تلو الضربة . وكان المجتمعون يستمعون اليه بأعين متوقدة . وجمع القرار القاضى بتأييد نشاط مجلس مفوضى الشعب الاكثرية الساحقة من الاصوات . وهكذا قالت موسكو كلمتها . . . ٣,٤ .

وفى ساعة متأخرة من الليل مضينا فى الشوارع المقفرة ومررنا من بوابة معبد ايبيريا الى الساحة الحمراء الواسعة ، الى الكرملين . وفى العتمة ، كانت تبدو على نحو غير جلى الملامح العجيبة الرائعة للقباب ذات الالوان المتألقة والاشكال اللولبية والحرشفية ، المنتصبة فوق كاتدرائية فاسيلى البار ، وما كان يوجد اى اثر للتدمير . وعلى طول احد جوانب الساحة كانت ابراج الكرملين المعتمة واسواره تنتصب فى الفضاء . وفوق السور العالى كانت تتوهج انعكاسات حمراء من نيران غير مرئية . وكانت تصل الى مسامعنا عبر الساحة الواسعة اصوات وطرقات معاول ومجارف . واجتزنا الساحة .

على سفح الاسوار كانت تتكدس اكوام من الاتربة والحجارة . وتسلقنا الى القمة ونظرنا الى تحت فاذا بنا نرى حفرتين كبيرتين عمق الواحدة منهما ١٠ الى ١٥ قدما وعرضها خمسون ياردة * ، وهناك يشتغل بالمجارف مئات من العمال والجنود على نور نيران كبيرة .

وشرع طالب شاب يتحدث معنا بالالمانية ، فقال : «هذا مدفن مشترك . غدا سنوارى هنا خمسمئة بروليتارى استشهدوا فى سبيل الثورة» .

وأنزلنا الى الحفرة . كانت المعاول والمجارف تشتغل بسرعة محمومة ، وجبل التراب يتعالى ويتعالى . والجميع فى صمت . والسماء فوق الرؤوس عامرة بالنجوم ، والسور القديم ، سور الكرملين القيصرى ، يشمخ صعدا .

وقال الطالب : «هنا ، فى هذا المكان المقدس ، اقدس مكان فى روسيا ، سندفن جماعتنا المقدسين . هنا ، حيث يقوم مدفن القياصرة ، سيرقد قيصرنا – الشعب . . .» كان ساعده معصوبا بضماد ، وقد اصابته رصاصة اثناء معارك الشوارع . وراح الطالب يتطلع الى ساعده الجريح ، ثم اردف يقول : «انتم الاجانب تزدروننا ، نحن الروس ، لاننا ظللنا كل هذا الوقت الطويل نتحمل ملكية القرون الوسطى . ولكننا كنا نرى ان القيصر لم يكن الطاغية الوحيد فى العالم ؛ فالرأسمالية اشد سوءا ، فهى تتحكم بالعالم كله تحكم امبراطور حقيقى . . . ما من تكتيك ثورى افضل من التكتيك الروسى . . .» .

وحين انصرفنا اخذ العمال يخرجون ببطء من الحفرة وقد اشتد بهم التعب وابتلت اجسامهم بالعرق برغم الصقيع . وكان جمع داكن من الرجال يجتاز الساحة الحمراء مسرعا لحلول محلهم . وقد قفزوا الى الحفرة متناولين المجارف ، وشرعوا يحفرون ويحفرون ويحفرون ، دون ان يفوهوا بكلمة . . .

وهكذا ظل المتطوعون من الشعب ، طول هذه الليلة الطويلة ، يحل بعضهم محل بعض ، غير متوقفين دقيقة واحدة عن عملهم المستعجل ، وانتشر نور الصباح البارد ، فى الساحة الواسعة

---

* القدم ٣٠,٥ سم ، والياردة ٩١,٥ سم . **المحرر** .

المغمورة بالثلج ، على حفرتين فاغرتين سمراوين جاهزتين تماما لمدفن التآخى .

نهضنا قبل شروق الشمس واسرعنا فى الشوارع المعتمة الى ساحة سكوبيليف . وما كان المرء يرى نسمة بشرية فى كل المدينة الضخمة . ولكن صوت جلبة خافتة كان يصل الى المسامع من جميع الجهات ، من بعيد ومن قريب ، كأنما هى بداية اعصار . وفى الغبش الشاحب ، غبش الصباح المبكر ، كان يحتشد امام مقر السوفييت جمع صغير من الرجال والنساء الذين يحملون حزمة كاملة من الاعلام الحمراء عليها كتابات ذهبية ، هى اعلام اللجنة التنفيذية لسوفييت موسكو . واشرق النهار . . . وراحت الضجة المتحركة الخافتة المسموعة من بعيد تشتد وتغدو اعلى فاعلى ، متحولة الى هدير . كانت المدينة تهب من رقادها . ومضينا منحدرين فى شارع تفيرسكايا ترفرف فوقنا اعلام خفاقة . وكانت الكنائس الصغيرة التى اتفق لنا المرور امامها مغلقة ، وداخلها معتم . وكانت مغلقة ايضا كنيسة عذراء ايبيريا التى يزورها القياصرة قبل التوجه الى الكرملين من اجل التتوج فيه والتى كانت تظل عادة مفتوحة للجمهور طيلة الاربع والعشرين ساعة ، تنعكس فيها اضواء شموع المؤمنين على الايقونات الذهبية والفضية والمرصعة بالجواهر . ويقال الآن ان هذه هى المرة الاولى التى تطفأ فيها الشموع منذ غزو نابليون لموسكو .

كانت الكنيسة الارثوذكسية المقدسة قد نزعت بركتها عن موسكو ، عن جحر الافاعى الكفرة هذا الذى تجاسر على اطارات قصف الكرملين . فكانت الكنائس محاطة بالظلمة ، صامتة باردة ، ولم يبق للكهنة اثر . فليس ثمة كهنة للجنائز الحمراء ، ولن يجرى تقديم سر القربان ، ولن تقام اية صلوات على اضرحة المجدفين . وعما قريب سيعلن مطران موسكو تيخون الحرم على السوفييتات .

وكانت المخازن ايضا مغلقة ، وممثلو الطبقات المالكة لازموا مساكنهم ولكن لدواع اخرى . فقد كان ذلك اليوم يوم الشعب ، وكانت الاقاويل عن مقدمه تهدر كالموجة العاتية .

وعبر بوابة معبد ايبيريا كان يجرى سيل من الناس ، واما الشعب فكان قد ملأ الساحة الحمراء الرحبة بالالوف . وقد لاحظت

ان الناس وهم يمرون امام معبد ايبيريا لم يكن احد منهم يرسم شارة الصليب ، مثلما كان يجرى من قبل . . .

وشققنا الطريق لانفسنا عبر الجموع الكثيفة المزدحمة قرب اسوار الكرملين ووقفنا فوق قمة احد الاكوام الترابية . وكان يقف هنا بضعة اشخاص ، وفى عدادهم الجندى مورالوف ، المنتخب حاكما عسكريا على موسكو ، وهو رجل طويل القامة ذو لحية ، انيس النظرة بسيط الوجه .

كانت جموع ضخمة من الناس تتدفق من جميع الشوارع على الساحة الحمراء . وكان ثمة الوف والوف من الخلائق ، وقد ارهقهم الكدح والفقر . وجاءت جوقة عسكرية تعزف «الانترناسيونـــال» (النشيد الاممى) ، فاذا الجمهور كله يردد النشيد عفويا فيغمر الساحة ببطء ومهابة كأنه موج البحر . ومن فتحات سور الكرملين كانت مسدلة حتى الارض اعلام حمراء ضخمة عليها كتابات بيضاء وذهبية : «الى شهداء طليعة الثورة الاشتراكية العالمية» ، «عاشت الاخوة بين عمال العالم اجمع !»

كانت تهب على الساحة ريح شديدة تنشر الاعلام . واذ ذاك كان قد اخذ يقبل عمال المعامل والمصانع القائمة فى الاحياء البعيدة من المدينة ؛ وقد كانوا يحملون الى هنا قتلاهم . وكان فى وسع المرء ان يرى كيف يمرون من البوابة تحت اعلام خفاقة ، حاملين توابيت حمراء ، بلون الدم . وكانت هذه صناديق خرقاء من اخشاب غير مصقولة مدهونة بصباغ احمر ، يحملها عاليا على الاكتاف اناس بسطاء تغمر وجوههم الدموع . وخلف التوابيت كانت تسير نسوة نائحات باصوات عالية او صامتات ، وقد تحجرن وبتن فى صفرة الموت ؛ وكانت بعض التوابيت مكشوفة ، واغطيتها محمولة وراءها . وكانت ثمة توابيت اخرى مغطاة باقمشة من الديباج موشاة بالذهب او الفضة ، او مسمرة على غطائها قبعة جندى . وكانت ثمة اكاليل كثيرة من الزهور الاصطناعية . . .

كان الموكب يتحرك نحونا ببطء عبر ممر متعرج ينفتح امامه ثم ينطبق من جديد . والآن يجرى تحت البوابة سيل لا نهاية له من الاعلام من جميع تفرعات اللون الاحمر ، عليها كتابات ذهبيـــة وفضية ، معصوبة فى اعلاها بالسواد . كما كانت ثمة بضعة اعلام للفوضويين ، سوداء مكتوب عليها بالابيض . وكانت الجوقة تعزف

نشيدا مأتميا ثوريا ، وكل الحشد الضخم الواقف حاسر الرؤوس ، يردد هذا النشيد . وغالبا ما كان النشيد الحزين يقاطع بالنواح . . .

وبين عمال المصانع كانت تسير مفارز من الجنود ، حاملين هم ايضا توابيت ترافقها حراسة عسكرية مؤلفة من كواكب من الخيالة وبطاريات من المدفعية جللت مدافعها بالقماش الاحمر والاسود ، وكأنما هى مجللة الى الابد . وكان مكتوبا على اعلام الوحدات العسكرية : «عاشت الاممية الثالثة !» او «نطالب بصلح ديموقراطى عادل شامل !» ووصل موكب الجنازة الى المدفن شيئا فشيئا ، وراح حملة التوابيت ينزلونها الى الحفرة . وكان الكثير منهم نسوة متينات البنية ، بروليتاريات جسيمات . ووراء التوابيت كانت تسير نساء اخريات ، شابات قتلهن الحزن والاسى ، او عجائز تملأ التجاعيد وجوههن ، يصرخن صراخ حيوانات جريحة . وقد كانت الكثيرات منهن يلقين بانفسهن الى الضريح خلف ابنائهن او ازواجهن ، ويصحن صياحا رهيبا حين تمسك بهن الايدى المشفقة . هكذا يحب الفقراء بعضهم بعضا . . .

ظل موكب الجنازة هذا يسير طول النهار حتى المساء . كان يدخل الساحة عن طريق بوابة معبد ايبيريا ويبرحها عن طريق شارع نيقولسكايا ، سيل من الاعلام الحمراء تحمل كلمات الامل والاخاء والتنبؤات الجريئة . وكانت هذه الاعلام تخفق على مهاد جمهور من خمسين الفا ، واليها يتطلع شغيلة العالم اجمع واحفادهم من الآن والى الابد .

وقد ووری فی الثری خمسمائة تابوت ، الواحد اثر الآخر . وحلت ظلمة الغسق ، والاعلام ما تزال تخفق فى الهواء ، والجوقة تعزف النشيد المأتمى ، والجمهور الغفير يردده ترتيلا . وفوق المدفن كانت الاكاليل معلقة على اغصان الاشجار العارية ، كأنها ازاهير غريبة متعددة الالوان . وتناول مئتا رجل المجارف واخذوا يردمون المدفن . فكان التراب يتساقط على التوابيت محدثا اصواتا بكماء تسمع بجلاء رغم الترتيل .

واشتعلت المصابيح . وجاءت الاعلام الاخيرة ، ومرت آخر النساء النائحات تنظرن الى وراء نظرات تنطوى على توتر رهيب . وانحسرت الموجة البروليتارية ببطء عن الساحة الحمراء . . .

وادركت فجأة ان الشعب الروسى المؤمن لم يعد بحاجة الى كهنة يساعدونه على التوسل لملكوت السماوات . لقد كان هذا الشعب يبنى على الارض ملكوتا اكثر اشراقا من اى ملكوت تستطيع ان تقدمه السماء ، ملكوتا يعد الموت فى سبيله سعادة . . .

الاستيلاء على السلطة[1]

«بيان حقوق شعوب روسيا[2]

. . . لقد اعلن مؤتمر السوفييتات المنعقد فى حزيران (يونيو) من السنة الحالية ، حق شعوب روسيا فى تقرير مصيرها بحرية .

ان المؤتمر الثانى للسوفييتات المنعقد فى تشرين الاول (اكتوبر) من هذه السنة قد أكّد هذا الحق الملازم لشعوب روسيا ، تأكيدا اكثر حزما ووضوحا .

وتنفيذا لارادة هذين المؤتمرين ، قرر مجلس مفوضى الشعب أن يجعل المبادئ التالية اساسا لنشاطه فيما يتعلق بقضية القوميات فى روسيا :

١ — حق المساواة والسيادة لشعوب روسيا .

٢ — حق شعوب روسيا فى تقرير مصيرها بحرية حتى الانفصال وتشكيل دولة مستقلة .

٣ — الغاء مختلف انواع الامتيازات والتقييدات القومية والدينية .

٤ — حرية تطوّر الأقليات القومية والفئات العنصرية القاطنة فى روسيا .

اما المراسيم المتعلقة بذلك والناجمة عمّا سبق ذكره ، فسيجرى تحريرها فور تشكيل اللجنة الخاصة بشؤون القوميات .

باسم الجمهورية الروسية

رئيس مجلس مفوضى الشعب **ف . اوليانوف (لينين)**

مفوض الشعب لشؤون القوميات **يوسف جوغاشفيلى (ستالين)»** .

ورأسا اعلن مجلس الرادا المركزى فى كييف ، استقلال جمهورية اوكرانيا ، كما حذت حذوه حكومة فنلندا عن طريق مجلس الشيوخ فى هلسنكى . وانبثقت «حكومات» مستقلة فى سيبيريا والقفقاس . وفى بولونيا ، اسرعت اللجنة العسكرية العليا ، باستدعاء

القوات البولونية العاملة فى الجيش الروسى ، وألغت لجانها وفرضت عليها نظاما حديديا . . .

كانت تجمع بين هذه «الحكومات» و«الحركات» ميزتان مشتركتان : لقد كانت خاضعة لسيطرة الطبقات المالكة ، وكانت تخشى البلشفية وتكرهها . . .

وفى وسط كل هذه الفوضى والتغييرات المذهلة ، كان مجلس مفوضى الشعب ، يعمل بثبات على تشييد دعائم النظام الاشتراكى . اصدر المراسيم المتعلقة بالضمان الاجتماعى ، والرقابة العمالية ، وانظمة اللجان الزراعية فى الاقضية ، والغاء الرتب والالقاب ، والغاء نظام القضاء القديم وانشاء المحاكم الشعبية . . .[٣]

وراح الجيش تلو الجيش ، والاسطول تلو الاسطول ، يرسل الوفود «لتحيى بغبطة حكومة الشعب الجديدة» .

وذات يوم ، رأيت مقابل سمولنى فوجا فى حالة لا يحسد عليها ، قدم لتوه من الخنادق . كان الجنود مصطفين امام البوابات الكبيرة ، نحيلين مغبّرى الوجوه ، ينظرون الى البناية وكأن الله قد حلّ فيها . وكان البعض يشير الى النسور الامبراطورية الموجودة فوق الباب ويقهقه ضاحكا . . . وفى هذه الاثناء جاءت فصيلة من رجال الحرس الاحمر ليأخذوا دورهم فى الحراسة . والتفت الجنود كلهم بفضول نحوهم ، اذ انهم قد سمعوا عنهم دون ان يشاهدوهم قط . واخذوا يضحكون بطيبة ويغادرون الصفوف ليربتوا على ظهور رجال الحرس الاحمر ، مطلقين ملاحظات مزجت بالمزاح والاعجاب . . .

لم تعد الحكومة الموقتة موجودة . وفى الخامس عشر من تشرين الثانى (نوفمبر) توقف الكهنة عن الصلاة من اجلها فى جميع كنائس العاصمة . ولكن ، كما قال لينين نفسه فى التسيك ، «ليس هذا سوى بداية الاستيلاء على السلطة» . ان المعارضة قد جردت من السلاح ، الاّ انها ما زالت تهيمن على حياة البلد الاقتصادية ، فقرّرت ان تخلق الفوضى مستعينة بكل عبقرية الروس للعمل التعاونى — لتعرقل السوفييتات وتعطل عملها وتنزع الثقة عنها .

كان اضراب موظفى الحكومة منظما تنظيما حسنا ، تموّله المؤسسات المصرفية والتجارية وكانت كل خطوة يقوم بها البلاشفة للاستيلاء على الجهاز الحكومى ، تلقى المقاومة .

ذهب تروتسكى الى وزارة الشؤون الخارجية ، فرفض الموظفون الاعتراف به واعتصموا ضمن مكاتبهم ، وعندما خلعت الابواب قدموا استقالاتهم . وطلب تسليمه مفاتيح المحفوظات ، ولم يحصل عليها الا بعد ان جلب عمالا ليحطموا الاقفال . عندها تبيّن ان نيراتوف ، المساعد السابق لوزير الخارجية ، قد اختفى حاملا معه المعاهدات السرية . . .

حاول شليابنيكوف ان يضع يده على وزارة العمل . كان البرد قارسا ولم يجد احدا هناك ليشعل النار . ومن مئات الموظفين الحاضرين ، لم يجد موظفا واحدا ليدله على مكتب الوزير . . .

الكسندرا كولونتاى ، التى عيّنت فى ١٣ من تشرين الثانى (نوفمبر) – ٣١ تشرين الاول – اكتوبر – مفوضة الشعب للتأمين الاجتماعى – المؤسسة المسؤولة عن الاعمال الخيرية والمؤسسات العامة – فقد استقبلها موظفو وزارتها باضراب شمل الجميع ما عدا اربعين موظفا فقط . وسرعان ما عمّت الحاجة الملحّة فقراء المدن الكبرى والمقيمين فى الملاجىء والمؤسسات الخيرية ، فأخذت وفود الكسيحين الجياع والايتام ذوى الوجوه المزرقّة والهزيلة ، تحاصر البناية . فأمرت كولونتاى والدموع تنهمر من عينيها ، باعتقال المضربين حتى يسلموها مفاتيح المكتب والخزينة ؛ وعندما حصلت على المفاتيح ، اكتشف ان الوزيرة السابقة الكونتيسة بانينا ، هربت حاملة معها المال كله وكانت ترفض تسليمه الا بأمر من الجمعية التأسيسية[٤] .

جرت حوادث مماثلة فى وزارات الزراعة والتموين والمالية . فالموظفون الذين وجهت اليهم الانذارات للعودة الى اعمالهم تحت طائلة خسارة مراكزهم وتقاعدهم ، فان قسما منهم لم يرد عليها والذين عادوا فقد عادوا فقط لممارسة التخريب . . . ولما كان المثقفون فى معظمهم معادين للبلاشفة فقد كان مستحيلا على الحكومة السوفييتية الحاق موظفين جدد . . .

وظلت المصارف الخاصة مقفلة ابوابها بعناد ، فاتحة ابوابها الخلفية للمضاربين . ولدى دخول مفوضى البلاشفة هذه المصارف ، كان الموظفون يغادرونها مخبئين السجلات وناقلين معهم المال . لقد لجأ جميع موظفى مصرف الدولة الى الاضراب ، باستثناء اولئك المسؤولين عن الخزانة وعن سك النقود الذين رفضوا تلبية اى

مطلب لسمولنى ، فى حين انهم كانوا يدفعون بصفة خاصة المبالغ الضخمة ، للجنة الانقاذ وللدوما البلدى .

ومرتين جاء الى المصرف مفوض مصطحبا معه سرية من رجال الحرس الاحمر ليصر على استلام مبالغ ضخمة لنفقات الحكومة . ففى المرة الاولى ، كان اعضاء الدوما البلدى وقادة المناشفة والاشتراكيين-الثوريين موجودين بعدد هائل ، وقد تكلموا عن عواقب هذا العمل الوخيمة بصورة خوفت المفوض فذهب . وفى المرة الثانية جاء المفوض ومعه أمر اخذ يتلوه على مسمع من الجميع ، الا ان احدهم لفت انتباهه الى واقع ان الامر لا يحمل تاريخا ولا ختما ، فأجبره الاحترام الروسى التقليدى «للوثائق» على الانسحاب . . .

وأتلف موظفو مكتب الاعتمادات العامة جميع سجلاتهم ، ففقدت بذلك جميع الوثائق عن العلاقات المالية بين روسيا والبلدان الاجنبية .

اما لجان التموين ، والادارات المسؤولة عن المنافع العامة العائدة للبلدية ، فكانت متوقفة عن العمل او هى موضع تخريب . ولما حاول البلاشفة مساعدة مؤسسات الخدمات العامة او ادارتها ، تدفعهم الى ذلك الحاجات الملحة لسكان المدن ، اضرب الموظفون حالا . واغرق الدوما روسيا بأسرها بالبرقيات عن «خرق البلاشفة لحرمة الحكم الذاتى البلدى» .

فى مقر قيادات الاركان وفى مكاتب وزارتى الحربية والبحرية ، حيث وافق الموظفون القدماء على العمل كانت لجان الجيش والقيادة العليا تعرقل عمل السوفييت بكافة الوسائل الممكنة ، حتى ولو كانت اعمالها هذه تنعكس على حالة القوات فى الجبهة . كانت الفيكجل معادية ، ترفض نقل القوات السوفييتية . وكان كل قطار من قطارات نقل الجنود التى كانت تغادر بتروغراد ، يشق طريقا له بالقوة ، وكان من الضرورى اعتقال موظفى سكك الحديد فى كل مرة . واذ ذاك تلجأ الفيكجل الى التهديد بالاضراب العام الفورى اذا لم يفرج عنهم . . .

لقد كانت سمولنى عاجزة تماما . وكانت صحف بتروغراد تردد ان كافة المصانع ستتوقف عن العمل خلال ثلاثة اسابيع لعدم توفر المحروقات ؛ واعلنت الفيكجل انها ستوقف حركة القطارات ابتداء

من ١ كانون الاول (ديسمبر) . والغذاء الموجود فى بتروغراد يكفيها لثلاثة ايام ، والامدادات قد انقطعت . وعلى الجبهـة كان الجيش جائعا . . . لقد ارسلت لجنة الانقاذ واللجان المركزية المختلفة التنبيهات الى جميع انحاء البلاد مناشدة المواطنين فيها بان يتجاهلوا مراسيم الحكومة . وكان سفراء دول الحلفاء ، بعضهم غير مبال ببرودة والبعض الآخر معاديا علنا . . .

وكانت صحف المعارضة تحتجب يوما وتظهر يوما آخر باسماء جديدة ، مهاجمة النظام الجديد بوابل من السخرية الحادة° . وحتى صحيفة «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») وصفت النظام بانـــه «خليط من الديماغوجية والعجز» .

«يوما بعد يوم – كتبت تقول – تتخبط حكومة مفوضى الشعب اكثر فأكثر فى دوامة الضروريات اليومية الملعونة . ان البلاشفة وقد استولوا على السلطة بسهولة ، يعجزون عمليا عن تسييرها .

انهم بالاضافة الى عجزهم عن الاستيلاء على جهاز الحكومـــة الموجود ، فانهم لا يستطيعون فى الوقت نفسه ان يوجدوا جهازا جديدا يعمل بسهولة وحرية بامر من الاشتراكيين المجربين .

وبالفعل ، فمن مدة وجيزة ، لم يكن عند البلاشفة العدد الكافى من الرجال للاعمال الدورية فى حزبهم الآخذ فى النمو – العمل القائم قبل كل شىء على الريشة واللسان ، فاين اذن سيجد البلاشفة الملاك الضرورى لتنفيذ مهام معقدة ومتعددة الوجوه متصلة بحياة الدولة ؟

ان السلطة الجديدة تقدح عينيها شررا ، تغمر البلاد بالمراسيم الواحد منها «اكثر راديكالية واكثر اشتراكية من السابق» . ولكن فى هذه الاشتراكية الورقية المعدة بصورة اكثر من اجل ادهاش احفادنا ، لا توجد الرغبة ولا المقدرة على حل المشاكل الراهنة الدورية . . .» .

وفى تلك الاثناء كان المؤتمر الذى عقدته الفيكجل من اجـــل تشكيل حكومة جديدة ، مستمرا ليلا ونهارا . وكان الجانبان قـــد اتفقا بصورة مبدئية على الاسس التى ستقوم عليها الحكومة ؛ والنقاش يدور حاليا حول مجلس الشعب . وقد أقترح ترشيح وزارة برئاسة تشيرنوف ؛ وقبل البلاشفة فيها كاقليـــــة امـــا لينين وتروتسكى فقد اقصيا . ان اللجنتين المركزيتين للمناشفة والاشتراكيين الثوريين ، واللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين قررت انها تواصل بعناد معارضتها «لسياسة البلاشفة الاجرامية»

ولكنها ، «بغية تجنب الاقتتال بين الاخوة» لا تمانع فى دخول البلاشفة الى مجلس الشعب .

بيد ان فرار كيرنسكى ، والنجاح الباهر الذى احرزه السوفييت فى كل مكان ، سرعان ما غيرا الوضع . ففى ١٦(٣) تشرين الثانى (نوفمبر) اثناء اجتماع التسيك ، اصر الاشتراكيون-الثوريون اليساريون ، على ان يشكل البلاشفة حكومة ائتلافية مع اشتراك الاحزاب الاشتراكية الاخرى ؛ وفى حالة الرفض فانهم سيلجأون الى الانسحاب من اللجنة العسكرية الثورية ومن التسيك . واعلن مالكين : «ان الانباء الاخيرة الواردة من موسكو ، حيث يسقط رفاقنا على جانبى المتاريس ، تجبرنا على اعادة طرح قضية تنظيم السلطة . وان طرح هذه القضية ليس هو مجرد حقنا ، بل هو واجب علينا كذلك . . . لقد فزنا بحق الجلوس هنا مع البلاشفة ، بين جدران سمولنى والتكلم من على هذه المنصة . فاذا رفضتم الاتفاق ، فاننا سنضطر ، بعد الصراع العنيف داخل الحزب ، الى نقل المعركة المكشوفة الى خارجه . . . علينا ان نقترح على القوى الديموقراطية شروط وفاق مقبول . . .» .

وبعد استراحة لمناقشة هذا الانذار من قبل كل كتلة على حدة ، عاد البلاشفة الى القاعة ، بمشروع القرار التالى وقد تلاه كامينيف :

«ان اللجنة التنفيذية المركزية ، تعتبر من المرغوب فيه ، ان يشترك فى الحكومة ممثلون عن كل الاحزاب الاشتراكية الممثلة فى سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ، والتى تعترف بمكاسب ثورة ٢٤-٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ، اى بالسلطة السوفييتية ، بمرسومى السلم والارض ، بالرقابة العمالية وتسليح الطبقة العاملة . ان اللجنة التنفيذية المركزية ، تقرر بالتالى ، الاستمرار فى المفاوضات التى شرع بها حول السلطة مع كافة الاحزاب السوفييتية وتصر على ان تكون الشروط التالية اساسا للاتفاق :

الحكومة مسؤولة امام التسيك . ويجرى توسيع عدد اعضاء هذه الاخيرة الى ١٥٠ عضوا . ويضاف الى ممثلى سوفييتات العمال والجنود المائة والخمسين ، ٧٥ ممثلا عن سوفييتات الفلاحين فى المحافظات و٨٠ ممثلا عن وحدات الجيش والاسطول و٤٠ ممثلا عن النقابات (٢٥ ممثلا عن مختلف اتحادات النقابات العامة لعموم روسيا بالتناسب مع عدد اعضائها و١٠ عن الفيكجل و٥ عن

مستخدمى البرق والبريد) و٥٠ ممثلا عن الجناح الاشتراكى من دوما بتروغراد البلدى . ويجب ان يعطى ما لا يقل عن نصف المقاعد فى الحكومة الى البلاشفة . وزارات الخارجية والداخلية والعمل تمنح بالضرورة الى حزب البلاشفة . تمارس قيادة حاميتى بتروغراد وموسكو من قبل ممثلين عن سوفييتى نواب عمال وجنود بتروغراد وموسكو . وتضع الحكومة نصب اعينها مهمة تسليح العمال فى كافة روسيا بانتظام . اشتراك الرفيقين لينين وتروتسكى يعتبر لا مندوحة عنه» .

ثم اضاف كامينيف :

«ان ما يسمى بـ«مجلس الشعب» المقترح علينا من قبل الاجتماع ، سيضم حوالى ٤٢٠ عضوا ، منهم ١٥٠ بلشفيا . وبالاضافة الينا ، ينضم اليه مندوبون عن التسيك القديمة المعادية للثورة ، و١٠٠ مندوب ، تنتخبهم هيئات التسيير البلدى — كلهم كورنيلوفيون ، و١٠٠ مندوب من سوفييتات الفلاحين يعينهم آفكسنتييف و٨٠ مندوبا عن لجان الجيش القديمة التى لم تعد تمثل جماهير الجنود .

اننا نرفض السماح هنا للتسيك القديمة ومندوبى الدومايات البلدية . ان ممثلى سوفييتات الفلاحين يجب ان ينتخبوا من قبل مؤتمر الفلاحين ، الذى سندعو اليه نحن والذى سينتخب فى الوقت نفسه لجنته التنفيذية الجديدة . ان الاقتراح باقصاء لينين وتروتسكى هو اقتراح يرمى الى استئصال شأفة حزبنا ، ولن نوافق عليه اطلاقا . واخيرا فنحن لا نرى اطلاقا ضرورة لوجود «مجلس الشعب» . ان سوفييتات نواب العمال والجنود مفتوحة امام جميع الاحزاب الاشتراكية ، اما التسيك فتعكس بصورة دقيقة تماما النسبة الواقعية لشعبية هذه الاحزاب بين الجماهير . . .» .

اعلن كاريلين ، باسم الاشتراكيين الثوريين اليساريين ، ان حزبه سيصوت الى جانب قرار البلاشفة ، الا انه يحتفظ لنفسه بحق تعديل بعض التفصيلات ، كتمثيل الفلاحين ، والمطالبة بالاحتفاظ بوزارة الزراعة للاشتراكيين الثوريين اليساريين . ولقد تمت الموافقة على هذه المطالب . . .

وفيما بعد ، فى اجتماع سوفييت بتروغراد ، وجه الى تروتسكى سؤال يتعلق بتشكيل الحكومة الجديدة .

«انى لا اعرف شيئا عن هذا – اجاب تروتسكى – انى لا اشترك فى المحادثات . . . ولكنى لا اعتقد انه ستكون لهـــــا اهميـــــة كبيرة . . .» .

وفى تلك الليلة ، خيم انزعاج شديد على الاجتماع . فانسحب مندوبو مجلس الدوما البلدى . . .

اما فى سمولنى نفسها ، فقد بدأت تنمو معارضة عنيفـــــة لسياسة لينين فى صفوف الحزب البلشفى . ففى ليلة ١٧ تشرين الثانى (نوفمبر) كانت قاعة التسيك الواسعة مزدحمة والجـــــو متوترا .

اعلن لارين وهو بلشفى ، ان موعد انعقاد الجمعية التأسيسية قد اقترب ، وان الوقت قد حان للتخلى عن «الارهاب السياسى» .

«يجب تخفيف الاجراءات التى اتخذت ضد حرية الصحافة . لقد كانت ضرورية ايام الصراع ، وليست لها الآن اية مبررات . يجب ان تكون الصحافة حرة ما دامت لا تدعو الى المجازر والفتن» .

واقترح لارين وسط صراخ وصفير اعضاء حزبه ، مشروع القرار التالى :

«يعتبر مرسوم مجلس مفوضى الشعـــــب حول الصحافـــــة لاغيا . . . لا يمكن اتخاذ اجراءات القمع السياسى الا بقرار مـــــن محكمة خاصة منتخبة من قبل التسيك (حسب نسبة الاحزاب الممثلة فيها *) ويمنح لها الحق فى اعادة النظر فى جميع الاعتقالات التى تمت سابقا ، وفى اغلاق الصحف وهلم جرا» .

لقد استقبل هذا الاقتراح بعاصفة من التصفيق ليس فقط من قبل الاشتراكيين الثوريين اليساريين فحسب ولكن من بعض مقاعد البلاشفة .

فسارع أفانيسوف الى الاقتراح ، باسم الجناح اللينينى ، بأن يؤجل موضوع الصحافة الى ما بعد الوصول الى نوع من الاتفاق بين الاحزاب السياسية . الا ان هذا الاقتراح سقط باغلبية ساحقة .

«ان الثورة التى تنجز فى الوقت الحاضر ، لم تتردد فى الهجوم على الملكية الخاصة – قال افانيسوف – ان مسألة الصحافة ، يجب ان تعتبر تماما كمسألة الملكية الخاصة . . .» .

---

* ان الكلمات الواردة بين الهلالين تنعدم في محاضر اللجنة التنفيذية المركزية . **المحرر** .

وبعد ذلك تلا افانيسوف مشروع القرار البلشفى الرسمى :
«ان اغلاق الصحف البرجوازية ، لم يجر بدافع من الضروريات القتالية الصرفة وحسب خلال الانتفاضة وقمع المحاولات المعادية للثورة ، بل كان ايضا اجراء انتقاليا ضروريا لاقامة نظام جديد للصحافة ، نظام لا يسمح للرأسماليين مالكى المطابع والورق بان يصبحوا صانعى الرأى العام الوحيدين .

وكأجراء ابعد ، يجب مصادرة المطابع الخاصة واحتياطى الورق وتحويلها الى حوزة السلطة السوفييتية المركزية وفى القاعدة ، بحيث يتسنى للاحزاب والمجموعات استخدام الوسائل الفنية حسب اهميتها الفكرية الفعلية وبتعبير آخر بالتناسب مع عدد انصارها .

ان اعادة ما يسمى بـ«حرية الصحافة» اى مجرد اعادة المطابع والورق الى الرأسماليين – مسممى وعى الشعب – فان ذلك يكون استسلاما مرفوضا لارادة رأس المال ، وتنازلا عن احد المواقف المهمة لثورة العمال والفلاحين ، وبكلمة اخرى ، اجراء محضا ذا صفة معادية للثورة .

وعليه فان اللجنة المركزية تقترح على الجناح البلشفى فى التسيك ، ان يرفض بحزم كل مقترحات ترمى الى اعادة النظام القديم للصحافة ، وان يؤيد فى هذه القضية مجلس مفوضى الشعب ، دون تحفظ ، ضد الادعاءات والمساعى التى تمليها اما الاوهام البرجوازية الصغيرة واما الرغبة المباشرة فى خدمة مصالح البرجوازية المعادية للثورة» .

لقد قوطعت تلاوة هذا القرار بصيحات ساخرة من الاشتراكيين-الثوريين اليساريين وبانفجارات غضب من البلاشفة المعارضين . فانتصب كاريلين فى مكانه محتجا : «منذ ثلاثة اسابيع كان البلاشفة من أشد المدافعين عن حرية الصحافة . . . ان الحجج الواردة فى هذا القرار ، تشبه بصورة غريبة وجهة نظر جماعة المائة السود القديمة وهيئات المراقبة القيصرية : انهم ايضا كانوا يتكلمون عن «تسميم وعى الشعب»» .

وتكلّم تروتسكى مطولا مؤيدا القرار . فميّز بين وضع الصحافة خلال الحرب الاهلية ووضعها بعد النصر : «خلال الحرب الاهلية ، يكون اللجوء الى العنف من حق المضطهَدين فقط . . .» .
(صيحات : «من هم المضطهدون الآن ؟ همجى !») .

«ان انتصارنا على اعدائنا ليس تاما بعد — تابع تروتسكى — وما زالت الصحف سلاحا فى يدهم . ان اغلاق الصحف فى هذا الظرف ، هو اجراء مشروع للدفاع عن النفس . . .» ثم انتقل تروتسكى الى مسألة الصحافة بعد النصر فقال :

«ان موقف الاشتراكيين من مسألة حرية الصحافة يجب ان يعكس تماما موقفهم من مسألة حرية التجارة . . . ان السلطة الديموقراطية التى هى قيد التنظيم الآن فى روسيا ، تتطلب القضاء التام على سيطرة الملكية الخاصة على الصحافة ، تماما كما فى الصناعة . . . ان السلطة السوفييتية ، يجب ان تصادر جميع المطابع. (صيحات : «صادروا مطبعة «البرافدا» !») يجب الغاء احتكار البرجوازية للصحافة . والا ّ فلا داعى لان نستلم السلطة ! يجب ان تكون المطابع والورق فى متناول كل جماعة من المواطنين . . . ان حق ملكية المطابع والورق يخص قبل كل شىء العمال والفلاحين ، ومن بعدهم فقط الاحزاب البرجوازية التى تشكل الاقلية . . . ان انتقال السلطة الى ايدى السوفييتات ، يؤدى الى تغيير جذرى فى ظروف الحياة الاساسية . وهذا التغيير لا يمكن الا ّ يتناول الصحافة . . . اذا كنا لم نتورع عن تأميم المصارف ، فما الداعى الى ان نتسامح مع الصحف التى يمولها رجال المال ؟ ان النظام القديم يجب ان يموت ، وهذا ما يجب ان يفهم نهائيا . . .» (تصفيق وصيحات غاضبة) .

واعلن كاريلين انه لا يحق للتسيك ان تقرر هذه المسألة المهمة والتى يجب تركها الى لجنة خاصة . وطلب مجددا وبشغف ، ان تكون الصحافة حرة .

عندئذ خطب لينين ، هادئا ، دون انفعال ، وكان جبينه يتجعد وهو يتكلم ببطء ، مختارا كلماته ، كل جملة منها تنهال وكأنها ضربة مطرقة .

«ان الحرب الاهلية لم تنته بعد ، فالعدو ما يزال يواجهنا ، ولذا يستحيل الغاء اجراءات القمع ضد الصحافة .

نحن البلاشفة ، قد صرحنا دائما اننا سنغلق الصحافة البرجوازية عندما نصل الى الحكم . والتسامح بوجود الصحف البرجوازية — معناه التخلى عن الاشتراكية . عندما يقوم المرء بالثورة ، يستحيل عليه ان يراوح فى مكانه : فعليه اما ان يسير

الى امام او الى وراء . ذاك ، الذى يتكلم الآن عن «حرية الصحافة» انما يسير الى الخلف ويعرقل سيرنا الحثيث نحو الاشتراكية .

لقد خلعنا نير الرأسمالية ، كما خلعت الثورة الاولى نير القيصرية . **واذا كان للثورة الاولى الحق فى منع الصحف الملكية ،** فلنا ايضا الحق فى ان نغلق الصحف البرجوازية . يستحيل فصل مسألة حرية الصحافة عن مسائل الصراع الطبقى الاخرى . لقد وعدنا باغلاق هذه الصحف وعلينا اغلاقها . ان غالبية الشعب الساحقة تسير خلفنا !

والآن وقد خلفنا الانتفاضة وراءنا ، فاننا لا ننوى على الاطلاق ان نمنع صحف الاحزاب الاشتراكية الاخرى ما دامت لا تدعو الى الانتفاضة المسلحة او الى عصيان الحكومة السوفييتية . الا اننا لن نسمح لها بأن تستأثر باحتكار المطابع والورق تحت شعار حرية الصحافة الاشتراكية وبدعم البرجوازية السرى . . . ان معدات الصحافة الفنية يجب ان تصبح ملكا للحكومة السوفييتية وان توزّع فى الدرجة الاولى بين الاحزاب الاشتراكية بصورة دقيقة متطابقة مع نسبة عدد اتباعها . . .» .

جرى التصويت . فهزم اقتراح لارين والاشتراكيين-الثوريين اليساريين بـ٣١ صوتا مقابل ٢٢ ، ونجحت وجهة نظر لينين بـ٣٤ صوتا مقابل ٢٤ * . اما البلشفيان ريازانوف ولوزوفسكى فقد صوتا الى جانب الاقلية ولقد وضحا انه يستحيل عليهما التصويت مع اى حد من حرية الصحافة .

وبعد ذلك ، اعلن الاشتراكيون-الثوريون اليساريون ، انهم لم يعودوا مسؤولين عما يجرى بعد ذلك الوقت ، وانسحبوا من اللجنة العسكرية الثورية ومن جميع المناصب المسؤولة الاخرى .

واستقال خمسة اعضاء من مجلس مفوضى الشعب وهم نوغين ، ريكوف ، ميليوتين ، تيودوروفيتش وشليابنيكوف ، وحول ذلك اصدروا البيان التالى :

«اننا نؤيد وجهة النظر القائلة بتشكيل حكومة اشتراكية من جميع الاحزاب السوفييتية . اننا نعتقد ان تشكيل مثل هذه الحكومة فقط يمكن ان يتيح امكانية توطيد ثمار النضال البطولى

---

* هذا خطأ . رفض اقتراح لارين والاشتراكيين-الثوريين اليساريين بـ٢٥ صوتا مقابل ٢٠ . **المحرر** .

الذى خاضته الطبقة العاملة والجيش الثورى فى ايام شهرى تشرين الاول وتشرين الثانى .

نحن نعتقد انه خارج هذا الحل ، ليس سوى طريق واحدة هى : الاحتفاظ بحكومة بلشفية صرفة تعتمد على الارهاب السياسى . وهذه هى الطريق التى سار عليها مجلس مفوضى الشعب . اننا لا نستطيع ولا نريد السير عليها . اننا نرى انها ستؤدى الى اقصاء المنظمات الجماهيرية البروليتارية عن قيادة الحياة السياسية والى قيام نظام غير مسؤول والى تحطيم الثورة والبلاد . نحن لا نستطيع تحمّل مسؤولية هذه السياسة ، ولذلك فنحن نتخلى امام التسيك عن مناصبنا كمفوضين للشعب» .

ووقع هذا البيان ايضا مفوضون آخرون ، بيد انهم لم يستقيلوا من مناصبهم : ريازانوف ودوربيتشيف من قسم الصحافة واربوزوف من مطبعة الدولة ويورينييف من الحرس الاحمر وفيدوروف مـــن مفوضية العمل ولارين امين سر قسم وضع مشاريع القوانين .

وفى الوقت ذاته ، استقال من عضوية اللجنة المركزية للحزب البلشفى : كامينيف وريكوف وميليوتين وزينوفييف ونوغين ، وقد اصدروا بيانا وضحوا فيه اسباب هذه الخطوة :

«. . . اننا نعتبر ان تشكيل مثل هذه الحكومة (التى تضم كافة الاحزاب السوفييتية) لا غنى عنه للحيلولة دون اراقة الدماء من جديد ولدرء المجاعة المحتمـــــة ، وسحق الثورة من قبل كاليدين وانصاره ولضمان انعقاد الجمعية التأسيسيـــة فى الموعد المقرر وكذلك لتنفيذ برنامج السلم الذى أقره المؤتمر الثانى لسوفييتات نواب العمال والجنود لعموم روسيا . . .

نحن لا نستطيع تحمل مسؤولية السياسة التى تؤدى الى الهلاك والتى تنتهجها اللجنة المركزية ضد ارادة غالبية البروليتاريا والجنود الساحقة ، الذين يتوقون الى الاسراع بوضع حد لاراقة الدماء بين المجموعات الديموقراطية المختلفة .

ولذا فنحن نتخلى عن العضوية فى اللجنة المركزية ، كى يتاح لنا الحق فى ان نقول جهارا رأينا الى جماهير العمال والجنود . . .

نحن ننسحب من اللجنة المركزية فى لحظة النصر ، فى اللحظة التى يهيمن فيها حزبنا ، ننسحب لأننا لا نستطيع ان ننظر بهدوء ، كيف تؤدى سياسة الجماعة القيادية فى اللجنة المركزية الى خسارة

حزب العمال لثمار هذا الانتصار والى سحق البروليتاريا . . .» .

خيم القلق على العمال وجنود الحامية ، فأرسلوا الوفود ألى سمولنى والى الاجتماع المنعقد لتشكيل الحكومـــة الجديدة حيث استقبل الانشقاق فى صفوف البلاشفة بفرح عظيم .

الا ان جواب انصار لينين جاء سريعـــا لا يرحم . فانصاع شليابنيكوف وتيودوروفيتش الى الانضباط الحزبـــى وعادا الى مركزيهما . وعزل كامينيف من منصبه كرئيس للتسيك وانتخب مكانه سفردلوف . وعزل زينوفييف من رئاسة سوفييت بتروغراد . وفى صباح السابع من تشرين الثانى (نوفمبر) ، صدرت «البرافدا» حاملة نداء حارا الى الشعب الروسى بقلم لينين ، طبعت منه مئات آلاف النسخ والصق على كل الجدران ووزع فى كافة انحاء روسيا * :

«ان مؤتمر السوفييتات الثانى لعموم روسيا قد اعطى الاغلبية الى حزب البلاشفة . ان الحكومة التى يشكلها هذا الحزب ، هى اذن حكومة سوفييتية . ومعروف لدى الجميع ان اللجنة المركزية للحزب البلشفى ، استدعت الى اجتماعها ، وذلك ببضع ساعات قبل تشكيل الحكومة الجديدة وقبل تقديم قائمة اعضائها الى المؤتمر الثانى لسوفييتات عموم روسيا ، — استدعت ثلاثة من الاعضاء البارزين من جماعـــة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، الرفاق كامكوف وسبيرو وكاريلين وعرضت عليهم الاشتراك فى الحكومة الجديدة . نحن نأسف أشـــد الأسف لرفض الرفاق الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، لأننا نعتبر رفضهم عملا لا يليق بثوريين ونصيرى الكادحين ، نحن على استعداد لاشراك الاشتراكيين-الثوريين اليساريين فى الحكومة فى اى وقت كان ، ولكننا ، نعلن بوصفنا الحزب الذى يتمتع بالاغلبية فى المؤتمر الثانى لسوفييتات عموم روسيا ، انه يحق لنا ويتوجب علينا تجاه الشعب تشكيل حكومة . . .

ايها الرفاق ! ان بعض الاعضاء فى اللجنة المركزية لحزبنا وفى مجلس مفوضى الشعب ، كامينيف وزينوفييف ونوغين وريكـــوف

---

* المقصود هنا النداء «من اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكى — الديموقراطى الروسى (البلشفى) الى جميع اعضاء الحزب والى جميع الطبقات الكادحة فى روسيا» . لقد ألف النداء لينين فى ١٨—١٩ (٥—٦) تشرين الثانى (نوفمبر) وجرى نشره فى جريدة «البرافدا» فى ٢٠ (٧) تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ . **المحرر** .

وميليوتين وقليل غيرهم ، قد انسحبوا يوم امس الرابع من تشرين الثانى (نوفمبر) من اللجنة المركزية لحزبنا ، والثلاثة الآخرون – من مجلس مفوضى الشعب . . . ان الرفاق المسحوبين قد تصرفوا تصرف الفارين ، لأنهم لم يهجروا فقط المناصب التى اسندت اليهم ، ولكنهم انتهكوا كذلك التعليمات الصريحة للجنة المركزية لحزبنا والقاضية بالتمهل على الأقل حتى صدور قرارات منظمتى الحزب فى بتروغراد وموسكو . نحن نشجب بحزم هذا الفرار . اننا متيقنون كل اليقين من ان جميع العمال والجنود والفلاحين الواعين المنتمين الى حزبنا او المناصرين لـــه ، سيشجبون بحزم كذلـــك تصرف الفارين . . .

تذكروا ايها الرفاق ، ان اثنين من هؤلاء الفارين ، كامينيف وزينوفييف ، قد تصرفا تصرف الفارين ومخربى الاضراب حتى قبل انتفاضة بتروغراد ، لأنهما لم يصوتا فقط فى الاجتماع الحاســم للجنة المركزية يوم ٢٣ (١٠) تشرين الاول (اكتوبر) ، ضــد الانتفاضة ؛ ولكنهما واصلا ، حتى **بعد** قرار اللجنة المركزية ، امام العاملين الحزبيين ، دعايتهما ضد الانتفاضة . . . الا ان حماس الجماهير العظيم وبطولة ملايين العمال والجنود والفلاحين فى بتروغراد وموسكو ، وفى الجبهة والخنادق والقرى ما لبثا ان ازاحا بسهولة كلية الفارين مثلما يبعثر القطار قطع القش عن الخط الحديدى .

لنترك ضعيفى الايمان والمترددين والمتشككين يراوحون فى مستنقع عارهم ، اولئك الذين يسمحون لأنفسهم ان يخافوا من البرجوازية او الذين يستسلمون امام صيحات اذنابها المباشرين او غير المباشرين . **لا يوجد ادنـــى ظل من** التردد لدى **جماهير** بتروغراد وموسكو **ولا** لدى عمال وجنود الاماكن الاخرى . . . اننا لن نرضخ لأية انذارات صادرة عن حفنات من المثقفين ، الذين لا تقف خلفهم الجماهير والذين يقف خلفهم **بالفعل** فقط الكورنيلوفيون والسافينكوفيون واليونكر ومن على شاكلتهم . . .» .

لقد جاوبت البلاد باستنكار عاصف . لم يتـــح ادنى حظ للمعارضين بأن «يقولوا علنا رأيهم امام جماهير العمال والجنود» . فانهالت على التسييك موجة من الشجب الشعبى ضد «الفارين» وبقيت سمولنى طوال ايام تغص بوفود ولجان غاضبة توافدت اليها من الجبهة ، من منطقة الفولغا ومصانع بتروغراد . «كيف يجرؤون على

الانسحاب من الحكومة ؟ هل باعوا انفسهم الى البرجوازية وارادوا القضاء على الثورة ؟ عليهم العودة والانصياع لقرارات اللجنة المركزية !» .

وكان موقف حامية بتروغراد وحدها غير واضح . فعقد اجتماع كبير للجنود فى ٢٤ (١١) تشرين الثانى (نوفمبر) تكلم فيه مندوبون عن كافة الاحزاب السياسية . فاقرت سياسة لينين باغلبية ساحقة ودعى الاشتراكيون الثوريون اليساريون الى الاشتراك فى الحكومة[٦] . . .

وجه المناشفة الانذار الاخير طالبين الافراج عن جميع الوزرا واليونكر ، واعطاء الحرية الكاملة لكل الصحف ، وتجريد الحرس الاحمر من السلاح ووضع الحامية تحت قيادة مجلس الدوما . ولقد اجابت سمولنى على ذلك ، بانه قد اطلق سراح الوزراء الاشتراكيين ومعظم اليونكر ، وان الحرية ممنوحة لكافة الصحف باستثناء الصحف البرجوازية ، وان السوفييت سيثابر على الاشراف على القوات المسلحة . . . وفى ١٩ (٦) تشرين الثانى (نوفمبر) تفرق الاجتماع المعقود من اجل تشكيل الحكومة الجديدة ، واتجه افراد المعارضة الواحد اثر الآخر الى موغيليف ، حيث استمروا يشكلون الحكومة تلو الحكومة ، تحت رعاية القيادة العامة حتى قضى عليهم جميعا . . .

في تلك الاثناء ، كان البلاشفة يقوضون سلطة الفيكجل . فدعا بيان صدر عن سوفييت بتروغراد ، عمال سكك الحديد ، الى اجبار الفيكجل الى التخلى عن سلطتها . وفى ١٥ (٢) تشرين الثانى (نوفمبر) عينت التسيك انعقاد مؤتمر عمال سكك الحديد لعامة روسيا فى ١ كانون الاول (ديسمبر – ١٨ تشرين الثانى – نوفمبر) . ولجأت التسيك بالنسبة الى عمال السكك الحديدية الى نفس الاسلوب الذى لجأت اليه بالنسبة الى الفلاحين . فدعت الفيكجل حالا الى مؤتمر لها ينعقد بعد اسبوعين من ذلك التاريخ . وفى ١٦ (٣) تشرين الثانى (نوفمبر) احتل اعضاء الفيكجل مقاعدهم فى التسيك . وفى ليل ٢ كانون الاول (ديسمبر) فى جلسة افتتاح مؤتمر عمال سكك الحديد لعموم روسيا ، عرضت التسيك رسميا على الفيكجل منصب مفوض طرق المواصلات فقبلته هذه . . .

وبعد ان انتهى البلاشفة من مسألة السلطة ، وجهوا اهتمامهم الى مسائل الادارة العملية . وقبل كل شىء ، كان يجب اطعام المدينة

والبلاد والجيش . فأخذت فرق من البحارة والحرس الاحمر تفتش المخازن ومحطات سكك الحديد وحتى القوارب فى الاقنية ، مكتشفة ومصادرة آلاف البودات * من المواد الغذائيـــة التى خبأهـــا المضاربون . وارسل الرسل الى المناطق حيث استولوا على مخازن تجار الحبوب الكبار بمساعدة لجان الارض . وارسلت بعثات من البحارة المسلحين بالاسلحة الثقيلة فى مجموعات تضم كل منهـــا خمسة آلاف رجل ، الى الجنوب وسيبيريا فى مأموريات جوّالة بغية اخضاع المدن التى ما تزال فى ايدى الحرس الابيض ، وتوطيد الامن **وجلب الطعام** بصورة رئيسية . واوقفت قطارات المسافرين على الخط الحديدى عبر سيبيريا مدة اسبوعين . وفى الوقت نفسه ارسل من بتروغراد ١٣ قطارا محملا بالاقمشة والثياب والقضبان الحديدية التى جمعتها لجان المصانع والمعامل ، وتوجهت هذه القطارات شرقا وعلى رأس كل منها مفوض ليقايضوا بها فلاحى سيبيريا مقابـــل الحبوب والبطاطا . . .

ولما كان كاليدين مسيطرا على مناجم الفحم فى حوض الدونيتز ، فقد اصبحت قضية المحروقات قضية ملحة ، فعمدت سمولنى الى قطع الكهرباء عن المسارح والمتاجر والمطاعـــم ، وخفّضت عدد عربات الترام وصادرت مستودعات الحطب التى يملكهـــا تجار المحروقات . . . ولما اشرفت مصانع بتروغراد على الاغلاق لافتقارها الى الفحم ، حوّل بحارة اسطول البلطيق مائتى الف بود منه من عنابر الاسطول الى العمال . . .

وحوالى اواخر تشرين الثانى (نوفمبر) حدثت «فتن الخمر»[7] — غزو اقبية الخمر — مبتدئة بنهب اقبية قصر الشتاء . وخلال اربعة ايام كانت الشوارع تغص بالجنود السكارى . . . وكان واضحا ان يد اعداء الثورة كانت وراء هذا كله ، الذين وزّعوا على الافواج خرائط تبين مواقع مستودعات الخمر . بدأ مفوضو سمولنـــى بالمناشدة والنقاش ، فلم يساعد ذلك على وضـــع حد للفوضى المتزايدة ، وعقبت ذلك معارك ضاريـــة بين الجنود والحرس الاحمر . . . واخيرا ارسلت اللجنة العسكرية الثورية فرقا من البحارة مزودة بالرشاشات ، فأطلقوا النار على المشاغبين بدون شفقة وقتلوا العديد منهم . ثم صدرت الاوامر التنفيذية باجتياح

* البود يساوى ١٦،٣٨ كغ . **المترجم** .

اقبية الخمر من قبل اللجان الخاصة فحطم اعضاء هذه اللجان الزجاجات بفؤوسهم او نسفوا الاقبية بالديناميت . . .
وكانت سرايا من الحرس الاحمر وهي منضبطة وتتقاضى الاجور المرتفعة ، تحل محل الميليشيا القديمة على اهبة الحركة فى مراكز السوفييتات ليلا ونهارا . وفى كافة احياء المدينة اقام العمال والجنود محاكم ثورية صغيرة لتتولى النظر فى الجرائم الصغيرة . . .
وحاصر الحرس الاحمر الفنادق الكبيرة حيث يمارس المضاربون اعمالهم وسيق هؤلاء الى السجن[8] . . .
وبيقظة وحذر اقامت الطبقة العاملة فى المدينة ، من نفسها ، جهاز تجسس واسعا من خلال تجسس الخدم فى منازل البرجوازيين ونقل جميع المعلومات الى اللجنة العسكرية الثورية التى انزلت ضرباتها بيد من حديد وبدون شفقة . وبهذه الطريقة ، جرى اكتشاف المؤامرة الملكية بقيادة عضو الدوما السابق بوريشكيفيتش ومجموعة من النبلاء والضباط وكان مخططها القيام بانقلاب عسكرى وكانت قد كتبت رسالة الى كاليدين تدعوه فيها الى بتروغراد[9] . . . وبهذه الطريقة نفسها ، اكتشفت مؤامرة الكاديت الذين كانوا يرسلون المال والمتطوعين الى كاليدين . . .
اما نيراتوف وقد فزع من الغضبة الشعبية التى اثارها هربه ، فعاد وسلم المعاهدات السرية الى تروتسكى ، الذى شرع فى نشرها على صفحات «البرافدا» ، الامر الذى هز العالم بأسره .
وازدادت القيود على الصحافة لدى صدور مرسوم[10] يجعل الاعلانات احتكارا للصحيفة الحكومية الرسمية ، فتوقفت كافة الصحف الاخرى احتجاجا على ذلك او خرقت المرسوم فأغلقت . . . ولم ترضخ نهائيا الا بعد ثلاثة اسابيع .
وكان الاضراب ما يزال مستمرا فى الوزارات وكذلك التخريب الذى يقوم به الموظفون القدامى الامر الذى كان لا يسمح بتنظيم الحياة الاقتصادية . ولم يكن يقف وراء سمولنى سوى ارادة الجماهير الشعبية الواسعة غير المنظمة وكان مجلس مفوضى الشعب يعتمد عليها موجها الاعمال الجماهيرية الثورية ضد اعدائه[11] .
وشرع لينين يوضّح اهداف الثورة فى بيانات بليغة[12] مكتوبة بلغة بسيطة انتشرت فى كل انحاء روسيا ، مناشدا الشعب استلام السلطة بيديه وسحق مقاومة الطبقات المالكة والاستيلاء على

المؤسسات الحكـــومية بالقوة . النظام الثـــورى ! الانضباط الثورى ! المحاسبـــة والمراقبة الدقيقة ! لا اضرابـــات ! لا تكاسل !

فى ٢٠ (٧) تشرين الثانى (نوفمبر) اصدرت اللجنة العسكرية الثورية الانذار التالى :

«ان الطبقات الغنية تقاوم حكومة السوفييتات الجديدة ، حكومة العمال والجنود والفلاحين . وانصارها يوقفون عمل موظفى الحكومة ومستخدمى المدن ، يحرضون مستخدمى المصارف على الاضراب ، يحاولون قطع مواصلات السكك الحديدية والبرق والبريد وهلم جرا . . .

اننا نحذرهم — انهم يلعبون بالنار . البلاد والجيش مهددان بالمجاعة . انه من الضرورى بدون تحفظ ، للانتصار على المجاعة ، تنفيذ العمل بدقة فى مؤسسات المواد الغذائية ، فى السكـــك الحديدية ، فى البريد وفى المصارف . ان حكومة العمال والفلاحين تتخذ كافة الاجراءات الضرورية لتأمين حاجات البلاد .

ان معارضة هذه الاجراءات — جريمة ضد الشعب . اننا ننذر الطبقات الغنية وانصارها : **اذا** هم لم يقلعوا عن تخريبهم واذا ادت اعمالهم الى قطع المؤن ، **فسيكونون هم انفسهم اول من يتألم من ذلك . ان الطبقات الغنية واذنابها سوف يحرمون من حق استلام المواد الغذائية وسوف تصادر كل مخزوناتهم كما تصادر ممتلكات المجرمين الرئيسيين منهم .**

لقد قمنا بواجبنا — اننا حذرنا اولئك الذين يلعبون بالنار .

اننا على يقين انه عندما تصبح هذه الاجراءات الحاسمـــة ضرورية ، فان جميع العمال [13] والجنود والفلاحين سيمنحوننا الدعم الكامل» .

وفى ٢٢ (٩) تشرين الثانى (نوفمبر) الصق على كافة جدران المدينة «**البلاغ الاستثنائى**» :

«لقد تلقى مجلس مفوضى الشعب البرقية المستعجلة التالية من قيادة اركان الجبهة الشمالية : «المماطلة مدة اطول مستحيلة : لا تتركونا نموت من الجوع . ان جيش الجبهة الشمالية ليست لديه كسرة من الخبز منذ عدة ايام ، وبعد يومين او ثلاثة سوف لن يكون لديه الخبز المجفف الذى يقدم من المخزون الاحتياطـــى

المحرم . هذا الاحتياطى فى طريق النفاد . لقد وصل مندوبون عن الجيوش ويقولون عن الضرورة الملحة لنقل وحدات الجيوش بصورة منتظمة الى المؤخرة ، استباقا لما قد يحدث بعد بضعة ايام ، اذ ستبدأ عملية هرب جماعية يقوم بها الجنود الذين هم على حافة الموت جوعا والذين انهكت قواهم من جراء مكوثهم ثلاث سنوات فى الخنادق ، مرضى ، بالبسة بالية ، حفاة ، فاقدى الوعى تحت وطأة حرمانات تفوق طاقة البشر . . .» .

ان اللجنة العسكرية الثورية تطلع حامية بتروغراد وعمالها على هذا الوضع فى الجبهة الذى يتطلب اسرع الاجراءات واحسمها . . . وفى الوقت نفسه ، فان الموظفين الكبار فى المؤسسات الحكومية المصرفية وفى الخزينة وسكك الحديد والبريد والبرق ، يخربون وينسفون عمل الحكومة الرامى الى تزويد الجبهة بالمواد الغذائية . ان كل ساعة تأخر قد تودى بحياة آلاف الجنود .

ان الموظفين المعادين للثورة ، هم اكثر المجرمين انحطاطا بالنسبة الى اخوتهم الجائعين والمحتضرين فى الجبهة .

ان اللجنة العسكرية الثورية ، توجه الى هؤلاء المجرمين الانذار الاخير . وفى حال ادنى مقاومة او معارضة تبدر من جانبهم ، فان قساوة الاجراءات التى ستتخذ ضدهم ، تكون على مستوى فظاظة جريمتهم» .

أجابت جماهير العمال والجنود بموجة غضب عارمة شملت روسيا بأسرها . فاصدر موظفو الحكومة والمصارف فى العاصمة مئات من البلاغات والنداءات[١٤] ، محتجين ، مدافعين عن انفسهم . وهذا واحد منها :

«الى انظار جميع المواطنين

مصرف الدولة مغلق .

لماذا ؟

لأن العنف الذى مارسه البلاشفة ضد مصرف الدولة قد جعل الاستمرار فى العمل مستحيلا . كانت اول خطوة لمفوضى الشعب ، انهم طلبوا ١٠ ملايين روبل ، وفى ١٤ تشرين الثانى (نوفمبر) طلبوا ٢٥ مليون روبل ايضا ، دون اشارة الى وجهة انفاق هذا المال . . .

نحن ، موظفى مصرف الدولة ، لا نستطيع الاشتراك فى نهب ملكية الشعب . ولهذا توقفنا عن العمل .

ايها المواطنون ، ان المال المودع فى مصرف الدولة – انه مال الشعب ، حصيلة كدحكم ، وعرقكم ودمكم .

ايها المواطنون ، انقذوا ملكية الشعب من النهب ، وانقذونا نحن – من العنف ، فنعود حالا الى العمل .

مستخدمو مصرف الدولة» .

واصدر موظفو وزارتى التموين والمالية ولجنة التموين الخاصة بلاغات تفيد بان اللجنة العسكرية الثورية قد اوجدت ظروفا يستحيل عليهم العمل فيها ، كما اصدر الموظفون النداءات الى السكان لدعمهم ضد سمولنى . . . غير ان غالبية العمال والجنود لم تصدقهم ، اذ ان الرأى الشعبى العام كان على ثقة من ان الموظفين يقومون بالتخريب وبتجويع الجيش والشعب . . . وفى صفوف الانتظار الطويلة التى كانت كالسابق تتشكل فى الشوارع اثناء الشتاء القارس من اجل شراء الخبز ، لم يكونوا يلومون **الحكومة** كما كان الحال ايام كيرنسكى ، وانما كانوا يلومون **الموظفين** المخربين ؛ ذلك لان الناس فى هذه الصفوف كانوا يعلمون ان الحكومة هى حكومتهم ، هى حكومة سوفييتاتهم – وان موظفى الوزارات كانوا ضدها . . .

كان وسط هذه المعارضة كلها مجلس الدوما ومنظمته المقاتلة – لجنة الانقاذ – المحتجة على كافة مراسيم مجلس مفوضى الشعب والمصوتة المرة تلو المرة على عدم الاعتراف بالحكومة السوفييتية ، والمتعاونة جهارا مع «الحكومات» الجديدة المعادية للثورة التى تشكلت فى موغيليف . . . ففى ١٧ (٤) تشرين الثانى (نوفمبر) مثلا ، توجهت لجنة الانقاذ الى «كافة هيئات التسيير الذاتى البلدية والزيمستفوات والى منظمات الفلاحين والعمال والجنود وسائر المواطنين الديموقراطية الثورية» بهذه الكلمات :

«. . . ١) لا تعترفوا بحكومة البلاشفة وناضلوا ضدها ؛ ٢) شكلوا اللجان المحلية لانقاذ الوطن والثورة ، بغية توحيد جميع القوى الديموقراطية ، لمساعدة لجنة الانقاذ لعموم روسيا فى القيام بمهمتها . . .» .

في تلك الاثناء ، نال البلاشفة اغلبية ساحقـــة في انتخابات الجمعية التأسيسية في بتروغراد[15] فاضطر حتى المناشفة الامميون على المطالبة باعادة انتخاب مجلس الدوما لأنه لم يعد يمثل الموقف السياسي لسكان بتروغراد . . . وفي الوقت ذاته ، تدفق على مجلس الدوما سيل من المقررات الصادرة عن المنظمات العمالية والوحدات العسكرية وحتى عن الفلاحين في الضواحي القريبة ، واصفة اعضاءه بانهم «كورنيلوفيون ، معادون للثورة» ومطالبة باستقالتهم . كانت ايام مجلس الدوما الاخيرة عاصفة اذ طالب عمال مؤسسات المدينة بصرامة باجور تكفي لحياة كريمة ، مهددين بالاضراب . . .

وفي ٢٣ (١٠) تشرين الثاني (نوفمبر) اصدرت اللجنة العسكرية الثورية مرسوما رسميا بحل لجنة الانقاذ . وفي ٢٩ (١٦) منه امر مجلس مفوضي الشعب بحل الدوما في مدينـــة بتروغراد واعادة انتخابه :

«نظرا لأن الدومـــا المركزي البلدي الذي انتخب في ٢٠ آب (اغسطس) . . . قد فقد بصورة صريحة ونهائية ، الحق بتمثيل سكان بتروغراد ، لتعارضه التام مع رغباتهم . . . ونظرا لأن غالبية اعضاء الدوما ، لم يعودوا يتمتعون باية ثقة سياسية ولكنهم لا يزالون يستخدمون حقوقهم الصورية ، من اجل معارضـــة ارادة العمال ، والجنود والفلاحين ، معارضة معادية للثورة ، ومن اجل اعمال التخريب واحباط النشاط المنهجي الاجتماعي ، فان مجلس مفوضاي الشعب يعتبر من الضروري دعوة سكان العاصمة كي يبدوا رأيهم بصدد سياسة هيئة التسيير الذاتي البلدي .

ولهذه الغاية يقرر مجلس مفوضي الشعب :

١ – يحل مجلس الدوما البلدي ابتداء من ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ .

٢ – يبقى جميع الموظفين المعينين من قبل مجلس الدوما الحالي في مراكزهم ، ويستمرون في القيام بالمهمات الموكولة اليهم ، الى ان يحل محلهم خلفاؤهم الذين يعينهم مجلس الدوما الجديد .

٣ – يستمر جميع مستخدمي البلدية في القيام بمهماتهم . والذين يغادرون مراكزهم من تلقاء انفسهم ، يعتبرون مفصولين .

٤ – يحدد يوم ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٧ موعدا لانتخابات دوما بتروغراد التي ستجرى حسب منطوق «قرار انتخابات

اعضاء الدوما البلدى فى بتروغراد بتاريخ ٢٦ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩١٧» الصادر فى وقت واحد مع القرار الحالى .

٥ – يعقد اول اجتماع للدوما البلدى الجديد فى ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٩١٧ الساعة الثانية بعد الظهر .

٦ – يعتقل فورا مخالفو ما ورد فى القرار الحالى والذين يسيئون عن عمد عن طريق تخريب او هدم ملكية البلدية ، ويقدمون الى المحاكم العسكرية الثورية . . .» .

وصارفا النظر عن هذا المرسوم ، فقد استمر مجلس الدوما فى عقد اجتماعاته واصدار قرارات تشعر انه «سيدافع عن مواقعه حتى آخر نقطة من دمه» ومناشدا السكان بيأس لينقذوا «هيئة التسيير الذاتى التى انتخبوها بانفسهم» . غير ان السكان كانوا معادين او غير مبالين . وفى ٣٠ (١٧) تشرين الثانى (نوفمبر) اعتقل رئيس البلدية شريدر ومعه عدد من الاعضاء ، فاستجوبوا ثم افرج عنهم . استمر الدوما فى الاجتماع ذلك اليوم واليوم الذى تلاه وكان الحرس الاحمر والبحارة يقاطعونه مرارا طالبين بادب من المجتمعين ان ينصرفوا . وفى اجتماع ٢ كانون الاول (ديسمبر) دخل ضابط وبعض البحارة قاعة نيقولاييفسكى بينما كان احد الاعضاء يتكلم ، وامر المجتمعين بمغادرة القاعة والا اضطر الى استعمال العنف . ففعلوا ذلك بعد ان احتج كل منهم ، واخيرا «رضخوا للعنف» .

اما مجلس الدوما الجديد ، الذى انتخب بعد عشرة ايام ، فيكاد ان يكون مكونا من البلاشفة وحدهم[16] ، ذلك ان الاشتراكيين «المعتدلين» قاطعوا الانتخابات .

لم تزل هناك عدة مراكز معارضة خطرة «كجمهوريتى» اوكرانيا وفنلندا ، اللتين كانتا تكنان عداء واضحا للسوفييت . وكانت كلا الحكومتين فى هلسنكى وفى كييف ، تجمعان قوات يمكن الاعتماد عليها وتخوضان المعارك لسحق البلشفية ولتجريد القوات الروسية من اسلحتها وطردها . كان مجلس الرادا الاوكرانى مسيطرا على روسيا الجنوبية كلها وكان يمد كاليدين بالامدادات والمؤن . وكانت كلتا الحكومتين قد شرعتا باجراء مفاوضات سرية مع الالمان ، وقد اعترفت حكومات الحلفاء بهما فورا واخذت تمدهما بمبالغ كبيرة من المال للعمل المشترك مع الطبقات المالكة فيهما لانشاء مراكز

معادية للثورة من اجل الهجوم على روسيا السوفييتية . وفى النهاية ، عندما انتصرت البلشفية فى كلا البلدين ، استنجدت البرجوازية المهزومة بالالمان الذين اعادوها الى الحكم . . .

الا ان الخطر الداهم ضد الحكومة السوفييتية كان داخليا وذا رأسين — حركة كاليدين ، والقيادة العامة فى موغيليف ، حيث كانت القيادة بين يدىّ الجنرال دوخونين .

وعين مورافييف الحاضر فى كل مكان قائدا للعمليات ضد القوزاق . وقد جند جيش احمر من عمال المصانع . وارسل مئات الدعاة الى منطقة الدون . واصدر مجلس مفوضى الشعب نداء الى القوزاق[١٧] شارحا فيه طبيعة الحكومة السوفييتية ، وكيف كانت الطبقات المالكة اى الموظفون والملاكون العقاريون واصحاب المصارف وحلفاؤهم وامراء القوزاق والجنرالات ، يحاولون تحطيم الثورة ومنع الشعب من مصادرة ثرواتهم .

وفى ٢٧ (١٤) تشرين الثانى (نوفمبر) ، جاء وفد من القوزاق الى سمولنى لمقابلة تروتسكى ولينين . فسأل ما اذا كان صحيحا ان الحكومة السوفييتية تنوى توزيع اراضى القوزاق على فلاحى روسيا العظمى ؟ «كلا» — اجاب تروتسكى . وتهامس القوزاق فيما بينهم . «حسنا — سألوهما — ولكن هل لدى الحكومة السوفييتية النية فى انتزاع اراضى كبار الملاكين العقاريين فى منطقتنا ، وتوزيعها بين الشغيلة القوزاق؟ فأجابهم لينين قائلا : «ان هذا **منوط بكم** انتم . اننا سندعم القوزاق الشغيلة فى كافة اعمالهم . . . ان افضل وسيلة للبدء هى تشكيل سوفييتات للقوزاق ، وعندها يصار الى تمثيلكم فى التسيك ، فتصبح هى آنذاك حكومتكم كذلك» .

ذهب القوزاق مشغولى الفكر . وبعد اسبوعين زار الجنرال كاليدين وفد من جيشه . «هل تعدنا — سأل الوفد — بتوزيع اراضى الملاكين العقاريين بين كادحى القوزاق ؟» «لن يكون ذلك الا فوق جثتى» — اجاب كاليدين . وبعد شهر من تلك الحادثة ، انتحر كاليدين بعد ان رأى جيشه يتخلى عنه . وهكذا انتهت حركة القوزاق . . . .

وفى تلك الاثناء كانت التسيك القديمة والقادة الاشتراكيون «المعتدلون» — من افكسنتييف الى تشيرنوف — وقادة لجان الجيش القديمة والضباط الرجعيون مجتمعين فى موغيليف . وما تزال قيادة

الجيش مصرة على موقفها من عدم الاعتراف بمجلس مفوضى الشعب ، وقد جمعت حولها فيالق الموت والحائزيـــن على صليب القديس جورجيوس والقوزاق العاملين فى الجبهة ، وكانت على اتصال سرى مع الملحقين العسكريين للحلفاء ومع حركة كاليديـــن ومجلس الرادا الاوكرانى . . .

ولم تجب حكومات الحلفاء على مرسوم السلـــم الصادر فى ٨ تشرين الثانى (نوفمبر) (٢٦ اكتوبر) والذى يقترح فيـــه مؤتمر السوفييتات هدنة شاملة .

وفى ٢٠ (٧) تشرين الثانى (نوفمبر) وجه تروتسكى المذكرة التالية الى سفراء دول الحلفاء[١٨] :

«اتشرف بان ابلغكم ، السيد السفير ، ان مؤتمر سوفييتات نواب العمال والجنود لعموم روسيا ، قد شكل فى ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) حكومة جديدة للجمهورية الروسية على هيئة مجلس مفوضى الشعب . ان رئيس هذه الحكومة هو فلاديمير ايليتش لينين . وقد كلفت بادارة شؤون السياسة الخارجيـــة بصفتى مفوض الشعب للشؤون الخارجية .

وانى اذ الفت انتباهكم الى النص الذى أقره مؤتمر سوفييتات نواب العمال والجنود لعموم روسيا ، حول اقتراح الهدنة والصلح الديموقراطى ، بلا الحاق ولا تعويض ، على اساس حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، اتشرف بان اطلب منكم اعتبار هذه الوثيقة اقتراحا رسميا لتحقيق هدنة فورية على جميع الجبهات والشروع بمفاوضات عاجلة حول الصلح . ان حكومة الجمهورية الروسية وجهت هذا الاقتراح فى الوقت ذاته الى جميع الشعوب المتحاربة وحكوماتها .

وتفضلوا ، يا سيادة السفير ، بقبول احترام الحكومة السوفييتية العميق لشعبكم الذى لا يمكن الاّ ان يكون راغبا فى السلم ، شأنه شأن جميع الشعوب التى اثخنتها الجراح وانهكت قواها هذه المجزرة التى لا مثيل لها . . .» .

وفى تلك الليلة ذاتها ، ارسل مجلس مفوضى الشعب البرقية التالية الى الجنرال دوخونين :

«ان مجلس مفوضى الشعب يرى من الضرورى اقتراح الهدنة رسميا بلا تأخر على كافة البلدان المتحاربة ، سواء أكانت حليفة ام فى حالة حرب معنا . ولقد ارسل مفوض الشؤون الخارجية مذكرة

بهذا الشأن الى ممثلى حكومات البلدان الحليفة فى بتروغراد . ان مجلس مفوضى الشعب يكلفك ، ايها المواطن القائد الاعلى ، بان توجه ، منذ استلامك هذه البرقية ، الى السلطات العسكرية العدوة ، اقتراحا بوقف العمليات الحربية فورا بغية الشروع فى مفاوضات للصلح .

ان مجلس مفوضى الشعب ، اذ يكلفك بالقيام بهذه المحادثات الاولية يأمرك : ١) ان تبلغ المجلس باستمرار وبواسطة الاتصال المباشر ، بسير محادثاتك مع ممثلى جيوش العدو ؛ ٢) الا توقع عقد الهدنة الا بعد ان يصدق عليه مجلس مفوضى الشعب . . .» .

استقبل سفراء الدول الحليفة مذكرة تروتسكى بصمت مزدر ، رافقته مقالات مغفلة فى الصحف تنضح بالحقد والاستهزاء . ونعت الامر الصادر الى دوخونين علنا بانه خيانة . . .

اما بالنسبة الى دوخونين ، فلم يرد على البرقية . وفى ليلة ٢٢ (٩) تشرين الثانى (نوفمبر) اجرى معه اتصال هاتفى ، وردا على سؤال ما اذا كان ينوى اطاعة الامر ، اجاب انه لا يستطيع ذلك الا اذا صدر الامر عن «حكومة يؤيدها الجيش والبلد بأسره» .

فأقيل على الفور برقيا من منصبه كقائد عام ، وعين كريلنكو مكانه . وتمشيا مع سياسته فى التوجه الى الجماهير ، ارسل لينين اذاعة الى لجان كافة الفرق والالوية والافواج والى جميع جنود وبحارة الجيش والاسطول ، يطلعهم فيهـــا على رفض دوخونين ، ويامر «الافواج الموجودة فى المواقع ، ان تنتخب فورا مندوبين عنها ، للشروع رسميا فى مفاوضات حول الهدنة مع العدو . . .» .

وفى ٢٣ (١٠) تشرين الثانـــى (نوفمبر) سلـــم الملحقون العسكريون للامم الحليفة ، بناء على تعليمات وردت اليهم مـــن حكوماتهم ، مذكرة الى دوخونين ، يحذرونه فيها رسميا «بعدم خرق شروط المعاهدات التى وقعت بين دول الحلفاء» . وجاء فى المذكرة ايضا ان روسيا «ستجر على نفسها اضخم العواقب» اذا وقعت هدنة منفردة مع الالمان . ولقد ارسل دوخونين فى الحال هذه المذكرة الى كافة لجان الجنود . . .

وفى صباح اليوم التالى ، اذاع تروتسكى نداء آخر الى القوات ، واصفا مذكرة ممثلى الحلفاء بانها تدخل سافر فى شؤون روسيـــا الداخلية ومحاولة خرقاء «لاجبار الجيش الروسى والشعب الروسى ،

بالتهديد على المضى فى الحرب تنفيذا لمعاهدات عقدها القيصر . . .»

من سمولنى اخذ البلاغ يتدفق تلو البلاغ[19] فاضحا دوخونين والضباط المعادين للثورة الملتفين حوله ، ومشهرا بالسياسيين الرجعيين المجتمعين فى موغيليف ، مثيرا ملايين الجنود الغاضبين ، والمتشككين من طرف جبهة طولها الف ميل الى طرفها الثانى . وفى الوقت ذاته توجه كريلنكو برفقة ثلاث وحدات من البحارة المتحمسين الى مقر قيادة الجيش العليا يتوق متوعدا بالثأر[20] ، فكان الجنود يستقبلونه فى كل مكان بعواصف من الهتافات - وكان هذا انتصارا عظيما . وعندما اصدرت اللجنة المركزية للجيش بلاغا لصالح دوخونين ، تحرك عشرة آلاف جندى فى الحال نحو موغيليف . . .

وفى ٢ كانون الاول (ديسمبر) ثارت حامية موغيليف وسيطرت على المدينة ، معتقلة دوخونين ولجنة الجيش وخرجت لاستقبال القائد العام الجديد حاملة رايات النصر الحمراء . وفى صباح اليوم التالى ، دخل كريلنكو موغيليف ، فوجد جمعا غاضبا مجتمعا حول عربة سكة الحديد حيث سجن دوخونين . والقى كريلنكو خطابا ناشد فيه الجنود بألا يلحقوا الاذى بدوخونين ، لأنه سيؤخذ الى بتروغراد ليحاكم امام محكمة ثورية . وما ان انتهى من خطابه ، متى اطل دوخونين فجأة من النافذة وكأنه يريد ان يتوجه الى الجمع . الا ان الشعب اندفع الى العربة اندفاعا وحشيا وجر الجنرال العجوز الى الخارج وانهال عليه ضربا على الرصيف حتى الموت .

وهكذا انتهى تمرد القيادة العليا . . .

وما ان قويت الحكومة السوفييتية للغاية من جراء انهيار آخر معقل هام للقوى العسكرية المعادية لها فى روسيا ، حتى بدأت تنظم الدولة بثقة . فانضوى العديد من الموظفين القدامى تحت رايتها ، والتحق عدد كبير من اعضاء الاحزاب الاخرى بالجهاز الحكومى . الا ان مرسوم رواتب مستخدمى الدولة ، الذى حدد راتب مفوض الشعب - وهو اعلى راتب - بخمسمائة روبل فى الشهر (حوالى خمسين دولارا) خيب آمال الطامعين بالكسب المالى . . . اما اضراب موظفى الدولة الذى كان يقوده اتحاد الاتحادات ، فقد انهار ، بعد ان تخلت عنه المصالح المالية

والتجارية التى كانت تموله . وعاد موظفو المصارف الى اعمالهم . . .

ومع مرسوم تأميم المصارف ، وانشاء المجلس الاعلى للاقتصاد الوطنى ، ووضع مرسوم الارض فى القرى موضع التنفيذ ، واعادة تنظيم الجيش على اسس ديموقراطية والتغييرات فى كافة القطاعات الحكومية والحياتية — مع هذه الاجراءات كلهـــا ، التى استمدت فعاليتها من ارادة جماهير العمال والجنود والفلاحين ، بدأت ببطء ، وباخطاء وعقبات عديدة ، عملية سبك روسيا البروليتارية .

لم يستلم البلاشفة السلطة نتيجة مساومة مع الطبقات المالكة او مع القادة السياسيين الآخرين ، ولا بارضاء جهاز الحكومـــة القديم ، ولا عن طريق عنف منظم مارسته فئة قليلة العدد . فلو لم تكن الجماهير فى كافة انحاء روسيا مستعدة للانتفاضة لاخفقت محاولتها . ان السبب الوحيد لنجاح البلاشفة يكمن فـــى انجازهم اوسع الرغبات وابسطها لطبقات الشعب الدنيا ، داعين الشعب الى العمل لهدم القديم وتدميره ، ثم التعاون معه لاقامة بنية للعالم الجديد وسط عجاج الخرائب المتهاوية . . .

الفصل الثانى عشر

المؤتمر الفلاحى

لقد بدأ الثلج بالسقوط فى ١٨ (٥) تشرين الثانى . ولدى استيقاظنا صباحا ، كانت طبقة بيضاء تغطى اطاريف النوافذ . وسبائخ الثلج تتطاير بكثافة لا يرى معها الى ابعد من عشرة اقدام . لقد اختفى الوحل ، وفجأة اصبحت المدينة العابسة القاتمة ، فاتنة البياض . وتحولت العربات الى زحافات تقفز على الشوارع الوعرة بسرعة مدهشة وقد قست لحى سائقيها وتجمدت . . . استولى الفرح على المدينة مع مجئ الثلج ، ورغم الثورة ، والوثبة الشاهقة التى كانت تثبها روسيا بأسرها نحو غد رهيب مجهول ، كان الجميع يبتسم وقد اخذ الناس يركضون فى الشوارع ، يمدون ايديهم ليتلقفوا السبائخ المخملية ، ضاحكين . اختفى اللون الرمادى ، وبقيت القباب الذهبية بحرابها الملونة وحدها تتلألأ وسط الثلج الابيض الذى زاد من روعتها الاصيلة البدائية .

حتى الشمس طلعت عند الظهر شاحبة وباهتة اللون . اختفى الزكام وآلام العصبى التى كانت سائدة طوال الاشهر الممطرة . ودبّت الحياة فى المدينة ، وأخذت الثورة نفسها تغذّ فى السير . . .

كنت جالسا ذات مساء فى مقهى مقابل مدخل سمولنى . كان مكانا يعجّ بالضجيج ، ذا سقف واطئ يسمى «كوخ العم توم» وكان يرتاده العديد من رجال الحرس الاحمر . وهذه المرة ايضا ، كانوا يحتشدون فيه حول مناضد صغيرة مغطاة باغطية مبقعة امام اوانى الشاى الفخارية الكرشاء ، مالئين القاعة بدخان لفائفهم الخانق ، بينما كان الندل يركضون يمنة ويسرة صارخين : «حالا حالا !» .

وفى زاوية جلس رجل يرتدى بزة نقيب ، يخاطب الحضور الذى كان يقاطعه دائما . صاح :

«لستم احسن من القتلة ! انكم تطلقون الرصاص فى الشوارع على اخوانكم الروس !»

وسأله عامل : «متى فعلنا ذلك ؟ واين ؟» .

«الأحد الماضى عندما اليونكر . . .» .

«وهؤلاء ، ألم يطلقوا النار علينا ؟ (وقد رفع احد الرجال يده المضمّدة) لقد ترك لى هؤلاء الشياطين تذكارا !» .

فصاح النقيب بملء رئتيه . «عليكم ان تلتزموا الحياد ! عليكم ان تلتزموا الحياد ! باى حق تقضون انتم على الحكومة الشرعية ؟ ومن هو لينينكم هذا ؟ المانى . . .» .

وانطلقت الصيحات من جميع النواحى : «وانت ، من انت ؟ ! انك عدو الثورة ! استفزازى !» .

وعندما قل الضجيج بعض الشىء ، نهض النقيب قائلا :

«حسنا ، انكم تسمون انفسكم الشعب الروسى ، ولكن الشعب الروسى – **ليس انتم** ! الشعب الروسى – أنه الفلاحون ! انتظروا الفلاحين حتى . . .» .

«نعم ، ننتظر – صرخ مخاصموه – وننظر ماذا يقول الفلاحون ! نحن نعلم ما سيقولونه ! أليسوا هم شغيلة مثلنا ؟»

كل شىء كان يتوقف فى آخر المطاف على الفلاحين . وبالرغم من انهم كانوا متأخرين سياسيا ، فلقد كانت لهم افكارهم الخاصة ، فضلا عن انهم كانوا يؤلفون اكثر من ٨٠٪ من سكان روسيا . وكان اتباع البلاشفة قليلين نسبيا بينهم ، وقيام ديكتاتورية ثابتة على عمال الصناعة وحدهم كان امرا مستحيلا فى روسيا . . . كان حزب الاشتراكيين-الثوريين ممثل الفلاحين التقليدى ، وعليه فان قيادة الفلاحين كانت تعود ، بشكل طبيعى ، الى الاشتراكيين-الثوريين اليساريين وليس الى اى حزب آخر من الاحزاب التى تؤيد الحكومة السوفييتية . ونظرا لوقوع الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، تحت رحمة البروليتاريا المنظمة فى المدن ، فقد كانوا بأمس الحاجة الى تأييد الفلاحين . . .

اما سمولنى فلم تكن لتهمل الفلاحين من جهتها . فبعد اصدار مرسوم الارض ، كان احد الاعمال الاولى للتسيك الجديدة ، الدعوة الى مؤتمر للفلاحين ، من وراء ظهر اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين . وبعد بضعة ايام صدرت تعليمات مفصلة تتعلق بنظام

لجان الارض فى الاقضية ، وقد عقبتها رسائل[1] لينين للفلاحين وهى تشرح بعبارات بسيطة امر الثورة البلشفية والحكومة الجديدة . وفى ١٦ (٣) تشرين الثانـــى (نوفمبر) اصدر لينين وميليوتين «التعليمات الى مبعوثى الاقاليم» وتولت الحكومة السوفييتية ارسال الالوف من هؤلاء المبعوثين الى القرى :

«اولا : على المبعوث حال وصوله الى المحافظة المحددة له ، ان يجمع اللجنة التنفيذية لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين وان يعرض قانون الارض ، ويطلب دعوة مجلس عام لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين فى الاقضية والمحافظات .

ثانيا : ان يستوضح وضع مسألة الارض فى المحافظة :

أ) هل سُجّلت اراضى الملاكين العقاريين ، واين وفى اية اقضية ؟

ب) من يتصرف باراضى الملاكين العقاريين : اللجان الزراعية ام الملاكون العقاريون كسابق عهدهم ؟

ج) ماذا حلّ بالعتاد الزراعى ؟

ثالثا : هل ازدادت مساحة الاراضى التى زرعها الفلاحون ؟

رابعا : ما هى الكمية التى تم شحنها من الحصة المقررة للمحافظة المعنية ؟

خامسا : على المبعوث ان يشرح ما يلى : طالما ان الفلاحين قد حصلوا على الارض ، فمن الضرورى جدا زيادة شحن الحبوب الى اقصى حد والاسراع فى تزويد المدن بالقمح لكون ذلك الوسيلة الوحيدة لابعاد شبح المجاعة .

سادسا : ما هى الاجراءات التى اتخذت والمنوى اتخاذها لانجاز عملية انتقال ملكية الاراضى الى اللجان الزراعية ولجان الالوية والى سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ؟

سابعا : يوصى بوضع العقارات المنظمـــة والمجهزة بصورة جيدة ، تحت تصرف سوفييتات العمال الزراعيين الاجراء وباشراف خبراء زراعيين اكفاء . . .» .

وبدأت فى الريف حركة تبشر بالتغيرات ، وذلك ليس نتيجة مرسوم الارض الصاعق فحسب ، بل ايضا نتيجة رجوع الالوف من الجنود الفلاحين من الجبهة والذين كانوا يحملون معهـــم الروح الثورية . . . وهؤلاء الرجال هم انفسهم ، بشكل خاص ، الذين حيوا بحماس الدعوة الى مؤتمر فلاحى .

وكما فعلت التسيك السابقة بشأن المؤتمر الثانى لسوفييتات العمال والجنود ، فان اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ، حاولت منع انعقاد المؤتمر الفلاحى الذى دعت اليه سمولنى ، وعندما رأت – شأنها فى ذلك شأن التسيك السابقة – ان محاولتها محكوم عليها بالفشل ، ارسلت بسرعة محمومة الى كل مكان برقيات شديدة اللهجة ، آمرة بانتخاب مندوبين محافظين ، حتى ان الاشاعة قد انتشرت ايضا بين الفلاحين بان المؤتمر سينعقد فى موغيليف ، وبالفعل فان بعض المندوبين قد قصد الى هناك . بيد انه فى يوم ٢٣ (١٠) تشرين الثانى (نوفمبر) ، وصل حوالى اربعمائة مندوب الى بتروغراد ، حيث بدأت بالفعل ، الاجتماعات الاولية للاحزاب . . .

لقد جرى الاجتماع الاول للمؤتمر فى قاعة الكسندر فى الدوما البلدى . واظهر التصويت الاول بان اكثر من نصف المندوبين من الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، وبان البلاشفة كانوا يتمثلون تماما بنسبة الخمس ، وبان الاشتراكيين-الثوريين اليمينيين يتمثلون بالربع ؛ اما الباقون فلم يكن يوحد بينهم سوى عداء مشترك تجاه اللجنة التنفيذية السابقة ، المهيمن عليها افكسنتييف وتشايكوفسكى وبيشيخونوف . . .

وكانت القاعة الكبرى تموج بالحضور ، تدوى فيها صيحات متواصلة . ان عداوة عميقة ، عنيدة ، تقسم المندوبين الى جماعات متعادية . الى اليمين كانت ترى كتافات الضباط ، وتتميز لحى الفلاحين المسنين والميسورين ؛ وفى الوسط كان يوجد قليل من الفلاحين ، وصف الضباط وبعض الجنود ؛ وفى اليسار كان جميع المندوبين تقريبا يرتدون بزة الجنود البسطاء : انه الجيل الشاب الذى كان يخدم فى الجيوش . . . كانت الشرفات تزدحم بالعمال الذين يحنون فى روسيا دائما الى منشئهم الريفى . . .

وخلافا للتسيك السابقة ، فان اللجنة التنفيذية لم تعترف بالمؤتمر رسميا لدى افتتاح جلسته : فان افتتاح المؤتمر الرسمى كان معينا فى ١٣ كانون الاول (ديسمبر) . وفى جو عاصف من التصفيق والاحتجاجات الصاخبة ، اعلن خطيب اللجنة التنفيذية بان الاجتماع الحالى لم يكن سوى «اجتماع غير عادى» . . . غير ان «الاجتماع غير العادى» هذا سرعان ما اظهر بعد ذلك شعوره تجاه

اللجنة التنفيذية عندما انتخب ماريا سبيريدونوفـــا ، قائـــدة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، رئيسة له .

لقد ساد اليوم الاول كله تقريبا جدل عاصف : أيفوضون مندوبى الاقضية ام يقتصر الامر على مندوبى الاقاليم فقط ؟ وكما جرى فى مؤتمر العمال والجنود ، فقد اعلنت الاكثرية الساحقـــة تأييدها لاوسع تمثيل ممكن ، وعلى اثر ذلك ، غادرت اللجنـــة التنفيذية السابقة القاعة . . .

كان واضحا منذ البدء بان معظم المندوبين كانوا اعداء لحكومة مفوضى الشعب . ولقد سخر من زينوفييف عندما حاول التكلـــم باسم البلاشفة ، ولدى مغارته المنصة وسط عاصفة من الضحك ، سمع احدهم يصرخ : «انتهى امر مفوض الشعب !» .

«نحن الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، — صرخ نازاريف وهو مندوب مقاطعة ، — نرفض الاعتراف بحكومة العمال والفلاحين المزعومة ، طالما ان الفلاحين لم يتمثلوا فيها . فى الوقت الحاضر ليست هذه سوى ديكتاتورية العمال . . . نحن نلح فى تشكيل حكومة جديدة تمثل الديموقراطية بمجموعها !» .

لقد ساند مندوبو الرجعية هذه المشاعر بكل قواهم زاعمين وسط احتجاجات البلاشفة ، بان مجلس مفوضى الشعب يتوخّى ان يفرض ارادته على المؤتمر ، او ان يحله بقوة السلاح ، فقابل الفلاحون هذا التصريح بالاستهزاء والاستهجان .

وفى اليوم الثالث ظهر لينين فجأة على المنصة . وخلال عشر دقائق ساد القاعة جو جنونى : «ليسقط ! — كانوا يصرخون — نحن لن نستمع الى مفوضى الشعب العائدين لك ! نحن لا نعترف بحكومتك !» .

كان لينين واقفا ، هادئا تماما ، ممسكا حافتى المنصة بكلتا يديه ، وعيناه الصغيرتان تراقبان بانتباه الضجيج ، واخيرا اخذ الهيجان يهدأ ، عدا مقاعد الناحية اليمنى .

«لم آت هنا بوصفى عضوا فى مجلس مفوضى الشعب — قال لينين ، متوقفا لكى يترك مجالا للضجة ان تهدأ ، — ولكن بوصفى عضوا فى الجناح البلشفى ، مندوبا حسب الاصول الى هذا المؤتمر» . ورفع عاليا فوق رأسه ورقة اعتماده كى يتسنى للجميع رؤيتها .

«ولكن – واصل لينين بصوت هادئ تماما – لا ينكر احد بان الحكومة الروسية الحالية قد شكلت من قبل حزب البلاشفة . . . – ومن جديد انتظر ثوانى . . . – بحيث ان الامر نفسه من الوجهة العملية . . .» لدى سماع هذه الكلمات ، خرج من مقاعد اليمين صراخ مصم ، اما الوسط واليسار ، وقد استيقظ فيهم الفضول ، فقد فرضوا السكوت .

لقد كانت حجج لينين بسيطة . «قولوا لى بصراحة ، انتم ايها الفلاحون ، الذين اعطيناكم اراضى الملاكين العقاريين : اذا اردتم الآن منع العمال من ممارسة الاشراف على الصناعة ؟ ان هذا صراع طبقى . فالملاكون العقاريون كما هو واضح ، يصارعون الفلاحين ، والصناعيون يصارعون العمال . هل تريدون انتم ان تصاب صفوف البروليتاريا بالانشقاق ؟ والى اية جهة ستقفون ؟

نحن البلاشفة ، نحن حزب البروليتاريا ، – بروليتاريا الريف كما نحن حزب بروليتاريا الصناعة . نحن البلاشفة حماة السوفييتات ، – سوفييتات الفلاحين ، وسوفييتات العمال والجنود . ان الحكومة الحالية هى حكومة السوفييتات – نحن لم ندع سوفييتات الفلاحين للمساهمة فى الحكم فحسب ، بل نحن دعونا ايضا ممثلى الاشتراكيين-الثوريين اليساريين للاشتراك فى مجلس مفوضى الشعب . . .

ان السوفييتات هى التمثيل الاكمل للشعب ، للشعب الذى يشتغل فى المصانع والمناجم والذى يكدح فى الحقول . وكل من يحاول نسف السوفييتات يقترف عملا غير ديموقراطى ومعاديا للثورة . وانى لأسمح لنفسى بان اقول لكم ، ايها الرفاق الاشتراكيون-الثوريون اليمينيون ، وانتم ايها السادة الكاديت ، بانه ، اذا حاولت الجمعية التأسيسية هدم السوفييتات ، فنحن لن نسمح لها بذلك !» .

بعد ظهر يوم ٢٥ (١٢) تشرين الثانى (نوفمبر) وصل تشيرنوف على وجه السرعة من موغيليف ، اذ استدعته اللجنة التنفيذية . لقد كان معتبرا قبل ذلك بشهرين ، كثورى متطرف ويحظى بشعبية كبيرة لدى الفلاحين ، واليه الآن وجه النداء كى يعيق انزلاق المؤتمر الخطير نحو اليسار . ولدى وصول تشيرنوف

الى بتروغراد ، اوقف وسيق الى سمولنى ، ثم بعد محادثة قصيرة ، اطلق سراحه .

ان اول عمل قام به هو التنديد باعضاء المجلس التنفيذى لكونهم تركوا المؤتمر . لقـــد وافقوا على ان يعودوا اليه . ولدى دخول تشيرنوف القاعة ، استقبل بتصفيق من الاكثرية وبصيحات الاستنكار والقدح من البلاشفة .

«ايها الرفاق ، لقد كنت متغيبا . لقـــد اشتركت فى اجتماع الجيش الثانى عشر للدعوة الى مؤتمر لجميع مندوبى الفلاحين لجيوش الجبهة الغربية . ولهذا فانى على معرفة يسيرة بالانتفاضة التى جرت هنا . . .» .

وقف زينوفييف ، متصديا له ، وقاذفا اياه بالعبارة التالية : «نعم ، كنت متغيبا – لبضع دقائق !» . ضوضاء صاخبة . صراخ : «ليسقط البلاشفة !» .

واصل تشيرنوف الكلام : «ان التهمة بانى ساعدت على قيادة جيش ضد بتروغراد تهمة دون اساس ، انها تهمة كاذبة كليا . من اين هذه التهمة ؟ اعطونى مصادركم !» .

زينوفييف : «الازفستيا» و«ديلو نارودا» («الاخبار» و«قضية الشعب») ، صحافتكم الخاصة ، هذه هى المصادر !» .

احمر وجه تشيرنوف العريض ، بشعره المسترسل ولحيتـــه الرمادية ، من الغضب ، واخذت عيناه تقدحان شررا ، ولكنـــه تحامل على نفسه واستطرد : «اكرر بانى لا اعرف تقريبا شيئا عما جرى وانى لم اقد جيشا سوى هذا ، (واشار بحركة الى مندوبى الفلاحين) ، وانى آخذ كليا على عاتقى مسؤولية قيادتى هذا الجيش الى هذه القاعة» . ضحك وصراخ : «برافو ، أحسنت !» .

«ولدى عودتى ذهبت الى سمولنى . لم يقدم ضدى اى اتهام من هذا النوع . . . وبعد محادثة قصيرة ، تركت وهذا كل ما جرى . ليأت احد الآن ليعيد هذه التهمة !» .

وهنا تعالت ضجة منطلقة العنان . البلاشفة وبعض الاشتراكيين الثوريين اليساريين كانوا وقوفا ، يزمجرون ويتوعدون بقبضاتهم ، فى حين ان بقية المجلس حاولت جاهدة ان تغطى على اصواتهم .

«هذه فضيحة ، وليست هذه جلسة !» – صرخ تشيرنوف

وغادر القاعة ، وارجئ الاجتماع بسبب الضجة وعدم الانضباط والفوضى . . .

في اثناء ذلك كانت قضية شرعية اللجنة التنفيذية تهيج الافكار . وبمجرد الاعلان بان المؤتمر هو «اجتماع غير عادى» كانوا يأملون منع اعادة انتخاب اللجنة التنفيذية ، لكن هذا كان سلاحا ذا حدين . ان الاشتراكيين الثوريين اليساريين اعلنوا بالفعل انه اذا لم تكن للمؤتمر اية سلطة على اللجنة التنفيذية ، فلا يمكن لهذه ان تتمتع باية سلطة على المؤتمر . وفى ٢٥ (١٢) تشرين الثانى (نوفمبر) ، قرر المؤتمر بان سلطات اللجنة التنفيذية سيمارسها الاجتماع غير العادى وان اعضاء اللجنة التنفيذية الذين انتخبوا بصورة قانونية كمندوبين سيشتركون وحدهم بالتصويت . . .

وفى اليوم التالى ، بالرغم من معاوضة البلاشفة ، فان تعديلا طرأ على هذا الحل ، يحق بموجبه لكافة اعضاء اللجنة التنفيذية سواء اكانوا مندوبين ام لا ، ان يصوتوا فى المجلس .

فى ٢٧ (١٤) تشرين الثانى (نوفمبر) ، جرى التصويت على القضية الزراعية ، الذى اظهر الخلافات التى تفرّق بين برنامج البلاشفة وبرنامج الاشتراكيين-الثوريين اليساريين .

رسم كاتشينسكى الذى تكلم باسم الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، تاريخ القضية الزراعية خلال الثورة . ان اول مؤتمر لسوفييتات الفلاحين ، قال ، قد صوت على قرار واضح يقضى بتسليم الملكيات الكبيرة فورا الى اللجان الزراعية . غير ان قواد الثورة وبرجوازيى الحكومة قد عارضوا حل القضية قبل اجتماع الجمعية التأسيسية . . . والمرحلة الثانية من الثورة ، وهى «مرحلة المساومات» ، اتسمت بدخول تشيرنوف الوزارة . لقد كان الفلاحون يعتقدون اعتقادا حازما بان الحل العملى لقضية الارض يقترب ، غير انه بالرغم من القرار ذى الصفة الآمرة لمؤتمر الفلاحين الاول ، فان الرجعيين و«المساومين» فى اللجنة التنفيذية كانوا قد منعوا كل عمل . وهذه السياسة قد اثارت سلسلة من الفوضى فى الارياف ،وكانت هى التعبير المنطقى لنفاد صبر الفلاحين

ولمطامحهم المكبوتة . لقد فهم الفلاحون المعنى الحقيقى للثـورة ، ولقد كانوا يحاولون الانتقال من الكلام الى الاعمال . . .

«ان الاحداث الاخيرة – قال الخطيب –ليست هـــى تمردا بسيطا ، ولا «مغامرة بلشفية» ، ولكنها انتفاضة شعبية حقيقية ، استقبلت بعطف فى البلاد كلها . . .

وعلى كل حال ، فقد وقف البلاشفة من قضية الارض الموقف الصحيح ، ولكنهم بتوصيتهم الفلاحين بالاستيلاء على الارض بالقوة ، قد ارتكبوا خطأ جسيما . . . لقد اعلن البلاشفة منذ الايام الاولى بان على الفلاحين ان يستولوا على الارض «بعمل ثورى جماهيرى» . انها الفوضى ، ان الاستيلاء على الارض يمكن ان يتـــم بصورة منظمة . . . اما بالنسبة للبلاشفة ، فالمهم ان تحل كل قضايـــا الثورة بأسرع ما يمكن ، اما **طرق** حل هذه القضايـــا فلم يكن البلاشفة مهتمين بها . . .

ان مرسوم الارض الصادر عن مؤتمر السوفييتات يتفق تماما من حيث الجوهر ومقررات مؤتمر الفلاحين الاول . فلماذا اذن ، تأبى الحكومة الجديدة ان تسلك ذلك التاكتيك الذى رسمـــــه هذا المؤتمر ؟ لأن مجلس مفوضى الشعب ، توخى من الاسراع بحل هذه القضية على هذا النحو ، ألا يتيح للجمعية التأسيسية اية امكانية للعمل . . .

لكن الحكومة رأت ان الاجراءات العملية ضرورية ايضا ، ولذا فانها اقرت ، بدون تبصر ، القواعد من اجل اللجان الزراعية ، موجدة بالتالى وضعا غريبا : ذلك ان مجلس مفوضى الشعب قد الغى الملكية الخاصة للارض ، فى حين ان القواعد التى اقامتها اللجان الزراعية كانت تقوم على مبدأ الملكية الخاصة... ولكن ليست فى ذلك مصيبة ، لأن اللجان الزراعية ،لن تأخذ بعين الاعتبار ابدا مراسيم السلطة السوفييتية ، فهى تطبق فقط مقرراتها الخاصة ، هذه المقررات التى تستند على ارادة اكثرية الفلاحين العظمى . . .

ان هذه اللجان الزراعية لا تحاول حل قضية الارض عن طريق التشاريع ، وهذا من مهمة الجمعية التأسيسية وحدها . . . ولكن هل سترغب الجمعية التأسيسية تلبية ارادة الفلاحين الروس ؟ ان هذا ما لا نستطيع تأكيده . . . ان كل ما نثق به ، هو ان الحزم الثورى قد ازداد كثيرا لدى الفلاحين ، وان الجمعية التأسيسية

ستكون مضطرة الى ان تحل قضية الارض حسب رغبة الفلاحين . . . ان الجمعية التأسيسية لن تجرؤ على القطيعة مع ارادة الشعب ، وقد عبّر عنها بكل وضوح . . .»

وبعد كاتشينسكى شرع لينين بالكلام ، وقد اصغى اليه الآن بانتباه شديد :

«فى هذه الآونة ، نحن لا نسعى لحل قضية الارض فحسب ، بل كل قضية الثورة الاجتماعية ، — وليس فقط هنا فى روسيا ، بل فى العالم كله . ان قضية الارض لا يمكن حلها بصورة مستقلة عن قضايا الثورة الاجتماعية الاخرى . ان مصادرة الاراضى لا تثير مثلا مقاومة الملاكين العقاريين الروس وحدهم ، بل تثير ايضا مقاومة الرأسمال الاجنبى الذى ارتبط به الملاكون العقاريون الكبار بواسطة المصارف . . .

ان نظام الملكية الخاصة العقارية فى روسيا هو اساس لاستثمار مخيف ، وعليه فان مصادرة الاراضى من قبل الفلاحين هى من اهم خطوات ثورتنا . لكن هذا العمل لا يمكن ان ينفصل عن الخطوات الاخرى ، وهذا ما يتضح تماما فى كل المراحل التى اجتازتها ثورتنا . ان خطأ الاشتراكيين-الثوريين اليساريين كان يقوم فى ذلك الوقت على انهم لم يقاوموا سياسة التسامح ، اذ كانوا يتمسكون بالنظرية القائلة بان وعى الجماهير لم يتطور بعد بصورة كافية . . .

اذا كان تطبيق الاشتراكية ممكنا فقط عندما تسمح بذلك درجة تطور اذهان الجماهير الشعبية ، فاننا لن نرى الاشتراكية بالتالى حتى بعد خمسمائة سنة . . . ان الحزب السياسى الاشتراكى — هو طليعة الطبقة العاملة ، وعليه لا يجوز ان يوقفه المستوى المتدنى لتطور الجماهير ، بل عليه ان يجر الجماهير وراءه ، مستخدما السوفييتات كهيئات تشجيع على المبادرة الثورية . . . ولاجل جر المترددين ، يجب على الرفاق الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ان يحجموا هم انفسهم عن التردد . . .

ان الجماهير الشعبية ، بدأت تبتعد عن المساومين منذ شهر تموز (يوليو) الماضى ، ولكن الاشتراكيين-الثوريين اليساريين لا يزالون حتى الآن ، فى شهر تشرين الثانى (نوفمبر) يمدون ايديهم الى افكسنتييف الذى يتشبث ببقايا حقيرة من شعبيته السابقة . . .

واذا استمرت المساومة ، فان الثورة ستهلك . لا مجال للمساومات مع البرجوازية ، يجب الاطاحة بسلطتها نهائيا .

نحن ، البلاشفة ، لم نغيّر برنامجنا الزراعى ، لم نعدل وليس فى نيتنا ان نعدل عن القضاء على الملكية الخاصة للارض . لقد تبنينا «القواعد من اجل اللجان الزراعية» — وهى **لا** تقوم **ابدا** على مبدأ الملكية الخاصة — لأننا رغبنا فى ان ننفذ ارادة الشعب بذات الطريقة التى اختارها الشعب نفسه من اجل ذلك ، كى نرص بالتالى بصورة امتن ، تحالف جميع العناصر المناضلة فى سبيل الثورة الاشتراكية .

نحن ندعو الاشتراكيين-الثوريين اليساريين الى الانضمام الى هذا التحالف ، ولكننا نلح عليهم مع ذلك ان ينقطعوا عن النظر الى خلف وان يقطعوا صلاتهم مع جناح المساومين فى حزبهم . . .

واما بالنسبة الى الجمعية التأسيسية ، فانه من الصحيح تماما ، كما قال الخطيب السابق ، بان نتيجة اعمالها رهن بالحزم الثورى لدى الجماهير . ولكنى اقول : ثقوا بهذا الحزم الثورى ، ولكن لا تبعدوا بنادقكم عن متناول ايديكم !» .

ثم تلا لينين قرار البلاشفة :

«ان المؤتمر الفلاحى يؤيد تماما وكليا قانون (مرسوم) الارض الصادر فى ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) — ٨ تشرين الثانى (نوفمبر) — ١٩١٧ ، الذى اقره المؤتمر الثانى لسوفييتات نواب العمال والجنود لعموم روسيا ، والذى اعلنه مجلس مفوضى الشعب بوصفه حكومة موقتة لعمال وفلاحى الجمهورية الروسية . ان المؤتمر الفلاحى يعرب عن حزمه الراسخ والثابت بان يؤيد بكل قواه تطبيق هذا المرسوم ، انه يدعو كافة الفلاحين الى ان يمنحوه تأييدهم بالاجماع وان يضعوه هم انفسهم قيد التنفيذ دون اية مهلة ؛ كما يدعو الفلاحين ايضا الى عدم الانتخاب الى جميع المراكز الهامة ، سوى الاشخاص الذين اثبتوا بالافعال لا بالاقوال ، اخلاصهم المطلق لمصالح الشغيلة والفلاحين المستثمرين واستعدادهم وقدرتهم على الذود عن هذه المصالح ضد كل مقاومة يبديها الملاكون الكبار والرأسماليون وكل انصارهم واتباعهم .

ان المؤتمر الفلاحى يعرب بالاضافة الى ذلك عن ثقته بان التنفيذ الكامل لكافة الاجراءات التى ينص عليها مرسوم الارض ، ليس ممكنا الا بشرط نجاح الثورة الاشتراكية العمالية التى بدأت

فى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) — ٧ تشرين الثانى (نوفمبر) ؛ اذ ان الثورة الاشتراكية قادرة وحدها بالفعل على ان تؤمن نقل الارض بصورة مجانية للفلاحين الشغيلة، ومصادرة الاعتدة الزراعية العائدة الى الملاكين العقاريين وتأمين الحماية التامة لمصالح العمال الزراعيين المأجورين الى جانب الشروع بالقضاء النهائى والفورى على كل نظام العبودية الرأسمالى، والتوزيع الصائب والمنهجى للمحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية فيما بين مناطق البلاد وسكانها وتأمين السيطرة على المصارف (التى بدونها لا تكون سيطرة الشعب على الارض ممكنة رغم الغاء الملكية الخاصة للارض) وتأمين مساعدة الدولة الشاملة للكادحين والمستثمرين بالضبط، الخ . .

ولذا فان المؤتمر الفلاحى اذ يؤيد تمام التأييد ثورة ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) — ٧ تشرين الثانى (نوفمبر) — بوصفها ثورة اشتراكية، يعرب عن تصميمه الراسخ لتحقيق التدابير الرامية الى تحويل الجمهورية الروسية تحويلا اشتراكيا، وذلك بالتدريج المناسب، ولكن دون ان يخالطه اى تردد .

ان الشرط الذى لا غنى عنه لانتصار الثورة الاشتراكية التى هى وحدها تؤمن النجاح الراسخ والتنفيذ الكلى لمرسوم الارض، هو التحالف الكامل بين الفلاحين الكادحين المستثمرين والطبقة العاملة — البروليتاريا — على نطاق كافة البلدان المتقدمة . ومن الآن وصاعدا، يجب ان يقوم كل تركيب وكل ادارة لجهاز الدولة فى الجمهورية الروسية، ابتداء من الاعلى الى الادنى، على هذا التحالف . ان تحالفا كهذا، اذ يرد كل المحاولات المباشرة او غير المباشرة، المكشوفة والمستترة، الرامية الى المساومة مع البرجوازية ومنفذى سياستها، المساومة التى قضت عليها الحياة، ان هذا التحالف قادر وحده على تأمين انتصار الاشتراكية فى العالم» .

لم يجرؤ رجعيو اللجنة التنفيذية ان يظهروا على المكشوف . وفى اثناء ذلك، تكلم تشيرنوف مرات عديدة، بتجرد ملؤه البساطة، متكلفا عدم المحاباة . فدعى الى الجلوس على مقعد فى هيئة الرئاسة . . . وفى الليلة الثانية لانعقاد المؤتمر، ورد الى الرئاسة مكتوب مغفل يطالب اعتبار تشيرنوف رئيسا فخريا . قرأ اوستينوف المكتوب بصوت عال . فانتصب زينوفييف فجأة مزمجرا ان هذا فخ من قبل اللجنة التنفيذية السابقة للسيطرة على المؤتمر . وبلحظة

تحولت القاعة من جهتيها الى كتلة هادرة من الايدى المتحركة والوجوه المهتاجة ، ومع ذلك . . . فقد بقيت لتشيرنوف شعبية كبيرة .

وخلال المناقشة العاصفة على القضية الزراعية والقرار الذى قدمه لينين ، كان البلاشفة ، بمناسبتين ، على وشك ان يتركوا المجلس ، لكن رؤساءهم كانوا يبقونهم كل مرة . . . كان لدىّ (الياء تعود لريد) الشعور آنذاك بان المجلس يمر فى مأزق .

ولم يكن احد منا ليعرف بان محادثات سرية كانت تجرى فى سمولنى بين الاشتراكيين-الثوريين اليساريين والبلاشفة . فى البدء طالب الاشتراكيون-الثوريون اليساريون بحكومة تضم جميع الاحزاب الاشتراكية ، الممثلة او غير الممثلة فى السوفييتات ، ومسؤولة امام مجلس الشعب الذى سيتألف من عدد متساو من مندوبى منظمات العمال والجنود ومنظمات الفلاحين ويملأ شواغره مندوبون عن دوما البلديات والزيمستفوات . ويستبعد لينين وتروتسكى ، وتحل اللجنة العسكرية الثورية ومنظمات القمع الاخرى .

وفى صباح الاربعاء ، الواقع فى ٢٨ (١٥) تشرين الثانى (نوفمبر) ، وبعد معركة حامية استمرت طوال الليل ، عقد اتفاق . فالتسيك ، التى تضم ١٠٨ اعضاء ، قد زيدت بـ١٠٨ اعضاء آخرين منتخبين حسب التمثيل النسبى من قبل المؤتمر الفلاحى ، وبـ١٠٠ مندوب منتخب بالتصويت المباشر من قبل الجيش والبحرية وبـ٥٠ ممثلا عن النقابات (٣٥ عن نقابات سائر روسيا ، ١٠ عن سكك الحديد و٥ عن البريد والبرق والهاتف) . ورفض اشتراك الدوما والزيمستفوات . وبقى لينين وتروتسكى فى الحكومة واستمر عمل اللجنة العسكرية الثورية .

ان جلسات المؤتمر قد نقلت بعد ذلك الى مدرسة الحقوق الامبراطورية ، فى البناء رقم ٦ شارع فونتانكا ، مركز اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين . وبعد ظهر يوم الاربعاء ، اجتمع المندوبون فى قاعة الاجتماعات الكبيرة . وقد انسحبت اللجنة التنفيذية السابقة وعقدت بنفس الوقت فى قاعة اخرى جلسة غير رسمية اشترك فيها المندوبون المستاؤون وممثلون عن لجان الجيش .

كان تشيرنوف يذهب من مجلس الى آخر ، يراقب بانتباه

سير المناقشة . لقد علم بان اتفاقا مع البلاشفة قيد البحث ، ولكنه كان يجهل بانه قد تم .

«والآن لما كان الجميع يؤيدون قيام حكومة تضم سائر الاشتراكيين ، – قال فى اجتماع المنشقين ، – ينسى الكثيرون الحكومة الاولى التى لم تكن حكومة ائتلاف ولا تضم سوى اشتراكى واحد – يدعى كيرنسكى . كانت هذه الحكومة آنذاك تتمتع بشعبية كبيرة ، واليوم يتهمون كيرنسكى ، ولقد نسوا انه حمل الى الحكم ليس من قبل السوفييتات وحدها ، بل من قبل الجماهير الشعبية ايضا . . .

فلماذا اذن تبدّل الرأى العام بالنسبة الى كيرنسكى ؟ ان المتوحشين يقيمون لانفسهم اربابا يقدمون اليها الصلوات ويعاقبونها عندما لا تحقق واحدا من آمالهم . وهذا ما يجرى الآن تماما . . . فى الامس كيرنسكى واليوم لينين وتروتسكى وغدا واحد آخر . . .

لقد اقترحنا على كيرنسكى والبلاشفة فى نفس الوقت ان يتخلوا عن السلطة . لقد وافق كيرنسكى على ذلك – واليوم ابلغ وهو فى مخبئه ، انه يتنازل عن منصب رئاسة الوزارة . اما البلاشفة فانهم يرغبون فى الاحتفاظ بالسلطة رغم انهم لا يعرفون كيف يتصرفون بها . . .

ان مصير روسيا لن يتغير سواء احتفظ البلاشفة بالسلطة ام لا . ان القرية الروسية تعرف تماما ما تريد . وهى تتخذ التدابير الخاصة بها . ان هذه القرية بالذات هى التى ستنقذنا فى آخر الامر . . .» .

فى تلك الاثناء ، اعلن اوستينوف فى القاعة الكبرى الاتفاق المعقود بين المؤتمر الفلاحى وسمولنى ، ولقد غمر المندوبين سرور لا يوصف . وفجأة ظهر تشيرنوف وطلب الكلام :

«انى ارى انه يجرى عقد اتفاق بين المؤتمر الفلاحى وسمولنى . ان اتفاقا كهذا سيكون غير شرعى ، لأن مؤتمر سوفييتات الفلاحين الحقيقى لن ينعقد الا فى الاسبوع القادم . . .

وفضلا عن ذلك ، فانى ارغب ان انبهكم بان البلاشفة لن ينفذوا ابدا مطالبكم . . .» .

عاصفة واسعة من الضحك قطعت عليه كلامه . وادرك بسرعة الموقف ، فقد غادر المنصة والقاعة آخذا معه شعبيته . . .

وفى ساعة متأخرة من بعد ظهر يوم الخميس الواقـع فى ٢٩ (١٦) تشرين الثانى (نوفمبر) ، انعقد المؤتمر فى جلسـة فوق العادة . وقد ساد جو العيد ، وكانـت كل الوجوه مبتسمـة . . . صفيت بسرعة الاعمال قيد الدراسة ، وبصوت مرتجف وعيون تملؤها الدموع ، قرأ ناتانسون ذو اللحية البيضـاء عميـد الاشتراكيين الثوريين اليساريين «عقد الزواج» بين سوفييتـات الفلاحين وسوفييتات العمال والجنود . وفى كل مرة كانت تتردد فيها كلمة «اتحاد» كان يدوى تصفيق عاصف . . . وعند النهايـة اعلن اوستينوف مجىء وفد من سمولنى بصحبـة ممثلين عـن الجيش الاحمر . جرى للوفد استقبال حافل ، وواحدا اثر آخـر ، اعتلى المنصة عامل ، فجندى فبحار ليحيوا المؤتمر .

ثم اخذ الكلام بوريس راينشتاين مندوب حزب العمـال الاشتراكى الاميركى : «ان يوم اتحاد مؤتمر الفلاحين مع سوفييتات نواب العمال والجنود هو يوم كبير من ايام الثورة . سيكون لـه فى كل العالم صدى مدو فى باريس ، فى لندن وفى الطرف الثانى من المحيط ، فى نيويورك . ان هذا الاتحاد سيدخل السرور الى قلوب جميع الكادحين !

لقد انتصرت فكرة كبيرة . ان الغرب واميركا كانا ينتظران من روسيا ، من البروليتاريا الروسية ، شيئا ما عظيما . . . ان عيون البروليتاريا العالمية تشخص بابصارها نحو الثورة الروسية ، انها تنتظر من زمان العمل الكبير الذى ما فتئت تحققه الثورة . . .»

وجاء سفردلوف ، رئيس التسيك ، ليحيى المؤتمر ايضـا ، ثم ، على اصوات : «عاشت نهاية الحرب الاهليـة ! عاشـت الديموقراطية الموحدة !» غادر الفلاحون المبنى .

لقد جن الليل ، وعلى الثلج المتجمد كان يتلألأ ضياء القمـر والنجوم . وعلى ضفة القناة ، كان فوج بافلوفسكى مصطفا بثياب الميدان ، مع موسيقاه التى تعزف «المارسييز» . وعـلى هتافات الجنود المدوية ، انتظم الفلاحون فى مواكب احتفالية ورفعوا الراية

الكبيرة الحمراء ، راية اللجنة التنفيذية للسوفييتات الفلاحية لعامة روسيا ، وقد طرزت حديثا باحرف من ذهب تحمل الشعار : «عاش الاتحاد بين جماهير الشغيلة الثورية !» . وتبعتها رايات اخرى ، رايات سوفييتات الاحياء ، راية مصنع بوتيلوف مع الشعار : «نحن ننحنى امام هذا العلم ، كى نحقق الاخوة بين كل الشعوب !» .

اضيئت المشاعل ، مبددة ظلمة الليل بنورها البرتقالى ، الذى انعكس الوف المرات على الزجاج ، باسطة سحائب من الدخان فوق الموكب الذى كان يتقدم منشدا على امتداد فونتانكا ، بين الجموع المدهوشة والصامتة .

«عاش الجيش الثورى ! عاش الحرس الاحمر ! عاش الفلاحون !»

اجتازت المسيرة الواسعة المدينة ، فتزايدت اثناء الطريق ، وكانت تضاف اليها دائما رايات حمراء جديدة بحروف ذهبيـــة . وفلاحان مسنان ، احنى الكدح ظهريهما ، يسيران متشابكى الايدى ، تضيء وجهيهما غبطة طفولية .

«حسنا ، — قال احدهما مهددا ، — اود ان اراهم يأخذون الارض منا الآن ! . . .» .

وبالقرب من سمولنى ، كان الحرس الاحمر مصطفا على جانبى الشارع .

وقال الفلاح المسن لرفيقه :

«انى لست تعبا ، يبدو لى انى اجتزت الطريق كلها طائرا فى الهواء . . .» .

وعلى سلّم سمولنى مائة تقريبا من نواب العمال والجنود مع اعلامهم التى تبدو قاتمة تحت نور الضوء المنبعث من الداخـــل من خلال النوافذ . وكالموجة ، اسرعوا نحو الفلاحين ، معانقينهـم وضامينهم الى صدورهم ، وتدفق الموكب الى المدخل الكبير ، فصعد الدرجات بقرقعة مدوية . . .

فى القاعة الكبيرة البيضاء كانت التسيك تنتظر مع سوفييـــت بتروغراد بكامل اعضائه والوف من المشاهدين . وكان الجو مهيبـا وحافلا ، وادرك الجميع سمو هذه اللحظة الهامة من التاريـــخ .

اعلن زينوفييف الاتفاق المعقود مع المؤتمر الفلاحى وسط صيحات الحضور الحماسية والتى طغت كالصاعقة ، عندما ترددت اصوات الموسيقى فى الممشى ودخلت مقدمة الموكب القاعة . نهض

اعضاء هيئة الرئاسة لكى يتركوا مكانا على المنصة الى اعضاء هيئة الرئاسة للمؤتمر الفلاحى وقد تبادلوا العناق . ووراءهم تصالب العلمان على الجدار الابيض فوق الاطار الفارغ الذى نزعت منه صورة القيصر . . .

ثم افتتحت الجلسة الظافرة . وبعد بضع كلمات ترحيب نطق بها سفردلوف ، صعدت المنصة ماريا سبيريدونوفا ، النحيلة ، الشاحبة بنظارتيها وشعرها الاملس ، وعليها مسحة مدرسة انكليزية ، احب النساء واكثرهن سلطة فى روسيا :

«. . . تنفتح الآن امام عمال روسيا آفاق لم يعرفها التاريخ من قبل . . . ان كل حركات العمال فى الماضى كانت تنتهى دائما الى الفشل ، واما الحركة الحالية فهى اممية ولهذا فهى لا تقهر . ولا توجد قوة فى العالم تستطيع اطفاء جذوة الثورة ! ان العالم القديم يتداعى والعالم الجديد يولد . . .» .

وقد جاء بعدها تروتسكى المتوقد نارا : «اهلا وسهلا بكم ايها الرفاق الفلاحون ! انكم لستم الضيوف هنا ، لكنكم اسياد هذا المكان حيث يخفق قلب الثورة . ان ارادة ملايين العمال متمركزة الآن فى هذه القاعة . ومن الآن فصاعدا سوف لا تعرف ارض روسيا سوى سيد واحد ، هو التحالف بين العمال والجنود والفلاحين . . .» .

ثم بصوت لاذع متهكم تكلم عن الديبلوماسيين الحلفاء الذين يحتقرون الاقتراح الروسى للهدنة الذى قبلت به الدول المركزية .

فى هذه الحرب تولد انسانية جديدة . . . «وفى هذه القاعة ، نقسم اليمين لشغيلة كل البلاد ان نبقى دون ضعف فى مركزنا الثورى . واذا هُزمنا فاننا سنموت مدافعين عن علمنا . . .» .

ثم عرض كريلنكو الاوضاع فى الجبهة حيث كان دوخونين يهيئ المقاومة ضد مجلس مفوضى الشعب . «ليعلم دوخونين واضرابه جيدا اننا سنعامل بدون شفقة اولئك الذين يريدون ان يقطعوا علينا طريق السلام !» .

ثم حيّا ديبنكو المجلس باسم الاسطول واعلن كروشينسكى ، عضو الفيكجل :

«الآن وقد تحقق اتفاق جميع الاشتراكيين الحقيقيين ، فان كل جيش عمال السكك الحديدية يضع نفسه تحت اوامر الديموقراطية الثورية» .

ثم جاء دور لوناتشارسكى ، وكانت الدموع تجول فى عينيه ، ثم دور بروشيان الذى تكلم باسم الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، واخيرا دور ساخاراشفيلى الذى اعلن باسم جماعة الاشتراكيين-الديموقراطيين الامميين الموحدين ، التى تشكلت من جماعة مارتوف وغوركى :

«لقد انسحبنا من التسيك احتجاجا على سياسة البلاشفة المتزمتة ولكى نجبرهم على التنازلات الضرورية لتحقيق وحدة جميع القوى الديموقراطية الثورية والآن وقد تم تحقيق هذا الاتفاق ، فنحن نعتبر واجبا مقدسا علينا ان نأخذ اماكننا فى التسيك من جديد . . . ونعلن بان جميع الذين قد انسحبوا من التسيك يجب ان يعودوا اليها ! . .» .

ثم جاء ستاشكوف ، وهو فلاح مسن محترم ، عضو هيئة رئاسة المؤتمر الفلاحى ، فانحنى نحو زوايا القاعة الاربع وقال : «انى اتوجه اليكم ايها الرفاق بتحياتى بمناسبة عمادة الحياة والحرية الجديدتين فى روسيا !» .

ثم تتابع على المنصة برونسكى – باسم الاشتراكيين-الديموقراطيين البولونيين ، وسكريبنيك باسم لجان المعامل والمصانع ، وتريفونوف – باسم الجيوش الروسية فى سالونيك ، وعدد آخر غيرهم . وتركوا قلوبهم تتكلم ببلاغة فياضة عن آمال محققة .

وفى ساعة متأخرة من الليل صوت بالاجماع على القرار التالى :

«ان اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا لسوفييتات نواب الفلاحين والعمال والجنود بالاشتراك مع المؤتمر الاستثنائى لفلاحى عموم روسيا والمجالس التنفيذية تصدق مرسومى الارض والسلام اللذين اقرهما المؤتمر الثانى لسوفييتات نواب العمال والجنود ، وكذلك المرسوم حول الرقابة العمالية الذى اقرته اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييتات عموم روسيا .

ان الجلسة المشتركة للتسيك والمؤتمر الفلاحى لعموم روسيا تعرب عن ثقتها الراسخة بان تحالف العمال والجنود والفلاحين ، هذا التحالف الاخوى لسائر الشغيلة وجميع المستثمرين ، سيوطد السلطة التى ظفروا بها وسيتخذ من جانبه جميع الاجراءات الثورية التى من شأنها التعجيل بانتقال السلطة الى ايدى الشغيلة فى البلدان الاخرى الاكثر تقدما ، ويؤمن بالتالى الانتصار الراسخ لقضية الصلح العادل وقضية الاشتراكية . . .» .

ملاحظات

من

جون ريد*

* هذه الملاحظات التى حررها وجمعها جون ريد هى عبارة عن جزء مكوّن لا ينفصم عن كتابه . فهي تضيف اشياء كثيرة جوهرية الى نص المؤلف الاصلى . ان كل المواد والوثائق التي نشرها جون ريد مترجمة الى اللغة الانكليزية انما ننشرها استنادا الى النصوص الروسية . **المحرر** .

الفصل الاول

١

الدفاعيون . اسم اطلقته على نفسها الجماعات الاشتراكية «المعتدلة» واطلقه عليها الآخرون لأنها قبلت ان تستمر فى الحرب حتى نهايتها بقيادة الحلفاء متذرعة بان القضية هى قضية حرب للدفاع عن الوطن .

٢

الاجور وتكاليف الحياة قبل الثورة واثناءها

لقد وضعت الجداول التالية فى تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩١٧ من قبل لجنة تتألف من ممثلين عن غرفة تجارة موسكو ودائرة وزارة العمل الموسكوفية ، ونشرت فى ٢٦ (١٣) تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩١٧ فى جريدة «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») .

خلافا لعدد من التأكيدات القائلة بان الاجور قد زيدت فى نسب عظيمة رأسا عقب ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ ، يلاحظ فى هذه الارقام التى نشرتها وزارة العمل باعتبارها صالحة لسائر انحاء روسيا بان الاجور لم ترتفع بسرعة بعد الثورة ، ولكنها ارتفعت تدريجيا . وكانت الزيادة لا تتعدى ٥٠٠٪ ونيف .

الاجرة اليومية (بالروبلات والكوبيكات)

المهن	تموز (يوليو) ١٩١٤	تموز (يوليو) ١٩١٢	آب (اغسطس) ١٩١٧
نجار ، نجار موبيليا	١,٦٠—٢	٤—٦	٨,٥٠
حفار	١,٣٠—١,٥٠	٣—٣,٥٠	—
بناء ، مجصص	١,٧٠—٢,٣٥	٤—٦	٨
دهان ، فراش	١,٨٠—٢,٢٠	٣—٥,٥٠	٨
حداد	١—٢,٢٥	٤—٥	٨,٥٠
منظف مداخن	١,٥٠—٢	٤—٥,٥٠	٧,٥٠
غالالى (صانع اقفال)	٠,٩٠—٢	٣,٥٠—٦	٩
عسيف	١—١,٥٠	٢,٥٠—٤,٥٠	٨

اسعار المون
(بالروبلات والكوبيكات)

	آب (اغسطس) ١٩١٤	آب (اغسطس) ١٩١٧	الزيادة المئوية
خبز اسود (الفونت — ٤١٠غ)	٠,٠٢ ١/٢	٠,١٢	٣٣٠
خبز ابيض	٠,٠٥	٠,٢٠	٣٠٠
لحم بقر	٠,٢٢	١,١٠	٤٠٠
لحم عجل	٠,٢٦	٢,١٥	٧٢٧
لحم خنزير	٠,٢٣	٢	٧٧٠
سمك هارانغ	٠,٠٦	٠,٥٢	٧٦٧
جبن	٠,٤٠	٣,٥٠	٧٥٤
زبدة	٠,٤٨	٣,٢٠	٥٥٧
بيض (العشرة)	٠,٣٠	١,٦٠	٤٤٣
حليب (٠,٥ ليتر)	٠,٠٧	٠,٤٠	٤٧١

وبالمقابل فان قيمة الروبل قد هبطت على الاقل الى ثلث ما كانت عليه وازدادت تكاليف المعيشة زيادة فظيعة .

ان اللائحة الواردة اعلاه نظمت من قبل دوما بلدية موسكو ، حيث كانت المواد الغذائية ارخص واكثر وفرة مما كانت عليه في بتروغراد .

اذن وصلت زيادة اسعار المواد الغذائية وسطيا ٥٥٦٪ اى بزيادة ٥١٪ عن الزيادة الوسطية للاجور .

الاسعار لسلع الاستهلاك الدارج
(بالروبلات والكوبيكات)

	آب (اغسطس) ١٩١٤	آب (اغسطس) ١٩١٧	الزيادة المئوية
قماش قطنى (الذراع — ١,١ ٧ سم)	٠,١١	١,٤٠	١١٧٣
نسيج قطنى	٠,١٥	٢	١٢٣٣
قماش للملبوسات	٢	٤٠	١٩٠٠
جوخ	٦	٨٠	١٢٣٣
احذية رجالية (الزوج)	١٢	١٤٤	١٠٩٧
نعل	٢٠	٤٠٠	١٩٠٠

احذية كاوتشوك (الزوج)	٢,٥٠	١٥	٥٠٠
بذلة رجالية	٤٠	٤٠٠–٤٥٥	٩٠٠–١١٠٩
شاى (الفونت – ٤١٠ غ)	٤,٥٠	١٨	٣٠٠
كبريت (الدستة)	٠,١٠	٠,٥٠	٤٠٠
صابون (البود – ١٦،٣٨ كغ)	٤,٥٠	٤٠	٧٨٠
كاز (الصفيحة – ١٢،٣ ل)	١,٧٠	١١	٥٤٧
سكاكر (البود)	٨,٥٠	١٠٠	١٠٧٦
كاراميل (الفونت)	٠,٣٠	٤,٥٠	١٤٠٠
خشب تدفئة (الحمل)	١٠	١٢٠	١١٠٠
فحم خشبى	٠,٨٠	١٣	١٥٢٥
سلع معدنية مختلفة	١	٢٠	١٩٠٠

اما بالنسبة للمواد الاخرى فقد طرأت عليها زيادة هائلة .

هذه لائحة منظمة من قبل الدائرة الاقتصادية لسوفييت نواب العمال فى موسكو ووافقت على صحتها وزارة التموين فى الحكومة الموقتة .

وقد وصلت زيادة اسعار المنتوجات المشار اليه اعلاه وسطيا حوالى ١١٠٩٪ اى ما يزيد مرتين على زيادة الاجور . وهذا الفرق بالطبع ذهب الى جيوب المضاربين والتجار .

وقد كانت الاجرة اليومية الوسطية للعامل الكفؤ فى الصناعة ، مثلا فى صناعة الفولاذ فى مصنع بوتيلوف ، فى ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ ، حوالى ثمانية روبلات . وفى نفس الفترة كانت ارباح ارباب العمل عظيمة جدا . وقد حدثنى صاحب معمل النسيج تورنتون ، المؤسسة الانكليزية فى ضاحية بتروغراد ، بان ارباحه ازدادت ٩٠٠٪ ونيف فى حين ان الاجور فى هذا المعمل لم تزدد الا ٣٠٠٪ .

٣

الوزراء الاشتراكيون

ان الحديث عن الجهود التى بذلها الاعضاء الاشتراكيون فى حكومة تموز الموقتة من اجل تحقيق برنامجهم بالتعاون مع الوزراء البرجوازيين ، يعطى مثالا ساطعا عن الصراع الطبقى فى الحقل

السياسى . وقد كتب لينين فى هذا الموضوع : «. . . حين رأى الرأسماليون ان وضع الحكومة غير متماسك ، لجأوا الى اسلوب طالما استخدمه عشرات السنين ، منذ عام ١٨٤٨ ، الرأسماليون فى بلدان اخرى بغية خداع وتقسيم العمال واضعافهم . وهذا الاسلوب هو تشكيل وزارة يقال عنها «ائتلافية» اى تجمع ممثلين عن البرجوازية والمرتدين عن الاشتراكية .

وفى البلدان حيث الحرية والديموقراطية تمارسان منذ امد اطول الى جانب الحركة العمالية الثورية ، فى انكلترا وفرنسا ، نرى ان الرأسماليين قد استخدموا مرات عديدة هذا الاسلوب بنجاح كبير . ان القادة «الاشتراكيين» بدخولهم فى وزارة برجوازية ما كانوا يتورعون عن ان يجعلوا من انفسهم رجالا من القش ، ودمى ، يقومون بدور الواجهة لصالح الرأسماليين كاداة خداع ضد العمال . والرأسماليون «الديموقراطيون والجمهوريون» قد لجأوا فى روسيا الى مثل هذا الاسلوب . والاشتراكيون-الثوريون والمناشفة استخدموا حالا ليقوموا بهذا الدور ؛ وفى السادس من ايار (مايو) شكلت وزارة «ائتلافية» ضمت تشيرنوف وتسيريتيلى * وشركاه ، واصبحت امرا واقعا» .

٤

انتخابات ايلول (سبتمبر) الى الدوما البلدى فى موسكو

نشرت جريدة «نوفايا جيزن» («الحياة الجديدة») فى اواخر ايلول (سبتمبر) – اوائل تشرين الاول (اكتوبر) – ١٩١٧ ، لائحة لنتائج الانتخابات الى دوما موسكو البلدى مشيرة فى تعليقها الى ان افلاس سياسة الائتلاف مع الطبقات المالكة ، قد انعكس بوضوح تام فى نتائج الانتخابات . «واذا استطيع تفادى الحرب الاهلية حتى الآن فذلك ليس الا بفضل الجبهة الموحدة للديموقراطية الثورية كلها» .

---

* يورد جون ريد فى كتابه بعد هذا : «سكوبيليف وافكسنتييف وسافينكوف وزارودلى ونيكيتيين . . .» **المحرر** .

اليكم هذه اللائحة :

انتخابات الدوما (فى المركز والاحياء) فى موسكو

	حزيران (يونيو) ١٩١٧	ايلول (سبتمبر) ١٩١٧
الاشتراكيون-الثوريون	٥٨	١٤
الكاديت	١٧	٣٠
المناشفة	١٢	٤
البلاشفة	١١	٤٧

٥

غطرسة الرجعيين المتزايدة

١٨ (٥) ايلول (سبتمبر) . كتب عضو الكاديت شولغين فى صحيفة تصدر فى مدينة كييف ان الحكومة الموقتة ، باعلانها الجمهورية فى روسيا ، قد تجاوزت صلاحياتها . «نحن لا نقبل بالنظام الجمهورى ، ولا بالحكومة الجمهورية الحالية . . . نحن لسنا واثقين اطلاقا اننا نريد ان نرى روسيا جمهورية» .

٢٣ (١٠) تشرين الاول (اكتوبر) . خلال انعقاد اجتماع الكاديت فى ريازان ، اعلن م . دوخونين : «علينا ان نقيم فى آذار (مارس) ملكية دستورية . علينا ألاّ نرفض ولى العهد الشرعى ، ميخائيل الكسندروفيتش . . .» .

٢٧ (١٤) تشرين الاول (اكتوبر) . القرار الذى تبناه اجتماع «الرجال المتنفذين» فى موسكو :

«ان اجتماع الرجال المتنفذين فى موسكو ، يكلف اعضاءه ذوى المقاعد فى المجلس الموقت للدولة الروسية بالالحاح لدى الحكومة الموقتة على تطبيق المبادئ التالية فى الجيش فورا * :

منع كل دعاية سياسية فى الجيش مع اعلان مشروط بان يكون الجيش بعيدا عن الاحزاب وعن التأثيرات الحزبية .

* يورد جون ريد البنود التالية بصورة غير كاملة وبصيغة غير دقيقة . فضلا عن ذلك ينسب هذا القرار كله الى Business men ، «اجتماع رجال التجارة والصناعة» . **المحرر** .

الدعاية للافكار المعادية للدولة والمعادية للوطن ، وكذا المذاهب التى تنكر ضرورة وجود الجيش نفسه والانضباط العسكرى ، يجب ان تمنع وتسحق بحزم .

ان الاجتماع يعترف بان وجود اللجان هو ، مبدئيا ، مضاد للنظم العسكرية المألوفة ، وهذا ما تؤكده تجربة كافة الجيوش فى العالم ، ولكنه يتساهل بوجودها موقتا شريطة ان يحدّد نشاطها فى القضايا الاقتصادية والغذائية حصرا ، مع العلم ان كل مقررات اللجان يجب ان تخضع لتصديق قائد الوحدة التى تعود اليها هذه اللجنة ولا يمكن تطبيقها قبل هذا التصديق . وفى حالة عدم موافقة قائد الوحدة على هذه المقررات ، يصار الى البت فيها من قبل قائد اعلى مباشر .

وفى حالة خرق اللجنة لحقوقها وواجباتها بصورة سافرة ، فان القائد المباشر ، الذى يمارس حقوقا متساوية لحقوق قائد الوحدة المستقلة ، له الحق ان يحلّ هذه اللجنة وان يحدد موعدا لانتخابات جديدة .

يتوجب على الفور اعادة اداء التحية العسكرية بوصفها التحية المتبادلة بين ذوى الرتب المتساوية ، وتحية ذوى الرتب الدنيا الى ذوى الرتب العليا .

اعادة الحقوق النظامية الى القادة من مختلف الرتب فى حدود معينة ودقيقة مع فرض مسؤولية قاسية . وفى حالة تجاوز السلطة ، تضمن كافة الامكانيات للمراتب الدنيا لان تتقدم بالشكوى ضد تجاوز المراتب العليا على حقوقها .

حماية فعلية لكافة حقوق الضباط المدنية ومنظمات الضباط من كل تطاول عليها .

اعتبار كافة انواع المراقبة ، والاشراف والتحقيق السياسيين ، التى يمارسها حاليا المفوضون والمنظمات العسكرية ، امراً غير مسموح به .

اقامة نظام لترقية الضباط وفق كفاءاتهم القتالية ومؤهلاتهم فى الخدمة ، تبعا للتقديرات الصادرة حصرا عن مجالس الضباط على مستوى درجة اعلى مباشرة من درجة الضابط موضوع التقدير .

من الضرورى تطهير ملاك الضباط من العناصر التى تسىء الى سمعته والتى تشترك فى الآونة الاخيرة فى كافة حركات جماهير

الجنود ، والرامية الى عدم الانصياع وعدم تأدية واجبها فى الخدمة ، الامر الذى يمكن تحقيقه عن طريق اعادة انشاء محاكم الشرف .

اعادة تشكيل اتحاد ضباط الجيش والاسطول على نطاقه كله ، بوصفه مؤسسة ضرورية جدا من اجل اعادة القدرة القتالية لدى القوات المسلحة فى روسيا ، ومنح هذا الاتحاد حقوق مؤسسة من مؤسسات الدولة .

ان تحقق الحكومة الموقتة اجراءات من شأنها ان تتيح امكانية عودة جميع الجنرالات والضباط الى صفوف الجيش الذين سرحوا منه بصورة غير عادلة وبضغط منظمات تعسفية غير مسؤولة» .

الفصل الثانى

١

ان عصيان كورنيلوف قد عولج فى مؤلفى : «من كورنيلوف الى بريست-ليتوفسك» . ان نصيب كيرنسكى من المسؤولية فى اتاحة الظرف الذى مكّن كورنيلوف من القيام بمحاولته لم يتوضّح بشكل جلى حتى الآن . يقول المدافعون عن كيرنسكى بانه وقد علم بخطط كورنيلوف ، وقد حثه بحيلة وعن عمد على العمل قبل ساعة الصفر ، وبعد ذلك فقد سحقه . ولكن ا . ج . ساك كتب فى كتابه «ولادة الديموقراطية الروسية» :

«وقائع عديدة . . . هى شبه مؤكدة . اولاها ان كيرنسكى لم يكن يجهل تحركات عدد من فرق الجبهة نحو بتروغراد ، ومن الممكن انه ، وقد ادرك ازدياد خطر البلاشفة ، يكون هو الذى دعا تلك الفرق بوصفه رئيسا للوزارة ووزيرا للحربية . . .» .

ان ضعف هذه الحجة يقوم على عدم وجود «خطر بلشفى» آنذاك ، فالبلاشفة لم يكونوا ليشكلوا سوى اقلية غير ذات نفوذ فى السوفييتات ، وكان زعماؤهم اما فى السجون او مجبرين على الاختباء .

٢

الاجتماع الديموقراطى

عندما اقترح عقد الاجتماع الديموقراطى على كيرنسكى ، اراد ان يتشكل المجلس من كافة عناصر الامة – «كافة قوى البلد الحية»

كما كان يقول – بما فيها اصحاب المصارف ، ورجال الصناعة ، والملاكون العقاريون الكبار وممثلون عن حزب الكاديت . لقد رفض السوفييت ذلك واقترح التمثيل التالى ، الذى منحه كيرنسكى موافقته :

سوفييتات نواب العمال والجنود لعموم روسيا	١٠٠	مندوب
سوفييت نواب الفلاحين لعموم روسيا	١٠٠	»
سوفييتات المقاطعات لنواب العمال والجنود	٥٠	»
اللجان الزراعية الفلاحية	٥٠	»
النقابات	١٠٠	»
لجان الجيش فى الجبهة	٨٤	»
التعاونيات العمالية والفلاحية	١٥٠	»
نقابة عمال سكك الحديد	٢٠	»
نقابة البريد والبرق والهاتف	١٠	»
نقابة مستخدمى التجارة والصناعة	٢٠	»
مهن حرة (اطباء ، محامون ، صحفيون ، الخ .)	١٥	»
زيمستفوات الاقاليم	٥٠	»
منظمات قومية (بولونية ، اوكرانية ، الخ .)	٥٩	»

لقد عدل هذا المخطط بمناسبتين او ثلاث ، وكان تشكيله النهائى كما يلى :

سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين لعموم روسيا	٣٠٠	مندوب
تعاونيات	٣٠٠	»
بلديات	٣٠٠	»
لجان الجيش فى الجبهة	١٥٠	»
زيمستفوات الاقاليم	١٥٠	»
نقابات	٢٠٠	»
منظمات قومية	١٠٠	»
جماعات مختلفة صغيرة	٢٠٠	»

٣

نهاية مهمة السوفييتات

نشرت صحيفة «الازفستيا» ، لســـان حال التسيـــك ، فى ٢٨ (١٥) ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ ، مقالا عن الحكومة الاخيرة ، جاء فيه :

«واخيرا تشكلت حكومة ديموقراطية حقيقية ، وولدت مـــن ارادة جميع طبقات الشعب الروسى ، هى الشكل الاول غير المتكامل لنظام برلمانى حر مقبل . وبعد ذلك ستأتى الجمعية التأسيسية التى ستحل كل القضايا المتصلة بالقوانين الاساسية وستسن هذه القوانين باقصى ما يمكن من الروح الديموقراطية . ان مهمـــــة السوفييتات اوشكت على الانتهاء ، ويقترب الوقت الذى يتوجب عليها فيه ، ان تترك مع تنظيمات الجهاز الثورى الاخرى ، المسرح السياسى لشعب حر ظافر لا يستخدم من الآن فصاعدا سوى وسائل سلمية» .

وصدرت افتتاحيـــة «الازفستيا» فى ٢٥ (١٢) تشريـن الاول (اكتوبر) تحت العنوان التالى : «ازمة التنظيمات السوفييتية» . لاحظت الافتتاحية فى بدايتها ان «جميع القادمين من المقاطعات ، وخاصة من اكثرها بعدا . . .» يشاهدون انكماشا فى نشاط جميع السوفييتات المحلية . «وهذا امر طبيعى – يتابع الكاتب – اذ ان الشعب يبدى اهتماما اكبر نحو الاجهزة التشريعية ذات الطابع الاكثر دواما – اى مجالس الدوما البلدى والزيمستفوات» .

«ولكنه حتى فى اكثر المراكز اهمية فى بتروغراد وموسكـو ، حيث السوفييتات الاوفر تنظيما ، فانها لا تضم جميـع العناصر الديموقراطية . ان طبقة المثقفين الوافرة العدد لا تشترك فيها ، كما لا يشترك فيها العمال جميعهم ، فالبعض بسبب تخلفهم السياسى ، والبعض الآخر ، على العكس ، لأنهم ينقلون مركز الثقل الى المنظمات المهنية الصرفة . ولا يمكن ان ننكر واقع ان هذه المنظمات مرتبطة ارتباطا اوثق بالجماهير وتلبى بصورة افضل حاجاتها اليومية .

وثمة واقع ذو اهمية كبيرة جدا هو ان اشكالا ديموقراطية راسخة للادارة المحلية اخذت تتشكل شيئا فشيئا . ان مجالس الدوما البلدى المنتخبة على اساس الاقتراع العام ، تتمتع فى الامور

المحلية الصرفة بنفوذ اكبر من نفوذ السوفييتات . ولا يوجد ديموقراطى واحد يرى فى ذلك شيئا غير مرغوب فيه ، ولو بسبب واحد ، هو ان الانتخابات الى مجالس الدوما البلدى انما تجرى على اساس قانون الانتخابات الافضل والاكثر اتقانا – والامر الرئيسى – ان الانتخابات تجرى استنادا لقانون اكثر ديموقراطية من ذلك الذى بموجبه جرت الانتخابات الى السوفييتات . وبقدر ما تعمق هيئات الادارة الذاتية المحلية نشاطها وتنظم الحياة فى القاعدة ، ينخفض بالطبع دور السوفييتات المحلية . . .

هناك عاملان اديا الى انحطاط التنظيم السوفييتى : العامل الاول – تدنى الاهتمام السياسى ، والثانى – الانصراف الى عمليات البناء الاجتماعى وبناء الدولة فى روسيا الجديدة الحرة .

وكلما سار هذا البناء بصورة اسرع ، كلما انخفضت بالطبع اهمية السوفييتات . . . اننا نحن بالذات حفارو قبر منظمتنا ، اننا مساهمون فعالون فى انشاء نظام جديد للدولة . عندما سقطت الاوتوقراطية وكل نظامها البيروقراطى ، بنينا السوفييتات بوصفها براكات موقتة يمكن للديموقراطية كلها ان تجد لها ملجأ فيها والآن يجرى تشييد صرح حجرى دائم للنظام الجديد محل البراكات . وطبيعى ان الناس يغادرون البراكات بالتدريج الى اماكن اوفر راحة كلما انتهى بناء طابق اثر آخر» .

٤

«بيان جناح البلاشفة المذاع قبل مغادرتهم جلسة مجلس الجمهورية امس *

كانت اهداف الاجتماع الديموقراطى الذى دعت اليه تسيك سوفييتات نواب العمال والجنود والمعلن عنها رسميا ، تتلخص فى الغاء النظام الشخصى غير المسؤول الذى كان يغذى حركة كورنيلوف ، وفى اقامة حكومة مسؤولة قادرة على ان تضع حدا للحرب وتؤمن انعقاد الجمعية التأسيسية فى الموعد المحدد .

---

* فى كتاب جون ريد يرد عنوان هذا البيان على النحو التالى : «خطاب تروتسكى امام مجلس الجمهورية» . تلا تروتسكى هذا البيان فى ٧ (٢٠) تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . **المحرر** .

بيد ان صفقات تمـــت فى الكواليس وراء ظهـــر الاجتماع الديموقراطى بين السيد كيرنسكى والكاديت والقادة الاشتراكيين الثوريين والمناشفة ، انتهوا فيها الى نتائج مغايرة تماما للاهداف المعلن عنها رسميا .

لقد اقيمت سلطة يلعب فيها ومن حولهـــا الكورنيلوفيون السافرون والمستترون ، الدور القيادى . وقد تقرر واعلن صراحة عدم مسؤولية هذه السلطة منذ انشائها .

واعلن «مجلس الجمهورية الروسية» مؤسسة استشاريـــة ، ولقد اوجدت السلطة غير المسؤولة ، فى الشهر الثامن من الثورة ، ستارا لها من طبعة جديدة عن دوما بوليغين * .

وقد دخلت العناصر المالكة فى المجلس الموقت ، بنسبة ليس لها الحق فيها ، كما تدل على ذلك بوضوح الانتخابات التى جرت فى كافة انحاء البلاد . ورغم ذلك ، فان حزب الكاديت هو الذى كان يسعى وقد توصل الى عدم مسؤولية السلطة حتى امام البرلمان المشوه ، لمصلحة البرجوازية المالكة .

ان حزب الكاديت نفسه ، الذى كان يصر حتى يوم امس عـــلى ان تخضع الحكومة الموقتة الى دوما السيد رودزيانكو ، هو الذى اصبحت الحكومة الموقتة ، بفضل جهوده ، مستقلة عن مجلس الجمهورية .

وسيكون للعناصر المالكة فى الجمعية التأسيسية مركز اقـــل ملاءمة اذا ما قورن بمركزهم فى المجلس الموقت ، اذ لا تستطيـــع السلطة ان تكون غير مسؤولة امام الجمعية التأسيسية . ولو كانت العناصر المالكة تتهيأ بالفعل لانعقاد الجمعية التأسيسية بعد شهر ونصف الشهر ، لما كان لديها اى مبرر لجعل الحكومة غير مسؤولة الآن . ان الحقيقة كلها تكمن فى ان الطبقات البرجوازية التى تسير سياسة الحكومة الموقتة ، قد وضعت هدفا لها **احباط** الجمعيـــة التأسيسية . وهذا هو فى الوقت الحاضر الهدف الرئيسى الذى تخضع له العناصر المالكة كل سياستها الداخلية والخارجية .

---

* دوما بوليغين (اطلق عليه هذا الاسم بالاستناد الى كنية احد وزراء القيصر ، صاحب مشروع الدوما) — كانت النية فى ان يكون هيئة استشارية لدى القيصر وكان عليه ان يكون عبارة عن جمعيـــة الملاكين العقاريين والرأسماليين وحفنة ضئيلة من الفلاحين الاغنياء . **المحرر** .

ففى مجال الصناعة ، وفى ميدانى الزراعة والتموين ، تتجـــه سياسة الحكومة والطبقات المالكة ، نحو زيادة الفوضى الطبيعية التى احدثتها الحرب . ان الطبقات المالكة التى كانت تعمل على اثارة تمرد الفلاحين ، تنتقل حاليا الى سحق هذا التمرد وتسعى علنا لاستخدام «يد الجوع الهزيلة» ، التى يتوجب عليها ان تخنق الثورة والجمعية التأسيسية فى المقام الاول .

وليست السياسة الخارجية للبرجوازية وحكومتها اقل اجراما .

ان خطرا مميتا يهدد العاصمة بعد اربعين شهرا من الحرب . وردا على ذلك يقترحون مخطط نقل الحكومة الى موسكو . ان فكرة تسليم العاصمة الثائرة الى الجيوش الالمانية لا تثير ابدا غضـــب الطبقات البرجوازية ، بل على العكس ، فانها ترحب بها كحلقـــة طبيعية من سياسة عامة غايتها تقوية التآمر المعادى للثورة .

وعوضا عن الاعتراف بان سلامة البلاد تكمن فى عقد معاهدة للصلح ، وعوضا عن ان تقترح علنا ، من فوق رؤوس جميع الدول الامبريالية والدواوين الديبلوماسية ، الصلح الفورى على جميـــع الشعوب المنهوكة ، جاعلة بالتالى استمرار الحرب امرا غير ممكن عمليا – فان الحكومة الموقتة ، بناء على توجيه من اعداء الثورة الكاديت والحلفاء الامبرياليين ، تداوم على خوض الحرب المميتـــة خلافا للعقل السليم وبلا قوة ولا خطة وتحكم بالتالى على مئات الوف جديدة من الجنود والبحارة بالموت عبثا وتهئ تسليم بتروغراد وخنق الثورة . وفى الوقت الذى يموت فيــــه الجنود والبحارة البلاشفة مع جنود وبحارة آخرين ، نتيجة اخطاء الغير وجرائمهم ، يستمر القائد الاعلى المزعوم فى تحطيم الصحافة البلشفية . . .

ان الاحزاب القائدة للمجلس الموقت ، تضطلع بدور الستار الطوعى لهذه السياسة كلها .

نحن ، جناح الاشتراكيين-الديموقراطيين البلاشفة ، نصرح : اننا لا نمت بصلة الى هذه الحكومة ، حكومة الخيانة الوطنية ، **ولا الى هذا المجلس ، مجلس الاغضاء المعادى للثورة** * . نحن لا نريد ان نستر ولو يوما واحدا بصورة مباشرة او غير مباشرة ، هذا العمل المميت بالنسبة للشعب الذى يجرى وراء الكواليس الرسمية .

---

* الكلمات الغليظة تنعدم فى نص جون ريد . **المحرر** .

ان الثورة فى خطر ! وفى الوقت الذى تهدد فيه جيوش غليوم بتروغراد ، تتهيأ حكومة كيرنسكى — كونوفالوف الى الهرب من بتروغراد لتحول موسكو الى حصن للثورة المضادة .

نحن نتوجه الى يقظة عمال موسكو وجنودها !

اننا نتوجه ، ونحن نترك المجلس الموقت ، الى يقظة العمال والجنود والفلاحين فى سائر انحاء روسيا والى رجولتهم .

ان بتروغراد فى خطر ! ان الثورة فى خطر ! ان الشعب فى خطر !

ان الحكومة تفاقم هذا الخطر ، وتساعدها على ذلك الاحزاب الحاكمة .

ان الشعب وحده يمكن ان ينقذ نفسه ، وينقذ البلاد . نحن نتوجه الى الشعب .

كل السلطة للسوفييتات !

كل الارض للشعب !

عاش الصلح الفورى ، الديموقراطى ، الشريف !

عاشت الجمعية التأسيسية !»

٥

«التوصيات» المعطاة الى سكوبيليف
(مقتطفات)

لقد وافقت التسيك على هذه التوصيات وسلمتها الى سكوبيليف بوصفه ممثلا للديموقراطية الثورية الروسية فى مؤتمر باريس .

«تعليمات الى مندوب التسيك
المنتخب للاشتراك فى مؤتمر باريس

ان المعاهدة الجديدة يجب ان تكون علنية فيما يتعلق بمسألة اهداف الحرب * . ويجب ان تستند المعاهدة الى المبادئ التالية : «الصلح بلا الحاقات ولا تعويضات ، وعلى اساس حق الشعوب فى تقرير مصيرها» .

---

* الكلمات الغليظة تنعدم فى نص جون ريد . **المحرر** .

اولا : ان جلاء الجيوش الالمانية عن المناطق المحتلــــة فى روسيا هو الشرط الالزامى للصلح . وستمنح روسيا حق تقرير المصير الكامل الى بولونيا وليتوانيا ولاتفيا .

ثانيا : تنال ارمينيا التركية الاستقلال الذاتى التام ، ثم الحق المطلق فى تقرير مصيرها بعد ان يتم قيام سلطات محلية فيها ، واقرار الضمانات الدولية .

ثالثا : حل قضية الالزاس — اللورين على اساس استفتـــاء السكان شرط تأمين حرية التصويـــت الكاملة ، وينبغى اجراء الاستفتاء بعد جلاء قوات الائتلافين عن هذا الاقليم .

رابعا : يجب بعث بلجيكا فى حدودها السابقة . اما التعويض عن الخسائر فينبغى استيفاؤه من الارصدة الدولية .

خامسا : بعث صربيا والجبل الاسود ومساعدتهما من قبـــل مؤسسة مالية دولية . ويجب ان تمنح صربيا منفذا على البحـــر الادرياتيكى ، وتصبح البوسنة والهرسك ذاتي استقلال ذاتي .

سادسا : تمنح المناطق موضوع النزاع فى البلقان حكما ذاتيـا موقتا ، يعقبه استفتاء فيها .

سابعا : بعث رومانيا فى حدودها السابقة واجبارها عـــلى ان تمنح دوبرودجا الحق الكامل لتقرير المصير . وتجبر رومانيا على تنفيذ بنود معاهدة برلين فيما يتعلق بالاعتراف باليهود كمواطنين رومانيين .

ثامنا : تمنح الاقاليم الايطالية فى النمسا حكما ذاتيا يعقبـــه استفتاء لتقرير قضية مستقبل هذه الاقاليم السياسى .

تاسعا : اعادة المستعمرات الالمانية .

عاشرا : بعث كيان ايران واليونان .

حرية البحار

حياد كافة المضايق المؤدية الى بحار داخلية بما فيها قناة السويس وباناما . حرية الملاحة التجارية . الغاء حق الاستيــلاء على السفن التجارية ومنع نسفها .

التعويضات

تعدل جميع الاطراف المتحاربة بصورة دائمة عن كل تعويض مباشر او غير مباشر (نفقات الحفاظ على الاسرى) . تعاد التعويضات والتبرعات التى جمعت خلال الحرب الى اصحابها .

شروط اقتصادية

لا تكون الاتفاقات التجارية جزءا من شروط الصلح . على كل دولة ان تكون مستقلة فى سياستها التجارية ، وليس من حق معاهدة الصلح ، فرض او منع اية دولة من عقد اتفاقية اقتصادية . بيد انه يجب على كافة البلدان ، ان تلتزم ، وفق معاهدة الصلح ، بعدم اللجوء الى الحصار الاقتصادى بعد الحرب ، وبعدم عقد اتفاقات جمركية منفصلة . ان حقوق الدولة الاكثر رعاية يجب ان تمنح لكافة البلدان دون تمييز .

ضمانات الصلح

سيعقد الصلح فى مؤتمر الصلح بواسطة المندوبين المنتخبين من قبل المؤسسات الوطنية . ويجب ان تصدق البرلمانات على شروط الصلح .

تلغى الديبلوماسية السرية ، وتتعهد جميع الاطراف بعدم عقد اتفاقات سرية . يعلن كل اتفاق من هذا النوع ، متناقضا مع القانون الدولى ، ويعتبر بالتالى باطلا . تعتبر كافة المعاهدات باطلة الى ان يصار الى تصديقها من قبل المجالس النيابية .

ينزع السلاح تدريجيا فى البر والبحر ويصار الى ادخال نظام الميليشيا .

ان «جمعية الامم» التى اقترحها الرئيس ويلسون ، يمكن ان تصبح مساعدا قيّما للحقوق الدولية بشرط : ١) ان تجبر كافة الدول على الانتساب اليها ، مع منحها حقوقا متساوية ، ٢) ان تكون السياسة الدولية ديموقراطية .

مهما صيغت اهداف الحرب بصورة دقيقة ، فيجب ان تبين المعاهدة وتعلن بان الحلفاء مستعدون للشروع بمفاوضات الصلح حالما يعلن الطرف العدو قبوله القيام بمفاوضات الصلح ، بشرط ان تعلن جميع الاطراف تخليها عن اى ضم قسرى .

على الحلفاء ان يلزموا انفسهم بالاّ يشرعوا بمفاوضات صلح سرية ، والاّ يعقدوا معاهدة باية طريقة ، الا فى مؤتمر تشترك فيه كافة البلدان الحيادية .

وبالاضافة الى ذلك ، يعطى المندوب التعليمات التالية :

«تزال كافة العقبات التى تمنع عقد المؤتمر الاشتراكى فى استوكهولم ، وتمنح جوازات السفر فورا الى جميع مندوبى الاحزاب والمنظمات التى تريد الاشتراك فى المؤتمر» .

(كما اصدرت اللجنة التنفيذية لسوفييتات الفلاحين ، توصيات لا تكاد تختلف عن التوصيات السابقة .)

٦
الصلح على حساب روسيا

ان فضح ريبو * لعرض الصلح الذى تقدمت به النمسا الى فرنسا ، و«مؤتمر الصلح» المزعوم فى برن ، فى سويسرا ، خلال صيف ١٩١٧ ، الذى اشترك فيه مندوبون عن كافة البلدان المتحاربة كانوا يمثلون المصالح المالية الكبرى فيها ؛ ومحاولة التفاوض بين عميل انكليزى واحبار الكنيسة البلغارية — كل هذه الوقائع انما تدل على وجود تيارات قوية فى كلا المعسكرين ، كانت تسعى الى عقد الصلح على حساب روسيا . انى عازم على معالجة هذه القضية باسهاب فى كتابى المقبل : «من كورنيلوف الى بريست — ليتوفسك» ، وعلى نشر بعض الوثائق السرية بهذا الخصوص التى وجدت فى وزارة الخارجية فى بتروغراد .

* ريبو الكسندر فيليكس جوزيف — سياسى فرنسى برجوازى . فى عام ١٩١٧ كان يترأس حكومة فرنسا . **المحرر** .

٧

الجنود الروس فى فرنسا .

«بلاغ الحكومة *

ما ان وصل نبأ الثورة الى باريس حتى انشىء فيها عدد من الصحف الروسية ذات نزعة متطرفة . ولقد شرعت هذه الصحف بالاضافة الى بعض الاشخاص الذين تجولوا بحرية بين جماهير الجنود ، يقومون بدعاية بلشفية ، ناشرين فى معظم الاحيان انباء خاطئة مستقاة من برقيات مجزأة ومن صحف فرنسية . ونظرا لعدم وجود انباء وتعليمات رسمية ، فقد اثارت هذه الحملة اضطرابا بين الجنود . وقد تجلى ذلك فى الرغبة بالعودة الفورية الى روسيا وبعداء تجاه الضباط بصورة عامة . وفى الثامن عشر من ايار (مايو) انطلق المهاجر رآب ، بالنيابة عن وزير الدفاع كيرنسكى ، الى الجيش ، فزار بعض الوحدات واحدث فيها منظمات جديدة وفقا للامر رقم ٢١٣ . بيد ان الاضطراب لم يهدأ . لقد كانت تقود هذا الاضطراب اللجنة التنفيذية للفوج الاول التى بدأت باصدار نشرة ذات ميول لينينية . ونزولا عند رغبة الجنود فى الثامن عشر من حزيران (يونيو) ، جمعت الوحدات المرابطة فى قرى مختلفة ، فى معسكر «لاكورتين» . بدأت الاجتماعات تجرى هنا ، وقد اجتهد خلالها الفوج الاول وقواده فى ان يلعبوا دورا رئيسيا . غير ان لجنة الفرقة التى شكلت حديثا من الجنود الاكثر يقظة ووعيا ، بذلت جهودها كى تشل ، بقدر الامكان ، النشاط الهدام الذى قام به الفوج الاول وزعماؤه ، مهدئة الاضطراب وداعية الجنود الى العودة الى حياة طبيعية تقوم على المبادىء الديموقراطية التى ارسيت فى الجيش فى الوقت الحاضر . وخوفا من تعاظم نفوذ لجنة الفرقة ، فقد نظم زعماء الفوج الاول ، اجتماعا حاشدا فى ليل ٢٣ الى ٢٤ ، اشترك فيه بالاضافة الى الفوج الاول ، الفوج الثانى بكامله تقريبا ، ووحدات صغيرة من الفوجين الخامس والسادس . وخلال هذا الاجتماع الحاشد اعلن الغاء لجنة الفرقة رغم انه لم يمض على انتخابها سوى اسبوعين . وفى نفس الوقت ، فان اوامر مغادرة

---

* اورد جون ريد هذا النبأ مع مقتطفات وانحرافات عن النص الاصلى . اما نحن فنورده بكامل نصه . **المحرر** .

المعسكر التى اصدرها قائد الفرقة لم ينفذها جنود اللواء الاول . كما ان النداء الذى اصدره هؤلاء ، يوضح انه لا معنى للتمارين طالما انه قد تقرر عدم القتال . وفى هذه الاثناء ، اخذ العداء بين اللواء الاول واللواء الثانى يهدد بان يتحول الى نزاع حاد . لقد طلب جنود اللواء الثانى انفسهم بالحاح ، فصلهم عن اللواء الاول المتمــــرد مهددين بانهم سيغادرون المعسكر بدون امر ، اذا لم يستجب الى طلبهم .

ولهذا السبب جاء الى المعسكر الجنرال زانكيفيتش بصحبـــــة مندوب وزير الحربية رآب ، وبالاتفاق مع هذا الاخير ، فقد اعطى الامر بان يغادر الجنود الذين ما زالوا على ولائهم للحكومة الموقتة ، معسكر لاكورتين ، ناقلين معهم كل الذخائر . وفى ٢٥ حزيران (يونيو) نفذ هذا الامر وبقى فى المعسكر فقط الجنود الذين اعلنوا خضوعهم للحكومة الموقتة ولكن «بصورة مشروطة فقط» . ان موقف الجنود المتطرف فى العداء لضباطهم والذى وصل الى درجة القيام باعمال العنف ضدهم ، قد حمل الجنرال زانكيفيتش على ابعاد الضباط من معسكر لاكورتين مبقيا فقط بعض الضباط لادارة شؤون التموين . وبمبادرة من مندوب وزير الحربية المواطن رآب ، فقد قام وبصحبته عدد من اللاجئين السياسيين ، بزيارة جنود معسكر لاكورتين ، محاولين اقناع الجنود بتغيير رأيهـــم ، غير ان هذه المحاولات لم تثمر . ثم اصدر المواطن رآب الذى عين مفوضا امرا طلب فيه من الجنود اعلان الخضــــــوع الفورى وغير المشروط للحكومة الموقتة . وفى ٢٢ تموز (يوليو) ، قام المفوض رآب برفقة مندوبى اللجنة التنفيذيـة لسوفييـــــت نواب العمال والجنود ، روسانوف ، غولدنبرغ ، ايرليخ وسميرنوف ، وكانـــوا يمرون بباريس ، بزيارة معسكر لاكورتين بغية القيام بمحاولة جديدة كـى يبدل العصاة رأيهم . بيد ان هذه المحاولة باءت ايضا بالفشل ، وقد استقبل مندوبو سوفييت نواب العمال والجنود بعداء صريح . كما ان زيارة سفاتيكوف وهو مفوض الحكومة الموقتة وموجود موقتا فى فرنسا ، الى معسكر لاكورتين ، لم تعط اية فائدة . ولما كان الجنرال زانكيفيتش قد استلم ايضاحات من الحكومة الموقتة تفيد ان عودة الجيوش الروسية المرابطة فى فرنسا ، غير واردة ، وتطلب اخضاع العصاة بصورة حازمة ولو اقتضى الامر اللجوء الى

القوة ، وبعد محاولات متكررة وغير مثمرة قام بها المفوض رآب واللاجئون السياسيون لاقناع العصاة بالخضوع ، طلب الجنرال زانكيفيتش من العصاة تسليم السلاح والذهاب بانتظام تام الى قرية كلورافو كدليل على الخضوع . بيد ان هذا الامر لم ينفذ بكامله ، ففي اول الامر خرج خمسمائة رجل تقريبا ، اعتقل منهم اثنان وعشرون شخصا ، ثم تبعهم ستة آلاف بعد اربع وعشرين ساعة ، اما الباقون وعددهم يربو على الالفين ، فقد تركوا هناك عمدا ، بغية المحافظة على السلاح الذى رفضوا تسليمه .

رضى العصاة بالامر الذى اعطاه الجنرال آنذاك والقاضى بالقاء السلاح لدى عودتهم الى المعسكر ، بيد انهم لم ينفذوا هذا الامر . ان ابقاء السلاح فى ايدى جمهور لا انضباط فيه ، تختبىء فى صفوفه عناصر استفزازية دون شك ، كان امرا على جانب كبير من الخطورة . وكان نزع السلاح يشكل الشرط الاساسى لاستتباب النظام لدى هذا الجمهور . ففى هذه الظروف ، ومع الاخذ بعين الاعتبار وجود عدد من الوحدات التى ما زالت موالية للحكومة الموقتة فى حالة معنوية غير مستقرة ، الامر الذى ولد شكوكا فى امكانية استخدام هذه الوحدات كقوة مسلحة لاعادة العصاة الى التعقل ، فقد تقرر اللجوء الى ضغط طويل الامد على العصاة : فخصصت جرايات ناقصة للعصاة ، والغى دفع رواتبهم ، كما ان الخروج من المعسكر الى مدينة اوكّورتين المجاورة قد اغلق بواسطة مخافر فرنسية . لقد اضعفت هذه الاجراءات معنويات جمهور العصاة ، ولكنها فى نفس الوقت زادت من نفوذ الزعماء عليهم ، هؤلاء الزعماء الذين كانوا يسعون للتستر وراء الجمهور بقصد اخفاء مسؤوليتهم . وفى نفس الوقت ، بدأ الجنود العصاة بالقيام باعمال العنف ازاء ممثلى الجيش الفرنسى . وهكذا اوقفوا ضابطا فرنسيا واثنين من صف الضباط الفرنسيين واحتفظوا بهم مدة ست ساعات ، وكان هؤلاء قد علقوا فى المعسكر ، بناء على امر القائد الفرنسى ، برقية من القائد الاعلى . وفى ٩ آب (اغسطس) ، زار الجنرال زانكيفيتش معسكر لاكورتين فى محاولة اخيرة لاقناع العصاة بتسليم السلاح . وردا على امره بحضور ممثلى السرايا اليه ، اجابت لجنة المعسكر بالرفض . ولما عرف الجنرال بان لواء من المدفعية يسوده النظام الكامل ، سيمر بفرنسا ، فقد قرر بموافقة

المفوض رآب استخدام هذه الوحدة لاخضاع العصاة بقوة السلاح . فكلف قائد هذا اللواء بتشكيل وقيادة مفرزة مختلطة مؤلفة من وحدات من لواء المدفعية هذا ومن فرقة من المشاة .

فى السابع والعشرين من آب (اغسطس) بلغ قرار الحكومة المؤقتة المتعلق بسحب جيوشنا من فرنسا الى جنود معسكر لاكورتين ، غير انه مع ذلك ايضا ، رفض العصاة بعناد القاء السلاح . وبناء على طلب رجال المدفعية ، فقد انتخب هؤلاء مندوبين ، ارسلوا الى العصاة . وبعد مرور بضعة ايام ، رجع المندوبون مقتنعين بعدم جدوى المفاوضات . وجميع المناشدات التى قام بها الاشخاص الذين انتخبتهم فرقة المشاة ، اعطت كلها نتائج سلبية . وفى مساء الاول من ايلول (سبتمبر) ، اوقف تزويد المعسكر الثائر بالمواد الغذائية ، الا ان هذا الاجراء لم يكن له سوى صفة معنوية ، اذ انه كانت تحت تصرف العصاة احتياطات كبيرة من المواد الغذائية ؛ احتلت الفرق المراكز المعينة لها . وفى نفس اليوم ، وجه الجنرال زانكيفيتش انذارا الى اعضاء لجنة معسكر لاكورتين ولجمهور العصاة . اذ كان على هؤلاء ان يلقوا السلاح ، واذا لم ينفذ الامر حتى الساعة العاشرة من اول ايلول (سبتمبر) ، فان المدفعية ستفتح النار على المعسكر . وبعد انذارات متكررة فى ٣ ايلول (سبتمبر) فى الساعة العاشرة صباحا ، فتحت نار المدفعية بصورة خفيفة على المعسكر . اطلقت ثمانى عشرة قنبلة وانذر العصاة بان القصف سيكون اكثر شدة . ولما كان قد استسلم فى ليل ٣-٤ ، زهاء ١٦٠ رجلا ، فان القصف تجدد ثانية فى ٤ ايلول (سبتمبر) ، فى الساعة الحادية عشرة صباحا ، وبعد اطلاق ثلاثين قنبلة ، رفع العصاة الاعلام البيضاء ، وبدأوا بالخروج عزلا من المعسكر . وفى المساء استسلم زهاء ثمانية آلاف وثلاثمائة رجل . وقد استلمتهم القوات الفرنسية . لم يجر اطلاق المدفعية هذا اليوم . وفى الليل ، فتح الرجال المتبقون فى المعسكر وعددهم مائة وخمسون ، نارا حامية من الرشاشات . ارسل طبيب يساعده اربعة ممرضين الى المعسكر للعناية بالجرحى . وفى ٥ ايلول (سبتمبر) وبغية تصفية القضية ، فتحت على المعسكر نار حامية ، واخذت وحداتنا تحتله شيئا فشيئا . اجاب العصاة بعناد باطلاق نار المدافع الرشاشة . وفى ٦ ايلول (سبتمبر) فى الساعة التاسعة ، كان المعسكر محتلا

بكامله . وقد سجل فى المجموع ثمانية آلاف وخمسمائة وخمسة عشر جنديا خرجوا من المعسكر . خسارة وحداتنا ، قتيل واحد وخمسة جرحى . خسارة العصاة ، ثمانية قتلى واربعة واربعون جريحا . خسارة الفرنسيين ، ضحيتان ، قتيل وجريح سقطا صدفة ، كان الامر يتعلق باثنين من سعاة البريد ضلّا الطريق فمرّا فى منطقة رماية العصاة . وهكذا فان عصيان معسكر لاكورتين ، قد سحق من قبل قواتنا ، دون اية مساهمة فعّالة من قبل القوات الفرنسية . وبعد تجريد العصاة من السلاح ، جرى واحد وثمانون اعتقالا ، ولما كان المعتقلون قد فصلوا عن جمهور العصاة ، فقد شكلت من هؤلاء الاخيرين سرايا خاصة مجردة من السلاح ، منها اثنتان شكلتا من عناصر ثائرة بصورة خاصة وارسلتا الى بورد – لاوتيه ، وسرية اخرى ارسلت الى جزيرة اكس . اما ما تبقى من السرايا فقد ابقيت فى معسكر لاكورتين بحثا عن المجرمين لتعيين درجة مسؤولياتهم . وبناء على قرار ممثل الحكومة الموقتة ، شكل المفوض العسكرى لجنة تحقيق خاصة» .

وبعد هذه الوقائع ، رمى المنتصرون بالرصاص بدون اية مبالاة اكثر من مائتين من العصاة .

٨

خطاب تيريشنكو

(مقتطفات)

«. . . ان قضايا السياسة الخارجية متصلة اتصالا وثيقا بقضية الدفاع الوطنى . . . وهكذا فاذا رأيتم انه من الضرورى بحث قضايا الدفاع الوطنى فى جلسات سرية ، فاننا مضطرون احيانا الى ان نراعى السرية نفسها فى قضايا سياستنا الخارجية . . .

ان مساعى الديبلوماسية الالمانية ترمى بصورة اكيدة الى التأثير على الرأى العام . . . ولهذا فان تصريحات رؤساء المنظمات الديموقراطية الكبيرة ، الذين يتكلمون عن امكانية ميثاق ثورى او الاقتراب منه ، وعن عدم امكانية خوض حملة شتوية ، هى خطرة للغاية . . . اذ انها تكلف ارواحا بشرية .

اريد ان اتكلم انطلاقا من وجهة نظر معقولة بالنسبة للدولة ، دون ان امس قضايا شرف دولتنا وكرامتها . من وجهة نظر معقولة ، فان سياسة روسيا الخارجية يجب ان تسترشد بتفهم صحيح لمصالح روسيا كدولة . . . تقول لنا هذه المصالح ، انه من غير الممكن ان يبقى وطننا معزولا ، وان كتلة القوى التي تشكلت في الوقت الحاضر ، هي في مصلحتنا . . . ان الانسانية جمعاء تتعطش للصلح ، ولكن احدا في روسيا لن يوافق على صلح مهين لها ، ويتعارض مع مصالح وطننا كدولة . . .» .

واشار الخطيب بعد ذلك الى ان صلحا كهذا يؤخر لسنوات طويلة وربما لقرون ، انتصار مبادئ الديموقراطية في العالم ، ويسبب بصورة حتمية حروبا جديدة .

«كل الناس يتذكرون ايام نيسان (ابريل) وايار (مايو) حيث هددت حركة التآخي على جبهتنا بوضع حد للحرب وذلك بوقف العمليات الحربية بكل بساطة والسير ببلدنا الى صلح مهين ومنفصل . . تذكرون الجهود التي بذلت لافهام جنود الجبهة ان هذه الطريقة ليست تلك التي يجب على الدولة الروسية سلوكها بغية انهاء الحرب وضمان مصالحها . . .» .

وتكلم عن التأثير المدهش الذي تركه هجوم تموز ، وعن الوزن الذي اضفاه على كل كلمة ادلى بها السفراء الروس في الخارج ، وعن اليأس الذي خلقته في المانيا الانتصارات الروسية . ونوه ايضا الى خيبة الآمال التي اثارتها في البلدان الحليفة هزيمة الجيش الروسي .

«اما الحكومة الروسية فتتمسك بثبات بالصيغة التي تقدمت بها في شهر نيسان (ابريل) والقائلة : «الصلح بلا تعويضات ولا الحاقات» . ونحن نعتبر انه ليس من الضروري ان ننادي بحق الشعوب في تقرير مصيرها فحسب ، بل ايضا ان نعلن امتناعنا عن الاهداف الاستعمارية . . .» .

تقوم المانيا باستمرار بمحاولات لعقد الصلح . ولا يدور الكلام في المانيا الا حول قضية الصلح . ذلك لأن الالمان يعرفون انه ليس في وسعهم احراز النصر .

«انني ارفض اللوم الموجه الى الحكومة والقائل ان سياسة روسيا الخارجية لا تنوه باهداف الحرب بوضوح كاف . . .

واذا ظهر ثمة سؤال حول الاهداف التي يبتغيها الحلفاء ، فمن

الضرورى قبل كل شيء معرفة تلك التى اتفقت عليهـــا الدول المركزية . . .

غالبا ما يعبرون عن الرغبة فى ان ننشر كافة تفاصيـــل المعاهدات التى تربط بين الحلفاء ، ولكن الجميع ينسون اننا نجهل حتى اليوم المعاهدات التى تربط بين الدول المركزية . . .» .

ويزعم تيريشنكو ان المانيا تسعى بكل جلاء الى فصل روسيـا عن الغرب وذلك عن طريق اقامة سلسلة من الدول الحاجزة .

«علينا ان نعير اشد انتباهنا الى هذا الميل الهادف الى تسديد الضربة الى اكثر مصالح روسيا حيوية . . .

هل ستوافق الديموقراطية الروسية التى نقشت على علمها حق الشعوب فى تقرير مصيرها – على استمرار اضطهاد اكثر شعوب العالم ثقافة من قبل النمسا – المجر ؟ !

ان الذين يخشون من ان يحاول الحلفاء استغلال وضعنـــا الحرج ليحملونا عبئا اكبر فى الحرب وان يحلوا قضايا الصلح عـلى حسابنا ، ان هؤلاء وقعوا فى ضلال شديد . . . ان عدونا يرى فى روسيا سوقا لتصريف بضائعه . وقد يكون وضعنا بعد نهايـــة الحرب ضعيفا جدا ؛ اذ ان حدودنا قد تكون مفتوحة امام تدفـق البضائع الالمانية ، وهذا من شأنه ان يؤخر تطور صناعتنا لسنوات طويلة . علينا ان نتخذ اجراءات حازمة ضد احتمال كهذا . . .

انى اؤكد جهارا وبكل اخلاص بان ميزان القوى الذى يربطنـا بالحلفاء **ملائم لمصالح روسيا** . وعليه فمن المهم جدا ان تكون نظرتنا حول السلم والحرب منسجمة الى اقصى حد من الوضــوح والدقة مع وجهة نظر الحلفاء حول هاتين القضيتين . . . ولكـــى نتحاشى كل سوء تفاهم ، يتوجب على ان اعلن بصراحة بان عـــلى روسيا ان تعبّر فى اجتماع باريس عن **وجهة نظر موحدة** . . .» .

لم يشأ الخطيب ان يعلق على التوصيات المعطاة الى سكوبيليف ، ولكنه اشار الى بيان اللجنة الالمانية السكندينافية ، الذى نشر مؤخرا فى استوكهولم ، والذى طالب باستقلال الذاتى لليتوانيـــا ولاتفيا ، وقال : «ولكن هذا غير ممكن اطلاقا لان روسيـــا لا تستطيع الاستغناء عن المرافئ الموجودة على بحر البلطيق والتى لا تتجمد مياهها طوال السنة . . .

ان قضايا السياسة الخارجية مرتبطة فى هذا الامر مع قضايا

السياسة الداخلية ارتباطا وثيقا ، لأنه اذا وجد عندنا شعور قوى بوحدة روسيا الكبرى جمعاء ، فلا نشاهد المظاهرات المتكررة فى جميع انحاء روسيا والتى تدل على رغبة مختلف الاقوام فى الانفصال عن الحكومة المركزية . . . ان هذه النزعة الانفصالية معارضة لمصلحة روسيا ، ولا يستطيع النواب الروس ان يؤيدوها . . .» .

٩

الاسطول البريطانى (والخ)

لم يعتقد البلاشفة وحدهم اثناء معركة خليج ريغا البحرية ، بل ووزراء الحكومة الموقتة انفسهم ، اعتقدوا بان الاسطول البريطانى قد غادر نهائيا بحر البلطيق لغرض معين ، وان تصرفه هذا انما كان تعبيرا عن الرأى التالى الذى اعربت عنه الصحافة الانكليزية مرارا عديدة وبصورة علنية والذى ادلى به ممثلو بريطانيا فى روسيا بصورة شبه رسمية : «انتهينا من روسيا ، ولا لزوم لبذل الجهود من اجلها . . .» .

راجع حديث كيرنسكى (الملحق رقم ١٣ ص ٣٦٠-٣٦١) .

لقد كان الجنرال غوركو رئيسا لاركان الجيش الروسى ايام القيصر ، وشغل مركزا مرموقا فى القصر الامبراطورى الفاسد . وكان بعد الثورة احدى الشخصيات القلائل المنفية بسبب ماضيها السياسى والخاص . وصدف ان الهزيمة التى منى بها الاسطول الروسى فى خليج ريغا انما حدثت فى الوقت الذى جرى فيه الاستقبال الرسمى الذى اقامه الملك جورج فى لندن للجنرال غوركو ، الرجل الذى تعتبره الحكومة الروسية الموقتة بانه شديد الخطورة من حيث ميله لالمانيا ورجعيته !

١٠

نداءات ضد العصيان

«**الى العمال والجنود .**

ايها الرفاق ! ان قوى الظلام اخذت تضاعف نشاطها بغية اثارة **الفوضى والمجازر** فى الايام القريبة فى بتروغراد وفى المدن الاخرى . انها بحاجة الى الفوضى التى توفر لها فرصة اغراق الحركة الثورية كلها بالدم . انها تأمل بذريعة اعادة النظام المنتهك وحماية

حياة السكان ، ان تقيم انظمة كورنيلوف نفسها ، التى افلح الشعب الثائر فى سحقها مؤخرا . ويل للشعب اذا تحققت هذه الآمال ! ان الثورة المعادية المنتصرة ستقضى على السوفييتات وعلى لجان الجيش وتخنق الجمعية التأسيسية ، وتوقف تسليم الاراضى للفلاحين ، وتضع حدا لكل امل فى الصلح السريع وتملأ السجون بالجنود والعمال الثوريين .

ان اعداء الثورة ورجال «المائة السود» يعتمدون فى حساباتهم على التذمر العفوى بين الفئات غير المتنورة من الشعب والناجم عن الفوضى فى التموين ، واستمرار الحرب ، ومصاعب الحياة بشكل عام . انهم يأملون ان يحولوا كل مظاهرة للعمال والجنود الى مجزرة تفزع السكان المسالمين وترمى بهم الى احضان باعثى النظام .

ففى مثل هذه الظروف ، ستكون كل محاولة لتنظيم عصيان او مظاهرة الآن ، حتى ولو كانت لاكثر الاهداف ثورية ، رعونة مجرمة . ان جميع العمال والجنود الواعين ، غير الراضين عن سياسة الحكومة ، لن يسيئوا بالتالى الا الى انفسهم والى الثورة ، اذا سمحوا لانفسهم القيام بمثل هذه الاعمال . اذ ستكون اعمالهم هذه فى مصلحة الثورة المضادة .

ولهذا السبب ، فان التسيك تطلب من جميع العمال والجنود عدم تلبية اية دعوة للعصيان .

ايها العمال والجنود ! لا تستجيبوا للاستفزازات ! تذكروا واجبكم نحو بلدكم والثورة ! لا تشقوا وحدة الجبهة الثورية بالقيام باعمال لا يمكنها ان تتوج بالنجاح !

اللجنة المركزية التنفيذية لسوفييتات نواب العمال والجنود .»

«حزب العمال الاشتراكى الديموقراطى الروسى .
الخطر يقترب .
الى جميع العمال والجنود
(اقرأ هذا العدد وروّجه)

ايها الرفاق العمال والجنود ! الوطن فى خطر . ان حريتنا وثورتنا تواجهان اياما عصيبة . العدو على ابواب بتروغراد . والخراب يتزايد ساعة بعد اخرى . وحصول بتروغراد على الخبز

يصبح اصعب فأصعب . الجميع ، الجميع من الاصغر حتى الاكبر مطالبون بان يضاعفوا جهودهم ، عليهـــــم ان يعملوا لتحسين الوضع . . . سننقذ وطننا وننقذ حريتنا . . . السلاح والمؤن — للجيش ! الخبز — للمدن الكبيرة ! الأمن والنظام — للبلد اجمع !

فى هذه الايام الخطرة الحاسمة يروجون اشاعات بان انتفاضـــة تتهيأ فى مكان ما وان احدهم يحث الجنود والعمال على قطع حبـــل السلام والنظام الثوريين . . . ان صحيفة «طريق العمال» لسان حال البلاشفة ، تصب الزيت على النار ، انها تتملق العناصر غير المتنورة وغير الواعية ، انها تجهد لارضائهم ، انها تغوى العمـــال والجنود محرضة اياهم ضد الحكومة ومبالغـــة معهم فى الوعود الذهبية . . . فيؤمن بهـــا سريعو التصديق والجاهلون دون ان يفكروا . . ومن جهة اخرى ، تصل شائعات تقول بـــان قوى الظلام ، وخدم القيصر ، وجواسيس الالمان ، يفركون ايديهم فرحين . انهم على استعداد للانضمام الى البلاشفة لتحويل الفوضى الى حرب اهلية .

ان البلاشفة مع العمال والجنود الذين ضللوهم يصرخون بحمق : «لتسقط الحكومة ! كل السلطة للسوفييتات !» اما خدم القيصر الجهلة وجواسيس غليوم فسيرددون بعدهم : «اضربوا اليهود ! اضربوا التجار ! انهبوا الاسواق والمحلات ! دمّروا المصانـــــع والمخازن ! انهبوا مستودعات الخمور ! اقتلوا ، واحرقــــوا واسرقوا !» .

وستنجم عن هذا فوضى مرعبة ، بين نصف الشعب ونصفـــه الآخر ، وسيزداد الخراب اكثر فأكثر ، ومن المتوقع ان يسفك الدم مرة اخرى فى شوارع العاصمة . وماذا سيجرى بعد ذلك ؟

بعد ذلك ، ستكون طريق بتروغراد مفتوحة امام غليـــوم . وبعد ذلك لا يصل الخبز الى بتروغراد اطلاقا ، فيموت الاطفـــال جوعا . وبعد ذلك لا تلقى جيوش الجبهة الدعم ، وسيصبح اخواننا فى الخنادق عرضة لنيران العدو . وآنذاك تخسر روسيا كل اعتبار لها لدى البلدان الاخرى ، ويخسر نقدنا قيمته ، ويصبح كل شىء باهظ الثمن ، بحيث تغدو الحياة مستحيلة . ويؤجل انعقاد الجمعية التأسيسية لمدة طويلة ، لاستحالة انعقادها فى موعدها . وذلك يعنى فناء الثورة وفناء حريتنا . . .

أهذا ما تريدونه ايها العمال والجنود ؟ بالطبع لا ! اذن ، فاذا لم يكن هذا ما تريدون ، فروحوا وفتشوا عن الجهلة الذين غرر بهم الخداعون وقولوا لهم كل الحقيقة التى قلناها لكم !

ليعرف الجميع **ان كل من يدعوكم فى هذه الايام العصيبة للخروج الى الشوارع ضد الحكومة ، لا بد ان يكون اما عميلا سريا للقيصر ، استفزازيا ، واما مساعدا من دون وعى لاعداء الشعب ، واما جاسوسا قد رشاه غليوم .**

ان جميع العمال الثوريين الواعين ، وجميع الفلاحين الواعين ، وجميع الجنود الثوريين ، وجميع الذين يدركون مدى المحنة التى يمكن ان تسببها للشعب اعمال وانتفاضة معادية للحكومة ، مدعوون الى الاتحاد لكى يمنعوا اعداء الشعب من القضاء على حريتنا !

اللجنة الانتخابية فى بتروغراد للمناشفة الدفاعيين» .

١١

«رسالة الى الرفاق» للينين

ان هذه هى السلسلة من المقالات المنشورة فى اعداد متوالية من صحيفة «رابوتشى بوت» («طريق العمال») فى النصف الثانى من شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . انى اورد هنا مقتطفات من مقالتين فقط .

«. . . ليست لدينا الاكثرية بين الشعب ، وبدون هذا الشرط ، فان الثورة محكوم عليها بالفشل» . . .

ان القادرين على هذا الكلام ، اما انهم يشوهون الحقيقة ، او انهم ادعياء يريدون ، مهما كلف الامر ودون ان يأخذوا بالحسبان ظروف الثورة الحقيقية ، **ان** يحصلوا مسبقا على الضمانات بان للحزب البلشفى فى كافة البلاد تماما ، نصف الاصوات زائد صوت واحد . . .

واخيرا ، فان اكثر الوقائع اهمية فى حياة روسيا الحالية هى **انتفاضة الفلاحين** . . . ان حركة الفلاحين فى محافظة تامبوف كانت انتفاضة بالمعنى المادى والسياسى للكلمة ، انتفاضة اعطت نتائج سياسية ممتازة ، فى المقام الاول ، مثلا ، القبول بتسليم الارض للفلاحين . وليس عبثا ان جميع حثالة الاشتراكيين-الثوريين بما فى

ذلك صحيفة «ديلو نارودا» («قضية الشعب») اخذوا ، وقد روعتهم الانتفاضة ، **يزمجرون** الآن بانه من الضرورى كل الضرورة تسليم الارض للفلاحين ! . .

وهناك نتيجة سياسية وثورية رائعة اخرى لانتفاضة الفلاحين . . . هى – وصول الحبوب الى محطات السكك الحديدية فى محافظة تامبوف . . .

والثمار الرائعة لحل قضية الخبز **هذا** (وهو الحل الواقعى الوحيد) ، ان الصحافة **البرجوازية** اضطرت الى الاعتراف بها ، ومن ضمنها صحيفة «روسكايا فوليا» («الارادة الروسية») التى نشرت خبرا مفاده ان محطات سكة الحديد فى مقاطعة تامبوف ، تطفح بالحبوب . . . **بعد ان قام الفلاحون بانتفاضتهم** ! ! . .

«. . . نحن لسنا اقوياء لدرجة نستطيع معها الاستيلاء على السلطة ، ولكن البرجوازية ليست من القوة لدرجة تستطيع معها احباط الجمعية التأسيسية . . .» . . .

ليس القسم الاول من هذه الحجة سوى ترديد بسيط للحجة السابقة ، فهى لا تصبح اكثر قوة واقناعا اذا ما عبروا عن ارتباكهم من البرجوازية وخوفهم منها ، بالتشاؤم تجاه العمال ، والتفاؤل تجاه البرجوازية . واذا كان طلاب المدارس الحربية والقوزاق يقولون انهم سيقاتلون البلاشفة حتى آخر نقطة من دمائهم ، فان هذا يستحق الثقة التامة ؛ ولكن اذا كان العمال والجنود يعبرون عن ثقتهم التامة بالبلاشفة خلال مئات الاجتماعات ويؤكدون استعدادهم بان يضحوا بانفسهم فى سبيل نقل السلطة الى السوفييتات فانه «من المناسب» الا ننسى بان التصويت شىء والقتال شىء آخر !

ان تفكيرا مثل هذا معناه بالطبع ان الثورة «قد تم دحضها» غير اننا نتساءل ، ماذا يميز هذا «التشاؤم» الموجه بصورة غريبة ، عن الانحياز السياسى الى البرجوازية ؟ . .

وماذا اكدت مغامرة كورنيلوف ؟ لقد اكدت ان السوفييتات هى قوة حقيقية . . .

كيف يمكن التأكيد بان البرجوازية ليست قوية الى درجة تستطيع معها احباط انعقاد الجمعية التأسيسية ؟

اذا كانت السوفييتات **عاجزة** عن قلب البرجوازية ، فان ذلك **يعنى** ان البرجوازية قوية لدرجة كافية لاحباط انعقاد الجمعية التأسيسية ، لأنه لا احد يستطيع منعها فى ذلك . هل تصديق وعود كيرنسكى وشركائه ، وتصديق قرارات البرلمان التمهيدى المتملق ، جديران بعضو فى حزب بروليتارى وثورى ؟

ليست للبرجوازية فقط **القدرة** على احباط انعقاد الجمعية التأسيسية ، اذا لم تقلب الحكومة الحالية ولكنها تستطيع الوصول الى هذه النتيجة ايضا بصورة **غير مباشرة** ، وذلك بتسليمها **بتروغراد الى الالمان** ، وبفتحها **الجبهة** ، وبمضاعفتها اغلاق المعامل ، وبعرقلتها نقل **الحبوب** . . .

«. . . ان السوفييتات يجب ان تكون بمثابة مسدس ضاغط على صدغ الحكومة بغية مطالبتها بدعوة الجمعية التأسيسية والعدول عن مغامرات كورنيلوف» . . . العدول عن الانتفاضة **معناه** العدول عن شعار : «كل السلطة للسوفييتات» . . . منذ شهر ايلول (سبتمبر) والحزب يناقش قضية الانتفاضة . . .

العدول عن الانتفاضة معناه التخلى عن تسليم السلطة الى السوفييتات ومعناه «التنازل» عن كل آمالنا ، عن كل امانينا الى هذه البرجوازية الطيبة التى «وعدت» بدعوة الجمعية التأسيسية . . . **فاذا وضعت السلطة** بايدى السوفييتات ، عندها تصبح دعوة الجمعية التأسيسية **مضمونة** ونجاحها مضمونا . . .

(العدول عن الانتفاضة) معناه الانتقال السافر الى جانب ليبر ودان واضرابهما . . .

فاما الانتقال الى جانب ليبر ودان والعدول **الصريح** عن الشعار «كل السلطة للسوفييتات» واما الانتفاضة . ولا وسط بينهما .

«. . . لا تستطيع البرجوازية تسليم بتروغراد للالمان ، رغم ان رودزيانكو يريد ذلك ، لأنه ليست البرجوازية هى التى تحارب ، وانما بحارتنا الابطال» . . . لم يجر تجديد رئاسة الاركان العليا . . . والقادة هم من انصار كورنيلوف . . .

اذا **اراد** الكورنيلوفيون (وعلى رأسهم كيرنسكى ، لأنه كورنيلوفى ايضا) تسليم بتروغراد ، فانهم يستطيعون ذلك عن **طريقين** وحتى عن «**ثلاث**» طرق .

اولا : انهم يستطيعون فتح القطاع الشمالى من الجبهة البرية نتيجة خيانة القادة الكورنيلوفيين .

ثانيا : انهم يستطيعون ان «يتواطأوا» مع الاستعماريين الانكليز والالمان باتاحة حرية العمل للاسطول الالمانى بكامله وهو **أقوى** من اسطولنا . وبالاضافة الى ذلك يستطيـــع «الاميرالات الهاربون» كذلك ، تسليم **الخطط** الى الالمان .

ثالثا : انهم يستطيعون عن طريق اللجوء الى اغلاق المعامـــل وعرقلة وصول الحبوب ، ايصال جيوشنا الى **آخر درجة** من اليأس وانعدام القوة .

يجب الا نستبعد اية من هذه الطرق الثلاث . لقد برهنت الحقائق على ان الحزب القوزاقى البرجوازى الروسى ، سبق وقرع هذه الابواب الثلاثة كلها ، وسبق انه حاول فتحها . . . ليس لنا الحق **بالانتظار** حتى تخنق البرجوازية الثورة . . . ان رودزيانكو رجل عمل . . . **وخلال عشرات السنين** طبق بوفاء واخلاص سياسة رأس المال .

وماذا اذن ؟ ان التردد اذن فى قضية الانتفاضة بوصفها السبيل الوحيد لانقاذ الثورة ، **يعنى** الارتماء فى هذه الثقة الخسيسة نصف الليبردانية ، والاشتراكية-الثورية المنشفية ونصف الفلاحية الساذجة تجاه البرجوازية ، اى الثقة التى ناضل البلاشفة ضدها اكثر من غيرها .

«. . . نحن نقوى كل يوم ، نحن نستطيع دخول الجمعيـــة التأسيسية كقوة معارضة شديدة ، فلماذا نخاطر بكل شىء على ورق اللعب» . . .

حجة المتزمت ، الذى «قرأ» بان الجمعية التأسيسية ستنعقد والذى يطمئن الاطمئنان التام الى السبيـــل الدستورى المفرط فى الشرعية وفى الاخلاص .

من المؤسف فقط ان لا يحل **انتظار** الجمعية التأسيسيـــة ، لا قضية المجاعة ولا قضية تسليـــم بتروغراد . ولا ينسى هذا «التفصيل التافه» سوى السذج والحائرين او الذين استسلموا للخوف .

الجوع لا ينتظر . انتفاضة الفلاحين لم تكن لتنتظر . الحرب لا تنتظر . الاميرالات الهاربون لم ينتظروا . . .

والعميان يدهشون بعد ذلك ، كيف لا يبالى بالانتخابات الشعب الجائع والجنود الذين خانهم الجنرالات والاميرالات ! ياللحكماء !

«. . . لو بدأ الكورنيلوفيون من جديد لأريناهم عندئذ ! اما ان نبدأ نحن انفسنا ، فما نفع المخاطرة» ؟ . . التاريخ لا يعيد نفسه ، ولكن اذا نحن ادرنا له **الظهر** ، واذا رددنا ونحن متأملين مغامرة كورنيلوف الاولى : «اه ، لو يبدأ الكورنيلوفيون» ؛ اذا فعلنا ذلك ، كم ستكون رائعة هذه الستراتيجية الثورية ! . . واى تعليل جدى هذا للسياسة البروليتارية ؟

واذا **حدثت** فتن الجياع وخرقت الجبهة وسلمت بتروغراد ، **قبل ان يبدأ** الكورنيلوفيون ؟ فماذا بعد ذلك ؟

يطلبون الينا ان نقيم تاكتيك الحزب البروليتارى على تكرار محتمل لاحدى خطيئات الكورنيلوفيين السابقة !

لننس كل ما اثبته البلاشفة **واكدوه** مئات المرات ، ما اكده تاريخ ثورتنا خلال ستة اشهر ، اى انه **لا يوجد** موضوعيا مخرج آخر ، ولا يمكن ان يكون ثمة مخرج **غير** ديكتاتورية الكورنيلوفيين او ديكتاتورية البروليتاريا ، لننس هذا ، لنعدل عن كل هذا ، ولننتظر ! ننتظر ماذا ؟ ننتظر اعجوبة . . .» .

١٢

خطاب ميليوكوف

(مقتطفات)

«. . . ان الجميع على ما يبدو ، يعترفون بان مهمتنا الاساسية الحالية هى الدفاع عن دولتنا ولا بدّ لانجاح هذه المهمة من قيام الانضباط فى الجيش والنظام فى البلد كله . ومن الضرورى لتأمين هذه الشروط ان تتوفر لدينا سلطة قادرة على العمل ليس فقط عن طريق الاقناع ، بل عن طريق القوة ايضا . . . ان مصدر آلامنا جميعها هو وجهة نظر اصيلة وروسية محضة تتعلق بقضية السياسة الخارجية تطلق عليها عادة وجهة نظر اممية .

عندما يظن السيد لينين ان عالما جديدا يولد فى روسيا ، وانه هو الذى سيجدد الغرب الطاعن فى السن ايضا ، وان العالم الجديد هذا سيستعيض عن الراية الاشتراكية العقائدية القديمة ، بعمل جديد مباشر تقوم به الجماهير الجائعة ، عندما يظن ان هذا سيقدم الانسانية فورا الى امام ويفتح لها الابواب التى تفصلنا عن الجنة الاشتراكية ، فانه فى ذلك لا يفعل بالتالى سوى ان يقلد كيرنسكى . . .

ان هؤلاء الرجال اعتقدوا باخلاص بان تفكك روسيا سيؤدى الى تفكك العالم البرجوازى . وانطلاقا من وجهة نظرهم هذه ، فانهم قادرون على خيانة الدولة خيانة لاواعية زمن الحرب ، او على الايحاء الى الجنود ، بدون مبالاة ، ان يغادروا الخنادق وعوضا عن محاربة العدو ان يشعلوا نيران الحرب الاهلية فى الداخل ، وان يهاجموا الملاكين والرأسماليين . . .» .

هنا قاطع اليسار ميليوكوف بعنف . وطالب النواب بان يذكر اسماء الاشتراكيين الذين دعوا الى مثل هذه الاعمال .

«يقول مارتوف ان ضغط البروليتاريا الثورى باستطاعته وحده ان يقمع ارادة الزمر الامبريالية الشريرة ويهزمها وان يقضى على ديكتاتوريتها . . . وان هذه النتيجة لا يمكن الحصول عليها باتفاق بين الحكومات يتناول تحديد التسلح ، ولكن بتجريد هذه الحكومات نفسها من السلاح وتحويل الجهاز العسكرى تحويلا ديموقراطيا صورة جذرية . . .» .

وبعدما هاجم ميليوكوف مارتوف هجوما شرسا وجائرا ، انتقل الى اتهام المناشفة والاشتراكيين الثوريين بانهم ما اشتركوا فى الحكومة الا لغرض واحد ، هو خوض النضال الطبقى فى داخلها .

«ان اشتراكيى المانيا والدول الحليفة ينظرون الى هؤلاء السادة نظرة احتقار مكشوف تقريبا ؛ غير انهم قرروا ان هذا شأن روسيا ، ولذا فقد ارسلوا لنا بعض دعاة الحريقة العالمية .

ان شعار ديموقراطيينا الثوريين بسيط جدا : لا سياسة خارجية ولا مهارة ديبلوماسية ، صلح ديموقراطى فورى ثم توجيه النداء الى الحلفاء : «نحن لا نريد شيئا ، ليس لدينا غرض نقاتل فى سبيله» . وسيدلى اعداؤنا على الفور بنفس التصريح بدورهم ، وهكذا يتحقق الاخاء بين الشعوب» .

وسخر ميليوكوف من بيان زيميرفالد واعلن بان كيرنسكي نفسه لم يستطع التخلص من تأثير هذه «الوثيقة المشؤومة التى ستبقى الى الابد وثيقة اتهام ضدنا» . وبعد ذلك هاجم سكوبيليف ، زاعما ان موقفه كمندوب للحكومة فى مؤتمر باريس وبين الديبلوماسيين الاجانب سيكون معارضا للسياسة الخارجية التى تنتهجها حكومته وفى هذا ما فيه من الغرابة بحيث ان الجميع سيقولون «ماذا يريد هذا السيد ، وبما نستطيع ان نتحدث معه ؟» . اما فيما يتعلق بالتوصيات ، فقد اعلن ميليوكوف انه هو نفسه مسالم ، وانه يؤمن بضرورة انشاء محكمة دولية للتحكيم وبضرورة تحديد الاسلحة والاشراف البرلمانى على الديبلوماسية السرية ، الا انه لا يؤيد نتيجة لذلك ، القضاء التام على الديبلوماسية السرية .

اما بالنسبة الى افكار التوصيات الاشتراكية – «افكار استوكهولم» كما سمّاها (الصلح بدون انتصار ، حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، العدول عن الحرب الاقتصادية) ، فقد صرح ميليوكوف ما يلى :

«ان نجاحات المانيا متناسبة طرديا مع نجاحات اولئك الذين يسمون انفسهم الديموقراطية الثورية . لا اريد ان اقول مع «نجاحات الثورة» لأنى اعتقد ان هزائم الديموقراطية الثورية ، هى انتصارات للثورة بالذات . . .

ليس تأثير القادة السوفييت على ما حولنا ضعيفا كما قد يبدو . اذ يكفى للمرء ان يسمع خطاب وزير الخارجية حتى يقتنع بان تأثير الديموقراطية الثورية على السياسة الخارجية ، هو على درجة من القوة فى هذه القاعة ، بحيث ان الوزير لا يجروء امامها وجها لوجه ان يتكلم عن شرف روسيا وكرامتها .

نحن نستطيع ان نرى من توصيات السوفييتات ان صياغة افكار بيان استوكهولم كانت تجرى فى اتجاهين : اتجاه طوباوى واتجاه يمثل المصالح الالمانية» .

قاطع اليسار الخطيب بصرخات من الغضب ، واستدعاه رئيس المجلس لاختيار العبارات ، الاّ ان ميليوكوف ظل مصرا على ان اقتراح الصلح المقدم من المجالس الشعبية وليس من الديبلوماسيين ، اقتراح الدخول فى مفاوضات منذ ان يعلن العدو عدوله عن

الالحاقات انما يخدم المصالح الالمانيـــة . منذ وقت قريب قال كولمان ان تصريحا شخصيا لا يربط سوى الشخص الذى ادلى به . . . «وعلى كل حال ، فنحن من الافضل ان نقلد الالمان من ان نقلد سوفييتات نواب العمال والجنود» . . .

«اما بالنسبة الى الفقرات المتعلقة باستقلال ليتوانيا ولاتفيا ، فهى دليل على الدعاية للتعصب القومى التى يروجونها فى كافة انحاء البلاد والتى يدعمها المال الالمانى . . .» .

وبصرف النظر عن الضجيج المصم والصيحات المنطلقة مـــن مقاعد اليسار ، فقد شرع الخطيب بالمقارنة بين شروط التوصيات المتعلقة بالالزاس – اللورين ، ورومانيا ، وصربيا وبين تلـــك المتعلقة بالاقليات القومية فى المانيا والنمسا . ولخص ميليوكوف قائلا ان التوصيات تندود عن وجهة نظر النمسا والمانيا .

وانتقل ميليوكوف الى خطاب تيريشنكو ، فاتهمه بخسة بانه لم يجروء على ان يفصح عما كان يفكر به ، وحتى على ان يفكر فى التعابير التى تناسب عظمة روسيا . ان مضيق الداردانيل يجب ان يكون ملكا لروسيا . . .

«انكم ترددون دائما ان الجندى لا يعرف لماذا هو يحارب ، وانه لو عرف ذلك لحارب . . . صحيح ان الجندى لا يعرف لماذا هو يحارب ، ولكنكم قد قلتم له ان ليست ثمة اهداف يحارب فى سبيلها ، وانه ليست لدينا مصالح وطنية فى الحرب واننا نقاتل فى سبيل الآخرين . . .» .

وبعد ان قدم ميليوكوف الاجلال للحلفاء الذين بمساعـــدة اميركا ، على حد قوله ، «ينقذون الآن قضية الانسانية المشتركة» ، ختم كلامه بقوله : «عاش ضياء الانسانية – اى الديموقراطيات الغربية المتقدمة التى قطعت منذ زمن بعيد قسما من الطريق التى نخطو عليها اليوم فقط خطى مترددة وغير ثابتة ! عاش حلفاؤنـــا الشجعان !» .

١٣

حديث كيرنسكى

لقد جرب مراسل «الاسوشيتيد بريس» حظه فبدأ قائلا : «سيد كيرنسكى ، فى انكلترا وفرنسا خاب ظن الناس بالثورة . . .»

«نعم ، – قاطعه كيرنسكى بلهجة ساخرة ، – انى اعرف ذلك ، ولم تعد الثورة مألوفة فى الخارج» .

«ما هو سبب توقف روسيا عن القتال ؟» .

«سؤال سخيف ! – اجاب كيرنسكى متبرما – ان روسيا دخلت الحرب قبل سائر الحلفاء وتحملت وحدها كل اعبائها مدة طويلة . وكانت خسائرها اضخم بكثير من خسائر جميع الشعوب مجتمعة . ويحق لها الآن ان تطلب من الحلفاء ان يبذلوا قصارى جهدهم» . وتوقف لحظة محدقا بمحدثه : «انك تسأل لماذا توقف الروس عن القتال ؟ اما الروس فيتساءلون اين الاسطول البريطانى ، فى حين ان البوارج الالمانية تتجول فى خليج ريغا ؟» ومن جديد توقف قليلا وانفجر فجأة قائلا : «لم تهزم الثورة الروسية ، لم يهزم الجيش الثورى . ليست الثورة هى التى سببت تفسخ الجيش ، لقد حدث هذا التفسخ منذ وقت بعيد ، فى ظل النظام القديم ؛ لماذا لا يقاتل الروس ؟ انى سأقوله لك . لأن الجماهير الشعبية قد املقت اقتصاديا ولأن الحلفاء قد خيبوا آمالها !» .

لقد ارسل الحديث الذى اوردنا هنا مقتطفات منه ، برقيا الى الولايات المتحدة ، الا ان وزارة الخارجية الاميركية اعادته بعد بضعة ايام طالبة «تعديله» فرفض كيرنسكى ذلك ، غير ان امين سره الدكتور دافيد سوسكيس ، اجرى هذا التعديل وبهذا الشكل الجديد جرى نقله الى الصحافة العالمية بعد ان حذفت منه العبارات التى لم تطب للحلفاء .

الفصل الثالث

١

«قرار الكتلة البلشفية الذى اتخذه مؤتمر عامة روسيا للجان المصانع والمعامل بعد استماعه الى تقرير الرفيق لارين

١

١ – ان الطبقة العاملة تسعى ، بعد ان اطاحت بالنظام القيصرى ، الى ان تنتصر المبادئ الديموقراطية فى ميدان نشاطها الانتاجى . وهى تعبر عن سعيها هذا ، فى فكرة رقابة العمال على الانتاج ، هذه الفكرة التى ظهرت بصورة طبيعية تماما ، فى ظروف

الخراب الاقتصادى الذى خلقته الطبقات المسيطرة بسياستها المجرمة .

٢ – ان تنظيم الرقابة العمالية هو التعبير السليم عن مبادرة العمال فى ميدان الانتاج شأنه شأن تنظيم النشاط الحزبى فى الميدان السياسى ، وتنظيم النقابات فى ميدان علاقات العمل والاجور ، وتنظيم التعاونيات فى الميدان الاستهلاكى ، وتنظيم الاندية فى الميدان الثقافى .

٣ – ان للعمال مصلحة اكبر فى تنظيم عمل المؤسسات تنظيما صحيحا وبصورة متواصلة مما لاصحاب هذه المؤسسات . فوجود الرقابة العمالية يؤمن من هذه الناحية مصالح المجتمع الحديث باكمله ، مصالح الشعب اجمع ، بصورة افضل مما كانت تؤمنها ارادة اصحاب هذه المؤسسات التعسفية وحدها ، المنطلقين من فائدتهم المغرضة المادية . وعليه ، فان اشراف العمال ليس مجرد مطلب للبروليتاريا ، بل يشكل مصلحة البلد كافة ، ويجب بالتالى ان يؤيده الفلاحون الثوريون والجيش الثورى .

٢

٤ – نظرا للموقف السلبى الذى وقفته اغلبية الرأسماليين من الثورة يكون توزيع المواد والوقود الصائب ، وادارة الاعمال الطبيعية امرا مستحيلا بدون الرقابة العمالية ، كما دلّت عليه الخبرة المتوفرة .

٥ – ان رقابة المعال على المؤسسات الرأسمالية وحدها ، اذ تثبت الموقف الواعى من وظائف العمل وتوضح اهميته الاجتماعية ، قادرة على تهيئة الظروف الملائمة لوجود الانضباط الذاتى الراسخ فيما بين العمال ، ولتطوير انتاجية العمل الممكنة .

٦ – ان الانتقال الوشيك للاقتصاد الى الحالة السلمية واعادة توزيع القوى العاملة من جديد لهذا السبب بين المؤسسات ، على نطاق البلد كله ، لا يمكن القيام بهما بدون هزّات خطرة الا مع وجود التسيير الذاتى الديموقراطى من جانب العمال انفسهم فيما يتعلق بمعاملتهم كاشخاص فى اعادة توزيع القوى العاملة . وعليه ، فان تحقيق الرقابة العمالية هو احد الشروط التمهيدية الاكثر الزامية من اجل نقل الصناعة الى العمل السلمى .

٣

٧ – ان شعار «الرقابة العمالية على نطاق الدولة كلها» ، الذى تقدم به حزب البروليتاريا الروسية السياسى ، حزب العمال الاشتراكى-الديموقراطى الروسى (البلشفى) ، يعنى ان هذه الرقابة العمالية يجب ان تكون شاملة جميع المؤسسات الرأسمالية وغير عرضية ، ان تكون منظمة وليست عفوية ، وان تكون منهجية وغير منفصلة عن حياة البلد الاقتصادية ككل .

٨ – ويجب ان تخضع حياة البلد الاقتصادية : الزراعة ، الصناعة ، التجارة والنقليات على السواء ، لخطة واحدة جرى وضعها لتلبية الحاجات الشخصية والاقتصادية لجماهير الشعب الواسعة ، وتمّ اقرارها من قبل ممثليها المنتخبين ، ومنفّذة باشراف هؤلاء الممثلين فى شخص مؤسسات الدولة والمؤسسات المحلية المناسبة المكلّفة بتنفيذ هذه الخطة الاتصادية .

٩ – ان القسم من الخطة المتعلق بالزراعة يجرى تحقيقه باشراف منظمات الفلاحين والعمال الزراعيين ، اما قسمها المتعلق بالمؤسسات القائمة على العمل المأجور فى الصناعة والتجارة والنقليات فيتحقق باشراف العمال ، مع العلم ان هيئات الرقابة العمالية الطبيعية داخل المؤسسات هى لجان المصانع والمعامل وغيرها من اللجان المناسبة لها ، كما تقوم النقابات بهذه الرقابة فى سوق العمل .

٤

١٠ – ان العقود الجماعية حول التعريفات التى تبرمها النقابات من اجل القسم الاكبر من عمال فرع من الفروع الانتاجية يجب ان يتقيّد بها جميع ارباب العمل فى هذا الفرع فى المنطقة المعنية .

١١ – تنتقل بورصات العمل تحت اشراف النقابات ، كمنظمات طبقية للبروليتاريا تعمل فى حدود الخطة الاقتصادية العامة وبانسجام مع هذه الخطة .

١٢ – يجب اعطاء النقابات الحق فى اثارة القضايا امام المحاكم اذا رأت ذلك ضروريا فيما يتعلق بكل انتهاك لعقد العمل والتشريع والمعامل والنقابات فيما يتعلق بالرقابة العمالية فى المنطقة العمالى تجاه اى عامل كان فى فرع العمل المعنى .

١٣ – وبخصوص جميع المشاكل المتعلقة بالرقابة العمالية على

الانتاج والتوزيع وسوق العمل يتوجب على النقابات ان تتصل بالعمال المشتغلين فى مؤسسة معينة عن طريق اللجنة النقابية فى هذه المؤسسة .

١٤ – ان النظام الداخلى ومسائل قبول وتسريح العمال ومنح الاجازات وتحديد التعريفات وتقدير جودة المنتجات ودرجة المهارة والقدرة على العمل ووجود الاسباب المعللة لالغاء عقد العمل والمجادلات مع الادارة وغيرها من المشاكل الخاصة بالحياة الداخلية فى المؤسسات ، يجب حلّها بعد اقامة الرقابة العمالية بالاتفاق مع لجنة المؤسسة ، وبموجب قراراتها التى يجب اعطاؤها كذلك حقّ الطعن بجميع افراد ادارة المؤسسة .

١٥ – وتشكل لجنة المصنع او المعمل لجنة المراقبة بغية الاشراف على صحة تزويد المؤسسة بالمواد والوقود والطلبيات وتأمين العمال والقوى التكنيكية لها (بما فى ذلك التجهيزات الضرورية) وتزويدها بما تحتاج اليه من الادوات وعلى اتخاذ التدابير الضرورية ، وكذلك بغية الرقابة على انسجام نشاط المؤسسة كله والخطة الاقتصادية العامة . وعلى ادارة المؤسسة ان تحيط المراقبين من العمال علما بجميع المعطيات ، وان تقدم لهم امكانية مراقبة هذه المعطيات ، وان تضع تحت تصرفهم جميع اضبارات المؤسسة .

١٦ – وفيما اذا اكتشفت الرقابة العمالية اشياء غير صائبة او مشكوك فيها ولا يمكن تصحيحها او استيضاحها بقوى ووسائل عمال مؤسسة على حدة لجأت لجنة المصنع او المعمل الى مساعدة اجتماع لجان جميع المصانع والمعامل فى الفرع الانتاجى المعين فى المنطقة المعنية ، الذى يثير قضية اتخاذ كل التدابير الضرورية حتى حجز المؤسسة التام ضمنا ، وذلك امام الهيئات المكلفة بمهمة تنفيذ الخطة الاقتصادية .

١٧ – ان اتحاد لجان المصانع والمعامل يجب ان يتحقق حسب الفروع الانتاجية بقصد تسهيل الرقابة على فرع صناعى بأكمله ، بمعنى تنسيق عمل هذا الفرع مع الخطة الصناعية العامة ، وبمعنى الاصوبية العملية لتوزيع الطلبيات والمواد والوقود والقوى التكنيكية والعاملة ، وكذلك من اجل تسهيل النشاط المشترك مع النقابات التى تنظم حسب الفروع الانتاجية .

١٨ – ان مجالس المدن العامة للنقابات ، ولجان المصانع والمعامل تمثل البروليتاريا فى مؤسسات الدولة والمؤسسات المحلية الخاصة بوضع وتنفيذ الخطة الاقتصادية وبتنظيم التبادل بين المدينة والريف وتقوم بوظيفة الادارة العليا تجاه لجان المصانع والمعامل والنقابات فيما يتعلق بالرقابة العمالية فى المنطقة المعنية ، وتصدر القواعد الالزامية حول انضباط العمال فى ميدان الانتاج التى يتم اقرارها باقتراع العمال العام .

١٩ – فالمؤتمر اذ يطالب بالرقابة العمالية على نطاق الدولة ، يدعو الرفاق الى تحقيقها منذ الآن بالقدر الذى يتيح ذلك ميزان القوى فى الاماكن ، ويعلن كذلك استئثار العمال ببعض المؤسسات امرا لا يتفق واهداف الرقابة العمالية» * .

٢

اقوال الصحافة البرجوازية حول البلاشفة

«روسكايا فوليا» («ارادة روسيا») فى ٢٨ (١٥) تشرين الاول (اكتوبر) : «ان اللحظة الحرجة تقترب . الحرجة بالنسبة للبلاشفة . فاما ان يقدموا لنا . . . نسخة ثانية عن احداث ٣–٥ تموز (يوليو) ، واما ان يضطروا الى الاعتراف بانهم قد منوا بالهزيمة التامة فيما يخص مخططاتهم ومساعيهم وسياستهم الوقحة ، سياسة القطيعة مع جميع العناصر الوطنية الواعية .

وما هو نصيب البلاشفة فى النجاح ؟

من الصعب الاجابة عن هذا السؤال اذ ان أهم ما يعتمد عليه البلاشفة هو . . . جهل جماهير الشعب . فهم يضاربون بهذا الجهل ويستغلونه فى ديماغوجيتهم اللامتناهية . . .

وعلى الحكومة ان تتدخل فى هذا الامر . فبالاستناد الى التأييد المعنوى من قبل مجلس الجمهورية يجب ان تقف موقفا مناهضا للبلاشفة . . .

واذا أثار البلاشفة تمرّدا على السلطة الشرعية ، مما يهيئ امكانية الغزو الالمانى ، فمن الضرورى معاملتهم معاملة الخونة والمتمردين . . .» .

* الفقرة التاسعة عشرة غير واردة فى كتاب جون ريد . **المحرر** .

«**بيرجيفييه فيدوموستى**» («انباء البورصـــــة») فى ٢٨ (١٥) اكتوبر : «الآن وقد عزل البلاشفـــة انفسهـــم عن سائر القوى الديموقراطية اصبح النضال ضدهم امرا اسهل بكثير ، وليس من الحكمة ، بالنسبة لهذا النضال ، انتظار نشاط من جانبهم . بل بالعكس ، يجب على الحكومة ان لا تتيح الفرصـــة لمثـــل هذا النشاط . . .

ان دعوات البلاشفة للانتفاضة والفوضى هى اعمال تعاقب عليها محاكم الجنايات . وحتى فى اكثر البلدان حرية ، يعاقب اصحاب هذه الدعوات اشد عقاب . اذ أن ما يفعله البلاشفة ليس نضالا سياسيا ضد الحكومة او من اجل السلطة ، بل هو دعوة للفوضى والمجازر والحرب الاهلية . فيجب القضاء على مثل هذه الدعوة من جذورها ؛ ومن الغريب انتظار بداية المجازر الفعلية ، بغية بدء النضال ضد الدعوة للمجازر . . .» .

« **نوفويه فريميا**» («الازمنة الحديثة») فى ١ تشرين الثانـــى (نوفمبر) (١٩ اكتوبر) : «. . . لماذا يقلق بال الحكومة تاريخ ٢٠ اكتوبر فقط ، ولا يقلقهـــا ٢٠ ايلول (سبتمبر) او ٣٠ آب (اغسطس) . وتحترق روسيا وتتهدم منـــذ حين ويكوى الدخان المتصاعد من هذا الحريق الرهيب عيون حلفائنا منذ وقت بعيد .

«وهل اصدرت حكومتنا خلال هذه الفترة ولو توجيها واحدا يهدف الى وضع حدّ للفوضى ، وهل حاول أحدهم اطفاء الحريق الذى شمل روسيا قاطبة ؟

«وهل انتبه أحدهم الى ذلك ؟

لقد اخترعت الحكومة لنفسها مهمة اكثر الحاحا . فكانت تقمع العصيان (عصيان كورنيلوف) الذى يتساءلون حولـــه حتى الآن قائلين : «ترى هل كان هذا العصيان ام لا ؟» . . .» .

٣

اقوال الصحافة الاشتراكية المعتدلة حول البلاشفة

«**ديلو نارودا**» («قضية الشعب») (صحيفة الاشتراكيين-الثوريين) فى ٢٨ (١٥) تشرين الاول (اكتوبر) : «ان اشنع جريمة ارتكبهـــا البلاشفة بحق الثورة هى انهم ينسبون جميع المصائب القاسية التى

تعانيها الجماهير الى محض سوء نوايا الحكومة الثورية ، مع العلم بان لهذه المصائب اسبابا موضوعية .

يعد البلاشفة الجماهير بجبال من ذهب مدركين انهم لن يستطيعوا تحقيق ولو وعد واحد من وعودهم ؛ انهم يقودون الجماهير على طريق مضلّة ، ويخدعونها فيما يتعلق باسباب جميع الصعوبات . . .

ان البلاشفة هم أكثر اعداء الثورة خطرا . . .» .

«ديين» («اليوم») (الصحيفة المنشفية) فى ٣٠ (١٧) اكتوبر :

«هل هذا هو «حرية الصحافة» ؟ تدعو «نوفايا روس» («روسيا الجديدة») و«رابوتشى بوت» («طريق العمال») كل يوم وبشكل سافر الى العصيان . وترتكب ، كل يوم ، هاتان الصحيفتان جرائم حقيقية على صفحاتها . وتدعوان ، كل يوم ، الى المذابح . . . أهذا هو «حرية الصحافة» ؟

يجب ان تدافع الحكومة عن نفسها وعنّا . ويحق لنا ان نطالب بألاّ يظلّ الجهاز الحكومى عاطلا فى الوقت الذى تتهدد فيه حياة المواطنين بخطر المذابح الدامية» .

٤

«يدينستفو» («الوحدة»)

كفّت صحيفة بليخانوف «يدينستفو» عن الصدور بعد بضعة اسابيع منذ استيلاء البلاشفة على السلطة . وخلافا للشائعات الرائجة لم تلغ الحكومة السوفييتية هذه الصحيفة : ففى عددها الاخير نشر بلاغ يقول : ان الصحيفة تكفّ عن الصدور بسبب قلّة المشتركين . . .

٥

هل كان البلاشفة متآمرين ؟

نشرت الصحيفة الفرنسية «Entente» («الوفاق») الصادرة فى بتروغراد مقالا فى ١٥ (٢) تشرين الثانى (نوفمبر) جاء فيه :

«ان حكومة كيرنسكى تتشدق وتتردد . أما حكومة لينين وتروتسكى فتعمل وتهاجم .

يسمون هذه الاخيرة بحكومة المتآمرين . ولكن هذا خطأ . حكومة مغتصبين ، طبعا ، شأنها شأن كل حكومة ثورية انتصرت على خصومها وليست حكومة متآمرين !

كلا ! فليس هؤلاء متآمرين . انهم لا يعملون فى الخفاء . بل على العكس ، يعملون بجرأة وبشكل سافر ودون أن يمضغوا الكلمات وان يخفوا نواياهم . انهم يقومون بالدعاية السافرة ، التى تعززها الدعاية فى المصانع والثكنات والجبهة وفى جميع انحاء البلاد – فى كل مكان ، حتى انهم حدّدوا سلفا وعلى المكشوف يوم الانتفاضة المسلحة ، يوم استيلائهم على السلطة . . .

وهم متآمرون ؟ ابدا !» .

٦

نداء اللجنة المركزية للجيش ضد الانتفاضة

«. . اننا نصر قبل كل شيء على التنفيذ الدائب لارادة اغلبية الشعب المنظمة التى تعبر عنها هيئة السلطة الشعبية الا وهى الحكومة الموقتة ، بالاتفاق مع مجلس الجمهورية والتسيك . . .

وكل محاولة للاطاحة بهذه السلطة عن طريق العنف ، فى الوقت الذى ستسفر الازمة الحكومية فيه لا محالة عن التشويش والخراب والحرب الاهلية فى البلد ، سيقف الجيش منها موقفه من العمل المضاد للثورة وسيقمعها بقوة السلاح . . .

ان مصالح جميع الفئات والطبقات على حدة يجب ان تخضع لمصلحة واحدة مشتركة هى رفع انتاجية صناعتنا وتوزيع جميع المواد الضرورية الاولية توزيعا عادلا . . .

وجميع الذين يميلون الى اعمال التخريب والفوضى ، وجميع الهاربين من الجبهة وجميع قطاع الطرق والمستهترين يجب اجبارهم على القيام باعمال صعبة فى مؤخرة الجيش . . .

ونقترح على الحكومة الموقتة انشاء فصائل العمل الخاصة من منتهكى ارادة الشعب واعداء الثورة هؤلاء واجبارهم على العمل فى المؤخرة وفى الجبهة وفى الخنادق تحت رصاص العدو . . .» .

٧

احداث ليلة ٧ نوفمبر (٢٥ اكتوبر)

بدأت ، فى المساء ، فصائل من الحرس الاحمر باحتلال مطابع الصحافة البرجوازية ، حيث طبعوا بعد ذلك مئات آلاف من نسخ «رابوتشي بوت» («طريق العمال») و«سولدات» («الجندى») ومختلف البلاغات . وصدرت الاوامر الى ميليشيا البلدية باخلاء ابنية المطابع من رجال الحرس الاحمر ولكنها وجدتها محصّنة بالمتاريس ومحمية من قبل رجال مسلحين . والقوات التى تلقت الامر بالهجوم على المطابع رفضت تنفيذه .

وحوالى منتصف الليل ، تقدّم عقيد مع فصيلة من اليونكر الى نادى «ذوى الافكار الحرة» لاعتقال محرر «رابوتشى بوت» . وفى الحال تجمّعت جماهير غفيرة فى الشارع وهدّدت بمعاقبة اليونكر اعتباطا . لم يكن امام العقيد سوى وسيلة ، هى ان يرجو اعتقاله واعتقال اليونكر معه وان يساقوا لغرض سلامتهم الى قلعة بطرس وبولس ، وقد حققت رغبته .

وفى الساعة الواحدة ليلا ، احتلت فصيلة من الجنود والبحارة مركز البرق * . وفى الساعة الواحدة وخمس وثلاثين دقيقة احتلت دار البريد ، وعند الصباح الفندق العسكرى ، وفى الخامسة صباحا مركز التلفون ** . وفى الساعة العاشرة صباحا تمّ تطويق قصر الشتاء .

الفصل الرابع

١

احداث ٧ تشرين الثانى (نوفمبر) اى ٢٥ اكتوبر

منذ الساعة الرابعة ليلا وحتى الصباح مكث كيرنسكى فى بتروغراد ، فى بناية اركان الجيش العامة التى كان يوجّه منها اوامره الى وحدات القوزاق والمدارس العسكرية الموجودة فى المدينة

* تم الاستيلاء على مركز البرق فى الساعة الثانية ليلا . **المحرر** .

** تم الاستيلاء على مركز التلفون فى الساعة السابعة صباحا . **المحرر** .

وضواحيها . غير ان جميع هذه الوحدات اجابت بانها لا تستطيع ان تقوم باى عمل .

وكان العقيد بولكوفنيكوف ، آمر الموقع ، يتنقل كالمكوك بين اركان الجيش العامة وقصر الشتاء ، وكان ، على ما يبدو ، لا يحمل اية خطة للعمل . واصدر كيرنسكى امرا بفتح الجسور * ؛ وخلال ثلاث ساعات لم يتخذ اى تدبير تنفيذا لأمره ، ثم ذهب ضابط واحد بمبادرته الخاصة ، وبرفقة خمسة جنود الى جسر نيقولاييفسكى ، وطرد فصيلة من الحرس الاحمر كانت تحمى الجسر وفتحه . ولكنه ما ان توجّه الى جسر آخر حتى جاء نفر من البحارة واغلق الجسر من جديد .

واصدر كيرنسكى امرا باحتلال بناية مطبعة صحيفة «رابوتشى بوت» . ووعدوا الضابط المكلف بتنفيذ هذا الامر بوضع فصيلة من الجنود تحت امرته ، وبعد ساعتين وعدوه بفصيلة من اليونكر ثم نسوا الامر كليا .

وجرت محاولة استرجاع دار البريد والبرق من ايدى البلاشفة ؛ ولكن ما ان دوّت عدة طلقات نارية حتى اعلن جنود الفصيلة التابعة للحكومة عن عدم رغبتهم فى مقاومة السوفييتات .

فقد صرّح كيرنسكى لوفد اليونكر : «بصفتى رئيس الحكومة الموقتة والقائد الاعلى ، فاننى لا اعرف شيئا ولا استطيع ان انصحكم شيئا . الا أننى بوصفى ثوريا قديما ، ادعوكم ايها الثوريون الشباب ، الى ان تبقوا فى مراكزكم وان تدافعوا عن مكاسب الثورة» .

امر كيشكين المؤرخ فى ٧ نوفمبر (٢٥ اكتوبر)

«ينص المرسوم الصادر عن الحكومة الموقتة على ما يلى : عهدت الى عضو الحكومة الموقتة كيشكين صلاحيات استثنائية لاعادة النظام الى العاصمة وللدفاع عن بتروغراد ضد جميع الاعمال الفوضوية بغض النظر عن مصدرها ، مع اخضاع السلطات العسكرية والمدنية له» .

---

* تفتح الجسور فى بتروغراد عموديا قسمين من اجل السماح بمرور المراكب على نهر نيفا . **المحرر** .

«استنادا الى الصلاحيات المعهودة الىّ من الحكومة الموقتة اعلن تجريد العقيد بولكوفنيكوف ، قائد منطقة بتروغراد العسكرية ، من وظائفه» .

نداء الى المواطنين
من نائب رئيس الحكومة الموقتة كونوفالوف
المؤرخ فى ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر)

«ايها المواطنون ! انقذوا الوطن والجمهورية والحرية ! لقد نظّم المجانين انتفاضة ضد سلطة الدولة الوحيدة التى اقامها الشعب حتى انعقاد الجمعية التأسيسية ، اى ضد الحكومة الموقتة . ان اعضاء الحكومة الموقتة يقومون بواجبهم باقين فى مراكزهم ، وسيواصلون عملهم لخير الوطن ومن اجل استتباب النظام وعقد الجمعية التأسيسية فى الوقت المعين ، التى هى السيد المقبل للارض الروسية ولجميع الشعوب القاطنة فيها .

ايها المواطنون ، عليكم ان تقدموا مساعدتكم للحكومة الموقتة ، وان تدعموا سلطتها . ويجب ان تعارضوا المجانين الذين انضم اليهم جميع اعداء الحرية والنظام وانصار نظام الحكم القديم ، فى سعيهم الى احباط الجمعية التأسيسية ، والى القضاء على جميع مكاسب الثورة وكل مستقبل وطننا العزيز .

ايها المواطنون ! التفوا حول الحكومة الموقتة دفاعا عن سلطتها الموقتة باسم النظام وسعادة جميع شعوب وطننا العظيم .

٢٥ اكتوبر ١٩١٧» .

برقية الحكومة الموقتة

«. . . أعلن سوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود ان الحكومة الموقتة قد اسقطت ، وعليه فقد طالبها بتسليمه السلطة الحكومية باكملها مهدّدا بقصف قصر الشتاء بمدافع قلعة بطرس وبولس والطرادة «افرورا» الراسية فى مياه نهر نيفا .

ان الحكومة لا تستطيع ان تتخلى عن سلطتها الا الى الجمعية التأسيسية ، وعليه فقد قررت عدم الاستسلام ، واللجوء الى حماية الشعب والجيش ، وافادت مقر القيادة العليا عن ذلك برقيا . وردّا على هذا ، أخبرت القيادة العليا عن ارسال فصيلة عسكرية .

فليرد البلد والشعب على محاولة البلاشفة الحمقاء فى اثارة تمرّد فى مؤخرة الجيش المحارب !

٢٥ اكتوبر . الساعة التاسعة ليلا» .

حوالى الساعة التاسعة صباحا توجه كيرنسكى الى الجبهة . . . *

عند المساء ، تقدم جنديان جاءا على دراجتين ، الى مقر الاركان العامة للجيش واعلنا عن نفسيهما بانهما مندوبان عن قلعة بطرس وبولس . ودخلا قاعة الاجتماعات حيث يجتمع كيشكين وروتنبرغ وبالتشينسكى والجنرال باغراتونى والعقيـــد باراديلوف والكونت تولستوى وطلبا استسلام الاركان فورا مهددين بقصف مقر الاركان فى حالة الرفض . . . وبعد اجتماعين عقدا فى جو من الذعر انسحبت الاركان العامة الى قصر الشتاء . فاستولى الحرس الاحمر على مقر الاركان . . .

وفى ساعة متأخرة من بعد الظهر ، كانت عدة سيارات مصفحة تابعة للبلاشفة تطوف فى ساحة القصر ، وحاول الجنود الموالون للسوفييتات التفاوض مع اليونكر ، ولكن بدون جدوى . . .

بدأ اطلاق النار على القصر حوالى الساعة السابعة مساء . . .

وعند الساعة العاشرة مساء ، بدأ قصف المدفعية ، غير ان معظم القنابل كانت فارغة ، ولقد اصابت ثلاث قنابل ذات عيار صغير ، واجهة القصر .

٢

نهب قصر الشتاء

انى لا ادعى بان قصر الشتاء لم يتعرض للنهب . غير انـــه تجدر الاشارة الى ان سرقات عديدة وقعت قبل سقوط القصر ، لا بعده فقط . الا ان مزاعم صحيفة الاشتراكيين-الثوريين «نارود» («الشعب») وبعض اعضاء مجلس الدوما البلدى القائلة بان الاشياء الثمينة التى سرقت تقدر قيمتها ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ (خمسمائة مليون) من الروبلات ، مبالغ فيها كثيرا .

كانت اهم كنوز القصر الفنية — لوحات ، تماثيل ، سجاد ، اوان صينية ، مجموعات سلاح قديم — قد ارسلت الى موسكو فى

* فى الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ صباحا ، غادر كيرنسكى بتروغراد الى الجبهة «ليستقبل» القوات التى استدعاها . **المحرر** .

شهر ايلول (سبتمبر) ، وكانت ما تزال محفوظة فى حالة جيدة فى اقبية قصر الكرملين الكبير عندما شاهدتها بام عينى وذلك بعد إستيلاء البلاشفة على الكرملين بعشرة ايام . . .

غير ان بعض الاشخاص وهم من المواطنين بشكل عام الذين سمح لهم بالتجول بحرية فى قصر الشتاء خلال عدة ايام بعـــد سقوطه ، سرقوا بعض الاوانى الفضية والساعات واغطية الاسرة والمرايا وبعض الاوانى الصينية والاحجار ذات قيمة متوسطة ، وتقدر قيمة مجموع ما سرق بـ٥٠٠٠٠ روبل تقريبا .

لقد شكلت الحكومة السوفييتية فى الحال لجنة من الفنيين وعلماء الآثار عهدت اليها بالبحث عن الاشياء المسروقة بغية ارجاعها . ولذا فقد اصدرت اللجنة فى ١٤ (١) تشرين الثانى (نوفمبر) الندائين التاليين :

«الى مواطنى بتروغراد !

نرجو بالحاح من كافة المواطنين بذل جهودهم فى البحث عن الاشياء المسروقة من قصر الشتاء ليل ٢٥ الى ٢٦ تشرين الاول – اكتوبر (٧ الى ٨ تشرين الثانى – نوفمبر) وارسالها الى قيم قصر الشتاء .

ان الذين يشترون هذه المسروقات وكذلك اصحاب محلات الآثار الذين توجد فى حوزتهم ، يعتبرون مسؤولين تحت طائلـــة القانون وسيعاقبون بقساوة .

المفوضان المسؤولان عن حماية المتاحف والقيم الفنية

غ . ياتمانوف وب . ماندلباووم» .

«الى كافة لجان الجيش والاسطول

فى ليل ٢٥ الى ٢٦ تشرين الاول – اكتوبر (٧ الى ٨ تشرين الثانى – نوفمبر) ، سرقت تحف فنية ثمينة من قصر الشتاء ، الذى هو ملك الشعب الروسى .

اننا نناشدكم جميعا بذل كل المجهودات اللازمة بغية اعادة الاشياء المسروقة الى القصر .

المفوضان – **غ . ياتمانوف وب . ماندلباووم» .**

جرت استعادة نصف المسروقات تقريبا ، ووجد بعضها بين امتعة اشخاص من الاجانب وهم يغادرون روسيا .

عقد اجتماع من الفنيين وعلماء الآثار ، بدعوة من سمولنى ، وكلفت لجنة بجرد كنوز قصر الشتاء وكافة مجموعات بتروغراد الفنية ومتاحف الدولة .

وفى ١٦ (٣) تشرين الثانى (نوفمبر) منع الجمهور من دخول القصر ، فيما كانت اللجنة تقوم بجرد محتوياته .

وفى منتصف تشرين الثانى (نوفمبر) ، صدر مرسوم خاص عن مجلس مفوضى الشعب محولا اسم قصر الشتاء الى «متحف الشعب» وواضعا اياه تحت اشراف لجنة من الفنيين وعلماء الآثار ومانعا كل نشاط حكومى او سياسى فيه .

٣

حول الاعتداء على الكتيبة النسائية

ما ان جرى الاستيلاء على قصر الشتاء ، حتى بدأت الصحافة المعادية للبلاشفة تنشر انواعا من القصص المثيرة وقد رويت كذلك فى اجتماعات مجلس الدوما البلدى حول الكتيبة النسائية التى ساهمت فى الدفاع عن القصر . قيل ان عددا من الفتيات الجنديات قد القى بهن الى الشارع من خلال النوافذ ، وان معظمهن قد اغتصبن ، وان العديدات قد انتحرن اذ لم يحتملن الفظائع التى تعرضن لها .

لقد عيّن مجلس الدوما البلدى لجنة تحقيق خاصة ، توجهت الى ليفاشوفو ، المقر العام للكتيبة النسائية ، وعادت هذه اللجنة من هناك فى ١٦ (٣) تشرين الثانى (نوفمبر) . فروت السيدة تيركوفا ان الفتيات قد اخذن فى بادىء الامر الى ثكنات فوج بولس ، حيث عوملت بعضهن معاملة سيئة ، وجميعهن تقريبا موجودات حاليا فى معسكر ليفاشوفو ، وما تبقى منهن فيقمن فى المنازل الخاصة فى بتروغراد . كما ان الدكتور ماندلباووم ، وهو عضو فى اللجنة ذاتها ايضا ، اجرى تصريحا مقتضبا ، اكد فيه انه لم تلق من نوافذ قصر الشتاء **ولا** امرأة **واحدة** ، كما انه لم تصب واحدة منهن

بجراح ، وان ثلاثا فقط قد سلبن عفافهن ، وواحدة انتحرت تاركة كلمة تقول فيها بان «املها قد خاب فى مثلها الاعلى» .

وفى شهر تشرين الثانى (نوفمبر) حلت اللجنة العسكرية الثورية الكتيبة النسائية رسميا بناء على طلب الفتيات انفسهن ، ومنذ ذلك الوقت ارتدت الجنديات اللباس المدنى .

ان كتاب لويزا برايان «ستة اشهر حمراء فى روسيا» يحوى وصفا طريفا لاولئك النساء الجنديات .

الفصل الخامس

١
نداءات وبلاغات

من اللجنة العسكرية الثورية فى ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر)

«الى جميع لجان الجيش فى الجبهة والى جميع سوفييتات نواب الجنود .

لقد اطاحت بروليتاريا بتروغراد وحاميتها بحكومة كيرنسكى التى وقفت ضد الثورة والشعب . . .

ان اللجنة العسكرية الثورية ، اذ تبلغ الجيش فى الجبهة وفى المؤخرة عن هذا الحدث ، فانها تدعو جميع الجنود الثوريين الى ان يراقبوا بيقظة سلوك الضباط . ان الضباط الذين لا يعلنون تأييدهم العلنى والصريح للثورة ، يجب اعتقالهم فورا كاعداء .

ان سوفييت بتروغراد يعتقد ان برنامج الحكومة الجديدة يجب ان يقوم على : الاقتراح الفورى لعقد صلح ديموقراطى ، وتسليم اراضى الملاكين العقاريين الى الفلاحين فورا ، واستلام السوفييتات لكافة السلطات ، والقيام بصدق بدعوة الجمعية التأسيسية للانعقاد . ان جيش الشعب الثورى يجب الا يسمح بارسال الوحدات المشكوك فى ولائها الى بتروغراد . حاولوا اقناع هذه الوحدات بالحجج ، واذا لم تنجح هذه الوسيلة ، فيجب منع ارسالها **باستخدام القوة** بلا رحمة .

ومن الضرورى تلاوة هذا الامر فورا على جميع القوات المسلحة . وسيعتبر اخفاء مضمون هذا الامر عن الجنود ، جريمة

خطيرة معادية للثورة ويعاقب عليها بكل قساوة القانون الثورى .
ايها الجنود ! ناضلوا فى سبيل السلم ، والخبز ، والارض ، والحكومة الشعبية !

اللجنة العسكرية الثورية»

«الى جميع لجان الجيش والفرق والفيالق والالوية فى الجبهة والمؤخرة والى جميع سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين .

ايها الجنود والضباط الثوريون !

ان اللجنة العسكرية الثورية قررت بالاتفاق مع ارادة اغلبية العمال ، والجنود ، والفلاحين ، ان يؤخذ الجنرال كورنيلوف وجميع المشتركين المفضوحين فى مؤامرته ، الى بتروغراد فورا ، بوصفهم اعداء للشعب والثورة ، ليصار الى سجنهم فى قلعة بطرس وبولس والى محاكمتهم امام المحكمة العسكرية الثورية الصارمة . وتعلن اللجنة ان كل من يعارض تنفيذ هذا المرسوم ، يعتبر خائنا للثورة واوامره باطلة لا تنفذ .

اللجنة العسكرية الثورية لسوفييتات نواب العمال والجنود فى بتروغراد»

«الى جميع سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين فى المحافظات والاقضية .

ان مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا ، قرر ان تطلق فورا حرية اعضاء اللجان الزراعية الموقوفين وان يسجن المفوضون الذين امروا باعتقالهم . ومن الآن فصاعدا ، تعود كل السلطة للسوفييتات . ان مفوضى الحكومة الموقتة قد اقيلوا . وعلى رؤساء مختلف السوفييتات المحلية ، الاتصال مباشرة مع الحكومة الثورية» .

٢
احتجاج مجلس الدوما البلدى

ان مجلس الدوما البلدى ، فى جلسته المنعقدة فى ٨ تشرين الثانى — نوفمبر (٢٦ تشرين الاول — اكتوبر) ، اقر نشر النداء التالى :

«ان مجلس الدوما البلدى المركزى ، المنتخب بالاستناد

الى اكثر الاسس ديموقراطية ، اخذ على عاتقه فى ظرف بلغت فيه الفوضى الاقتصادية **اوجها** ، عبء تسيير الخدمات البلدية وضمان التموين . ففى الوقت الراهن ، وقبل ثلاثة اسابيع من الانتخابات للجمعية التأسيسية ، ورغم تهديد العدو الخارجى ، يعتدى الحزب البلشفى ، بعد ان قلب السلطة الثورية الشرعية الوحيدة بقوة السلاح ، على حقوق الادارة البلدية الذاتية واستقلالها ، طالبا منها الخضوع الى مفوضيه والى السلطة الجديدة غير الشرعية .

ففى هذا الظرف المفجع العصيب ، يعلن مجلس الدوما البلدى لبتروغراد عاليا ، متوجها الى ناخبيه والى روسيا بأسرها ، انه لا يتساهل مع اى تطاول على حقوقه واستقلاله ، وانه سيبقى فى مركزه ذى المسؤولية الجسيمة ، حيث دعته اليه ارادة سكان العاصمة .

ان مجلس الدوما البلدى المركزى لمدينة بتروغراد يدعو مجالس الدوما وكافة الزيمستفوات فى الجمهورية الروسية ، للدفاع عن واحد من اعظم مكاسب الثورة الروسية — عن حرية الادارة الذاتية الاجتماعية واستقلالها» .

٣

«الوصية الفلاحية بصدد الارض

ان الجمعية التأسيسية التى تمثل الشعب بأسره هى وحدها التى تستطيع حل المسألة الزراعية بكل مداها .

واعدل حل للمسألة الزراعية ، ينبغى ان يكون الحل التالى :

١ — **يلغى الى الابد حق الملكية الخاصة للارض** . ولا يمكن بيع الارض وشراؤها ، ولا تأجيرها او رهنها ، ولا التنازل عنها للغير باى شكل آخر .

تؤخذ جميع الاراضى **دون اى تعويض — اراضى الدولة ، والعائلة القيصرية ، والتاج ، والاديرة ، والكنائس ، والمخصصات واوقاف النبلاء ، والاملاك الخاصة ، والمشاعات ، والفلاحين ، الخ .** ، — وتصبح ملكا وطنيا وتعطى من اجل التمتع بها لجميع الذين يحرثونها .

ولا يعترف للاشخاص الذين تضرروا بفعل الانقلاب فى نظام الملكية باى حق غير حق الافادة من معونة المجتمع خلال الفترة

الضرورية لهم لكى يكيفوا انفسهم على اوضاع الحياة الجديدة .

٢ – جميع ثروات باطن الارض ، من فلزات معدنية ، وبترول ، وفحم ، وملح ، وغير ذلك ، وكذلك الغابات والمياه ذات الاهمية الوطنية ، تنتقل الى حوزة الدولة ، وتغدو تحت تصرفها وحدها بلا منازع . ان التمتع بجميع مجارى المياه الصغيرة ، والبحيرات الصغيرة ، والاحراج الصغيرة ، وغير ذلك ، ينتقل الى المشاعات ، شرط ان تؤمن ادارتها هيئات الادارة الذاتية المحلية .

٣ – **لا توزع** الاراضى التى تشتمل على استثمارات **عالية المستوى** ، من بساتين ، ومزارع ، ومشاتل ، ومشاتل لتطعيم الاغراس ، ومنابت مدفأة ، وغير ذلك ، **بل تحول الى استثمارات نموذجية** ، وتبعا لمساحتها واهميتها ، توضع تحت تصرف **الدولة** او تحت تصرف **المشاعات** للتمتع بها بلا منازع .

الاراضى الملاصقة للبيوت ، فى المدن والارياف ، مع بساتينها ومنابت خضرواتها ، تترك لواضعى ايديهم عليها الحاليين للتمتع بها . يحدد القانون مساحة هذه الاراضى والضريبة الواجب دفعها من اجل التمتع بها .

٤ – تصادر مرابض تجويد نسل الخيل ومؤسسات تربية الماشية الاصيلة والطيور الداجنة ، وغير ذلك ، التى تملكها الدولة والافراد ، وتحول الى ملكية وطنية ، وتسلم ، تبعا لحجمها واهميتها ، اما الى الدولة واما الى المشاعات ، من اجل التمتع بها بلا منازع .

اما مسألة التعويض ، فينبغى على الجمعية التأسيسية ان تحلها .

٥ – تنتقل كل الماشية والعتاد فى الاراضى المصادرة ، دون اى تعويض ، وتبعا لحجمها واهميتها ، اما الى الدولة واما الى المشاعات من اجل التمتع بها بلا منازع .

لا يخضع للمصادرة ما يخص صغار الزراع من ماشية وعتاد .

٦ – جميع مواطنى الدولة الروسية (دون تمييز فى الجنس) ، ممن يرغبون فى حراثة الارض بانفسهم ، مع عائلاتهم او متجمعين فى جمعيات ، لهم الحق فى التمتع بالارض ، ولكن فقط طالما هم قادرون على زراعتها . العمل المأجور ممنوع .

اذا اصيب احد افراد المشاعة بالعجز خلال سنتين ، تتعهد

المشاعة باسداء المعونة له ، خلال هذه الفترة ، وذلك بزراعة الارض بصورة جماعية ، الى ان يستعيد قدرته على العمل .

اما الزراع الذين فقدوا نهائيا القدرة على حراثة الارض ، بسبب الشيخوخة او العجز ، فانهم يفقدون حق التمتع بالارض ، ولكنهم عوضا عن ذلك ، يتلقون معاشا تقاعديا من الدولة .

٧ – ينبغى ان يكون التمتع بالارض متساويا ، اى ان يصار الى توزيع الارض بين الشغيلة على اساس الاوضاع المحلية ، وتبعا لمعدل العمل او الاستهلاك .

وينبغى ان تكون اشكال التمتع بالارض حرة تماما ؛ بشكل عائلات ، او مزارع ، او مشاعات ، او ارتيلات ، كما تقرر ذلك الضيع والقرى .

٨ – تحول جميع الاراضى بعد مصادرتها الى صندوق اراضى الشعب بأسره . والادارات الذاتية المحلية والمركزية ، ابتداء من ادارات القرى والمدن المنظمة بصورة ديموقراطية ، دون اى تقسيم الى فئات اجتماعية ، حتى المؤسسات المنطقية المركزية ، هى تؤمن توزيع الارض على الشغيلة .

ويخضع صندوق الاراضى لتوزيعات دورية ، بقدر ما ينمو عدد السكان وبقدر ما يتحقق من تقدم فى الاقتصاد الزراعى من حيث المردود واساليب الزراعة .

فى حال تعديل حدود قطع الاراضى ، تظل النواة الاصلية لقطعة الارض المعنية على حالها ، دون اى مساس بها .

تعود اراضى الاعضاء النازحين الى صندوق الاراضى ؛ ويتمتع اقارب الاعضاء النازحين والاشخاص الذين يعينونهم بحق الافضلية على قطع الارض هذه .

ينبغى التعويض عن قيمة الاسمدة واعمال الاستصلاح (التحسينات الاساسية) الموظفة فى الارض ، حال عدم الافادة منها ، عند عودة الارض الى صندوق الاراضى .

اذا كان صندوق الاراضى الموجود فى بعض الاماكن لا يكفى لسد حاجات جميع السكان المحليين ، فينقل فائض السكان الى اراض اخرى .

تأخذ الدولة على عاتقها تنظيم هذا الانتقال وكذلك نفقاته ، وتقديم الماشية والعتاد ، الخ . .

يجرى الانتقال على النحو التالى : اولا الفلاحون الذين لا ارض عندهم ويرغبون فى النزوح ؛ ثم افراد المشاعـــة الفاسدون ، والهاربون وغيرهم ؛ واخيرا ، بالقرعة او بالاتفاق» .

ان مضمون هذه الوصية الذى يعبرّ عن الارادة المطلقة لدى اغلبية الفلاحين الواعين فى عموم روسيا ، انما نعلنه ، حتى انعقاد الجمعية التأسيسية ، قانونا موقتا يصار الى تطبيقه فورا قدر الامكان كما يصار الى تطبيق بعض اقسامه حسب التدريج الضرورى الذى ستقره سوفييتات نواب الفلاحين فى الاقضية» .

٤

الهاربون والارض

لم تتخذ الحكومة اى قرار يتعلق بالهاربين وحقهم فى الارض ، لأن انتهاء الحرب وتسريح الجيش قد حلاّ هذه القضية بصورة اوتوماتيكية .

٥

مجلس مفوضى الشعب

كان مجلس مفوضى الشعب يتألف فى بادئ الامر بكامل اعضائه من البلاشفة . وليس هؤلاء وحدهم مسؤولين عن ذلك : ففى ٨ تشرين الثانى – نوفمبر (٢٦ تشرين الاول – اكتوبر) ، عرض البلاشفة حقائب وزارية على الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، الا ان هؤلاء رفضوا العرض .

الفصل السادس

١

نداءات واعلانات

«الى كافة المنظمات المدنية والعسكرية
لحزب الاشتراكيين الثوريين .

ان محاولة البلاشفة الخرقاء على عتبة هزيمة تامة . فى الحامية يأس وانقسام . الوزارات لا تعمل . الخبز سينفد . كل الكتل ، ما

عدا قبضة من الماكسيماليين ، قد غادرت المؤتمر . الحزب البلشفى فى عزلة . اعمال القمع ضد مطابع اللجنة المركزية ، اعتقال الرفاق ماسلوف وتسيون واعضاء آخرين من الحزب ، اعمال السطو والعنف التى رافقت الاستيلاء على قصر الشتاء تزعج اكثر فاكثر فئات اوسع من البحارة والجنود . التسنتروفلوت يدعو الى عدم الخضـــــوع للبلاشفة !

نحن نقترح : اولا ، ان تقدم المساعدة الكاملة الى المنظمات العسكرية والى المفوضين وهيئة القيادة بغية تصفية المجازفـــة الخرقاء تصفية نهائية وللالتفاف حول لجنة انقاذ الوطن والثورة ، المدعوة الى ايجاد سلطة ثورية ديموقراطية منسجمة مع البرنامج التالى : تسليم الارض فورا الى اللجان الخاصة بشؤون الارض ، اقتراح فورى لصلح ديموقراطى عام على جميع البلدان المحاربة ؛

ثانيا ، ان تؤخذ تدابير خاصة لحماية مراكز الحزب ؛ ثالثا ، ان نكون على اهبة الاستعداد فى الوقت الضرورى لتلبية نداء اللجنة المركزية ، وان نصد بمقاومة فعالة محاولات العناصر المعادية للثورة التى تريد الاستفادة من مجازفة البلاشفة للقضاء عـــلى مكتسبات الثورة ، ورابعا ، ان نضاعف اليقظة لصد العدو الذى يمكن ان يستفيد من ضعف الجبهة .

اللجنة المركزية واللجنة العسكرية التابعتان
للجنة المركزية لحزب الاشتراكيين-الثوريين .

٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧» .

مقتطف من صحيفة «البرافدا»

«. . . من هو كيرنسكى اذن ؟ **مغتصب** ، يجب ان يوضـــع فى سجن بطرس وبولس مع كورنيلوف وكيشكين . **مجرم** ، تنكـــر لثقة الجنود والفلاحين والعمال .

كيرنسكى هو قاتل الجنود .

كيرنسكى هو جلاد الفلاحين .

كيرنسكى هو خانق العمال .

هذا هو كورنيلوف الثانى ، الذى يأمل عبثا اغتيال الحريـــة التى فاز بها العمال والجنود والفلاحون !»

الفصل السابع

١

مرسومان

مرسوم حول الصحافة

«فى الساعة الحرجة الحاسمة التى مرت بها الثورة ، وفى الايام التى تبعتها ، اضطرت اللجنة الموقتة للثورة الى ان تتخذ سلسلة من الاجراءات ضد الصحافة المعادية للثورة بكل الوانها .

ومن كافة الاطراف ، ارتفعت حالا الصيحات بأن السلطة الاشتراكية الجديدة تجاوزت بهذا المبدأ الاساسى فى برنامجها ، اذ تطاولت على حرية الصحافة .

ان حكومة العمال والفلاحين ، تلفت انتباه السكان الى انه وراء ستار حماية الحرية ، تختبئ فى مجتمعنا الامكانية للطبقات الغنية بان تستأثر بحصة الاسد فى الصحافة ، فتسمم بلا عقاب الرأى العام وتخلق الفوضى فى وعى الجماهير .

يعلم الجميع ان الصحافة البرجوازية هى من اقوى اسلحة البرجوازية تأثيرا . وخصوصا فى هذه اللحظة الحاسمة بالذات ، التى لا تزال فيها السلطة الجديدة للعمال والفلاحين فى مرحلة التوطد ، فانه من المستحيل ان نترك هذا السلاح الذى لا تقل خطورته عن القنابل والرشاشات ، بين يدى العدو . ولهذا السبب فقد اتخذت اجراءات موقتة وسريعة لايقاف سيل القذارة والافتراء الذى يحلو للصحافة الصفراء وللصحافة الخضراء ، اغراق الانتصار الشعبى الفتى فيه .

وما ان يترسخ النظام الجديد ، حتى تلغى كافة الاجراءات الادارية ضد الصحافة ، فتعطى الحرية الكاملة ضمن حدود المسؤولية امام المحكمة وفقا لاكثر القوانين سعة وتقدمية فى هذا المجال .

ان مجلس مفوضى الشعب ، دون ان يغرب عن باله بان اى تقييد لحرية الصحافة ، حتى فى المراحل الحرجة ، مقبول ضمن اطار الضرورة فقط ، يقرر ما يلى :

١ – تتعرض للمنع عن الصدور الصحف التالية : أ – تلك التي تحرّض على المقاومة العلنية او على عصيان حكومة العمال والفلاحين . ب – تلك التي تخلق الفوضى والتشويش فى العقول عن طريق تزييف الاخبار عمدا . ج – تلك التي تحرّض على اعمال ذات طابع اجرامى يقع تحت طائلة قانون الجنايات .

٢ – لا يتم الاغلاق الدائم او الموقت لأية صحيفة الا بمرسوم يصدر عن مجلس مفوضى الشعب .

٣ – للمرسوم الحالى صفة موقتة ، وسوف يلغى بمرسوم خاص عندما تعود الاوضاع العامة الى حالتها الطبيعية .

رئيس مجلس مفوضى الشعب
فلاديمير اوليانوف (لينين) .

مرسوم حول الميليشيا العمالية

«١ – تنشىء جميع سوفييتات نواب العمال والجنود ميليشيا عمالية .

٢ – تكون هذه الميليشيا العمالية تحت امرة سوفييتات نواب العمال والجنود حصرا وبصورة تامة .

٣ – على السلطات العسكرية والمدنية ان تقدم كل مساعدة لتسليح الميليشيا العمالية وتجهيزها بالوسائل التكنيكية حتى وتجهيزها بالاسلحة الحكومية .

٤ – يصبح هذا المرسوم سارى المفعول برقيا .

مفوض الشعب للشؤون الداخلية

آ . ا . ريكوف .

بتروغراد فى ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧» .

لقد مهّد هذا المرسوم الى تشكيل مفارز من الحرس الاحمر فى سائر انحاء روسيا ، وقد اصبحت فيما بعد القوة الاساسية بيد الحكومة السوفييتية خلال الحرب الاهلية .

٢

صندوق الاضراب

ساهمت المصارف والبيوتات التجارية فى بتروغراد والمدن الاخرى وكذلك الشركات الاجنبية العاملة فى روسيا ، فى تمويل صندوق الاضراب لدعم موظفى الحكومة ومستخدمى المصارف المضربين . ان جميع الاشخاص الذين وافقوا على الاضراب ضد البلاشفة ، كانوا يتقاضون اجورهم كاملة ، وقد زيدت هذه الاجور بعض الاحيان . وعندما تأكد ممولو صندوق الاضراب من متانة سيطرة البلاشفة على السلطة ، رفضوا الاستمرار فى الدفع الى المضربين ، وهذا ما وضع حدا للاضراب .

الفصل الثامن

١

نداءات من اللجنة العسكرية الثورية

«ان مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا يقرر :

تلغى عقوبة الاعدام على الجبهة التى اقامها كيرنسكى من جديد . حرية الدعاية اقيمت كاملة على الجبهة . يطلق سراح جميع الجنود والضباط الثوريين المعتقلين لجرائم «سياسية» مزعومة ، فورا» .

«الى جميع السكان

ان كيرنسكى رئيس الوزراء السابق الذى اطاح به الشعب ، يرفض الخضوع لقرار مؤتمر السوفييتات ويحاول مقاومة الحكومة الشرعية المنتخبة من قبل مؤتمر عموم روسيا الا وهى – مجلس مفوضى الشعب . لقد رفضت الجبهة تأييد كيرنسكى . وانحازت موسكو الى جانب الحكومة الجديدة . وفى سلسلة كبيرة من المدن الاخرى (مينسك ، موغيليف ، خاركوف) انتقلت السلطة الى السوفييتات . ولم تقبل اية وحدة من المشاة ان تتحرك ضد حكومة العمال والفلاحين التى شرعت ، وفقا لارادة الجيش والشعب الصلبة ، فى مفاوضات الصلح واعطت الارض الى الفلاحين . . .

اننا نعلن امام الملأ : انه اذا لم يلق القوزاق القبض على كيرنسكي الذى خدعهم ، واذا زحفوا على بتروغراد ، فان جيوش الثورة ستهب بكل ما لديها من سلاح قوى ، للدفاع عن المكسبين الثوريين الثمينين — الصلح والارض .

يا مواطنى بتروغراد ! لقد هرب كيرنسكى من العاصمة تاركا اياكم الى كيشكين — الذى اراد تسليم المدينة الى الالمان ، والى روتنبرغ — الذى هو من منظمة المائة السود والذى خرب التموين البلدى ، والى بالتشينسكى المكروه من جميع الديموقراطيين . لقد هرب كيرنسكى ، تاركا اياكم الى الالمان ، والى الجوع والمذابح الدموية . لقد اوقف الشعب الثائر وزراء كيرنسكى ، ولقد رأيتم كيف تحسن النظام والتموين فى الحال . ان كيرنسكى ، بناء على طلب الملاكين الارستقراطيين ، والرأسماليين ، والتجار المضاربين يتحرك ضدكم بغية ارجاع الارض الى الاسياد العقاريين ومواصلة الحرب الفتاكة البغيضة .

يا مواطنى بتروغراد ! نحن نعلم بان غالبيتكم العظمى تؤيد سلطة الشعب الثورية ضد الكورنيلوفيين الذين يقودهم كيرنسكى . لا تخدعوا بالتصريحات الكاذبة التى يطلقها المتآمرون البرجوازيون العاجزون الذين سيسحقون بلا رحمة .

ايها العمال ، ايها الجنود ، ايها الفلاحون ! اننا نطلب منكم الاستعداد الثورى والانضباط الثورى .

ان ملايين الفلاحين وملايين الجنود معنا .

ان انتصار ثورة الشعب وطيد .

اللجنة العسكرية الثورية لسوفييت نواب العمال والجنود فى بتروغراد .

بتروغراد فى ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧» .

٢
مراسيم مجلس مفوضى الشعب

انى لا اورد فى هذا الكتاب سوى المراسيم التى هى ، حسب رأيى ، تتعلق بشكل مباشر باستيلاء البلاشفة على السلطة . اما

تلك التى تتناول بناء الدولة السوفييتية ، فليس لها مكان هنا ، انى سأتحدث عنها مفصلا فى كتابـــى التالى «من كورنيلوف الى بريست – ليتوفسك» .

حول تسليم المساكن الى الهيئات الادارية فى المدن

«١ – يحق لهيئات الادارة الذاتية فى المدن ان تصادر كـل المساكن الشاغرة والصالحة للسكن .

٢ – يحق لهيئات الادارة الذاتية فى المدن ان تسكن فى المساكن المتوفرة ، وفقا للنظم والقواعد التى تقررها ، المواطنين الذين بدون مسكن او الذين يعيشون فى مساكن مزدحمة او غير صحية .

٣ – يحق لهيئات الادارة الذاتية فى المدن ، ان تنشىء جهازا مكلفا بشؤون المساكن وان تنظم عمله وتحدد صلاحياته .

٤ – يحق لهيئات الادارة الذاتية فى المدن ، ان تصدر قرارات الزامية حول تكوين لجان المساكن وان تنظمها وتحدد صلاحياتها وتمنحها حقوق الشخصية القانونية .

٥ – يحق لهيئات الادارة الذاتية فى المدن ، ان تقيم محاكـــم للمساكن ، وان تحدد صلاحياتها وتركيبها .

٦ – يصبح هذا القرار سارى المفعول برقيا .

مفوض الشعب للشؤون الداخلية
آ . إ . ريكوف» .

بيان الحكومة حول التأمين الاجتماعى

«لقد سجلت البروليتاريا الروسية على رايتها شعار التأمين الاجتماعى الكامل للعمال المأجورين ولفقراء المدن والاريـــاف كذلك . ان الحكومة القيصرية المؤلفـــة من الملاكين العقاريين والرأسماليين ، شأنها شأن حكومة الائتلاف والمساومة ، لم تنفّذ مطالب العمال فيما يتعلق بالتأمين الاجتماعى .

ان حكومة العمال والفلاحين ، المعتمدة على سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين ، تحيط الطبقة العاملة الروسية وكذلك فقراء المدن والقرى ، علما بانها تشرع فورا فى اصدار المراسيم

المتعلقة بالتأمين الاجتماعى الكامل القائم على شعارات العمال حول التأمين :

١ – سريان التأمين على جميع العمال المأجورين بدون استثناء وكذلك على جميع الفقراء فى المدن والارياف .

٢ – سريان التأمين على كافة حالات فقدان القدرة على العمل : مرض ، عجز ، شيخوخة ، حمل ، ترمّل ، يتم ، بطالة .

٣ – يتحمل ارباب العمل كافة تكاليف التأمين .

٤ – فى حالة فقدان القدرة على العمل والبطالة يكون التعويض مساويا للأجر الكامل على الاقل .

٥ – منح جميع الذين سرى عليهم التأمين ، حق التسيير الذاتى الكامل فى جميع مؤسسات التأمين .

باسم حكومة الجمهورية الروسية
مفوض الشعب لشؤون العمل
الكسندر شليابنيكوف»

من مفوض الشعب لشؤون التعليم العام

«يا مواطنى روسيا !

بفضل ثورة ٢٥ اكتوبر (تشرين الاول) ، توصلت جماهير الشغيلة للمرة الاولى الى السلطة الحقة .

ان مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا ، قد وضع هذه السلطة موقتا بيد لجنته التنفيذية ومجلس مفوضى الشعب .

وعملا بارادة الشعب الثائر ، فقد سميت مفوضا للشعب للتعليم العام .

وبما ان الادارة العامة للتعليم العام ، تبقى ضمن صلاحية سلطة الدولة المركزية ، فان هذه قد اوكلت بها ، وذلك الى حين انعقاد الجمعية التأسيسية ، الى لجنة الدولة للتعليم العام التى يرأسها وينفذ مقرراتها مفوض الشعب .

فعلى اية مبادئ اساسية ستعتمد لجنة الدولة هذه ؟ وكيف حددت دائرة صلاحياتها ؟

في ميدان الثقافـــة ، يتوجب على كل سلطة ديموقراطيـــة شرعية ، فى بلد تسوده الامية والجهل ، ان تضع على رأس اهدافها النضال ضد هذه الآفات . وعليها ، فى اقصر مهلة ، **القضاء التام** على الامية ، وذلك بتنظيم شبكة من المدارس تستجيب لمتطلبات علم التربية الحديث ، وباقامة التعليم العام الاجبارى والمجانى ، وعليها فى الوقت نفسه انشاء مجموعة كاملة من دور المعلمين والمؤسسات التى تستطيع بالسرعة المطلوبة تشكيل جيش لجب من المعلمين الشعبيين ، لتعليم جميع السكان فى روسيا الواسعة الاطراف . . .

التعليم والتربية

من الضرورة بمكان ، ان نشير الى الفارق بين التعليـــــم والتربية .

فالتعليم هو عملية نقل المعرفة الجاهزة من المعلم الى التلميذ . بينما التربية هى عملية خلاقة . ان شخصية الانسان «تتكون» ، تنمو ، تغتنى ، تقوى وتكتمل طوال حياته .

ان الجماهير الشعبية – العمال والجنود والفلاحين – متعطشون للتعليم الابتدائى والعالى ، انهم متعطشون لتعلم سائر العلوم . ولكنهم يتوخون ايضا **الثقافة** . هذه الثقافة التى لا تستطيع منحهـا اياهم ، لا الدولة ، ولا المثقفون ولا اية قوة اخرى مهمـا كانت ، خارج انفسهم هم . وفى هذا الميدان ، فان المدرسة ، والكتاب ، والمسرح والمتحف ، الخ . ، ليست سوى عوامل مساعدة . ان الجماهير الشعبية تعد بنفسها ثقافتها عن وعى او عن غير وعى . فان لها افكارها التى كونتها اوضاعها الاجتماعية ، والتى تختلـف كليا عن اوضاع ممثلى الطبقات المسيطرة والمثقفين الذين خلقوا الثقافة حتى الآن . انهم يملكون افكارهم الخاصة ، ومشاعرهم الخاصة ، وطريقتهم الخاصة فى معالجة كافة مشاكل الفرد والجماعة . كل يعمل حسب طريقته ، العامل فى المدينة ، والشغيل فى الريف ، لبناء مفهومهما الخاص النير عن العالم ، المشبع بالفكرة الطبقيـــة العملية . وليس من ظاهرة اروع واعظم من تلك التى ستشهدها

وستسهم فيها الاجيال القادمة ، الا وهى قيام جماعات الشغيلة بتشكيل روحها الجماعية الغنية والحرة .

وعند ذلك سيكون التعليم العامل الهام ، وليس الحاسم فى الموضوع . والامر الاكثر اهمية فى هذا المجال ، هو الانتقاد والابداع اللذان تقوم بهما الجماهير نفسها ، لأنه ليس للعلوم والفنون من قيمة عامة للانسانية الا فى بعض نواحيها فقط . انها تكون بالفعل عرضة لتغييرات جذرية لدى كل انقلاب طبقى عميق .

فى كل مكان فى روسيا ، وخاصة بين عمال المدن وبين الفلاحين ايضا ، تتصاعد موجة كبيرة من حركة تثقيفية تربوية ، ان عدد المنظمات من هذا النوع يتزايد دون حصر بين العمال والجنود : ان اول واجب ملقى على كاهل حكومة شعبية ثورية فى ميدان التعليم العام ، هو ان تلتقى بهذه المنظمات وان تدعمها بكل الوسائل ، وان تمهد الطريق امامها .

اللامركزية

ان لجنة الدولة للتعليم العام ليست ابدا سلطة مركزية لادارة مؤسسات التعليم والتثقيف ، بل على العكس ، فان كل نشاط مدرسى يجب ان يعهد به الى اجهزة الادارة المحلية . ان المبادرة المستقلة التى يقوم بها العمال والجنود والفلاحون لتأسيس منظمات تعليمية وثقافية ، يجب ان تتمتع باستقلال ذاتى تام وكامل سواء فى موقفها تجاه الدولة المركزية او فى موقفها تجاه البلديات .

ان عمل لجنة الدولة هو عمل اتصال ومساعدة ، وعليها ان تنظم على الصعيد الوطنى ، مصادر الدعم المادى والفكرى والمعنوى لمؤسسات التعليم البلدية والخاصة ، ولا سيما للمؤسسات التثقيفية الطبقية والعملية .

مجلس الدولة للتعليم العام

ان مشاريع قوانين عديدة وقيمة قد وضعها مجلس الدولة للتعليم العام منذ بداية الثورة ، وهو من حيث تركيبه ، ديموقراطى الى حد كبير وغنى بالاخصائيين ذوى التجارب . ان لجنة الدولة ترغب باخلاص فى التعاون المنظم مع هذا المجلس .

انها تتوجه الى مكتب المجلس ، طالبة اليه دعوة المجلس فورا لدورة استثنائية بغية تنفيذ البرنامج التالى :

١ - النظر فى اصول التمثيل فى المجلس ، بغية اشاعة المبادئ الديموقراطية فيه على نطاق اوسع .

٢ - اعادة النظر فى حقوق المجلس بغية توسيعها ، وتحويل المجلس الى مؤسسة رئيسية للدولة ، تعمل على اعداد مشاريع القوانين التى تهدف الى اعادة تنظيم التعليم والتثقيف فى روسيا تنظيما كليا وجديدا قائما على اسس ديموقراطية .

٣ - اعادة النظر بالاشتراك مع اللجنة الحكومية الجديدة ، فى مشاريع القوانين التى سبق ان صدرت عن المجلس . ان اعادة النظر هذه ، يمليها اضطرار المجلس الى ان يأخذ بعين الاعتبار الروح البرجوازية السائدة لدى الوزراء السابقين ، الذين قد اعاقوا مع ذلك تنفيذ مشاريع القوانين هذه ، حتى فى شكلها المبتور .

وبعد مراجعة مشاريع القوانين هذه ، فانها ستوضع قيد التنفيذ دون اية مماطلة بيروقراطية ، اى حسب الاصول الثورية .

المعلمون والمجتمع

ان لجنة الدولة تحيى المعلمين لقيامهم بعملهم النبيل المشرف ، عمل تثقيف الشعب ، سيد البلاد .

لا يمكن اتخاذ اى اجراء فى ميدان التعليم العام من قبل اى جهاز للسلطة دون دراسة رأى ممثلى الجهاز التعليمى دراسة وافية .

ومن جهة اخرى ، لا يجوز اتخاذ اى قرار من قبل الاخصائيين وحدهم ، وهذا يتعلق كذلك باصلاح مؤسسات التعليم العام .

تعاون المعلمين مع القوى الاجتماعية ، ذلك هو المبدأ الذى ستعتمد عليه اللجنة سواء لدى تنظيمها نفسها وفى مجلس الدولة ، وفى سائر نشاطها .

وتعتبر اللجنة ان اولى مهامها هى تحسين اوضاع المعلمين ، وبشكل خاص اولئك الاكثر حرمانا منهم ، والذين يقومون بدور هام فى ميدان التثقيف ونعنى بهم معلمى المدارس الابتدائية فى الريف . يجب تلبية مطالب هؤلاء العادلة مهما كلف الامر وبدون

تأخير . ان بروليتاريا التعليم قد طالبت عبثا ، بزيادة اجورهـا الى مائة روبل فى الشهر ، وسيكون من العار ابقـاء معلمى الغالبية الساحقة للاولاد فى روسيا مدة اطول فى التعاسة .

الجمعية التأسيسية

لا شك فى ان الجمعية التأسيسية ستبدأ اعمالها عن قريـب ، وهى وحدها التى ستكيف لمدة طويلة ، نظام الحياة الاجتماعيـة والسياسية فى وطننا ، وتحدد بما فى ذلك ، الصفة العامة لنظام التعليم العام .

اما الآن ، ومع انتقال السلطة الى السوفييتات ، فان الطابع الشعبى الحقيقى للجمعية التأسيسية اصبح مضمونا . ان الخط الذى ستنتهجه لجنة الدولة بالاستناد الى مجلس الدولة ، قـد لا يتعدل الى حد كبير تحت تأثير الجمعية التأسيسية . ان الحكومة الشعبية الجديدة ، دون ان تحدد هذا الخط بشكل مسبق ، تعتبر انه من حقها ان تتخذ ، فى هذا الميدان ، عددا من الاجراءات التى ترمى الى اغناء وتنوير حياة البلاد الفكرية بأسرع ما يمكن .

الوزارة

على وزارة التعليم العام ان تستمر فى تسيير الاعمـال الجارية . ان لجنة الدولة المنتخبة من قبل مجلس السوفييتات التنفيذى ، ستتقدم مع مجلس الدولة الملاحظات حول كافة التعديلات الضرورية المباشرة فى تركيب الوزارة وصيغتها . ان الكيفيات النهائية لادارة الدولة فى ميدان التعليم العام ستوضع بالطبع مـن قبل الجمعية التأسيسية . والى ان يتم ذلك ، فعلى الوزارة ان تلعب دور جهاز تنفيذى لدى لجنة الدولة للتعليم العام ، ومجلس الدولة للتعليم العام .

ان ضمان انقاذ الوطن يقوم على التعاون بين جميع قواه الحية والديموقراطية الحقة .

اننا نؤمن بان تضافر جهود الشعب الكادح والمثقفين الواعين الشرفاء سيخرج الوطن من هذه الازمة الاليمة ويسير به بفضـل سلطة الشعب التامة ، الى حكم الاشتراكية والتآخى بين الشعوب .

مفوض الشعب للتعليم العام ا . ف . **لوناتشارسكى** .
بتروغراد ، فى ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧» .

«طريقة تصديق القوانين واعلانها

١ - بانتظار اجتماع الجمعية التأسيسية ، فان اصدار القوانين واعلانها سيجريان حسب الاصول المحددة فى هذا القرار من قبل حكومة العمال والفلاحين الموقتة التى انتخبها مؤتمر عموم روسيا لنواب العمال والجنود والفلاحين .

٢ - يحول كل مشروع قانون من قبل الوزارة المختصة الى الحكومة لاجراء البحث فيه ، ويحمل توقيع مفوض الشعب ، او انه يعرض من قبل دائرة المقترحات التشريعية الحكومية ، ويحمل توقيع رئيس هذه الدائرة .

٣ - بعد تصديق الحكومة ، يوقع النص فى شكله النهائى ، باسم الجمهورية الروسية ، من قبل رئيس مجلس مفوضى الشعب او بالتفويض من قبل المفوض الذى عرضه ثم ينشر .

٤ - تصبح القوانين سارية المفعول منذ تاريخ نشرها فى «الجريدة الرسمية لحكومة العمال والفلاحين» .

٥ - يمكن ان يلحظ فى النص المنشور تاريخ ، غير تاريخ نشره رسميا والذى يصبح بموجبه سارى المفعول . ويمكن ان ينشر النص ايضا برقيا : وفى هذه الحالة ، فانه يأخذ قوة القانون فى كل مركز منذ نشر البرقية فيه .

٦ - يلغى اعلان النصوص التشريعية الحكومية من قبل مجلس الشيوخ ، وتذيع دائرة المقترحات التشريعية لدى مجلس مفوضى الشعب ، بصورة دورية ، مجموعات الاوامر الحكومية التى لها قوة القانون .

٧ - يحق للجنة المركزية التنفيذية لسوفييتات نواب العمال والفلاحين والجنود ، فى كل وقت ، ايقاف مفعول كل قرار حكومى او تعديله او الغاؤه .

باسم الجمهورية الروسية رئيس مجلس مفوضى الشعب

ف . اوليانوف - لينين» .

٣

«امر صادر عن اللجنة العسكرية الثورية

١ – يمنع صنع الكحول وكافة المشروبات الكحولية حتى اشعار آخر .

٢ – يطلب من جميع الذين فى حوزتهم الكحول والنبيـذ ، وصانعى الكحول والمشروبات الروحية ، ان يعلنوا قبل تاريخ ٢٧ الجارى على ابعد حد ، عن مكان وجود مستودعاتهم .

٣ – يقدم جميع الذين يخالفون هذا الامر الى المحكمـــة العسكرية الثورية .

اللجنة العسكرية الثورية» .

٤

«امر رقم ٢

من لجنة فوج الحرس الفنلندى الاحتياطى الى
جميع لجان المساكن والى مواطنى جزيرة فاسيلفسكى

لقد اختارت البرجوازية وسيلة قذرة لمكافحة البروليتاريا ، فانشأت فى احياء كثيرة من المدينة مستودعات كبيرة للمشروبات ، آملة ان تغرى الجنود على نهبها ومحاولة القضاء بواسطة الكحول على وحدة الجيش الثورى .

تؤمر جميع لجان المساكن بان تعلن ، فى الساعات الثلاث التى تلى نشر هذا الامر ، بصورة مباشرة وسرية ، الى رئيس لجنة فوج الحرس الفنلندى ، عن مستودعات الكحول الموجودة لديها .

وان الاشخاص الذين يخالفون هذا الامر ، **يعتقلون ويقدمون الى محكمة لا هوادة فيها ، وتصادر ممتلكاتهم ، وينسف المخزون من الكحول** بعد مضى ساعتين من ابلاغ ذلك اذ ان التجربة قد بينت عدم فعالية الاجراءات المتسامحة .

نعلن انه لن يوجه انذار خاص قبل النسف .

لجنة فوج الحرس الفنلندى» .

الفصل التاسع

١
«نشرة اللجنة العسكرية الثورية رقم ٢

فى ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) – ١٢ تشرين الثانى (نوفمبر) –، خلال المساء، عرض كيرنسكى على الجيوش الثورية القاء السلاح. فتحت عصابة كيرنسكى نيران مدفعيتها. تدخلت مدفعيتنا واسكتت العدو. هاجم القوزاق، فأجبروا على التراجع مهزومين تحت وطأة نار الحرس الاحمر والجنود المميتة. عندئذ اخترقت سياراتنـــا المصفحة صفوف العدو، فتراجع هاربا وجيوشنا تلاحقه. اعطى الامر باعتقال كيرنسكى. لقد احتلت الجيوش الثورية تسارسكويه سيلو.

الرماة اللاتفيون. – لقد ابلغت اللجنة العسكرية الثورية من مصدر موثوق بأن الرماة اللاتفيين البواسل، وصلوا من الجبهة، واتخذوا مواقع لهم فى مؤخرة عصابات كيرنسكى».

بلاغ اركان حرب اللجنة العسكرية الثورية

«استيلاء قوات كيرنسكى على غاتشينا وتسارسكويه سيلو، يفسّر بانعدام المدفعية والرشاشات كليا فى هذين المكانين، فى حين ان خيالة كيرنسكى كانت مجهزة بالمدفعية منذ البدء.

وقد كرست اركان حربنا اليومين الاخيرين لتزويد القوات الثورية بالمدافع، والرشاشات، واجهزة هاتف الميدان، الخ.. وما ان تم هذا التزويد – بالمساعدة الفعالة التى قدمتها سوفييتات الاحياء والمصانع (بوتيلوف، اوبوخوف وغيرهما) – حتى اصبحت نتيجة الاصطدام المرتقب مضمونة لا شك فيها؛ فلم تتمتع القوات الثورية بالتفوق العددى وبوجود قاعدة بتروغراد المادية القوية فحسب، ولكنها كانت تتمتع ايضا بافضلية معنوية كبيرة. جميع افواج بتروغراد شرعت فى السير الى مواقعها بحماس مفرط. وانتخب مجلس الحامية لجنة للاشراف من خمسة جنود، مهمتها تأمين الوحدة التامة بين القائد الاعلى والحاميـــة. وقد قرر المجلس بالاجماع الاقدام على العمليات الحاسمة.

وكانت نيران المدفعية ، حوالى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) - ١٢ تشرين الثانى (نوفمبر) - ، قد بلغت من الغزارة درجة لم تعرف من قبل . انهارت معنويات القوزاق تماما ، فارسلوا الى اركان حرب كراسنويه سيلو مندوبا ، هدد بتدابير «حاسمة» ، اذا لم يتوقف قذف النيران . فكان الجواب بان المدفعية تتوقف عن القذف عندما يلقى كيرنسكى السلاح .

وفى الاشتباك الذى جرى بعد ذلك ، ابدت جميع القوات - البحارة ، والجنود والحرس الاحمر - جرأة متفانية . لقد استمر البحارة يتقدمون حتى الرصاصة الاخيرة . لم يحص عدد القتلى بعد ، الا انه اوفر من جانب القوات المناهضة للثورة ، التى كبدتها احدى سياراتنا المصفحة خسائر جسيمة .

وخوفا من الوقوع فى التطويق ، فان اركان حرب كيرنسكى اعطت الامر بالتراجع ، وقد تحول هذا التراجع بسرعة الى تشتت . وبين الساعة الحادية عشرة ومنتصف الليل ، كانت تسارسكويه سيلو مع محطة الاذاعة والبرق بيد القوات السوفييتية . انسحب القوزاق باتجاه غاتشينا وكولبينو .

كانت معنويات قواتنا فوق كل ثناء . اعطى الامر بملاحقة القوزاق المتراجعين . ارسلت حالا برقية من محطة تسارسكويه سيلو الى الجبهة والى جميع السوفييتات المحلية فى روسيا .

(وستنشر تفاصيل الاحداث المقبلة فورا .)» .

٢

احداث يوم ١٣ تشرين الثانى (نوفمبر) - ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) - فى بتروغراد

قال زينوفييف فى جلسة سوفييت بتروغراد :

«. . . لا يمكن قهر العدو الا فى معركة . ان الخطر يقوم عندما نخدر انفسنا بالاوهام بان المعركة قد انتهت . ان عدولنا ولو عن محاولة عامة لاستمالة القوزاق الى جانبنا ، سيكون جريمة . ان كافة المحاولات ستبذل ، ولكن من جهة ثانية ، فان تخدير رجال الحرس الاحمر والجنود ، بالفكرة القائلة بان الوفود ستقوم بكل شيء

سيكون جريمة ايضا . واذا كانت المدينة هادئة يوم امس ، فذلك بفضل الانتصار العسكرى وسحق انتفاضة اليونكر ليس الا . . .

ان النبأ بان الهدنة قد عقدت ، غير صحيح .

ستكون اركان حرب الثورة مستعدة تماما لعقد الهدنة ، عندما يصبح الاعداء فى حالة لا يستطيعون معها القيام باى اذى . ويجرى الآن ، تحت تأثير انتصار الجيوش الثورية ، تقديم شروط اخرى ، تختلف عن شروط يوم امس ، عندما اقترح علينا دان نزع السلاح والسماح بدخول كيرنسكى الى المدينـــــة . وكان عضو الحزب الاشتراكى-الثورى ، راكيتنيكوف ، باسم اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى-الثورى ، قد وافق عن طيب خاطر ، على اشراك بعض البلاشفة ، اولئك الذين يعجبون بهم ، بالوزارة . ان هذا صدى لانتصارات الليل . وتوجد مجموعات تنتظر لترى : من سينتصر فى المعركة ، كيرنسكى او الثورة ، هذه المجموعات تتأرجح بين هذه الجبهة او تلك ، حسب نوسة الميزان . انها تتردد طالما انها لا تعرف بان كيرنسكى قد سحق» .

وفى الدوما البلدى ، كان الاهتمام منصبـــا كله على تشكيل الحكومة الجديدة .

واعلن شينغاريوف ، عضو حزب الكاديت ، انه يتوجب على البلدية الا تدخل فى اى اتفاق مع البلاشفة . . . «ان اى اتفاق مع هؤلاء المتهوسين يستحيل ، طالما انهم لم يلقوا سلاحهم ولم يعترفوا بسلطة المؤسسات القضائية المستقلة» .

واعلن يارتسيف ، باسم جماعة ايدينستفو ، بان اى اتفاق مع البلاشفة ، هو بمثابة انتصار لهم .

واعلن رئيس البلدية شريدر ، باسم الاشتراكيين-الثوريين ، عن معارضته لأى اتفاق يعقد مع البلاشفة . . . «اما بالنسبة الى الحكومة ، فيجب ان تنطلق من ارادة الشعب ، ولما كانت الارادة الشعبية قد عبرت عن نفسها فى الانتخابات البلدية ، فان الارادة الشعبية كلها القادرة على تشكيل حكومة ، متمركزة حاليا فى الدوما البلدى» .

وتوالى عدد من الخطباء ، وكان ممثلو المناشفة الامميين ، هم الوحيدين الذين وافقوا على بحث قضية قبول البلاشفة فى الحكومة الجديدة ، وقرر الدوما ان يستمر فى تمثيله فى اجتماع الفيكجل ،

مع الاصرار على اعادة تشكيل الحكومة الموقتة كمهمة اولى وعلى عدم السماح للبلاشفة بالاشتراك فى الحكومة الجديدة» .

٣

جواب كراسنوف الى لجنة انقاذ الوطن والثورة

«جوابا على برقيتكم حول اقتراح الهدنة الفورية ، فان القائد الاعلى ، رغبة منه فى تجنب سفك دماء الاخوة ، قد وافق على اجراء المفاوضات واقامة علاقات طبيعية بين جيوش الحكومة والعصاة . وعليه ، فانه يقترح على اركان حرب العصاة ، بان تستدعى جيوشها الى بتروغراد ، وان تعلن حياد خط ليغوفو – بولكوفو – كولبينو ، وان تسمح لمفارز الخيالة الامامية العائدة لجيوش الحكومة ، بالدخول الى تسارسكويه سيلو ، بغية تأمين النظام فيها . ان الجواب على هذه الاقتراحات ، يجب ان يسلم بواسطة رسول صباح غد بوقت لا يتجاوز الساعة الثامنة .

قائد فيلق الخيالة الثالث ،
اللواء **كراسنوف**» .

٤

حوادث تسارسكويه سيلو

فى مساء اليوم الذى انسحبت فيه قوات كيرنسكى من تسارسكويه سيلو ، نظم بعض الكهنة مسيرة فى شوارع المدينة ، موجهين الخطب الى المواطنين ، داعين الشعب لدعم السلطة الشرعية ، الحكومة الموقتة . لقد حاول الكهنة بعد انسحاب القوزاق وظهور طلائع الحرس الاحمر فى المدينة ، استنادا لروايات الشهود ، اثارة الشعب ضد السوفييت واخذوا يرتلون الصلوات على قبر راسبوتين الكائن خلف القصر الامبراطورى . اوقف الحرس الاحمر الهائج ، احد الكهنة ، الاب ايفان كوتشوروف ورمى بالرصاص . . .

لدى وصول الحرس الاحمر الى المدينة ، قطعت الكهرباء على يد احدهم وغرقت الشوارع فى الظلام . اوقفت القوات السوفييتية ليوبوفيتش ، مدير محطة الكهرباء وسئل : أليس هو الذى قطع

الكهرباء . وقد وجد بعد وقت من ذلك ، فى الغرفة التى اعتقل فيها ، وفى يده مسدس وقد اطلق رصاصة منه على صدغه .

وفى اليوم التالى ، صدرت صحف بتروغراد المعادية للبلاشفة حاملة العنوان التالى : «حرارة بليخانوف ترتفع الى ٣٩ درجة» . لقد كان بليخانوف يقطن فى تسارسكويه سيلو وكان طريح الفراش . جاء اليه عدد من الحرس الاحمر ليسألوه فيما اذا كان فى حوزته سلاح .

سأل احدهم الرجل العجوز :

– الى اية طبقة اجتماعية تنتمون ؟

– انى ثورى منذ اربعين عاما ، – اجاب بليخانوف ، – وقد كرست حياتى للنضال فى سبيل الحرية !

– ولكن ، – اعلن احد العمال ، – لقد بعت نفسك الآن الى البرجوازية .

لم يكن العمال ليعرفوا بليخانوف رائد الاشتراكية الديموقراطية الروسية !

٥

نداء من الحكومة السوفييتية

«ان مفارز غاتشينا ، التى خدعها كيرنسكى قد القت السلاح وقررت اعتقاله . لجأ ، قائد الحملة المعادية للثورة ، الى الهرب . واعلن الجيش بغالبيته العظمى ، تأييده لمقررات مؤتمر السوفييتات الثانى لعموم روسيا وللسلطة التى شكلها . جاءت العشرات من وفود جنود الجبهة الى بتروغراد لتعرب عن ولاء الجيش للحكومة السوفييتية . لم يساعد اى تزييف للوقائع واى افتراء على ثورية العمال والجنود والبحارة . لقد انتصرت ثورة العمال والجنود .

ان اللجنة التنفيذية المركزية لسوفييت نواب العمال والجنود ، تتوجه الى افراد المفارز العسكرية المعزولة التى تسير وراء المتمردين المعادين للثورة ، طالبة اليهم : القوا السلاح فورا ، ولا تسفكوا دماء اخوانكم دفاعا عن مصلحة قبضة من الملاكين والرأسماليين . ان مسؤولية اراقة نقطة جديدة من دم الشعب ستقع عليكم . ان روسيا العمال والجنود والفلاحين تلعن اولئك الذين سيبقون ولو لحظة واحدة اخرى تحت راية اعداء الشعب .

ايها القوزاق ! انضموا الى صفوف الشعب المنتصر ! يا عمال السكك الحديدية ومستخدمى البرق والبريد ، هبوا جميعا كشخص واحد وأيدوا حكومة الشعب الجديدة» .

الفصل العاشر

١
اضرار الكرملين

استطعت ان اقف شخصيا على الاضرار التى اصابت الكرملين عندما زرته بعد القصف مباشرة . ان قصر نيقولا الصغير ، بناء ليست له اهمية خاصة ، كان يستعمل بالمناسبات لاستقبالات احدى الاميرات الكبيرات ، وقد اصبح ثكنة لطلاب المدارس الحربية . وتعرض هذا القصر للقصف وتضرر بالفعل كثيرا جدا . الا انـــه لحسن الحظ لم يكن يحوى شيئا ذا اهمية تاريخية .

اصيبت كاتدرائية اوسبنسكى بفجوة من جرّاء قذيفة اخترقت احدى قبابها ، وباستثناء بضعة اقدام من الموزاييك سقطت من السقف ، فانها لم تصب بأذى . اطاريف بوابة كاتدرائية الصعود ، اصيبت بعطب نتيجة قذيفة اصابتها ، كما اصابت قذيفة ايضا زاوية برج جرس ايفان الكبير . وقصف دير تشودوف ، ثلاثين مـــرة تقريبا ، الا ان قذيفة واحدة دخلته من النافذة ، بينما هدمت قذائف اخرى قوالب النوافذ الآجرية واطناف السقف .

وتضعضعت الساعة الموجودة فوق بوابة المخلص . واصيبت بوابة برج الثلاثة اقانيم لكن الاضرار كانت سهلة التصليح . وفقد احد الابراج الصغار قمته المصنوعة من الآجر .

لم تمس : كنيسة فاسيلى البار ، وكذلك القصر الكبير الذى يحوى فى اقبيته على كافة كنوز موسكو وبتروغراد ، ومجموعـــة نفائس التاج ولم يدخل احد الى هذا او تلك .

٢

عن مفوض الشعب لشؤون التعليم

«ايها الرفاق !

. . . انكم انتم السيد الفتى لهذا البلد ، وبالرغم من ان لديكم الآن عددا من الموضوعات للتفكير فيها والاهتمام بها ، فانى اراكم قادرين على الدفاع عن ثرواتكم الفنية والعلمية .

ايها الرفاق ! ان مصابا فادحا لا يمكن اصلاحه قد حل بموسكو . لقد سببت الحرب الاهلية قصف احياء عديدة في المدينة . ولقد اندلعت الحرائق . وحدثت الخرائب . انى لا اجد الكلام للتعبير عن الرعب الذى يستولى على المرء وهو مفوض لشؤون التعليم فى هذه الايام ، ايام الحرب الشرسة ، العديمة الرحمة والهدامة ، وايام التهديم الفوضوى . فى هذه الايام العصيبة ، فان الامل بانتصار الاشتراكية التى هى معين ثقافة جديدة اسمى ، والتى ستكافئنا على كل شىء ، هو وحده عزاؤنا . ولكن مسؤولية حماية ثروة الشعب الفنية تقع على عاتقى . . .

لا يمكن للانسان ان يشغل مركزا وهو عاجز عن القيام باى شىء . ولهذا السبب فانى قدمت استقالتى * .

ولكنى اتوسل اليكم ايها الرفاق ان تؤيدونى وتساعدونى . حافظوا على جمال بلدكم من اجلكم ومن اجل ابنائكم . كونوا حراسا على كل ما فى حوزة الشعب .

وعما قريب سيتثقف اجهل الناس ، الذين ابقاهم ظلم الاستثمار زمنا طويلا فى الجهل وسيتفهمون الى اى مدى يمكن للفن ان يكون مصدر غبطة وقوة وحكمة .

ايها الشعب الروسى الكادح ، كنْ السيد والحارس لكل ما فى بلدك !

ايها المواطنون ، جميعا ، جميع المواطنين ، حافظوا على ثرواتنا المشتركة .

مفوض الشعب لشؤون التعليم العام **لوناتشارسكى** .

٣ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧» .

---

* لقد بقى لوناتشارسكى يشغل مركز مفوض الشعب . **المحرر** .

٣
قسيمة للبرجوازية

الحى	الكنية	لجنة المسكن
رقم . . .	الاسم . . . . . الشهرة	رقم . . .

العنوان . . . . . . البيت رقم . . . . . . الشقة رقم . . . .

شارع او زقاق

الجنس	العمر	الموجودات			
		النسيج	الكمية	الالبسة الجاهزة	العدد
الوسطى الشهرى		للملبوسات الداخلية		معاطف (شتوية وصيفية وخريفية)	
الدخل	المصروف	للبذلات		بذلات وفساتين	
		للملبوسات السميكة		ثياب داخلية	
الايجار	الشهرى	(للمعاطف)		احذية	
الشقة	الغرفة	انواع اخرى		جزمات مطاط	

انا الموقع ادناه ، اعلن ان المعلومات المبينة صحيحة ، وانى لم استلم هذه البطاقة من مكان آخر

موسكو ، ١٩١

التوقيع . . . . . .

خاتم لجنة المسكن

توقيع المستأجر *

* تنشر طبقا للصورة الفوتوغرافية للوثيقة الواردة فى كتاب جون ريد . ويشير جون ريد اذ يورد هذه الوثيقة ، الى ان الموجودات المصادرة من البرجوازية وفقا للامر الصادر من لجنة موسكو العسكرية الثورية ، يجب ان تكوّن الرصيد المعد للتوزيع على فقراء العمال والجنود . **المحرر** .

٤

الاجراءات الثورية فى المجال المالى

امر

«عملا بالصلاحيات التى خولتنى اياها اللجنة العسكرية الثورية لسوفييت موسكو لنواب العمال والجنود ، ارسم ما يلى :

١ – كافة المصارف وفروعها ، صندوق توفير الدولة المركزى وفروعه وكذلك صناديق التوفير لدى مكاتب البريد ، ستفتح ابوابها ابتداء من ٢٢ (٩) تشرين الثانى (نوفمبر) وحتى اشعار آخر من الساعة الحادية عشرة صباحا حتى الواحدة بعد الظهر .

٢ – التسديدات التى تقوم بها المؤسسات المنوه عنها اعلاه عن الحسابات الجارية وبطاقات صندوق التوفير ، يجب الاّ تزيد عن ١٥٠ روبلا لكل مودع خلال الاسبوع المقبل .

٣ – التسديدات التى تزيد على ١٥٠ روبلا فى الاسبوع عن الحسابات الجارية وبطاقات صندوق التوفير وتسديدات من حسابات اخرى لكافة الفئات يسمح بها فى ٢٢ و٢٣ و٢٤ (٩ و١٠ و١١) تشرين الثانى (نوفمبر) فى الحالات التالية :

أ – عن حسابات الوحدات العسكرية لسد حاجاتها الخاصة فقط ؛ ب – لتسديد اجور المستخدمين والعمال بناء على قوائم للاجور مصدقة من قبل لجان المعامل والمصانع او سوفييتات المستخدمين وموقع عليها من قبل المفوضين او ممثلى اللجنة العسكرية الثورية ومن لجان الاحياء العسكرية الثورية .

٤ – لا يمكن سحب اكثر من ١٥٠ روبلا من التحويلات التى تزيد عن ذلك ؛ اما المبالغ المتبقية ، فتنقل الى الحساب الجارى الذى يتم التسديد عنه عملا بمقتضيات المرسوم الحالى .

٥ – تمنع كافة الاعمال التسليفية المصرفية خلال هذه الايام الثلاثة .

٦ – المدفوعات النقدية على كافة الحسابات يسمح بها دون تحديد .

٧ – يقوم ممثلو مجلس الشؤون المالية ، بمنح الرخص المشار اليها فى الفقرة الثالثة ، ويشتغلون فى مبنى البورصة بشارع ايلينكا ، من الساعة العاشرة صباحا حتى الثانية بعد الظهر .

٨ – يتوجب على كافة المصارف وصناديق التوفير ، ان تقدم بعد الانتهاء من اعمالها وذلك قبل الساعة الخامسة مساء ، خلاصة جدول اعمالها اليومية ، الى اللجنة العسكرية الثوريـــة لمجلس الشؤون المالية ، فى مركز السوفييت ، ساحة سكوبيليف .

٩ – جميع المستخدمين ومدراء المؤسسات الاعتمادية الذين يرفضون تنفيذ هذا المرسوم يتعرضون ، بوصفهم اعداء للثورة وللجماهير الشعبية ، الى العقوبات الثورية بكل صرامتها . وستنشر على الملأ قوائم تتضمن اسماءهم .

١٠ – من اجل مراقبة عمليات فروع صناديق التوفير والمصارف المشار اليها فى هذا المرسوم ، تنتخب اللجان العسكرية الثورية فى الاحياء ثلاثة ممثلين عنها وتعلن عن مقر عملهم .

المفوض المطلق الصلاحية للجنة العسكرية الثورية

س . شيفيردين – مكسيمنكو» .

الفصل الحادى عشر

١

موضوع الفصل الحالى

يحيط هذا الفصل بمرحلة شهرين تقريبا . يتناول مرحلة المفاوضات مع الحلفاء ، ومفاوضات الهدنة مع الالمان ، وبدء مفاوضات السلم فى بريست – ليتوفسك ، كما يتناول المرحلة التى ارسيت خلالها اسس الدولة السوفييتية .

ولم يكن هدفى فى هذا الكتاب ان اعرض واحلل هذه الاحداث التاريخية الهامة جدا ، فان ذلك يتطلب مجالا اوسع ، ولهذا فقد تركت هذا العمل الى كتاب آخر : «من كورنيلوف الى بريست – ليتوفسك» .

وقصرت عملى فى هذا الفصـــل ، اذن ، على جهود الحكومـــة السوفييتية لتدعيم سلطتها السياسية فى الداخل ورسمت الانتصارات المتتالية التى احرزتها على العناصر المعادية فى روسيا ، المهمـــة التى توقفت موقتا نتيجة صلح بريست – ليتوفسك المفجع .

٢

بيان حقوق شعوب روسيا

(مقدمة)

«لقد بدأت ثورة اكتوبر للعمال والفلاحين تحت راية التحرر المشتركة .

لقد تحرر الفلاحون من سلطة ملاك الارض ، لأنه لم تعد ثمة ملكية للملاكين العقاريين للارض – لقد الغيت هذه الملكية . وتحرر الجنود والبحارة من سلطـــة الجنرالات المستبدين ، لأن هؤلاء سينتخبون من الآن فصاعدا ويكونون عرضة للتبديل . وتحرر العمال من نزوات الرأسماليين وتعسفاتهم ، لأنه اصبح للعمال من الآن فصاعدا حق الرقابة على المصانع والمعامل . ان كل حى وقادر على الحياة قد تحرر من السلاسل البغيضة .

لم يبق اذن سوى القوميات فى روسيا ، التى عانت وما تزال تعانى من الجور والتصرف الكيفى ، لذا يجب العمل على تحريرها فورا ، واجراء هذا التحرير بحزم وبلا رجعة .

كانت الشعوب فى عهد القيصرية ، يحرض بعضها على البعض بصورة منتظمة ، ونتائج هذه السياسة معروفة : مذابح ومجازر من جهة وعبودية الشعوب من جهة اخرى .

لا يمكن ولا تجوز العودة الى سياسة التحريض المشينة هذه . ان سياسة تقوم على الاتحاد الطوعى والشريف للشعوب ، يجب ان تحل محل ذلك .

فى مرحلة الامبريالية ، بعد ثورة شباط ، عندما انتقلت السلطة الى ايدى برجوازيى حزب الكاديت ، اخلت سياسة التحريض مكانها لسياسة عدم الثقة الرعديدة ازاء شعوب روسيا ، سياسة تقوم على المسكنة والمماحكة والاستفزاز متسترة وراء تصريحات كلامية حول الحرية والمساواة بين الشعوب . ان نتائـــج هذه السياسة معروفة : نمو العداء بين القوميات ونسف الثقة المتبادلة .

يجب وضع حد لهذه السياسة الوقحة القائمـــة على الكذب والريبة والمماحكة والاستفزاز . ويجب استبدالها بسياسة صريحة وشريفة ، تؤدى الى اقامة ثقة متبادلة كاملة بين شعوب روسيا .

وعلى مثل هذه الثقة فقط ، يمكن ان يتشكل تحالف شريف ومتين بين شعوب روسيا .

وعلى مثـــل هذا التحالف فقط ، يمكن رص صفوف العمال والفلاحين لجميع شعوب روسيا ، بحيث يشكلون قوة ثورية واحدة قادرة على الصمود لكافـــة تطاولات البرجوازيـة الامبرياليـــة الطامحة الى الالحاقات .

١٥ (٢) تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧» .

٣

مراسيم

مرسوم حول تأميم المصارف

«حرصا على مصلحة تنظيم الاقتصاد الوطنى تنظيما صحيحا وعلى مصلحة الاستئصال الحازم للمضاربة المصرفية وعلى تحرر العمال والفلاحين وسائر السكان الكادحين ، مـــن استغلال رأس المال المصرفى ، ومن اجل انشاء مصرف وطنى واحد للجمهورية الروسية ، يخدم مصالح الشعب الحقيقية ومصالح الطبقات الفقيرة ، فقد قررت اللجنة التنفيذية المركزية ما يلى :

١ – يعلن المجال المصرفى احتكارا للدولة .

٢ – تدمج فى مصرف الدولة كافة المصارف المساهمة والمكاتب المصرفية الخاصة .

٣ – تنتقل اصول وخصوم المؤسسات التى تجرى تصفيتها الى مصرف الدولة .

٤ – يصدر مرسوم خاص يعين طريقة دمج هذه المصارف الخاصة فى مصرف الدولة .

٥ – يعهد الى ادارة مصرف الدولة ، الاشراف موقتا على ادارة اعمال المصارف الخاصة .

٦ – ان مصالح صغار المدخرين مضمونة كليا» .

مرسوم حول مساواة جميع العسكريين فى الحقوق

«تنفيذا لارادة الشعب الثورى المتعلقة بالاستئصال السريع والتام لكل بقايا عدم المساواة القديمة فى الجيش ، فان مجلس مفوضى الشعب يرسم :

١ - تلغى كافة الرتب والدرجات فى الجيش ، ابتداء من رتبة عريف الى رتبة جنرال . يتألف جيش الجمهورية الروسية من الآن فصاعدا من مواطنين احرار ومتساوين ، يحملون اللقب المجيد ، جندى فى الجيش الثورى .

٢ - تلغى كافة الامتيازات الناجمة عن الرتب والدرجات السابقة ، وتلغى كذلك كافة اشارات الامتياز الخاصة .

٣ - يلغى استعمال الالقاب عند المخاطبة .

٤ - تلغى كافة الاوسمة وغيرها من اشارات الامتياز .

٥ - تلغى ، مع الغاء رتبة الضابط ، جميع المنظمات الخاصة بالضباط .

٦ - يلغى وجود جلاوزة وآذنين فى الجيش العامل .

ملاحظة : يبقى الآذنون فقط لدى مكاتب الفوج واللجان ومنظمات الجيش الاخرى .

رئيس مجلس مفوضى الشعب
ف . اوليانوف (لينين) .
مفوض الشعب للشؤون الحربية والاسطول
ن . كريلنكو .
مفوض الشعب للشؤون الحربية
ن . بودفويسكى .
مفوضو الشعب المساعدون للشؤون الحربية :
كيدروف ، سكليانسكى ، ليغران ، ميخانوشين .
امين سر المجلس **ن . غوربونوف .**

١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧»

مرسوم حول المبدأ الانتخابي
وتنظيم السلطة في الجيش

«١ – ان الجيش الذي يخدم ارادة الشعب الشغيل ، يخضع لارادة الهيئة العليا المعبرة عن هذه الارادة وهي : مجلس مفوضي الشعب .

٢ – تتمتع لجان السوفييتات ولجان الجنود بالسلطات التامة ، ضمن حدود كل وحدة او فرقة في الجيش .

٣ – ان جوانب حياة الجيوش ونشاطها ، الموضوعة تحت اشراف لجان الجيش ، تخضع من الآن فصاعدا ، الى قيادة هذه اللجان المباشرة . اما جوانب النشاطات التي لا تستطيع اللجان ان تأخذها على عاتقها ، فتوضع تحت رقابة اللجان او السوفييتات .

٤ – يشمل مبدأ الانتخاب هيئة الآمرين وذوي الصلاحية . ينتخب جميع القادة ، بمن فيهم قادة الافواج ، بالتصويت العام من قبل الحظائر والفصائل والسرايا والكتائب والافواج . وينتخب جميع القادة ذوي رتب اعلى من رتبة قائد الفوج ، بمن فيهم القائد الاعلى للجيش ، بواسطة المؤتمرات المعنية او ندوات اللجان المعنية .

ملاحظة : يقصد بالندوة ، اجتماع اللجنة المناسبة بالاشتراك مع مندوبي اللجان التي هي ادنى بدرجة واحدة من درجة اللجنة المشار اليها اعلاه .

٥ – ان انتخاب القادة فوق رتبة قائد الفوج ، يصدق عليه من اقرب لجنة عليا .

ملاحظة : في حالة رفض اللجنة العليا ، رفضا معللا ، التصديق على انتخاب قائد ما فان هذا القائد يصار الى تصديق انتخابه حتما ، اذا ما جرى انتخابه ثانية من قبل اللجنة الدنيا المناسبة .

٦ – ينتخب قواد الجيوش ، وينتخب قادة الجبهات من قبل مؤتمرات الجبهات .

٧ – الوظائف ذات الطابع الفني ، التي تتطلب تربية خاصة ومعارف معينة او تكوينا عمليا ، كالاطباء والمهندسين والفنيين وخبراء الهاتف والراديو الهاتفي والطيارين وسائقي السيارات ، الخ . ، مثلا ، توكل من قبل اللجان المناسبة للوحدات الخاصة ، حصرا ، الى الاشخاص الذين يحوزون على معارف ضرورية خاصة .

٨ – ينتخب رؤساء الاركان العامون من بين العسكريين ذوى تكوين خاص بواسطة المؤتمرات .

٩ – تعين رئاسة الاركان ، جميع الاعضاء الآخرين فى الاركان ويجرى التصديق على تعيينهم من قبل المؤتمرات المناسبة .

ملاحظة : تسجل اسماء جميع الاشخاص الحائزين على تدريب خاص ، على قائمة مستقلة .

١٠ – الآمرون الذين تجاوزوا سن الجنود الخاضعين للتجنيد ، وهم فى الخدمة ، والذين لم ينتخبوا لأى مركز او لآخر ، والمعتبرون بالتالى برتبة الجنود العاديين ، لهم الحق فى الاستقالة من الجيش .

١١ – جميع المناصب الاخرى التى ليست لها صفة مناصب قيادية ، باستثناء المناصب ذات الخدمات التموينية ، يشغلها القائد الذى تم انتخابه وجرت المصادقة عليه .

١٢ – ان تعليمات مفصلة تتعلق بانتخاب ملاكات القيادة ، ستنشر بصورة مستقلة .

رئيس مجلس مفوضى الشعب
ف . اوليانوف (لينين) .
مفوض الشعب للشؤون الحربية والاسطول
ن . كريلنكو .
مفوض الشعب للشؤون الحربية
ن . بودفويسكى .
مفوضو الشعب المساعدون للشؤون الحربية :
كيدروف ، سكليانسكى ، ليغران ، ميخانوشين .
امين سر المجلس **ن . غوربونوف**» .

مرسوم حول الغاء الفئات والرتب المدنية

«مادة اولى – تلغى جميع الفئات وما يتفرع عن هذه الفئات الموجودة الى هذا اليوم فى روسيا ، والامتيازات والتقييدات العائدة للفئات ، ومنظمات الفئات ومؤسساتها وكذلك جميع الرتب المدنية .

مادة ثانية – تلغى كافة تسميات الفئات (نبيل ، تاجر ، برجوازى ، فلاح ، الخ .) والالقاب (امير ، كونت ، الخ .) ووجاهات الرتب المدنية (مستشار سرى ، مستشار دولة ، الخ .) ويقوم مقامها لقب عام لجميع سكان روسيا : مواطن الجمهورية الروسية .

مادة ثالثة — تنتقل ممتلكات مؤسسات النبلاء فورا الى سلطات التسيير الذاتى الريفية المعنية .

مادة رابعة — تنتقل ممتلكات جمعيات التجار والبرجوازيين وتوضع فورا تحت تصرف الادارات المدنية الذاتية المعنية .

مادة خامسة — توكل فورا كافة مؤسسات الجمعيات وممتلكاتها وسجلاتها الى الادارات الذاتية المعنية فى المدن والارياف .

مادة سادسة — تلغى كافة المواد المعنية العائدة للقوانين السارية المفعول حتى الآن .

مادة سابعة — يصبح المرسوم الحالى نافذ المفعول يوم نشره ويوضع قيد التطبيق فورا من قبل سوفييتات نواب العمال الجنود والفلاحين المحلية .

لقد صدقت اللجنة المركزية التنفيذية لسوفييتات نواب العمال والجنود، المرسوم الحالى ، فى جلستها المنعقدة فى ٢٣ (١٠) تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ .

رئيس اللجنة التنفيذية المركزية **سفردلوف** .

رئيس مجلس مفوضى الشعب

ف . اوليانوف (لينين) .

رئيس قسم الادارة فى مجلس مفوضى الشعب

ف . بونتش — برويفيتش .

امين سر المجلس **ن . غوربونوف**» .

فى الثالث من كانون الاول (ديسمبر) (٢٠ تشرين الثانى — نوفمبر) قرر مجلس مفوضى الشعب ما يلي : «تخفيض رواتب موظفى ومستخدمى كافة مؤسسات الدولة ذات الطابع العام والخاص على حد سواء» .

فى البدء عين مجلس مفوضى الشعب راتبا شهريا لمفوض الشعب قدره خمسمائة روبل مع اضافة مائة روبل عن كل راشد غير قادر على العمل من افراد عائلته .

كان هذا الحد الاعلى للراتب فى المؤسسات الحكومية .

٤

اوقفت الكونتس بانينا وحوكمت امام المحكمة العليا الثورية .

ان التقرير عن المحاكمة موجود فى فصل «العدالة الثورية» من كتابى التالى : «من كورنيلوف الى بريست-ليتوفسك» . حكم على المتهمة «بارجاع المال وبالتوبيخ العلنى» وبعبارات اخرى ، فقد اطلق سراحها .

٥

ملخص من صحيفة «دروغ نارودا» («صديق الشعب») الناطقة بلسان المناشفة

فى ١٨ (٥) تشرين الثانى (نوفمبر)

«ان قصة «الصلح الفورى» الذى يتحدث عنه البلاشفة ، تذكرنا بفلم هزلى . نيراتوف يهرب - تروتسكى يلحق به ، نيراتوف يتسلق جدارا - تروتسكى يحذو حذوه ، نيراتوف يغطس فى الماء - فيغطس تروتسكى لاحقا به ، نيراتوف يصعد سقيفة - تروتسكى يطارده ، نيراتوف يختبئ تحت سرير - وهناك ايضا يصطاده تروتسكى ! لقد قبض عليه اخيرا ! وبالطبع يجرى توقيع معاهدة الصلح فى الحال . . .

فراغ وهدوء يخيمان على وزارة الخارجية ، السعاة يبدون الاحترام ، بيد ان وجوههم تعلوها ملامح لاذعة .

ماذا لو اعتقلنا احد السفراء ووقعنا معه هدنة او معاهدة صلح ؟ لكن هؤلاء السفراء هم اناس غريبو الاطوار . انهم يلتزمون الصمت تماما كما لو انهم لم يسمعوا شيئا . يا ، يا ، انكلترا ، فرنسا ، المانيا ! لقد وقعنا الهدنة معكم ! هل من المعقول الا تعرفوا شيئا عنها ؟ لقد نشر ذلك فى كافة الصحف ، والصق على كافة الجدران . كلام شرف بلشفى ، لقد وقّع على الصلح . نحن لا نطلب منكم شيئا ، ليس عليكم سوى كتابة كلمتين . . .

السفراء يعتصمون بالصمت . الدول تعتصم بالصمت . فراغ وسكون فى وزارة الخارجية .

- اسمع ، - قال روبيسبيير-تروتسكى الى مساعده مارا-اوريتسكى ، - اسرع الى السفير البريطانى وقل له باننا نقترح الصلح !

- اذهب اليه انت بنفسك ، - اجاب مارا-اوريتسكى . - انه لا يستقبل احدا .

-اتصل به تلفونيا اذن .

– لقد حاولت . وعلّق سماعة التلفون .
– ارسل له برقية .
– فعلت ذلك .
– حسنا ، ما النتيجة ؟
وتنهد مارا اوريتسكى دون ان يجيب . يبصق روبيسبيير – تروتسكى بغضب فى احدى الزوايا .
– اسمع ، يا مارا ، – قال تروتسكى بعد برهة ، – من الضرورى جدا ان نظهر امام العالم كله باننا نقوم بسياسة خارجية فعالة . كيف يمكننا ذلك ؟ . .
– اصدر مرسوما آخر باعتقال نيراتوف ، – اجاب اوريتسكى بجدية .
– يا مارا ، انك ابله ! – صرخ تروتسكى . ونهض فجأة وهو مهيب ورهيب ، حقا انه يشبه روبيسبيير فى هذه الدقيقة .
– اكتب ، اوريتسكى ! – امر بشدة . – اكتب رسالة الى السفير البريطانى ، كتابا مضمونا مدفوع الجواب . اكتب ! انا ايضا سأكتب . الشعوب تنتظر صلحا فوريا !
وفى وزارة الخارجية الواسعة والفارغة ، لم يكن ليسمع سوى صوت آلتين كاتبتين . بكلتا يديه ، كان تروتسكى يشرف بنفسه على سياسة خارجية فعالة . . .» .

٦

«حول قضية الاتفاق .

الى جميع العمال وجميع الجنود .

فى ١١ تشرين الثانى (نوفمبر) عقد فى نادى فوج بريوبراجنسكى اجتماع استثنائى لمندوبى كافة وحدات حامية بتروغراد .
جرى هذا الاجتماع بمبادرة فوجى بريوبراجينسكى وسيميونوفسكى ، بغية مناقشة موقف الاحزاب الاشتراكية الواقفة الى جانب السلطة السوفييتية والواقفة ضدها ، اى حزب يقف الى جانب الشعب واى حزب ضده ، وهل ان الاتفاق ممكن ام لا ؟
دعى الى الاجتماع ممثلون عن اللجنة التنفيذية المركزية

للسوفييتات ، وعن الدوما البلدى ، وسوفييت الفلاحين الذى يرأسه افكسنتييف وكافة الاحزاب السياسية ، ابتداء من البلاشفة حتى الاشتراكيين الشعبيين .

وبعد نقاش طويل ، وبعد الاستماع الى خطب سائر الاحزاب والمنظمات ، اعترف المجلس باغلبيته الساحقة ، ان البلاشفة والاشتراكيين-الثوريين اليساريين هما الحزبان الوحيدان اللذان يقفان الى جانب الشعب ، اما سائر الاحزاب الاخرى فلا تفعل سوى ان تتستر وراء شعار الاتفاق بغية حرمان الشعب من المكتسبات التى احرزها ايام ثورة العمال والفلاحين العظيمة .

وفيما يلى نص القرار الصادر عن اجتماع حامية بتروغراد باغلبية ٦١ صوتا ضد صوت واحد واستنكاف ١٢ صوتا :

«ان مجلس حامية بتروغراد ، المنعقد بمبادرة فوجى بريوبراجينسكى وسيميونوفسكى ، بعد سماع خطب ممثلى سائر الاحزاب الاشتراكية والمنظمات الاجتماعية حول قضية الاتفاق يرى : ١) ان ممثلى اللجنة التنفيذية المركزية للسوفييتات (من الدورة الثانية) ، وممثلى حزب البلاشفة وحزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين ، يقفون بكل وضوح الى جانب السلطة السوفييتية ، والى جانب مراسيم الارض والصلح والرقابة على الانتاج ، وانهم على هذا الاساس يقبلون باتفاق بين الاحزاب الاشتراكية ؛ ٢) وفى الوقت نفسه فقد امتنع ممثلو الاحزاب الاخرى (الاشتراكيين-الثوريين والمناشفة) عن اعطاء اى جواب ، ام اعلنوا صراحة انهم ضد السلطة السوفييتية وضد مراسيم الارض والصلح والرقابة .

ونظرا لذلك ، فان الاجتماع يقرر : ١) توجيه توبيخ قاس الى الاحزاب التى تتستر بشعار الاتفاق ، الا انها ترغب فى الواقع فى القضاء على المكتسبات التى احرزها الشعب ايام ثورة اكتوبر ؛ ٢) انه يعلن عن ثقته الكاملة باللجنة التنفيذية المركزية وبمجلس مفوضى الشعب ويعدهما بتقديم الدعم الكامل والتام .

ويرى الاجتماع اخيرا انه من الضرورى ان يشترك رفاق من الاشتراكيين-الثوريين اليساريين فى حكومة الشعب .

اجتماع مندوبى وحدات حامية بتروغراد» .

٧

السطو على الخمّارات

لقد اكتشف فيما بعد بان حزب الكاديت قد انشأ منظمة خاصة تهدف اثارة الفوضى بين الجنود . لقد ابلغت الثكنات تلفونيا ، بان الخمر سيوزع فى هذا العنوان او ذاك ، وعندما يصل الجنود الى المكان المعين ، يجدون احد الاشخاص ، وقد وضع خصيصا ليدلهم على مواقع الاقبية .

لقد عين مجلس مفوضى الشعب مفوضا كلّف بصورة خاصة لمحاربة موجة السكر . وبعد ان وضع حدا بصرامة للسطو على الاقبية ، صار الى اتلاف مئات الالوف من زجاجات المشروبات . فى بادئ الامر ، اغرقت اقبية قصر الشتاء التى كانت تحوى على خمور نادرة تقدر قيمتها باكثر من خمسة ملايين دولار ، ثم نقلت الخمور الى كرونشتادت حيث جرى اتلافها .

لقد أعطى بحارة كرونشتادت «زهرة القوى الثورية وفخرها» كما سماهم تروتسكى ، المكلفون بتنفيذ هذا الامر ، الدليل على صلابة وتنظيم يستحقان الاعجاب . . .

٨

المضاربون

مرسومان

«من مجلس مفوضي الشعب
الى اللجنة العسكرية الثورية

ان فوضى التموين الناجمة عن الحرب وعن فقدان النظام فى الحياة الاقتصادية ، تحتدم الى اقصى حد ، نتيجة لافعال المضاربين ومستغلى بؤس الشعب واعوانهم من الذين يعملون فى السكك الحديدية وفى احواض البواخر وفى مكاتب الشحن ، الخ . .

ان هؤلاء المختلسين المجرمين ، يتلاعبون فى سبيل مصلحتهم الخاصة ، بصحة وارواح ملايين الجنود والعمال ، مستغلين افظع النكبات التى حلت بالشعب .

ان وضعا كهذا لا يمكن ان نسمح به يوما واحدا آخر .

ان مجلس مفوضى الشعب يدعو اللجنة العسكرية الثورية لتتخذ الاجراءات الاكثر حزما لاستئصال المضاربة ، والتخريب ، واخفاء المؤن ، والتأخير المقصود فى توريد المشحونات ، الخ . .

كل شخص يتهم بمثل هذه الاعمال ، **يعتقل بامر خاص من قبل اللجنة العسكرية الثورية ، ويسجن فى كرونشتادت** بانتظار تقديمه الى المحكمة الثورية .

تدعى جميع المنظمات الشعبية الى الاشتراك فى النضال ضد سارقى المؤن .

رئيس مجلس مفوضى الشعب
ف . اوليانوف (لينين)» .

«الى جميع المواطنين الشرفاء .

ان اللجنة العسكرية الثورية تقرر :

يعتبر جميع المختلسين ومستغلى بؤس الشعب والمضاربين اعداء للشعب . . .

ان اللجنة العسكرية الثورية ، تقترح على كافة المنظمات الاجتماعية وجميع المواطنين الشرفاء ، ان يبلغوها حالا عن كافة حالات السرقة ، والخداع ، والمضاربة عندما يعلمون بها .

ان النضال ضد هذه الآفة واجب على جميع الناس الشرفاء . ان اللجنة العسكرية الثورية ، تتوقع تأييد جميع الذين تعز عليهم مصلحة الشعب .

ان اللجنة العسكرية الثورية ، ستلاحق بدون شفقة المضاربين والمختلسين .

اللجنة العسكرية الثورية .

بتروغراد فى ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧» .

٩

رسالة بوريشكيفيتش الى كاليدين

«ان الحالة فى بتروغراد ميئوس منها . فالمدينة مقطوعة عن العالم الخارجى وواقعة كليا تحت سيطرة البلاشفة . اعتقل عدد من الناس فى الشوارع ، والقى بهم فى النيفا ، واغرقوا ،

وسجنوا دون ان توجه اليهم اية تهمة . ان بورتسيف نفسه سجين فى قلعة بطرس وبولس وموضوع تحت حراسة شديدة .

ان المنظمة التى اديرها تعمل دون انقطاع فى جمع كافة الضباط وما تبقى من اليونكر وتسليحهم . لا يمكن انقاذ الموقف الا بتشكيل افواج من الضباط واليونكر ، وعندما تسجل هذه الافواج النصر الاول ، نستطيع عند ذلك فقط ، كسب جيوش الحامية ، ولكن بدون هذا النصر ، فمن المستحيل الاعتماد على جندى واحد ، اذ ان افضل الجنود مشتتون ، وخائفون من ارهاب الرعاع المندسين فى كافة الافواج قاطبة . لقد اصيب معظم القوزاق بعدوى الدعاية البلشفية ، نتيجة موقف الجنرال دوتوف الغريب ، الذى اضاع فرصة كان يمكن الحصول خلالها على نتيجة اثر القيام بعمل حاسم . ان سياسة الاقناع والرجاء قد اعطت ثمارها : فكل انسان شريف مضطهد ، والذين يحكمون الآن هم المجرمون السوقة ، الذين يجب ان نقضى عليهم منذ الآن باللجوء الى رميهم بالرصاص وشنقهم امام الملأ .

نحن بانتظار مجيئكم الى هنا ، يا سيدى الجنرال ، وعندما تأتون سوف نعمل ايضا بكل القوى المتوفرة لدينا . ولكننا نحتاج فى سبيل ذلك ، الى اقامة اتصال معكم ، وقبل كل شيء الى ان نعرف ما يلى :

١ — أتعلمون ان جميع الضباط الذين من المحتمل ان يشتركوا فى النضال ، قد طلب اليهم باسمكم ، ان يغادروا بتروغراد بغية الانضمام اليكم ؟

٢ — فى اى تاريخ يمكننا ان نتوقع اقترابكم من بتروغراد ؟ انه من المفيد لنا ان نعرف ذلك مسبقا لتكييف اعمالنا حسب الظروف .

ورغم اللامبالاة المجرمة التى يبديها كل المجتمع الواعى هنا ، والذى يقبل بان يكدّن بالنير البلشفى ، ورغم الخمول المدهش الذى يبديه معظم الضباط الذين من الصعب تنظيمهم ، فاننا على ثقة ، بان الحقيقة هى الى جانبنا ، واننا سنتغلب على قوى الفساد والظلام ، اذ اننا نعمل بدافع من حب الوطن ومن اجل انقاذه . ومهما يكن من امر ، فاننا لم نفقد عزيمتنا وسنبقى صامدين حتى النهاية» .

مثل بوريشكيفيتش امام المحكمة الثورية وحكم عليه بالسجن لمدة قصيرة .

«مرسوم حول احتكار الدولة للاعلانات .

١ – ان الطبع المأجور للاعلانات فى المطبوعات الدورية وفى الملازم وكذلك اعطاء الاعلانات الى المكاتب والاكشاك وغيرها من المؤسسات ، يصبح احتكارا للدولة .

٢ – لا يمكن نشر الاعلانات الا فى مطبوعات حكومة العمال والفلاحين الموقتة فى بتروغراد وفى مطبوعات سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين المحلية . تتعرض للاغلاق المطبوعات التى تنشر الاعلانات بالرغم من كونها لا تتمتع بحق النشر .

٣ – ان اصحاب الصحف ، ووكالات نشر الاعلانات ، وكذلك جميع المستخدمين فى المكاتب والاقلام وفى غيرها من المؤسسات التى هى من هذا النوع ، ملزمون بالبقاء فى مراكزهم الى ان يصار الى نقل مصالحهم الى الدولة بشخص الهيئات المشار اليها آنفا ، كما انهم مسؤولون عن اجراء هذا النقل بنظام تام وعن تأمين سير عمل هذه المؤسسات وعن تسليم كافة الاعلانات الخاصة وكافة المبالغ النقدية المدفوعة اجورا للاعلانات المعدة للنشر وكذلك تسليم كافة الحسابات مع الوثائق الضرورية الى السوفييتات .

٤ – يتوجب على جميع مدراء ومستخدمى وعمال المطبوعات والمؤسسات التى تنشر الاعلانات المأجورة ، ان يعقدوا فورا الاجتماعات على صعيد المدن للانتساب الى النقابات فى المدن اولا ، ثم الى نقابة عموم روسيا ، بغية تنظيم قضية قبول ونشر الاعلانات الخاصة فى المطبوعات السوفييتية تنظيما انجح وافضل وكذلك بغية وضع الانظمة لقبول ونشر هذه الاعلانات بصورة اكثر ملاءمة للسكان .

٥ – كل شخص مذنب بخبء وثائق او مبالغ نقدية او انتهاك نصى الفقرتين ٣ و٤ سيكون عرضة لحكم يمكن ان يصل الى ثلاث سنوات سجن مع مصادرة كافة الممتلكات .

٦ – نشر الاعلانات المأجورة فى المطبوعات الخاصة على شكل تقارير ، ومقالات الدعاية او غيرها من الاشكال المقنعة ، يعاقب عليه بالعقوبات المشار اليها اعلاه .

٧ – تصادر الدولة وكالات قبول ونشر الاعلانات ، وتدفع

اعانات موقتة الى اصحابها عند الاقتضاء . وتعوض الدولة على صغار المالكين ، والمشتركين والمساهمين فى المؤسسات المصادرة ، عن كافة المبالغ التى وضعها هؤلاء فى المؤسسة .

٨ – يتوجب على كافـــة المؤسسات ، والادارات ، والمكاتب وبصورة عامة الدور التى تهتم بنشر الاعلانات المأجورة ، ان تقدم فى الحال عناوينها الى سوفييتات نواب العمال والجنود وان تعمل على نقل اضباراتها والاعلانات التى حصلت عليها ،الى الدولة ، تحت طائلة العقوبة المنصوص عنها فى الفقرة ٥ من المرسوم الحالى .

رئيس مجلس مفوضى الشعب
ف . اوليانوف (لينين) .
مفوض الشعب لشؤون التعليم العام
ا . ف . لوناتشارسكى .
امين سر المجلس **ن . غوربونوف» .**

١١

«قرار الزامى

١ – تعلن حالة الحصار فى مدينة بتروغراد .

٢ – تمنع كافة الاجتماعات ، والاجتماعات الحاشدة وغير ذلك فى الشوارع او فى الساحات .

٣ – كل محاولـــة للسطو على الخمارات ، والمستودعات ، والمصانع ، والمخازن ، والحوانيت ، والشقق ، الـخ . ، **ستسحق بالرشاشات بدون انذار .**

٤ – يكلف لجان الابنية والبوابون ووكـــلاء البنايات وافراد الميليشيا بالمحافظة على النظام الدقيق فى البيوت ، والباحات ، والشوارع ، ويجب ان تغلق ابواب البيوت فى الساعة التاسعة مساء وتفتح فى السابعة صباحا . لا يمكن ان يغادر البيوت بعد التاسعة مساء سوى المستأجرين تحت اشراف لجان المساكن المشدد .

٥ – كل شخص يوزع ، او يبيع ، او يشترى خمرا او مشروبات

روحية ، وكل شخص يتهم بمخالفة الفقرتين ٢ و٤ من الامر الحالى ، يوقف فورا ويتعرض لاحكام قاسية .

لجنة النضال ضد المجازر ، التابعة للجنة التنفيذيـة لسوفييتات نواب العمال والجنود .

بتروغراد فى ٦ كانون الاول (ديسمبر) ، الساعة ٣ صباحا» .

١٢
«نداء الى السكان

ايها الرفاق العمال والجنود والفلاحون ، يا جميع الشغيلة !

ان الثورة العمالية والفلاحية قد انتصرت نهائيا فى بتروغراد وفى موسكو . . .

ومن الجبهة والارياف تتوالى الانباء كل يوم ، كل ساعة ، عن تأييد الاغلبية الساحقة من الجنود فى الخنادق والفلاحين فى الاقضية للحكومة الجديدة ومراسيمها بصدد عرض الصلح وتسليم الارض فورا للفلاحين . ان انتصار ثورة العمال والفلاحين مضمون لأن اغلبية الشعب قد دعمتها .

وغنى عن البيان ان الملاكين العقاريين والرأسماليين ، وكبار الموظفين والمستخدمين الوثيقى الارتباط بالبرجوازية ، وبكلمة ، جميع الاغنياء وجميع الذين يقفون الى جانبهم ، يستقبلون الثورة الجديدة بالعداوة ، ويقاومون انتصارها ، ويهددون بوضع حد لنشاط المصارف ، ويفسدون او يشلون عمل مختلف المؤسسات ، ويعرقلونه بشتى الطرائق ، ويعيقونه بصورة مكشوفة تارة وغير مكشوفة تارة اخرى . ولقد كان كل عامل واع يدرك تمام الادراك اننا سنصطدم حتما بمقاومة من هذا النوع ؛ وقد اشارت الصحافة الحزبية البلشفية كلها الى هذا الامر مرارا عديدة . ان الطبقات الكادحة لن يعتريها الخوف لحظة واحدة بسبب من هذه المقاومة ، ولن ترتجف ابدا امام تهديدات انصار البرجوازية واضراباتهم .

فمعنا اغلبية الشعب . معنا اغلبية الشغيلة والمضطهدين فى العالم بأسره . معنا قضية العدالة . ان انتصارنا مضمون .

ستسحق مقاومة الرأسماليين وكبار المستخدمين . ولن نحرم احدا من املاكه ، دون قانون خاص تسنه الدولة حول تأميم المصارف والسنديكات . وهذا القانون قيد التحضير . ولن يخسر اى شغيل او عامل كوبيكا واحدا ؛ بل بالعكس ، فانه سيلقى المساعدة . وباستثناء ادق الحساب والرقابة ، باستثناء تحصيل الضرائب العلنية المقررة من قبل تحصيلا كاملا ، لا تنوى الحكومة اتخاذ اى اجراء آخر .

ايها الرفاق الشغيلة ! تذكروا بانكم انتم الذين تقودون الدولة بانفسكم الآن . ولن يساعدكم احد اذا لم تتحدوا بانفسكم واذا لم تأخذوا جميع شؤون الدولة فى ايديكم . ان سوفييتاتكم هى من الآن وصاعدا هيئات سلطة الدولة ، تتمتع بكامل الصلاحيات ، هيئات تتمتع بسلطة الفصل والاقرار .

تجمعوا حول سوفييتاتكم . عززوها . انصرفوا بانفسكم الى العمل فى القاعدة ، ولا تنتظروا احدا . اقيموا النظام الثورى الاحزم ، اسحقوا بلا رحمة المحاولات الفوضوية من جانب السكارى والزعران ، وطلاب المدارس العسكرية المعادين للثورة ، والكورنيلوفيين وغيرهم .

ابسطوا اقسى الرقابة على انتاج المواد الغذائية وحسابها . اعتقلوا واحيلوا الى محكمة الشعب الثورية كل من يجرؤ على الاساءة الى قضية الشعب ، سواء أبتخريب الانتاج (اتلاف ، عرقلة ، نسف) واخفاء مخزونات الحبوب والاغذية والتأخير فى ايصال الحبوب ، وتشويش العمل فى السكك الحديدية والبريد والبرق والهاتف ام ، بوجه عام ، بابداء المقاومة ، اية مقاومة ، لقضية السلام الكبرى ، لتسليم الارض للفلاحين ، لتأمين الرقابة العمالية على الانتاج وعلى توزيع الاغذية .

ايها الرفاق العمال والجنود والفلاحون ، يا جميع الشغيلة ! خذوا السلطة كلها واعهدوا بها الى سوفييتاتكم . . . وبالاتفاق مع اغلبية الفلاحين وبتأييدهم ، وباتباع السبل التى دلت عليها تجربة العمال والفلاحين العملية ، سنسير تدريجيا ، ولكن بحزم وتصميم ، نحو انتصار الاشتراكية الذى سيوطده العمال الطليعيون

فى ارقى البلدان المتمدنة ، والذى سيعطى الشعوب سلاما وطيدا ويخلصها من كل اضطهاد وكل استثمار .

رئيس مجلس مفوضى الشعب
ف . اوليانوف (لينين) .
بتروغراد ، ٥ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧» .

١٣
«الى جميع عمال بتروغراد

ايها الرفاق ! الثورة تنتصر — الثورة قد انتصرت ! انتقلت كل السلطة الى سوفييتاتنا . ان اكثر الاسابيع صعوبة اولها . يجب سحق الرجعية المهزومة سحقا نهائيا ، يجب تأمين الانتصار الكامل لامنياتنا . يتوجب على الطبقة العاملة ، ان تبدى فى هذه الايام الحد الاقصى من رباطة الجأش والصمود لكى تسهل على حكومة السوفييتات الشعبية الجديدة ، تحقيق جميع مهامها . فى الايام القليلة القادمة سوف تصدر القوانين الجديدة المتعلقة بالعمل ، وسيكون على رأس هذه القوانين ، قانون الرقابة العمالية على الانتاج وضبط الصناعة .

ان اضرابات جماهير العمال فى بتروغراد وتظاهراتهم ، لن تسفر فى هذه الآونة الا عن الاضرار .

اننا ندعوكم الى التوقف فورا عن كافة الاضرابات الاقتصادية والسياسية ، والعودة الى عملكم الذى يجب ان تنفذوه بانتظام تام . ان سير العمل فى المصانع وفى جميع المؤسسات ، ضرورى لحكومة السوفييتات الجديدة ، اذ ان كل تشويش فى العمل انما يشكل لها متاعب جديدة ولديها منها ما فيه الكفاية . ليبق كل واحد فى مركزه !

ان افضل وسيلة لدعم حكومة السوفييتات الجديدة فى الوقت الحاضر ، هى ان يقوم كل واحد بعمله .

عاشت صلابة ورباطة جأش البروليتاريا ! عاشت الثورة !

سوفييت بتروغراد .
سوفييت نقابات بتروغراد .
سوفييت لجان المعامل والمصانع» .

١٤

نداءات ونداءات معاكسة

«نداء مستخدمي مصارف الدولة والمصارف الخاصة
الى اهالي بتروغراد .

ايها الرفاق العمال والجنود ، ايها المواطنون !

تتهم اللجنة العسكرية الثورية فى «بلاغ غير عادى» ، شغيلة مصارف الدولة والمصارف الخاصة وعددا من المؤسسات بانها تخرب نشاط الحكومة التى تجهد فى تأمين تموين الجبهة .

ايها الرفاق والمواطنون ، لا تصدقوا هذا الافتراء الموجه ضدنا نحن الذين نشكل جزءا من جيش العمل الكبير .

رغم انه من العسير القيام بعمل قاس تحت التهديد المتواصل باعمال العنف ، ومهما كان صعبا الادراك بان بلادنا والثورة هما على حافة الهاوية ، فاننا نحن الجميع ، من الصغار حتى الكبار ، مستخدمين واعضاء تعاونيات ، محاسبين ، وعمالا ، وسعاة ، الخ . ، اننا نثابر على تأمين الاعمال المناطة بنا ، فيما يتعلق بتموين الجبهة والبلاد بالارزاق والاعتدة .

انهم يعتمدون على نقص فى معلوماتكم ، ايها الرفاق العمال والجنود ، بالقضايا المالية والمصرفية ، لكى يثيروكم على شغيلة مثلنا ، اذ انه من المهم ان يحولوا مسؤولية موت اخواننا فى الجبهة عن المجرمين الحقيقيين الى شغيلة ابرياء ، يقومون بمهامهم فى جو من الفقر والفوضى العامين .

تذكروا ايها العمال والجنود ! ان المستخدمين قد حموا ويحمون دائما مصالح جماهير الشغيلة ، الذين هم انفسهم جزء منها ، ولم يوقفوا ولن يوقفوا ، صرف كوبيك واحد ضرورى للجبهة وللعمال .

منذ السادس الى الثالث والعشرين من الشهر الجارى ، اى خلال سبعة عشر يوما ، ارسل مبلغ خمسمائة مليون روبل الى الجبهة ومائة وعشرون مليونا الى موسكو دون حساب المبالغ المرسلة الى مدن اخرى .

ان المستخدمين حرصا منهم على ثروة الشعب التى لا يمكن ان تعود ملكيتها الا للشعب الروسي بأسره بشخص الجمعية

التأسيسية ، لا يفعلون سوى ان يرفضوا المساهمة فى تسليم النقود لاغراض يجهلونها .

لا تصغوا للمفترين الذين يدعونكم الى القيام باعمال التنكيل .

المكتب المركزى لاتحاد مستخدمى مصارف الدولة لعموم روسيا .
المكتب المركزى لنقابة عموم روسيا لمستخدمى المؤسسات الاعتمادية» .

«نداء الى اهالى بتروغراد

ايها المواطنون ! لا تصدقوا الافتراء الذى يجهد بان يوحى به اليكم اشخاص غير مسؤولين ، ناشرين الكذب الفظيع ضد جميع مستخدمى وزارة التموين وكذلك ضد غيرهم من الشغيلة الذين يعملون بلا كلل فى هيئات التموين فى هذه الايام القاتمة ، فى سبيل سلامة روسيا . ايها المواطنون ! تتضمن الاعلانات الملصقة الحض على سحلنا ، وتتهمنا كذبا بالتخريب والاضراب ، وتجعلنا مسؤولين عن كافة المحن التى يعانيها الشعب ، فى حين اننا نعمل دائما وبدون كلل وتوقف ، على الرغم من اننا ناضلنا ولا نزال نناضل فى سبيل انقاذ الشعب الروسى من غائلة الجوع . وبالرغم من كل ما نجبر على تحمله بوصفنا مواطنى روسيا البائسة ، فاننا لم نترك ساعة واحدة العمل المضنى والهام فى تموين الجيش والشعب .

لم يغرب عن بالنا لحظة واحدة التفكير بالجيش ، الذى وهو فريسة البرد والجوع ، يحمى وجودنا بدمه وآلامه .

ايها المواطنون ! اذا كنا نحيا اكثر الايام سوادا فى حياة شعبنا وتاريخه ، اذا كنا نجحنا فى ابعاد المجاعة عن بتروغراد ، اذا كنا استطعنا تزويد الجيش المتألم بالخبز والعلف ، فقد تم ذلك بفضل جهود عظيمة ، هى تقريبا فوق طاقة البشر ، ذلك اننا تابعنا بشرف عملنا ولا ننقطع عن الاستمرار فيه .

اننا نجيب على «الانذار الاخير» لمغتصبى السلطة : ليس لكم انتم ، الذين تسيرون بالبلاد الى الهاوية ، ان تهددونا ، نحن الذين نسعى جهدنا لكى تبقى البلاد على قيد الحياة . اننا لا نخاف التهديد ، ان صورة روسيا المقدسة والمعذبة ما تزال ماثلة امام اعيننا .

وسنستمر فى تزويد الجيش والشعب بالخبز حتى قوانا الاخيرة ، طالما انتم لا تمنعوننا عن القيام بواجبنا حيال وطننا . والا فان الجيش والشعب سيجدان نفسيهما وجها لوجه امام مختلف اهوال الجوع ، ولكن المسؤولية تقع عندئذ على عاتق صانعى العنف .

اللجنة التنفيذية لمستخدمى وزارة التموين» .

«تنبيه الى جميع الموظفين

يعلن بهذا التنبيه الى جميع الموظفين والاشخاص الذين تركوا خدمة الحكومة والمؤسسات العامة او الذين سرحوا من عملهم لقيامهم باعمال التخريب او رفضهم تسليم الاضبارات فى الآجال المعينة والذين قبضوا رواتبهم مسبقا دون ان يقوموا بعمل مقابلها ، انهم ملزمون بارجاع المبالغ المأخوذة غير المستحقة الى المؤسسات التى كانوا يعملون فيها ، وذلك قبل ٢٧ (١٤) من تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧ .

ان الاشخاص الذين لا يمتثلون لهذا التنبيه ، يعتبرون مختلسين لاموال تخص الدولة ويحالون امام المحاكم العسكرية الثورية .

اللجنة العسكرية الثورية .

فى ٢٤ (١١) تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧» .

«نداء لجنة التموين الخاصة

ايها المواطنون ! ان شروط عملنا فى تموين بتروغراد تصبح اكثر صعوبة يوما بعد يوم .

ان التدخل المهلك فى نشاطنا الذى يقوم به مفوضو اللجنة العسكرية الثورية يستمر ايضا .

ان اعمالهم التعسفية ، والغاءهم الاوامر المعطاة من قبلنا ، **يمكن ان تقود الى كارثة .**

لقد ختم من جديد احد برادات حفظ اللحوم والزبدة لاعاشة السكان ، بحيث يستحيل علينا تنظيم الحرارة بشكل **لا تفسد معه هذه المواد الغذائية .**

كما صودرت شاحنة بطاطا واخرى تنقل الملفوف ، ونقلتا الى جهة لا نعرفها .

كما ان منتوجات لا تخضع للمصادرة (حلاوة) صادرها احد المفوضين ، وهذا ما حدث بالنسبة لخمس علب من الحلاوة ، فقد صادرها مفوض لحاجاته الخاصة .

اننا لسنا بوضع يسمح لنا بالتصرف بالتموين ، طالما ان المفوضين الذين لم يستلموا السلطة الا من ذواتهم ، يمنعون نقل المؤن ، مهددين عمالنا بالاعتقال .

يعرف سكان الارياف كيف تسير **الامور فى بتروغراد ، ولذا فمن الدون ، ومن سيبيريا ومن فورونيج ، ومن مناطق اخرى كذلك** ، فانهم يرفضون ارسال الحبوب .

ان هذا الوضع لا يمكنه ان يستمر طويلا .

اننا فاقدو القدرة على العمل فى مثل هذه الظروف .

ان واجبنا احاطة السكان علما بذلك .

اننا سنحمى مصالح السكان ، ما دام ذلك ممكنا .

اننا سنعمل كل شيء لتحاشى مجاعة مهددة ، ولكن ، اذا اضطررنا فى هذه الظروف العصيبة الى ان نوقف نشاطنا ، فليعرف السكان بان مسؤولية ذلك لا تقع علينا . . .» .

١٥

الانتخابات الى الجمعية التأسيسية فى بتروغراد

تنافست فى بتروغراد تسع عشرة قائمة . وكانت النتائج المعلنة فى بتروغراد فى ٣٠ تشرين الثانى (نوفمبر) كما يلى :

الاحزاب	عدد الاصوات
الاشتراكيون الشعبيون	١٩١٠٩
الكاديت	٢٤٥٠٠٦
الديموقراطيون الفلاحيون	٣٧٠٧
البلاشفة	٤٢٤٠٢٧
الاشتراكيون العالميون	١٥٨
العمال الاشتراكيون-الديموقراطيون	

والاشتراكيـــون-الثوريـــون	
الاوكرانيون واليهود	٤٢١٩
رابطة مساواة المرأة	٥٣١٠
الاشتراكيون-الثوريون (الدفاعيون)	٤٦٩٨
الاشتراكيون-الثوريون اليساريـون	١٥٢٢٣٠
رابطة التطوير الشعبى	٣٨٥
ديموقراطيون راديكاليون	٤١٣
الابرشيات الارثوذكسية	٢٤١٣٩
الرابطة النسائية لانقاذ الوطن	٣١٨
الرابطة المستقلة للعمال ، والجنود	
والفلاحين	٤٩٤٢
الديموقراطيون المسيحيون	
(الكاثوليك)	١٤٣٨٢
الاشتراكيون-الديموقراطيون	
المتحدون	١١٧٤٠
المناشفة	١٧٤٢٧
جماعة «يدينستفو»	١٨٢٣
رابطة الجيوش القوزاقية	٦٧١٢

١٦

«نداء لجنة التعليم العام الملحقة بالدوما البلدى المركزى

ايها الرفاق العمال والعاملات !

قبل العيد بايام ، اضرب طلاب المدارس البلديـــة . ووقف الطلاب الى جانب البرجوازية ضد حكومة العمال والفلاحين .

ايها الرفاق ، نظموا لجـــان اولياء الطلاب ، واتخذوا قرارات تشجب اضراب الطلاب . توجهوا الى سوفييتات نواب العمال والفلاحين فى الاحياء ، والى النقابات ، والى لجان المعامل والمصانع ولجان الحزب ، من اجل ان تنظموا معها اجتماعات الاحتجاج . اقيمو بوسائلكم الخاصة اشجار عيد الميلاد للاولاد ، ونظموا حفلات السمر ، واطلبوا اعادة

فتح المدارس بعد العطلة ، فى التاريخ الذى سيحدده مجلس الدوما المركزى .

ايها الرفاق ، قووا مواقعكم فى مجال التثقيف الشعبى ، الحوا على رقابة المنظمات البروليتارية على المدارس .

لجنة التعليم العام الملحقة بالدوما البلدى المركزى» .

١٧

نداء مجلس مفوضى الشعب الى الشغيلة القوزاق

«ايها الاخوة القوزاق ! تخدعون ، تحرضون ضد الشعب كله . يقال لكم كأن سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين هى عدوتكم ، وكأنها تريد انتزاع الاراضى القوزاقية منكم ، وسلبكم «حريتكم» القوزاقية . لا تصدقوا هذا ايها القوزاق ! تخدعون ، يكذب عليكم بصورة مجرمة . فان جنرالاتكم واسيادكم الريفيين والملاكين العقاريين ، يلجأون الى ذلك بغية ابقائكم فى الجهل والعبودية . نحن ، مجلس مفوضى الشعب ، هو ذا ما نقوله لكم ايها القوزاق . اقروا بانتباه واحكموا بانفسكم اين توجد الحقيقة واين الخداع الخبيث .

ان حياة القوزاقى وخدمته العسكرية كانتا دائما العبودية والشقاء المفروض . كان على القوزاقى ، لدى اول نداء للسلطة ، ان يسرج حصانه ويذهب الى القتال . كان على القوزاقى ان يدفع من دخله الخاص الذى كسبه بعرق الجبين ، تكاليف تجهيزاته العسكرية . وبينما يكون القوزاقى فى الخدمة ، تترك مزرعته للدمار . ليس هذا صحيحا ؟ كلا ، يجب ان يتغير هذا الوضع . **يجب ان يتحرر القوزاق من العبودية** . ان السلطة الجديدة لسوفييتات الشعب مستعدة لتساعد الشغيلة القوزاق . ويكفى لذلك ان يأخذ القوزاق انفسهم القرار بتصفية الوضع القديم للامور ، ليرفضوا الطاعة لنخاسيهم ، الضباط ، وكبار الملاكين ، والاثرياء ، ليخلعوا عن اكتافهم النير الملعون . انهضوا ايها القوزاق ! اتحدوا ! ان مجلس مفوضى الشعب يدعوكم الى حياة جديدة ، اكثر حرية واكثر سعادة .

فى شهرى تشرين الاول وتشرين الثانى (اكتوبر ونوفمبر) جرى

فى بتروغراد مؤتمران لسوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين لعموم روسيا . وسلم هذان المؤتمران السلطة فى جميع المقاطعات الى ايدى السوفييتات ، اى الى ايادى اشخاص منتخبين من الشعب . ومن الآن فصاعدا ، يجب الا يكون فى روسيا اسياد ولا موظفون مختارون من اعلى يأمرون الشعب ويسوقونه كالقطيع . انه الشعب الذى خلق بنفسه اجهزة سلطته . ليست للجنرال حقوق اكثر من حقوق الجندى . الجميع متساوون . احكموا ايها القوزاق ، أهذا حسنا ام لا ؟ نحن ندعوكم الى الانضمام للنظام الجديد والى انتخاب **سوفييتات نوابكم القوزاقية** الخاصة . انه ، الى هذه السوفييتات ، يجب ان توكل السلطة فى كل مكان . وليس الى فئة مختارة من الجنرالات ، ولكن الى الممثلين المنتخبين من قبل الشغيلة القوزاق ، الى الاشخاص الذين تختارونهم انتم انفسكم والذين تمنحونهم ثقتكم .

ان مؤتمرى سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين لعموم روسيا قد قررا نقل ملكية كافة اراضى كبار الملاكين الى الشعب الشغيل . أليس هذا صحيحا ايها القوزاق؟ ان كورنيلوف وكاليدين ، ودوتوف ، وكاراوولوف وبارديجى واضرابهم ، يحمون بكل ارواحهم مصالح اغنياء الملاكين ، وانهم مستعدون لان يغرقوا روسيا فى الدم لكى تبقى الاراضى فى ايدى كبار الملاكين . لكنكم انتم ايها الشغيلة القوزاق ، ألا تتألمون من الفقر ، ومن الاضطهاد ، ومن فقدان الاراضى ؟ كم قوزاقى يملك الواحد منهم اكثر من ٤ الى ٥ ديسياتينات ؟ والى جانب هؤلاء ، يوجد الملاكون العقاريون القوزاق الذين يملكون آلاف الديسياتينات من الاراضى الخاصة بهم والذين فضلا عن ذلك يستأثرون بالاراضى المشاعية القوزاقية . ان اراضى اسياد القوزاق ، يجب ، حسب قوانين السوفييتات الجديدة ، ان تسلّم دون اى تعويض الى الشغيلة القوزاق ، الى القوزاق الفقراء . يخيفونكم قائلين بان السوفييتات تريد ان تنتزع اراضيكم منكم . وهكذا فمن الذى يخيفكم اذن ؟ انهم القوزاق الاغنياء ، الذين يعرفون تماما **بان السلطة السوفييتية تريد نقل اراضى الملاكين العقاريين اليكم** . اختاروا ، ايها القوزاق ، الى جانب من تريدون ان تقفوا : مع كورنيلوف وكاليدين واضرابهما ، مع الجنرالات والاثرياء ، او مع سوفييتات نواب الفلاحين والجنود والعمال .

ان **مجلس مفوضى الشعب** ، الذى انتخبه مؤتمر عموم روسيا ، **قد اقترح على سائر الشعوب ، هدنة فورية وصلحا ديموقراطيا شريفا ، لا يحمل الخسارة ولا الضرر لأى شعب** . ان جميع الرأسماليين ، والملاكين والجنرالات الكورنيلوفيين قد تمردوا على سياسة السوفييتات السلمية . لأن الحرب تحمل اليهم الارباح ، والسيطرة ، والامتياز ، واليكم انتم ، ايها القوزاق ماذا تحمل الحرب ؟ انكم مثل اخوانكم ، الجنود والبحارة ، تهلكون دون سبب ، دون مبرر . لقد مضت على هذه الحرب الملعونة ثلاث سنوات ونصف السنة ، هذه المجزرة التى اثارها الرأسماليون والملاكون العقاريون فى جميع البلدان لخدمة مصالحهم ، وفى سبيل اسلابهم العالمية . ان الحرب لم تحمل الى الشغيلة القوزاق سوى الخراب والموت . لقد صرفت كافة موارد معيشة الفلاح القوزاقى . ان السلامة الوحيدة لبلادنا عامة وللقوزاق خاصة ، هى فى صلح سريع وشريف . لقد اعلن مجلس مفوضى الشعب ، الى جميع الحكومات وجميع الشعوب : نحن لا نريد الاستيلاء على ثروات الشعوب الاخرى ، ولا نريد ان نعطى ما نملك . نحن نريد صلحا دون الحاق ، دون تعويض . على كل شعب ان يقرر مصيره بنفسه ، يجب الا تضطهد امة من قبل امة اخرى . ذلك هو بالضبط الصلح الديموقراطى الشريف ، اى الصلح الشعبى ، الذى يقترحه مجلس مفوضى الشعب على جميع الحكومات وجميع الشعوب الحليفة منها والعدوة على حد سواء . والنتائج الاولى واضحة : **لقد عقدت الهدنة على الجبهة الروسية** . لقد توقف اهراق دماء الجنود الروس والقوزاق هناك . والآن ايها القوزاق ، قرروا بانفسكم : أتريدون استمرار هذه المذبحة المخربة ، دون معنى والمجرمة ، فاذا كان الامر كذلك ، فادعموا الكاديت اعداء الشعب ، ادعموا تشيرنوف ، وتسيريتيلى وسكوبيليف الذين قذفوا بكم فى هجوم ١٨ تموز (يوليو) ، ادعموا كورنيلوف الذى اقام حكم الموت فى الجبهة على الجنود والقوزاق . **ولكن اذا اردتم صلحا سريعا وشريفا ، انضموا الى صفوف السوفييتات وأيدوا مجلس مفوضى الشعب** .

ان مصيركم ، ايها القوزاق ، هو بين ايديكم . ان اعداءنا المشتركين ، كبار الملاكين ، الرأسماليين ، الضباط الكورنيلوفيين ، الصحافة البرجوازية ، يخدعونكم ويقودونكم الى الخراب . ففى اورينبورغ عطّل دوتوف السوفييت ، وجرد الحامية من السلاح .

وفى دائرة الدون هدد كاليدين السوفييتات ، لقد اعلن بان الدائرة فى حالة حرب وهو يجمع جيوشه . وفى القفقاس يطلق كاراوولوف الرصاص على القوميات الاصلية . ان البرجوازيين الكاديت يقدمون اليهم الملايين الضرورية . ان هدفهم المشترك ، هـو القضاء على سوفييتات الشعب ، سحق العمال والفلاحين ، واعادة نظام السوط من جديـد الى الجيش ، وابقاء الشغيلـة القوزاق الى الابد فى العبودية .

ان جيوشنا الثورية تتقدم نحو الدون والاورال لتضع حدا لهذا المشروع المجرم الموجه ضد الشعـب . ان قيادة الجيوش الثورية قد استلمت الامر التالى : بالا تشرع باية مفاوضة مع الجنرالات العصاة وان تعمل بحزم ودون شفقة .

ايها القوزاق ! ان وقف اراقة دماء اخوانكم يتعلق بكم . نحن نمد اليكم اليد ، اتحدوا مع الشعب ضد اعدائه . اعلنوا بان كاليدين ، وكورنيلوف ، ودوتوف ، وكاراوولوف وكذا جميـع صنائعهم وشركائهم ، اعداء للشعب ، وخونته . اوقفوهم وسلموهم الى ايدى السلطات السوفييتية التى ستحاكمهم جهارا امام محكمة الثورة .

ايها القوزاق ! اتحدوا فى سوفييتات نواب القوزاق . خذوا بايديكم الخشنة ، ايدى الشغيلة ، ادارة كافة مصالح القوزاق . انتزعوا الاراضى من الملاكين العقارييـن القوزاق الاغنياء . خذوا قمحهم ، وآلاتهم ومواشيهم لزراعة اراضى الشغيلة القوزاق الذين خربتهم الحرب .

الى امام ، ايها القوزاق ، من اجل النضال فى سبيل قضية الشعب المشتركة !

عاش الشغيلة القوزاق !

عاش اتحاد القوزاق ، والجنود والفلاحين والعمال !

عاشت سلطـة سوفييتات نواب القوزاق والجنـود والعمال والفلاحين !

لتسقط الحـرب ! ليسقط كبـار الملاكين والجنرالات الكورنيلوفيون !

عاش السلم والاخوة بين الشعوب !

مجلس مفوضى الشعب» .

١٨
المراسلات الديبلوماسية للحكومة السوفييتية

ان مذكرات تروتسكى الى الحلفاء والى الدول الحيادية ، وكذلك مذكرات ملحقى الحلفاء العسكريين الى الجنرال دوخونين ، طويلة جدا بحيث لا يمكن ايرادها هنا . انها تعود الى مجال خاص فى تاريخ الجمهورية السوفييتية ، اى الى سياستها الخارجية التى لا تدخل فى موضوع هذا الكتاب بل تدرس بالتفصيل فى الكتاب التالى : «من كورنيلوف الى بريست – ليتوفسك» .

١٩
نداء الى الجبهة ضد دوخونين

«ان النضال من اجل الصلح قد اصطدم بمقاومة البرجوازيين والجنرالات المعادين للثورة . . .

واستنادا الى ما نشرته الصحف ، يجتمع فى مقر القيادة العليا للقائد العام السابق دوخونين ، عمـــلاء البرجوازية والمساومون : فيرخوفسكى ، وافكسنتييف ، وتشيرنوف ، وغوتـــز وتسيريتيلى وغيرهم . وكأنهم عازمون على تشكيل سلطة جديدة موجهة ضد السوفييتات .

ايها الرفاق الجنود ! ان هذه الشخصيات جميعها ، قد شغلت مناصب وزارية ولقد عمل هؤلاء بالاتفاق مع كيرنسكى والبرجوازية . انهم مسؤولون عن هجوم ١٨ تموز (يوليو) واطالة الحرب . لقد وعدوا الفلاحين بالارض ، ولكنهم اعتقلوا اللجان الزراعية . لقد اقاموا من جديد حكم الاعدام على الجنود . انهم كانوا يخضعون لاوامر الماليين الفرنسيين ، والانكليز ، والاميركيين . . .

لقد عزل الجنرال دوخونين من منصبه كقائد اعلى ، لأنه رفض تنفيذ اوامر مجلس مفوضى الشعب . . . وردا على ذلك ، فانه يوزع بين القوات مذكرة الملحقين العسكريين للدول الاستعمارية الحليفة ، ويسعى بان يثير ثورة معاكسة . . .

لا تطيعوا دوخونين ! لا تستجيبوا لاستفزازه ! راقبوه بدقة ، هو ومجموعته من الجنرالات المناهضين للثورة ! . .» .

٢٠
مقتطف من الامر رقم ٢ الى الجيش والاسطول

«. . . لما كان الجنرال دوخونين ، القائد الاعلى السابق ، قد رفض تنفيذ الاوامر المسلمة اليه ، ولما كان يقوم باعمال اجرامية قد تؤدى الى انفجار جديد للحرب الاهلية ، لذا فانه يعتبر عدوا للشعب .

وسيعتقل كل شخص يؤيد دوخونين ، بصرف النظر عن وضعه الاجتماعى او الحزبى او ماضيه . وسيقوم بهذه الاعتقالات مفوضون يتمتعون بصلاحيات خاصة . انى اكلف الجنرال مانيكوفسكى ، اصدار الاوامر المناسبة حول الاجراءات التى تناولت الاشخاص المشار اليهم آنفا مع تسجيل التغييرات المذكورة فى سجلاتهم الشخصية .

القائد الاعلى **كريلنكو**»

الفصل الثانى عشر

١
«الى السكان

. . . ردا على اسئلة الفلاحين العديدة ، نجيب بان كل السلطة فى الدولة قد انتقلت الآن بكليتها الى سوفييتات نواب العمال والجنود والفلاحين . وقد انتصرت الثورة العمالية فى بتروغراد وموسكو ، وهى تنتصر فى سائر انحاء روسيا . وحكومة العمال والفلاحين تؤمن التحالف بين جماهير الفلاحين ، الفلاحين الفقراء ، بين اغلبية الفلاحين والعمال ، ضد الملاكين العقاريين ، ضد الرأسماليين .

ولهذا فان سوفييتات نواب الفلاحين ، وبالدرجة الاولى سوفييتات الاقضية ثم سوفييتات المحافظات ، هى ، من الآن وحتى انعقاد الجمعية التأسيسية ، هيئات السلطة المحلية ذات الصلاحية . ان المؤتمر الثانى لسوفييتات عامة روسيا قد الغى ملكية الملاكين العقاريين للارض . ومرسوم الارض انما اصدرته حكومة العمال

والفلاحين الحالية الموقتة . وبمقتضى هذا المرسوم ، تنتقل جميع اراضى الملاكين العقاريين بكاملها الى سوفييتات نواب الفلاحين .

وينبغى على اللجان الزراعية فى الالوية ان تستملك اراضى الملاكين العقاريين دون ابطاء ، وان تنظم بها جردة دقيقة ، مع الحفاظ على النظام المطلق ، وبسط حماية صارمة على املاك الملاكين العقاريين السابقة التى غدت ملكا للشعب بأسره ، والتى غدا الشعب ملزما ، بالتالى ، بتأمين حراستها .

ان لجميع القرارات التى تتخذها اللجان الزراعية فى الالوية ، بموافقة سوفييتات نواب الفلاحين فى الاقضية ، قوة القانون ، وينبغى تطبيقها فورا ودون اى تحفظ .

وحكومة العمال والفلاحين ، التى عيّنها المؤتمر الثانى لسوفييتات عامة روسيا ، تسمى مجلس مفوضى الشعب .

ان مجلس مفوضى الشعب يدعو الفلاحين الى استلام السلطة بكليتها فى مطارحهم .

ان العمال سيساندون الفلاحين كل المساندة وبجميع الوسائل ، وينظمون انتاج الآلات والاعتــــــدة ، وهم يطلبون من الفلاحين مساعدتهم بمدهم بالحبوب .

رئيس مجلس مفوضى الشعب

ف . اوليانوف (لينين) .

بتروغراد ، ٥ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٧» .

كلمة دار
النشر الختامية

لقد نشر كتاب «عشرة ايام هزت العالم» للكاتب الاميركى الشيوعى جون ريد فى الولايات المتحدة الاميركية عام ١٩١٩ . وصدر للمرة الاولى باللغة الروسية فى الاتحاد السوفييتى عام ١٩٢٣ ثم اعيد طبعه مرارا عديدة . لقد كان موضع تقدير لينين السامى فى المقدمة التى كتبها للطبعة الاميركية . اذ يحوى الكتاب وصفا صادقا لثورة اكتوبر الاشتراكية بوصفها ثورة جماهيرية شعبية ، كما انه يبيّن بوضوح ابداع الشعب التاريخى ودور البلاشفة العظيم بوصفهم المعبرين عن ارادة الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين والجنود .

ان ثورة اكتوبر العظمى ، ثورة لا مثيل لها فى تاريخ الانسانية . ولقد كان حزب البلاشفة ولجنته المركزية وعلى رأسها لينين ، الملهم والقائد والمنظم لها .

لقد تنبأ حزب البلاشفة وقائده لينين ببصيرة العباقرة ، سير الثورة كله ، وجميع انعطافاتها ، وسلوك الجماهير الثورية ، والطبقات والاحزاب المعادية لهذه الجماهير ابان الثورة . لقد تغلغلت افكار لينين فى كافة نشاطات هيئات قيادة الثورة : المكتب السياسى والمركز الحزبى لحزب البلاشفة وسوفييت بتروغراد واركانه العملية لقيادة الانتفاضة ، وهى اللجنة العسكرية الثورية .

لقد شقت افكار لينين طريقها الى الحياة فى غمرة النضال الضارى ضد الانتهازيين الذين لم يؤمنوا بقوة الثورة البروليتارية ، وبامكانية انتصارها فى روسيا . ان هؤلاء المستسلمين وقفوا علانية ضد النهج التاكتيكى اللينينى لانتفاضة الشعب المسلحة ، او انهم وافقوا بالكلام فقط على فكرة الانتفاضة ، لقد اقترحوا منهجا تاكتيكيا يمكن فى حال تحقيقه ان يسير بالثورة فعلا الى الهزيمة .

ان كافة الرسائل والمقالات التى كتبها لينين عشية الثورة (ايلول — تشرين الاول) مشبعة بثقة عظيمة بانتصار الجماهير

الشعبية ، ثقة قائمة على اعتبار سليم للوضع الفعلى السائد فى معسكر الثورة ومعسكر اعدائها . لقد كانت هذه الرسائل والمقالات تسوط بحماس وتنزع الاقنعة عن وجوه الجبناء والخونة المستعدين فى اللحظة الحرجة من الثورة لان يرموا السلاح امام العدو .

وفى مقال تحت عنوان «الازمة نضجت» صادر فى ٢٩ ايلول (سبتمبر) انتقد لينين بشدة ، الموقف الذى وقفه بعض اعضاء اللجنة المركزية للحزب البلشفى : زينوفييف وكامينيف وتروتسكى وفريق من اتباعهم فى اوساط الحزب القيادية . لقد انتقد لينين انتقادا حادا زينوفييف وكامينيف اللذين دافعا بضراوة عن ضرورة مساهمة البلاشفة فى البرلمان التمهيدى وبهذه الصورة ، فانهما يجردان قوى الثورة من سلاحها الايديولوجى ويصرفانها عن اعداد الانتفاضة . لقد شهر لينين باولئك الرجال – وتروتسكى من ضمنهم – الذين نادوا «بضرورة **انتظار** انعقاد مؤتمر السوفييتات وكانوا **ضد** الاستيلاء فورا على السلطة **وضد** الانتفاضة الفورية» بوصفها المهمة العملية المستعجلة فى جدول الاعمال .

«يجب **التغلب** على هذا التيار او هذا الرأى ، – كتب لينين ساخطا – والاّ **جلب** البلاشفة لانفسهم العار الى الابد ، **وصاروا صفرا** كحزب . لأن تفويت مثل هذا الظرف «وانتظار» مؤتمر السوفييتات هما **غباوة تامة** او **خيانة تامة** . . . ان «انتظار» مؤتمر السوفييتات يعنى تفويت اسابيع ، بينما الاسابيع وحتى الايام تقرر الآن **كل شىء** . . . ان الامتناع عن اخذ السلطة الآن و«الانتظار» والثرثرة فى اللجنة التنفيذية المركزية والاقتصار على «النضال من اجل الهيئة» (هيئة السوفييت) ، «النضال من اجل المؤتمر» ، يعنى **اهلاك الثورة**» . (لينين . المختارات فى ثلاثة مجلدات . الطبعة العربية . دار التقدم ، موسكو . المجلد ٢ ، الجزء ١ ، ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، و٥٢٥) .

لقد تكلل نضال لينين العنيد ضد المستسلمين داخل اللجنة المركزية ، بنجاح تام . ففى ١٠ تشرين الاول (اكتوبر) تبنت اللجنة المركزية ، استنادا الى تقرير لينين حول الوضع الراهن ، القرار الذى صاغه هو بنفسه . هذا القرار الذى يعترف بان الانتفاضة امر محتم لا بدّ منها وقد اصبحت ناضجة كل النضوج ، ويقترح على كافة منظمات الحزب ، ان تسترشد بذلك فى نشاطها

العملى . اما زينوفييف وكامينيف فقد صوتا ضد هذا القرار فى حين ان تروتسكى ظل متمسكا برأيه السابق ، واقترح عدم المباشرة بالانتفاضة قبل افتتاح مؤتمر السوفييتات الثانى ، الامر الذى يعنى عمليا ، تأخير الانتفاضة التى اختمرت واطلاع العدو على تاريخ توقيتها .

لقد عرض تروتسكى هذا الموقف كذلك فى دورة سوفييت بتروغراد ، فى ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) . ويصف جون ريد فى كتابه ، خطاب تروتسكى هذا على النحو التالى . ردا على سؤال ، حول عزم البلاشفة على القيام بالانتفاضة او عدمه ، اجاب تروتسكى : «ان تغيير السلطة عمل سيحققه مؤتمر عامة روسيا . . . اننا نأمل بان يتولى مؤتمر سوفييتات عموم روسيا ، السلطة المستندة الى الحرية المنظمة للشعب بأسره» (راجع الصفحة ٩٦ من هذا الكتاب) .

لقد عارض لينين بحزم هذا التاكتيك القاتل للثورة ، فوجّه رسالة مساء ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) الى اعضاء اللجنة المركزية ، عمد فيها الى اقناعهم بحماس ، بضرورة اعتقال الحكومة فى المساء ذاته ، فى الليلة ذاتها مهما كلف الامر والاستيلاء على السلطة فورا دونما ابطاء . «لا يجوز الانتظار ! ! فمن الممكن خسارة كل شىء ! ! . . ان التاريخ لن يغفر التباطؤ للثوريين الذين كان فى مستطاعهم ان ينتصروا اليوم (وسينتصرون اليوم بكل تأكيد) ، اذ انهم بهذا التباطؤ يجازفون بخسارة كل شىء . ونحن ، اذ نأخذ السلطة اليوم ، لا نأخذها ضد السوفييتات ، بل من اجلها . . . من الهلاك والتمسك بالشكليات انتظار التصويت المتقلقل فى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) . ومن حق الشعب وواجبه ان يحل مثل هذه المسائل لا بالتصويت بل بالقوة ؛ من حق الشعب وواجبه فى اللحظات الحرجة من الثورة ، ان يوجه ممثليه . . . لا ان ينتظرهم» (لينين . المختارات فى ثلاثة مجلدات . الطبعة العربية . دار التقدم ، موسكو . المجلد ٢ ، الجزء ١ ، ص ٦١٨ و٦١٩) .

وبعد وصول لينين الى سمولنى ليلة ٢٤ الى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ، اخذ بكلتا يديه كافة خيوط قيادة الانتفاضة . وخلال هذه الليلة ، زار لينين فى سمولنى عشرات من العمال والجنود وهم قواد مفارز الحرس الاحمر ورجال الارتباط ، وممثلو النواحى ،

والمصانع والوحدات العسكرية . واتسع نطاق عمل اللجنة العسكرية الثورية اتساعا فائقا للعادة ، واصبحت لديها قاعدة متينة بفضل المبادرة الثورية الواسعة التى شجعها لينين لدى العمال والجنود .

لقد انتصر تكتيك لينين العبقرى .

ان القوة التى لا تقهر عند لينين تكمن فى واقع ان لديه قوة جبارة فكرية ونظرية امتزجت مع عبقرية فى التنظيم . ان كل نشاط بذله المركز الحزبى واللجنة العسكرية الثورية لقيادة الانتفاضة انما كان يجرى بالدقة التامة وفقا للخطة التى صاغها لينين ، والتى عرضها فى رسائله حول التكتيك والتـــى كتبها فى شهرى ايلول وتشرين الاول (سبتمبر واكتوبر) .

لقد وصف جون ريد لينين بالزعيم الفذ . اجل ، لقد كان لينين فى الواقع زعيما فذا . وكان التكلف فى المظهر الملازم للقائـــد الاشتراكى-الديموقراطى فى اوروبا الغربية غريبا عنه ، اذ كان لينين بسيطا للغاية ، وحكيما للغاية فى الوقت نفسه فى كافة اعماله ومحاكماته . لقد كانت لديه كما كتب جون ريد ، «القدرة الجبارة على شرح اعقد الافكار بأبسط الكلمات وان يعطى تحليلا عميقا لظرف موضوعى ناشئ جامعا مرونة العقل الى جرأة التفكير الخارقة» . كل خصال لينين العظيم هذه تقوم على صلاته الوثقى مع الجماهير الشعبية ، التى يرى فيها صانعة التاريخ ، والتى آمن بقواها الخلاقة البناءة ايمانا لا حدود له .

اعرب لينين ، فى اول خطاب له فى جلسة سوفييت بتروغراد المنعقدة على اثر انتصار الانتفاضة الشعبية فى نهار ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) — ٧ تشرين الثانى (نوفمبر) — ، عن ثقته بدون تحفظ برسوخ الانتصار الذى احرزه الشعب وصاغ ، وهو يتأمل بنظرته الثاقبة مستقبل روسيا السوفييتية الجديدة ، صياغة بسيطـــة وواضحة ، المهمة التاريخية الموضوعة امام البلاشفة ، والطبقة العاملة ، والجماهير الشعبية الواسعة : مهمة بناء الدولة الاشتراكية البروليتارية ، وانتصار الاشتراكية فى روسيا .

وكنقيض لتفاؤل البلاشفة السليم ، دوى بيان تروتسكـــى الانهزامى والفاقد الأمل فى المستقبل ، الذى ادلى به امام المؤتمر الثانى للسوفييتات . واورد جون ريد هذا القسم من بيان تروتسكى فى المؤتمر على النحو التالى : «. . . لأن روسيا الثورية ستهلك

28*

لا محالة اذا استمرت البرجوازية الامبريالية تترأس اوروبا . . . واحد من اثنين : اما ان تثير الثورة الروسية الحركة الثورية فى اوروبا ، واما ان تخنق الدول الاوروبيـــة الثورة الروسية !» (راجع الصفحة ١٧١ من هذا الكتاب) .

ان وجهة نظر تروتسكى هذه ناجمة عن فقدانه الثقة فى تأييد الفلاحين الكادحين للبروليتاريا الروسيـــة الظافرة ، وفى قدرة البروليتاريا على جر الفلاحين وراءها . وكانت تعبر عن نظريته المنشفية حول «الثورة الدائمة» التى صاغها فى عام ١٩٠٥ . لقد كانت نظرية تزعم استحالة انتصار الاشتراكية فى بلد واحد ، قبل ان تكون بروليتاريا البلدان الرئيسية فى اوروبا قد استولت على السلطة . لقد كتب تروتسكى قبل ثورة اكتوبر بوقت قصير فى كراسه «برنامج للصلح» : «ان الثورة المنتصرة فى روسيا او فى انكلترا مستحيلة بدون ثورة فى المانيا والعكس بالعكس» . لقد اعرب تروتسكى ايضا ، فى الحديث الذى ادلى به الى جون ريد فى السابع عشر من تشرين الاول (اكتوبر) عن هذه الفكرة نفسها ، والتى بمقتضاها ، يكون انتصار الثورة الاشتراكية غير ممكن الا بوصفه انتصارا ملازما لانتصارات بروليتاريا البلدان الاوروبية ، اذ قال تروتسكى متناولا السياسة الخارجية للحكومة المقبلة ، ما يلى : «انى لارى اوروبا ، فى نهاية هذه الحرب ، يعيد تكوينها لا الدبلوماسيون بل البروليتاريا . الجمهورية الاوروبية الاتحاديـــة او الولايات المتحدة الاوروبيـــة . . .» (راجع الصفحـــة ٨٣ من هذا الكتاب) . يعارض تروتسكى هنا النظرية اللينينية حول الثورة البروليتارية وانتصار الاشتراكية فى بلد واحد ، بشعاره حول الولايات المتحدة الاوروبية ، الشعار الناجم عن نظريتـــه الانهزامية نظرية «الثورة الدائمة» .

ان منطق الاحداث التاريخيـــة الذى لا يرحـــم ، يجبر ممثلى الخط الاستسلامى احيانا على ان يتكلموا ويعملوا خلافا لاعتقادهم . وهذا ما جرى مع تروتسكى نفسه ، فى مرحلة الانتفاضة ، عندمـــا كان مضطرا ، بوصفه رئيسا لسوفييت بتروغراد ، ونظرا لسير الثورة الموضوعى ، الى ان يطبق التاكتيك اللينينى حول الانتفاضة . ففى جلسة سوفييت بتروغراد المنعقدة فى ٢٥ تشريـــن الاول (اكتوبر) ، مثلا ، وامام الامر الواقع بانتصار الشعب الثائـــر ،

وحين صدر عن القاعة تصريح مفاده ان نبأ انتصار الانتفاضة يسبق بصورة غير قانونية ارادة مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا ، اضطر تروتسكى الى الاجابة بروح تاكتيك لينين قائلا : «ان ارادة مؤتمر السوفييتات لعامة روسيا ، قد حددها سلفا هذا الواقع العظيم ، واقع انتفاضة عمال وجنود بتروغراد» (ص ١١٦) . لقد اضطر تروتسكى لان يقول خلاف ما قاله قبل ذلك بيومين فى جلسة سوفييت بتروغراد المنعقدة فى ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) .

لكن منطق الاحداث التاريخية لم يغير ولا يستطيع ان يغير بصورة جوهرية طبيعة تروتسكى الانتهازية ، وطبيعة انصاره والمستسلمين الآخرين ، الذين كانوا ينكرون من حيث المبدأ ، امكانية انتصار الثورة الاشتراكية ، والاشتراكية فى روسيا ، والذين كانوا يؤيدون ، من حيث جوهر الامر ، الحتمية التاريخية لقيام نظام الجمهورية البرلمانية البرجوازية ، والذين لم ينقطعوا بالتالى ، سواء داخل الحزب وفى البلاد ، عن القيام وعن الادلاء بالاعمال والاقوال الغادرة ضد الخط اللينينى العام ، لبناء الدولة السوفييتية والمجتمع الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى . لقد وقفوا موقفا غادرا ، خلال مفاوضات الصلح فى بريست ، وقاموا بتهجمات ديماغوجية ضد الخط اللينينى لبناء الاشتراكية القائم على اساس السياسة الاقتصادية الجديدة ، وافتروا على لجنة الحزب المركزية التى طبقت بدأب وانتظام الخطة اللينينية الهادفة الى تصنيع البلاد ، واشاعة التعاون فى الزراعة . وكانت النتيجة الطبيعية لهذا النضال المتواصل الذى خاضته التكتلات الانتهازية والاستسلامية ضد الخط اللينينى العام ، تخليهم التام عن الحزب وانتقالهم الى المواقف المعادية للاتحاد السوفييتى .

ونظرا للظروف الموضوعية التى كان جون ريد يعمل فيها على جمع الوثائق المفيدة لكتابه وترجمتها ، فانه لم يستطع ان يدرس نشاط مراكز الحزب البلشفى ، دراسة دقيقة على درجة ضرورية من الصحة ، فى مرحلة اعداد الانتفاضة وابانها ، اذ كان نشاط الحزب البلشفى ونشاط لينين ، حتى انتصار الانتفاضة يجريان بصورة سرية . ولذا فانه من الطبيعى ألاّ ينعكس النضال الذى خاضه لينين ورفاقه المقربون ضد الاستسلاميين وضد خط

تروتسكى التكتيكى ، بصورة كافية فى كتاب جون ريد . وهكذا لم يتح للمؤلف ان يتعمق فى التناقضات التى تجلت فى الكلمات التى القاها تروتسكى فى اول ايام ثورة اكتوبر .

ويخطئ ريد حين يؤكد قائلا : «ولعل احدا ، باستثناء لينين وتروتسكى وعمال بتروغراد والجنود البسطاء ، لم يكن يثق بان البلاشفة يستطيعون الاحتفاظ بالسلطة مدة اطول من ثلاثة ايام» . فالى جانب لينين ، كانت اللجنة المركزية والمنظمات البلشفية المحلية ، واثقة برسوخ الانتصار المحرز . ولم «يتنبأ» بهلاك الثورة المظفرة المحتم سوى حزبى المناشفة والاشتراكيين-الثوريين الفاشلين ، وممثلى الطبقات المستثمرة التى فقدت سلطتها ، واذنابها وكذا حفنة من الاستسلاميين داخل الحزب البلشفى . اما تروتسكى ، فانه فى هذه المرحلة الزمنية بالذات ، القى فى مؤتمر السوفييتات لعموم روسيا ، كلامه الزاخر بالتشاؤم اليائس حول مصير الثورة فى روسيا . ولا يتفق كذلك مع الواقع التاريخى ، وصف المؤلف للظروف التى اتخذت فيها اللجنة المركزية قرارها حول العصيان المسلح (راجع ص ٦٧ من هذا الكتاب والملاحظة المتعلقة بذلك) .

لكن هذه النواقص ، والنواحى الاخرى غير الدقيقة الواردة فى الكتاب ، تتسم بطابع عرضى ، ولا تؤثر فى تقدير كتاب جون ريد من حيث المبدأ بوصفه وثيقة ادبية عظيمة الاهمية ، تقص علينا الحقيقة عن ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى .

لقد تأثر جون ريد تأثرا عميقا بافكار لينين ، والحزب البلشفى ، التى تجلت فى نشاط اجهزة المراكز العلنية القائدة للانتفاضة ، وببطولة الشعب الثائر وبسالته ، وابداعه الثورى الخلاق . وهذا ما سمح له بالضبط بان يتغلغل بنظرته الثاقبة كثورى متحمس ، وكفنان موهوب ، الى صميم الاحداث الثورية التى جرت امامه ، وان يدرك معناها التاريخى العميق . وعلى هذا تقوم جدارة الكتاب الذى هو ، على حد كلمات لينين ، «يقدم عرضا صادقا وحيا الى درجة خارقة لاحداث هى ذات اهمية قصوى لادراك كنه الثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا» .

ان الحقيقة العظيمة عن ثورة اكتوبر الشعبية فى روسيا ، التى كرس جون ريد كتابه لها ، لم تكن مقبولة لدى الامبرياليين

الاميركيين وغيرهم الذين كانوا ينشرون بنذالـــــة الافتراءات فى صحافتهم على البلاشفة وعلى النظام السوفييتى فى روسيا ، محاولين بالتالى صرف انتباه الجماهير التى استغلوها ، عن المثال المؤثـــر الذى ضربه العمال والفلاحون والجنود الروس فى الجرأة والبطولة الثورية . لقد حاول الامبرياليون مصادرة الوثائق التى جمعها جون ريد ، كما قاموا بست محاولات ، على ايدى قطاع الطرق ، ليستولوا من مكتب دار النشر على مخطوطة الكتاب لاتلافها .

ولكن ، رغم كافة المصاعب والعراقيل ، فقد صدر كتـــــاب «عشرة ايام هزّت العالم» فى الولايات المتحدة الاميركية عام ١٩١٩ . واصبح هذا الكتاب المؤلف الاول فى الادب العالمى الذى قصّ على الانسانية جمعاء ، حقيقة الثورة الاشتراكية المنتصرة فى روسيا ، هذه الثورة التى دشّنت بداية عصر جديد فى تاريخ الانسانية — عصر الثورة البروليتارية .

بقلم :
ألبرت ريس ولیامس

ترجمة حياة جون ريد

كانت مدينة بورتلاند على المحيط الهادئ اول مدينة اميركية رفض العمال فيها تحميل الذخائر الى جيش كولتشاك . ففي هذه المدينة ولد جون ريد في ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٨٧ .

كان والده واحدا من هؤلاء الرواد الصلبين ، ذوى التفكير المستقيم ، الذين وصفهم جاك لندن في قصصه عن غرب اميركا . انه رجل ذو ذكاء حاد ، يكره الخداع والمكر . وعوضا عن ان يقف الى جانب الناس الاغنياء اصحاب النفوذ ، فانه عارضهم ، وعندما استولت التروستات كالاخطبوطات الهائلة على الغابات والثروات الاخرى في الدولة ، بدأ ضدهم نضالا عنيدا . فاضطهد ، وضرب حتى الموت ، وطرد من مركزه . ولكنه لم يستسلم ابدا امام اعدائه .

وهكذا ، فقد اخذ جون ريد عن والده دم المناضل بالوراثة ، ذكاء من الدرجة الاولى ، فكرا جريئا وجسورا . هذه المواهب اللامعة ظهرت لديه في سن مبكرة ، ولدى انتهاء دراسته الثانوية ، ارسل الى هارفارد ، اشهر جامعة اميركية . هناك حيث يرسل ملوك البترول ، وبارونات الفحم واساطين الفولاذ اولادهم ، عالمين تماما ، ان هؤلاء الاولاد سيعودون بعد اربع سنوات يقضونها في الرياضة ، في الكماليات وفي «دراسة مجردة لعلم مجرد» ، مع فكر خال من اقل شبهة راديكالية . هكذا يعدون ، في المدارس والجامعات ، عشرات الألوف من الشبان الاميركيين ليكونوا حماة للنظام القائم ، وحرسا ابيض للرجعية .

لقد امضى جون ريد اربع سنوات بين جدران هارفارد حيث جعلته شخصيته الجذابة ومواهبه محبوبا من الجميع . لقد كان يصطدم يوميا مع الشباب سليلي الطبقات الغنية ذات الامتيازات . كان يسمع الدروس المفخمة لاساتذة علم الاجتماع ذوى التفكير

الحسن . وكان يسمع مواعظ كهان الرأسمالية اصحاب السلطة ، اساتذة علم الاقتصاد السياسى . واخيرا فقد نظمناديا اشتراكيا في وسط هذه القلعة البلوتوقراطية ذاتها . كان ذلك صفعة حقيقية على وجه العلماء الجهلة . لقد كان رؤساؤه يعزون انفسهم بالتفكير بان الامر لا يتعدى هواية غلام . وكانوا يقولون : «هذه الراديكالية سيتخلى عنها لدى اجتيازه باب الجامعة ودخوله فى معترك الحياة» .

بعد ان انهى جون ريد دروسه ونال درجته الجامعية ودخل العالم الواسع ، وبوقت قصير لا يصدق ، استكان العالم له . لقد استكان له لشغفه بالحياة ، بحماسه وقلمه . وقد كان طالبا عندما ساهم فى الصحيفة الساخرة «لامبون» (الهازئ) ، حيث ابدى اسلوبا سهلا ومشرقا . وحاليا اخرج قلمه موجة من القصائـــد ، والقصص ، والمسرحيات الدرامية . فغمره الناشرون بعروضهم ، وكانت المجلات المصورة تعرض عليه مبالغ خيالية من المال ، وكبريات الصحـف تطلب منه التعليقات على الاحداث العالمية .

وهكذا اصبح جون ريد جوّابا افّاقا لاكبر الطرق فى العالم . وكل من اراد ان يتابع الحياة العصرية ، عليه ان يتبع جون ريد : كالطائر البحرى ، وعصفور الرعود ، فقد كان حاضرا دائما حيث يجرى شىء ما هام .

ففى بترسون ، تحول اضراب عمال النسيج الى عاصفة ثورية — وكان جون ريد فى وسط العاصفة .

وفى كولورادو ، خرج عبيد روكفلر من اخاديدهم ورفضوا ان يعودوا اليها ، رغم مطارق الحرس المسلح وبنادقهم ، وكان جون ريد هناك الى جانب الثائرين .

وفى المكسيك حيث رفع الفلاحون المحرومون راية العصيـــان بقيادة فيللا وتوجهوا الى الكابيتول ، كان جون ريد على الحصـان يتقدم بينهم .

ظهر تحقيق صحفى عن هذه المأثرة فى مجلة «متروبوليتان» وبعد ذلك فى كتاب «المكسيك الثائرة» . وبالوان غنائية ، وصف ريد فيه الجبال ذات الالوان الارجوانية والصحارى الواسعة «التى تحميها اشواك الصبار الباسقة من كافة الجهات» . كان ريد يحب السهول اللامتناهية ، واكثر من ذلك ايضا ، كان يحب سكانها الذين يستثمرهم الملاكون الكبار والكنيسة الكاثوليكية دون رحمة . لقد

وصف ريد هؤلاء وهم منحدرون بقطعانهم من المراعى الجبلية لينضموا الى جيش التحرير ، مغنين فى المساء حول نيران المعسكر ، مناضلين باعجاب فى سبيل الارض والحرية ، رغم الجوع والبرد ، وهم حفاة الارجل يرتدون الاسمال الممزقة .

اندلعت الحرب الامبريالية . وفى كل مكان دوى فيه المدفع ، كان جون ريد هناك : فى فرنسا ، فى المانيا ، فى ايطاليا ، فى تركيا ، فى البلقان ، فى روسيا . واذ فضح خيانة الموظفين القيصريين وجمع وثائق تظهر اشتراكهم فى تنظيم المجازر ضد السامية ، فقد اعتقله الدرك برفقة الرسام الشهير بوردمان روبنسون . ولكن كما كان يجرى دوما وبفضل حيلة ماهرة ، وبصدفة سعيدة او بلعبة ماكرة ، فقد تخلص من مخالبهم ومضى ضاحكا الى مخاطرة جديدة .

لم يوقفه الخطر ابدا ، فقد كان محيطه الطبيعى . لقد كان يتسلل دائما الى المناطق المحرمة ، الى الخطوط الامامية من الخنادق .

كم يعيش فى ذاكرتى ، سفرى مع جون ريد وبوريس راينشتاين الى جبهة ريغا فى ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ ! كانت سيارتنا تتجه جنوبا ، نحو فاندن ، عندما شرعت المدفعية الالمانية تقصف قرية تقع الى الشرق . وفجأة اصبحت هذه القرية بالنسبة لجون ريد ، المكان الاكثر اهمية فى العالم ! ألح علينا بان نذهب اليها . وبحذر شرعنا نزحف عندما انفجرت فجأة قنبلة كبيرة وراءنا ، مخلفة عمودا اسود من الدخان والغبار ينبعث من شقة من الطريق وكنا بالكاد قد اجتزناها .

ونظرا للخوف الذى استولى علينا ، فقد تشبثنا ببعضنا البعض ، بيد انه بعد برهة كان جون ريد يزهو فرحا . اذ يبدو ان نوعا من حاجة لا تقهر فى طبيعته قد اشبعت .

هكذا كان جون ريد يجوب العالم ، من بلد الى آخر ، من جبهة الى اخرى ، من مغامرة خارقة الى مغامرة اخرى . الا انه لم يكن مغامرا بسيطا ، مخبرا ، مشاهدا غير مبال ، ملاحظا عديم التأثر بالآلام الانسانية ، بل على العكس من ذلك ، لقد كانت هذه الآلام وكأنها آلامه الخاصة . كان هذا التشويش ، هذا الوحل ، هذه الآلام وهذا الدم المراق تسىء الى شعوره بالعدالة واللياقة . وبصلابة ، فقد كان يفتش عن جذور جميع الآلام بغية اجتثاثها .

عندما كان يرجع من اغترا باته الى نيويورك ، لم يكن ذلك طلبا للراحة ، ولكن كى يشتغل ايضا ويدافع عن افكاره .

ولدى رجوعه من المكسيك ، اعلن قائلا : «نعم ، ان المكسيك تعيش فى جو من الاضطراب والتشويش . ولكـــن المسؤولية لا يتحملها الفلاحون المحرومون من الارض بل اولئك الذين يزرعون الاضطراب بارسالهـــم الذهـــب والسلاح ، اى شركات النفط الاميركية والانكليزية المتصارعة» .

عاد جون ريد من بترسون لينظم فى ماديسون سكوير غاردن ، اكبر قاعة فى نيويورك ، تمثيلية درامية بعنوان «معركة البروليتاريا فى بترسون ضد الرأسمال» .

من كولورادو ، جاء بنبأ مذابح لودلو ، التى فاقت شناعتهـــا تقريبا شناعة اطلاق الرصاص على نهر لينا فى سيبيريا . لقد قص كيف طرد عمال المناجم من بيوتهم ، وكيف عاشوا تحت الخيام ، وكيف رويت هذه الخيام بالبترول واشعلت فيها النيران ، وكيف اطلـــق الجنود الرصاص على العمال الذين كانوا يركضون وكيف هلـــك عشرون من النساء والاولاد فى النيران . واعلن ريد موجها كلامه الى روكفلر ، ملك اصحاب الملايين ، قائلا : «انها مناجمك ، انهم عصاباتك المرتزقة وجنودك ، انكم قتلة !» .

ولم يرجع جون ريد من ميادين القتال مزودا بثرثرات جوفاء عن وحشية هذا او ذاك من الاطراف المتحاربة ، ولكنه رجع لاعنـــا الحرب بذاتهـــا ، كمجزرة ، كحمام دم ، نظمهـــا الامبرياليون المتنافسون . وفى مجلة «الليبيراتور» التقدمية الثورية التى كان يقدم اليها مجانا افضل كتاباته ، نشر مقالا لاذعا تحت عنوان : «احصل على صدرة من القوة لابنك الجندى» . اعتقل ، وقدم مـــع محررين آخرين الى محكمة نيويورك بتهمة الخيانة العظمى . حاول النائب العام بكل قواه الحصول على حكم قاس من المحلفين الوطنيين ، لقد ذهبت به الحال الى اقامة جوقة امام مبنى المحكمـــة تعزف الاناشيد الوطنية طوال وقت المذاكرات ! لكن ريد ورفاقه دافعوا ببسالة عن معتقداتهم . وبعد ان اعلن ريد بجرأة انه يعتبر من واجبه ان يناضل فى سبيل الثورة الاجتماعية تحت علم الثورة ، سأله النائب العام :

«ولكن ، فى الحرب الراهنة ، انكم ستحاربون تحت العلم الاميركى ؟» .

«كلا !» – اجاب ريد بتأكيد مطلق .

«ولماذا اذن ؟» .

وجوابا على ذلك ، القى ريد خطابا عاطفيا وصف فيه الفواجع التى شاهدها فى ميادين القتال . ولقد كانت قصته حية ومؤثرة لدرجة ان بعض المحلفين من البرجوازيين الصغار ، رغم انهم حذروا قبل ذلك ، تأثروا من كلامه حتى الدموع . فاطلق سراح المحررين .

وتماما فى الوقت الذى دخلت فيه اميركا الحرب ، اجريت عملية لجون ريد : فاستؤصلت احدى كليتيه . واعلن اطباؤه عدم اهليته للخدمة العسكرية .

«ان فقدان كلية ، – اعلن جون ريد ، – يمكن ان يعفينى من الخدمة فى الحرب بين الشعوب . ولكنه لا يعفينى من ان ابذل نفسي فى الحرب الطبقية» .

فى صيف ١٩١٧ ، جاء جون ريد بصورة عاجلة الى روسيا ، حيث ابصر جليا فى المعارك الثورية الاولى اقتراب حرب طبقية كبيرة .

ولما كان قد حلّل الوضع بسرعة ، فقد ادرك بان معركة البروليتاريا من اجل السلطة كانت منطقية وحتمية . بيد ان التأخيرات والمماطلات كانت تقلقه . ولدى الاستيقاظ صباح كل يوم ، كان يلاحظ بشعور قريب من الغضب بان الثورة لم تبدأ بعد . واخيرا ، اعطت سمولنى الاشارة واندفعت الجماهير فى المعركة الثورية . وطبيعى تماما ان يندفع معها جون ريد . لقد كان موجودا فى كل مكان : عندما حل البرلمان التمهيدى ، عند بناء المتاريس ، فى الاستقبال العاصف الذى اقيم للينين وزينوفييف لدى خروجهما من السرية الى العلنية ، عند سقوط قصر الشتاء . . .

ولكن هذا كله ، رواه جون ريد فى كتابه .

فى كل مكان مرّ فيه ، كان يجمع وثائقه . وهكذا جمع مجموعات كاملة من «البرافدا» و«الازفستيا» («الحقيقة» و«الاخبار») ومن الاعلانات والنداءات والنشرات كذلك . كان لديه ميل خاص للاعلانات . وفى كل مرة يظهر فيها اعلان جديد ، لم يكن جون ليتردد

فى قلعه من على الجدار ، اذا لم يستطع الحصول عليه بوسيلة اخرى .

فى هذه الايام ، كانت الاعلانات تطبع بكميات وبسرعة لدرجة انه كان من الصعب العثور على مكان لالصاقها على الحواجز الخشبية . كانت اعلانات حزب الكاديت والاشتراكيين-الثوريين والمناشفة والاشتراكيين-الثوريين اليساريين والبلاشفة يلصق الواحد منها فوق الآخر ، بطبقات جد سميكة حتى ان ريد قلع يوما دفعة واحدة ، ستة عشر اعلانا منضدا بعضها فوق بعض . لقد توقف فى غرفتى رافعا الرزمة الكبيرة من الورق صارخا : «انظر ! لقد نشلت بلمحة كل الثورة والثورة المضادة !»

وهكذا فقد انشأ ريد بوسائل مختلفة ، مجموعة وثائق تدعو للاعجاب . لقد كانت رائعة جدا حتى ان رجال وزارة العدل الاميركية ، لدى وصوله الى مرفأ نيويورك بعد عام ١٩١٨ ، خلصوه اياها . بيد انه نجح بان يستعيد ملكيتها وان يخفيها فى الغرفة الصغيرة فى نيويورك حيث نسخ على الآلة الكاتبة «عشرة ايام هزت العالم» وسط ضجيج المترو الجوى الذى كان يطير فوق رأسه والمترو الارضى الذى كان يسير تحت اقدامه فى باطن الارض .

بالطبع ، لم يكن ليرغب الفاشست الاميركان ان يطلع الجمهور على هذا الكتاب . ففى ست محاولات ، دخلوا خلالها الى مكتب دار النشر بغية سرقة المخطوطات . وعلى صورته الشخصية كتب جون ريد هذا الاهداء : «الى هوراس ليفيرايت ، ناشر كتابى الذى كاد ان يفلس بسبب طبعه اياه» .

لم يكن هذا الكتاب الثمرة الوحيدة لنشاط ريد الادبى المتصل بالدعاية عن الحقيقة فى روسيا . ان البرجوازية لم تشأ بالطبع ان تسمع الحديث عن هذه الحقيقة . وبوصفها كارهة الثورة الروسية وخائفة منها ، فقد حرصت على ان تغرقها فى سيل من الافتراءات . كانت المحافل السياسية ، وشاشات السينما ، واعمدة الصحف والمجلات ، تصب بدون نهاية ، سيلا من الافتراءات البشعة . اما المجلات التى الحت قبلا للحصول على مقالات ريد ، فانها لم تكن لتطبع سطرا واحدا مما كتبه . ولكن هذه المجلات لم تستطع ان تمنعه عن الكلام . فكان يتكلم فى اجتماعات حيث تزدحم الجماهير .

اسس ريد مجلة له . واصبح محررا لمجلة «عصر الثورة» ذات النزعة الاشتراكية اليسارية ، ثم «الكومونيست» . كان يكتب مقالا اثر مقال لصحيفة «الليبيراتور» ويجوب البلاد ، ويشارك فى الاجتماعات ، مفحما بالوقائع جميع الذين يسمعونه ، وناقلا اليهم حماسه الثورى وحميته . ونظم اخيرا فى معقل الرأسمالية الاميركية حزب العمال الشيوعى ، كما نظم تماما منذ عشرة سنوات خلت ، ناديا اشتراكيا فى قلب جامعة هارفارد .

وعلى جرى عادتهم ، فقد خدع «العقلاء» انفسهم . كان يمكن لراديكالية جون ريد ان تكون كل شيء عدا كونها عبارة عن هواية عابرة . وخلافا للنبوءات ، فان الاتصال بالعالم الخارجى لم يشفِ قط جون ريد ، انه ما عمل الا على تثبيت تقدميته وتقويتها . الى اى مدى كانت هذه التقدمية حاليا متينة وعميقة ، ان البرجوازية تستطيع ان تقنع نفسها لدى قراءة «صوت العمل» ، الصحيفة الشيوعية الجديدة التى كان ريد محررها . لقد فهمت البرجوازية الاميركية ان ثوريا حقيقيا قد ظهر فى وطنها . واليوم هذه الكلمة وحدها «ثورى» قد ارجفتها ! بالطبع لقد كان فى الماضى ثوريون فى اميركا ، وحاليا ايضا توجد فى هذا البلد جمعيات شريفة ومحترمة بصورة رفيعة ، من نوع «بنات الثورة الاميركية» و«ابناء الثورة الاميركية» . انها الطريقة التى تكرّم بها البرجوازية الرجعية ثورة عام ١٧٧٦ . بيد ان هؤلاء الثوار قد انتقلوا منذ زمن بعيد الى عالم آخر . فى حين ان جون ريد ، الثورى الحى ، الحى الى درجة لا تصدق ، كان تحديا للبرجوازية .

لم يبق للبرجوازية سوى مخرج واحد تلجأ اليه : وضع ريد فى الاغلال . وهكذا اعتقل جون لا مرة واحدة ولا مرتين ، بل عشرين مرة . ففى فيلادلفيا ، اغلق البوليس قاعة الاجتماع لكى يمنع جون ريد من ان يتكلم . لكنه تسلق صندوق صابون ، ومن هذه المنصة ، توجه الى الجمهور الغفير الذى سد الشارع . اصاب هذا الاجتماع نجاحا واحرز كثيرا من العطف ، حتى انه كان من المستحيل ، عندما اعتقل ريد «لأنه شوش النظام العام» الحصول على حكم بادانته من المحلفين . لم تنعم اية مدينة اميركية بالهدوء ما دامت لم تعتقل جون ريد ولو مرة واحدة . لكنه كان ينجح دائما باسترداد

حريته ، بالكفالة ، او بتأجيل المحاكمة ، وكان يسرع بالذهاب ليخوض المعركة فى ميدان جديد .

لقد اصبحت عادة مألوفة لدى البرجوازية الغربية ، بان تعزو كل آلامها وهزائمها الى الثورة الروسية . واحدى جرائمها (الهـاء : للثورة الروسية) كانت انها جعلت من هذا الشاب الاميركى الموهوب جدا انسانا متعصبا للثورة . هكذا تفكر البرجوازية . بينما الحقيقة تختلف قليلا عن ذلك .

ليست روسيا هى التى جعلت من جون ريد ثوريا . فان دما ثوريا اميركيا كان يجرى فى عروقه منذ يوم ولادته . نعم ، ومهما حاولوا اظهار الاميركيين كاناس حسنى التغذية ، مرتضين ورجعيين ، فان السخط والثورة يجريان ايضا فى عروقهم . تذكروا كبار الثائرين فى الماضى : توماس ، بين ، وولت ويتمن ، جون براون وبارسونس . وتذكروا اليوم رفاق جون ريد واصدقاءه فى النضال : بيل هايوود ، روبرت ماينور ، روتنبرغ وفوستر ! تذكروا اصطدامات العمال الصناعيين الدموية فى هومستيد ، بولمان ولورنس ونضال «العمال الصناعيون فى العالم» . جميع — هؤلاء القادة وهذه الجماهير — انهم جميعا من اصل اميركى خالص . ورغم ان هذا ليس جليا تماما فى الساعة الراهنة ، فان دماء الاميركيين قد تشربت بقوة بالفكرة الثورية .

لا يمكن ان يقال اذن بان روسيا جعلت من جون ريد ثوريا . **ولكنها جعلت منه ثوريا منطقيا ذا فكرة علمية** . ذلك هو فضلها الكبير . انها حملته على ان يغمر مكتب عمله بكتب ماركس وانجلس ولينين . لقد منحته فهم التطور التاريخى ومجرى الحوادث . لقـد حملته على ان يحل وقائع الاقتصاد القاسية والفظة محل نظراته الانسانية الذى يشوبها الغموض قليلا . ولقد حفزته لكى يصبح مربى الحركة العمالية الاميركيـــــة ويحاول ان يقيمها على الاسس العلمية التى بنى عليها معتقداته الخاصة .

واحيانا كان رفاقه يقولون له : «ليست السياسة ميدانك يـا جون !» «انت لست داعية ، انك فنان . عليك ان تكرس موهبتك فى عمل ادبى خلاق !» . كان يحس غالبا بصحة هذه الكلمات ، لأن قصائد جديدة كانت تولد دائما فى رأسه ، ومسرحيات دراميـــة جديدة تفتش دوما عن التعبير عنها ، وتتوق الى ان ترتدى شكلا

محدودا . وعندما الح عليه اصدقاؤه بان يترك جانبا الدعاية الثورية وان يشرع فى الكتابة ، كان جون يجيب بابتسامته : «هذا حسن ، سأشرع بذلك» .

ولكنه لم ينقطع عن نشاطه الثورى لحظة واحدة . كان ذلك فوق قواه ! لقد استولت عليه الثورة الروسية جسدا وروحا . وجعلت منه مشايعا لها ، لقد حملتـــــه على ان يخضع مزاجـــــه الفوضوى ، المتردد ، الى انضباط الشيوعية القاسى ؛ لقد ارسلته ، كنبى يحمل شعلة مضطرمة يجوب المدن الاميركية ؛ دعتـــه الى موسكو عام ١٩١٩ ليعمل فى الاممية الشيوعية لتوحيـد الحزبين الشيوعيين فى الولايات المتحدة .

ولكونه قد تسلح بوقائع جديدة عن النظرية الثورية ، فقد اندفع ريد من جديد فى سفر سرى قاصدا نيويورك ، ونتيجة لخيانة بحار ، طردوه من الباخرة ، والقى به فى زنزانة فى سجن فنلندى . ومن هناك عاد ثانية الى روسيا ، وكتب فى مجلة «الاممية الشيوعية» ، وجمع الوثائق لكتاب جديد ، وانتدب الى مؤتمـــــر الشعوب الشرقية فى باكو . ولما كان قد اصيب بمرض التيفوس (وربما كان ذلك فى القفقاس) ، وانهكت قواه نتيجة الافراط فى العمل فانه لم يستطع مقاومة المرض وقضى نحبه يوم الاحد فى ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ .

لقد ناضل عدد من المناضلين المماثلين لجون ريد ضد الجبهة المعادية للثورة فى اميركا واوروبا بالبسالة التى هزم بها الجيش الاحمر الثورة المضادة في الاتحاد السوفييتى . وسقط البعض ضحية المجازر ، وسكت البعض الى الابد فى السجون ، وغرق احدهم اثناء عاصفة فى البحر الابيض بينما كان عائدا الى فرنسا ، وانسحق آخر فى سان فرنسيسكو عندما سقط من طائرة كان يرمى منهـــا النداءات محتجا ضد حرب التدخل . ومهما كان غضب الهجـــوم الاستعمارى قويا ضد الثورة ، فقد كان من المحتمل ان يكون اشد لولا هؤلاء المناضلين . انهم ايضا قاموا بعمل ما لكبح جماح الثورة المضادة . وليس فقط الروس ، الاوكرانيون ، التاتار والقفقاسيون الذين ساعدوا الثورة الروسية ، ولكن ايضا ولو كان ذلك عـلى درجة ادنى ، الفرنسيون ، الالمان ، الانكليز والاميركيون . وبين هؤلاء «غير الروسيين» ينتصب وجه جون ريد فى المقام الاول ، لأنه

كان رجلا ذا مواهب غير عادية ، صرع فى تمام تفتح قواه . . .
وعندما وصل خبر وفاته من هلسنكى ومن ريفيل ، قد اقتنعنا بان ذلك لم يكن سوى اكذوبة اضافية وسط تلك الاكاذيب التى تصنعها يوميا معامل الافتراءات المناهضة للثورة . ولكن عندما ايدت لويزا برايانت هذا الخبر المقلق ، حملنا ، رغم ألمنا ، على التخلى عن الامل بتكذيبه .

ورغم ان جون ريد قد مات فى المنفى وهدد بحكم خمس سنوات بالسجن ، فان الصحافة البرجوازية نفسها قد ادت واجب التكريم نحو الفنان ونحو الانسان . غبطة كبيرة غمرت البرجوازية : لأن جون ريد الذى كشف القناع عن اضاليلها وخداعها ، والذى اهانها بقلمه بكل قساوة ، لم يعد موجودا !

ان الاوساط التقدمية الاميركية قد اصيبت بخسارة لا تعوض . انه من الصعب على الرفاق الذين يعيشون خارج اميركا ، ان يقيسوا شعور الخسارة الذى سببه موته . والروس يعتبرون كأمر طبيعى تماما وبديهى تماما ان يموت رجل فى سبيل عقائده . وفى هذا الميدان لا مجال لشعور غير عادى . ففى روسيا السوفييتية ، مات الالوف وعشرات الالوف ، فى سبيل الاشتراكية . ولكن تضحيات كهذه فى اميركا كانت نسبيا قليلة العدد . اذا جاز هذا القول فان جون ريد كان اول شهيد للثورة الشيوعية ، طليعة الالوف الذين سيتبعونه ، وكانت نهايته المفاجئة لحياته الشهابية حقا ، فى روسيا البعيدة المغلقة بالحصار ، كانت ضربة هائلة للشيوعيين الاميركيين .

العزاء الوحيد الذى بقى لاصدقائه القدامى ورفاقه ، ان جون ريد يرقد فى المكان الوحيد فى العالم حيث اراد ان يرقد – فى الساحة الحمراء مقابل جدار الكرملين .

هناك على قبره ، اقيم نصب تذكارى يتلاءم وصفاته ، بشكل كتلة خامية من الغرانيت قد حفرت عليها الكلمات التالية :

«جون ريد ، مندوب الاممية الثالثة ، ١٩٢٠» .

محتويات

مقدمة للطبعة الاميركية ٥
مقدمة للطبعـــة الروسية ٦
مقدمـــــة ١١
ملاحظات افتتاحيـــة وتوضيحات ١٧
الفصل الاول . الاوضاع العامة ٣١
الفصـــل الثانى . مجىء العاصفة ٤٨
الفصل الثالث . عشية الاحداث ٧٤
الفصل الرابع . سقوط الحكومة الموقتة ١٠٤
الفصل الخامس . الى امام بدون توقف ! ١٤٠
الفصل السادس . لجنة الانقـــاذ ١٧٤
الفصل السابع . الجبهة الثورية ١٩٨
الفصل الثامن . الثورة المضـــادة ٢١٧
الفصل التاســـع . النصر ٢٤٠
الفصل العاشر . موسكو ٢٦٥
الفصل الحادى عشر . الاستيلاء على السلطة ٢٨٠
الفصل الثانى عشر . المؤتمر الفلاحى ٣٠٧
ملاحظات من جون ريد ٣٢٥
كلمة دار النشر الختامية ٤٣٣
البرت ريس وليامس . ترجمة حياة جون ريد ٤٤٣

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب ، وترجمته ، وشكل عرضه ، وطباعته واعربتم لهسا عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ١٧
موسكو ــ الاتحاد السوفييتي

